NURUOSMANIYE
2160
2583

احياء علوم الدين

ح
٢٥٩
١
٢٢٠

الشيخ العارف بالله الشيخ المعروف بالنسبة الى الغزال وهو المشهور
في لسان تهم بكيكلو بابا ولم يشتهر اسمه وانما ينسب الى الغزال
لانه كان يركب الغزال وكان الغزال يصحبه ولد ببلدة خوي
من بلاد العجم ثم ارتحل الى بلاد الروم وحضر فتح بروسا مع السلطان
اورخان راكبا على الغزال وتوطن في جبل في مدينة
بروسا ومات هناك ودفن بذلك الموضع
وبنى السلطان على قبره قبة وقبره
مشهور يزار ويتبرك به

شقائق نعمانيه

م

فهرس

كتاب العلم كتاب قواعد العقايد كتاب اسرار الطهارة كتاب اسرار الصلوة
١ ١٣ ١٨ ٢٢
كتاب اسرار الزكوة كتاب اسرار الصيام كتاب اسرار الحج كتاب فى تلاوة القران
٣٤ ٣٩ ٤١ ٥٥
كتاب الاذكار والدعوات كتاب ترتيب الاوراد فى الاوقات واما ربع
٦٣ ٧٥
العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب اداب الاكل كتاب اداب
٨٨ ٩٢
النكاح كتاب الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب الصحبة والعشرة
٩٧ ١٠٤ ١١٧
مع اصناف الخلق كتاب العزلة كتاب اداب السفر كتاب اداب السماع
١٢٦ ١٣٢ ١٤٠
والوجد كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كتاب اداب المعيشة
١٥٠ ١٤٩
واخلاق النبوة واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب
١٧٩
شرح العجايب كتاب رياضة النفس كتاب آفة الشهوتين شهوة
١٨٤ ١٨٧
البطن وشهوة الفرج كتاب آفة اللسان كتاب آفة الغضب والحقد والحسد
١٨٨ ١٩٣
كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال والبخل كتاب ذم الجاه والريا كتاب ذم الكبر والعجب
١٩٧ ٢٠١ ٢١٤ ٢٢٦
كتاب ذم الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة كتاب الصبر والشكر كتاب
٢٣٣ ٢٣٣ ٢٤٠ ٢٤٧
الخوف والرجاء كتاب الفقر والزهد كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والشوق والرضا
٢٥٤ ٢٦٢ ٢٧٨
ترتيب النية والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت
٢٩٤ ٣٠٦ ٣١٥ ٣١٤

وبعده

٢٥٨٤

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

SÜLEYMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı . N. O.
Yeni Kayıt No 2160
Eski Kayıt No 2583
Tasnif No.

هذا
مختصر احياء
علوم الدين مسمى
بزلفاة السالكين الى حضرة
رب العالمين تاليف الشيخ
المهتدي بنور الله القوي ابي
المحاسن مسعود بن محمود بن علي
بن مكون الاعلى عليه الرحمة برسم
خزانة السلطان الاعظم الشان
قامع الظلمة والطغيان رافع الشان
والبلدان جامع الشرف والعدل
والبيان السلطان ابن السلطان سلطان
بايزيد خان بن محمد خان لازال
واطئا لرقاب الاعداء
والامجاد الشمس
في السماء

هذا وقف ظل الله المخصص والنور اللامع المشخص السلطان ابن السلطان
السلطان ابو الفتح عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان وفقه الله
في حل رموز الانام وجعل الله سايره على العباد بالسلام
وانا الداعي الحاج ابراهيم حنيف المفتش باوقاف
الحرمين المحترمين عفي له

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقير الى رحمة الله تعالى الراجي عفوه ابو المحاسن مسعود بن محمود بن علي بن بكران الاعلم رحمه الله تعالى بعد استخارة الله تعالى اقول الحمد لله ذي الحمد والثناء والجود والعطاء والفضل والبهاء والكرم والسخاء والقدرة والبقاء والعظمة والعلاء احمده حمد مستزيد في السراء والضراء ومستديم له في البأساء والنعماء واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة من آمن بوحدانيته فامن مكايد البلاء وظفر بالفوز يوم الدين والجزاء ويأمرهم بالصبر والعزاء عند هجوم انواع المحن والجفاء ليطلع من مشرق قلوبهم نور الضياء من عالم الانس والصفاء فيتعرفوا به واردات الترو الروح من هواجس النفس والهواء وينهجوا مسلك السواء الى عالم القرب والرضاء اما بعد فان الناس اتخذوا العلوم صناعة وحرفا وجعلوها وسيلة الى نيل حطام الدنيا وانفرد كل طائفة بفن من العلم واحد ثم اتخذوه طرفا ليستميلوا بها قلوب ابناء الزمان وهجروا علم المعاملة والاديان حتى اندرس وعفى اثره وبلغ ذكره بين الخلق والكتب المصنفة في هذا الفن قل رغبة الناس فيها الا من يريد ان يجعل وسيلة الى الكتب بالوعظ وتحصيل المنزلة في القلوب فلما رأيت ذلك اقبلت على مطالعة الكتب المصنفة في هذا العلم فلم ار كتابا ابين واوضح وانفع من الكتاب الملقب باحياء علوم الدين تصنيف الشيخ الامام حجة الاسلام ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي نور الله مضجعه اذ فيه حل ما عقدوه ونظم ما فرقوه وضبط ما قدروه وكشف الحقائق وبيان حدود ما اهملوه وما لم تصل اليه الخواطر وايضا فانه جعله نوعين نوع يتعلق بالظاهر ونوع يتعلق

بالباطن فاما الذي يتعلق بالظاهر فقد جعله قسمين وسمى احد القسمين العبادات والثاني العادات لان افعال الناس ينقسم الى هذين القسمين واما الذي يتعلق بالباطن فجعله ايضا قسمين يسمى احدهما المهلكات والثاني المنجيات لان صفات الباطن لا تعدو هذين القسمين فصار الكل اربعة ارباع على منهاج الكتب الفقهية لكثرة الرغبات الى تحصيله وكل ربع من هذه الارباع يشتمل على عشرة كتب اما ربع العبادات فهو مشتمل على عشرة كتب كتاب العلم كتاب قواعد العقايد كتاب اسرار الطهارة كتاب اسرار الصلوة كتاب اسرار الزكوة كتاب اسرار الصيام كتاب اسرار الحج كتاب فهم تلاوة القرآن كتاب الاذكار والدعوات كتاب ترتيب الاوراد في الاوقات واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب آداب الاكل كتاب آداب النكاح كتاب آداب الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب آداب الصحبة والعشرة مع اصناف الخلق كتاب العزلة كتاب آداب السفر كتاب آداب السماع والوجد كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجايب القلب كتاب رياضة النفس كتاب آفة الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج كتاب آفة اللسان كتاب آفة الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال والبخل كتاب ذم الجاه والريا كتاب ذم الكبر والعجب كتاب ذم الغرور واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة كتاب الصبر والشكر كتاب الخوف والرجاء كتاب الفقر والزهد كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والشوق والرضا كتاب النية والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت وما بعده ولم يسبقه احد من المشايخ المتقدمين الى هذا النمط والشرح والبيان الا انه كتاب كبير تحويه مجلدات لم يقدر كل طالب على تحصيله ولا كل متعلم على حفظه فاخرجت منه كلاما مختصرا على ترتيبه وقانونه ولم اعدل عن نهج تاليفه غير اني اسقطت عنه الآيات والاخبار والآثار والحكايات والاستشهادات والامثال واقتصرت من كل كتاب على آية وخبر واثر واكثر على حسب ما يحتاج اليه

واوجزت ما شرحه وبينه بلفظ مختصر يفهم منه المقصود وما يشذ عنه ما يحتاج اليه
وذكر الآيات والاخبار والآثار يزاد للحث على المحمود والزجر عن المذموم
ومن يكون هذا الكتاب مقصوده ومطلوبه يكون له من الباطن محثا وزاجرا
ما يغنيه عن محث وزاجر من طريق السمع وراعيت فيه شرط الايجاز ليسهل حفظه
على من يريد سلوك طريق الآخرة وتنبعث الهمم اليه وهو مع اختصاره جامع حاو لجميع
علوم المعاملات التى تتعلق باعمال الظاهر والباطن وتسميته مرقاة السالكين الى
جوار رب العالمين واسال الله تعالى الاخلاص فى جمعه وان يجعله نافعا لى ولكل من
يشتغل به فالمرجو ممن يطالعه ويقتبس من فوائده ومن العامل بما فيه ان لا
يحرمنى من الدعاء ويترحم على وقت صفائه ورقة طبعه والله ولى التوفيق

كتاب العلم

اما فضيلة العلم فقد ورد فيه آيات واخبار وآثار كثيرة قال الله تعالى شهد الله انه
لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فانظر الى شرف العلم وعظمه وجلاله
كيف بدأ الله تعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر
لاهل العلم ما فى السموات وما فى الارض واى منصب يزيد على من يشتغل الملائكة
بالاستغفار له وقال ابن عباس خير سليمان عليه السلام بين الملك والعلم فاختار
العلم فاعطى المال والملك معه واما فضيلة التعلم فقد ورد فيه آيات واخبار
وآثار قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين و
قال النبى صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة
وقال ابن المبارك عجبت لمن يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة واما فضيلة
التعليم قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه الآية وقال النبى صلعم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطى ثواب سبعين
صديقا وقال ابن عباس رض معلم الخير يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر وتحقيق
تبيين فضيلة العلم فنقول ان الشئ اما يرغب فيه ويطلب لذاته او لغيره او لذاته ولغيره
جميعا وما يطلب لذاته اشرف مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير

فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون

والذى

والذى يطلب لذاته فالسعادة فى الآخرة وما يطلب لذاته ولغيره فكسلامة
البدن وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيت فيه هذه الثلاثة فاذا هو
افضل الاعمال وكيف لا وان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق
بالملائكة ومقارنة الملأ الاعلى هذا فى الآخرة واما فى الدنيا فالعز والوقار
ونفوذ الحكم على الملوك والسلاطين

بيان العلم المحمود والمذموم واقسامهما وما هو فرض عين وما هو فرض كفاية

اعلم ان الناس اختلفوا فى العلم الذى
هو فرض على كل مسلم قال المتكلمون هو علم الكلام وقال الفقهاء هو معرفة
الحلال والحرام وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة وقالت
المتصوفة المراد به هو علم الاخلاص وآفات النفوس وقال بعضهم هو علم الباطن
ونحن نقول ما لا ريب فيه اعلم ان العلم الذى كلف العبد العاقل البالغ اياه
ثلاث اعتقاد وفعل وترك اما الافعال فاذا بلغ الصبى يجب ان يتعلم كلمتى الشهادة
ويفهم معناهما من غير نظر واستدلال بل يجب الايمان بهما بلا شك واضطراب نفس
وهذا ربما يحصل لبعض الناس بمجرد الالقاء من الغيب ولبعضهم بمرار او من آبائهم
وامهاتهم فصار ذلك عندهم بمرور الزمان الى حين البلوغ علما يقينيا من غير
طلب دليل ولبعضهم لا تحصل الطمأنينة الا بعد معرفة الدليل اما من ثبتت الطمأنينة
فى قلبه وحصلت له المعرفة باجراء الكلمة على لسانه فلا يجب عليه اكثر من ذلك بدليل
انه لو مات عقيب ذكر كلمة الشهادتين يحكم باسلامه اجماعا فاذا دخل وقت الظهر
يجب عليه تعلم الطهارة والصلوة وهكذا فى بقية الصلوات يجب عليه تعلمها بدخول
وقتها فان عاش الى رمضان يلزمه معرفة حدود الصوم ووقته وما يصححه
وما يبطله فان كان له مال لزمه علم ما يجب من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال
وانما يلزمه عند تمام الحول فاذا دخل اول اشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج
مع ان فعله على التراخى فاذا عزم عليه لزمه علم كيفية الحج من اركانه وواجباته ثم
بعد ذلك يجب عليه تعلم ما يحرم من الكلام وعلى البصير يجب تعلم ما يحرم من النظر فما يعلم

الالتحاق الوصول

الطمأنينة السكون

الظهر بالضم بعد الزوال الظهيرة الهاجرة

انه يفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس يجب تنبهه عليه وكذلك في ملبسه وماكله يجب
تنبهه على الحلال والحرام واما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها
بحسب الخواطر او السماع من الناس فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين
ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العمل الواجب ووقت وجوبه علم العلم
الذي هو فرض عين وما ذكره المتصوفة من فهم خاطر العدو ولمة الملك
ومعرفة مذمومات القلب ومحموداته وعلاجها حق ايضا ولكن في حق من
يتصدى له ومن لا يعرف الشر لا يقدر على الاجتناب عنه ومن لا يعرف الخير لا يقدر
على الاتيان به واما فروض الكفايات فلا تتميز عن غيرها الا بذكر اقسام
العلم والعلوم بالاضافة الى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير
شرعية واعني بالشرعية ما يستفاد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد
العقل اليه ولا التجربة مثل الحساب والطب والعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى
ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمباح ما يرتبط به مصالح
الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة اما
فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب والحساب
والوصايا واداء المواريث وهذه العلوم لو خلا البلد عنها حرج اهل
البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط عن الباقين بل الفلاحة والحياكة والحجامة
من فروض الكفايات اذ الحاجة داعية اليها واما ما يكون فضيلة فالتعمق في دقائق
الحساب وحقائق الطب واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات
واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراها
واما العلوم الشرعية وهو المقصود بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما
يظن انها شرعية ويكون مذمومة فينقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فلها
اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب الاول الاصول وهي كتاب الله
وسنة رسوله عم واجماع الامة واثار الصحابة رضي الله عنهم الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم

منا

من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول واتسع بسببها
الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره وهو على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا
وهو مذكور في الفقه والمتكفل بها الفقهاء وهم من علماء الدنيا والثاني يتعلق
بالآخرة وهو علم القلب واخلاقه المحمودة والمذمومة الضرب الثالث المقدمات
وهو الذي يجري منها مجرى الآلات كعلم الصرف والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى
وسنة رسوله عم وليست من العلوم الشرعية ولكن يحتاج اليها لمعرفة الشرع الضرب
الرابع المتممات وذلك في علم القرآن ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات
ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ
والمنسوخ والخاص والعام والمتممات في الاخبار والآثار هو العلم بالرجال
واساميهم وباسامي الصحابة وصفاتهم وكل ما يتعلق بذلك فهذه كلها هي العلوم
الشرعية وهي محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت فلم الحقت الفقه
بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى خلق الخلق وجعل
بينهم معاملات واسبابا فتولدت بينهم الخصومات فمست الحاجة الى سلطان
يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون
السياسة وهو معلم السلطان بقانون سياسة الخلق وضبطهم لتنتظم امورهم
في الدنيا وهو ايضا يتعلق بالدين ولكن لا بنفسه ولكن بواسطة الدنيا وكانت
الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى وكل واحد منهم كان يحيل على صاحبه
واذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة كانوا يبادرون القول فيه فان من
يتقلد خطر الفتوى وهو غير متعين له للحاجة فلا يقصد الا طلب الجاه والمال
فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات ولا
يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصلوة والصيام وبيان الحلال و
الحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي هي اعمال الآخرة
ثلاثة الاسلام والصلوة والحلال والحرام فاذا تاملت منتهى نظر الفقيه

القلادة في العنق وعلى المراة
فتقلدت ومنه التقليد في
الدين وتقليد الولاة
الاعمال

فيها علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا في هذه
الثلاثة فهي في غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيه فيما يصح منه وما يفسد
وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن ولاية الفقيه واما الصلوة
فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا
في جميع صلاته مشتغلا بمعاملاته وحساباته ولا تنفع هذه الصلوة كثير نفع في
الآخرة ولكن الفقيه يفتي بالصحة واما الزكوة فالفقيه ينظر الى ما يقطع مطالبة
السلطان حتى انه اذا امتنع فاخذ السلطان منه قهرا حكم بانه برئت ذمته
واما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين وله اربع مراتب الاول
الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة الثاني ورع الباطن وهو التوقي
من الشبهات الثالث ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه
اداؤه الى الحرام الرابع ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى فهذه الدرجات
كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى فاذا جميع الفقه يرتبط بالدنيا
التي بها صلاح طريق الآخرة فان قلت فصل لي علم الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه
وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة فعلم
المكاشفة هو علم الباطن وذلك غاية العلوم وهو علم الصديقين والمقربين وهو
عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته الذميمة فينكشف
في ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماؤها حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات
الله وصفاته وافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبها ومعرفة
النبوة والنبي وكيفية ظهور الملك للانبياء والمعرفة بملكوت السموات و
معرفة الجنة والنار والصراط والميزان مما يطول تفصيله وهذا ممكن في جوهر
الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداؤها وخبثها بقاذورات الدنيا
والشهوات ولا سبيل الى دفع هذه القاذورات الا بالرياضة التي يأتي
تفصيلها في موضعه وهذه هي العلوم التي لا تسطر ولا يتحدث بها الا مع الاهل

واما القسم الثاني فهو علم المعاملة وهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها كالصبر
والشكر والخوف والرجاء والرضاء والقناعة والزهد والتقوى وحسن
الخلق والصدق والاخلاص وغيرها فمعرفة حقائق هذه الاحوال وثمراتها
وعلاجها من علم الآخرة واما ما يذم كخوف الفقر والغل والحسد وحب الدنيا
وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والغضب والطمع والبخل والاستهانة
بالفقراء والنفاق والصلف والمداهنة والامن من مكر الله والقنوط واليأس
بالمخلوقين وامثالها كثيرة من صفات وهي مغارس الفواحش ومنابت الاعمال
المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات
فالعلم بحدود هذه الامور واسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة
وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك
في الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا والتوكل
مع انه فرض عينه لكان لا يعلمه وهو مشتغل بدراسة اللعان والرمي والسبق
التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم يخل البلد عمن يقوم
بها واذا قيل له يقول هذا من فروض الكفايات ولو كان دعواه صحيحا
لا شتغل من فروض الكفايات بما هو اهم حتى ان البلد اذا خلا عن الطبيب الذي
هو فرض الكفاية لا يترك هذا الفقيه مراسم الجدال واللعان ولا يشتغل بالطب اذ
بالطب لا يمكنه ان يحصل الاوقاف والمصالح وهيهات فقد اندرس علم
الدين بتلبيس علماء السوء فالى الله الالتجاء في ان يعيذنا من هذا الغرور
وكان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب
القلوب كان الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي مثل الصبي
في المكتب وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي
واما الصحابة الذين لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم فلم يكن تقدمهم
بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وبما في صدورهم من الاسرار

ولم يكن منهم احد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتوى ولما مات عمر رض قال
ابن مسعود رض مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة
فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام وانما اريد العلم بالله فمن اراد بعلمه
طلب الجاه والاسم والسمعة فهو من الهالكين فانظر من اى قبيل انت فالفقهاء الذين
هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعنى الذين كثر اتباعهم فى المذاهب الشافعى ومالك
وابو حنيفة واحمد بن حنبل وسفيان الثورى وكل واحد منهم كان عابدا زاهدا
وعالما بعلوم الآخرة وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه
الله تع فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها فى خصلة واحدة وهو
التشمر والمبالغة فى تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لا يصلح الا للآخرة وهذه
الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان اريد بها الآخرة فلصلاحها للدنيا
تشمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات فلا يقاس الملائكة بالحدادين
مع ان سيرهم كانت معروفة وطريقتهم مشهورة وانظر الى الذين اقتدوا بهم
والبحث عن احوالهم حتى يطلع على مخازيهم نعوذ بالله من علم يورث البعد عن الله
تعالى بيان ما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها اعلم ان العلم لا يذم لعينه
وانما يذم فى حق العباد لاحد اسباب ثلاثة الاول ان يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه
واما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب
يتوسل به الى التفرقة بين الزوجين ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة
ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر
وكان ذلك هو السبب فى كونه مذموما الثانى ان يكون مضرا بصاحبه فى غالب الامر
كعلم النجوم فانه فى نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابى وقد نطق القرآن
بان سير الكواكب محسوب والثانى الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث
بالاسباب لكنه مذموم فى الشرع اذ تتولد منها الآفات وتكثر فضل المقالات
فتركه اولى السبب الثالث الخوض فى علم لا يستقل الخائض به فانه مذموم فى حقه كتعلم

دقيق العلوم قبل جليها وكالبحث عن الاسرار الالهية فيجب كف الناس عنها وردهم
الى ما نطق الشرع به ففى ذلك مقنع للموفق فان فى الخوض فى ذلك خطرا عظيما وقل ما
يسلم عنه عالم والاقتصار على اتباع السنة والتجنب عما زجر الشرع اولى اذ دقائق
سنن الشرع وآدابه وفى عقايده التى تعبد الناس بها اسرار لطيفة ليس فى سعة
العقل قوة الاحاطة بها كما ان فى خواص الاحجار امورا غاب عن اهل الصنعة علمها
وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان للتجربة سبيلا فالعقول
تقصر عن ادراك ما ينفع فى حيوة الآخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها بيان ما بدل
من الفاظ العلوم اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية
تحريف الاسامى المحمودة ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف
الصالح وهى خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامى محمودة
والمتصفون بها ارباب المناصب فى الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة
وصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامى
عليهم اللفظ الاول الفقه وقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل اذ خصصوه بمعرفة
الفروع الغريبة فى الفتاوى والوقوف على دقائق عللها ولقد كان اسم الفقه
فى العصر الاول مطلقا على معرفة دقائق آفات النفوس وجمع علوم طريق الآخرة
وهو هذا العلم دون تعريفات الطلاق واللعان والسلم فذلك لا يحصل به انذار
وتخويف بل التجرد له يقسى القلب ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى
فى الاحكام الظاهرة ولكن كان اطلاقهم له على علم الآخرة اكثر فثار من هذا
التخصيص الذى خصصوه بهذه الاحكام تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض
عن علم الآخرة فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوسل به الى طلب الجاه والولاية
متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بتخصيص اسم الفقه به الثانى العلم
وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله وآياته وافعاله فى عباده وخلقه وقد تصرفوا
فيه ايضا حتى خصصوه بالاستدلال بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها

ومن لا يمارس ذلك لا يعد من اهل العلم وصار ذلك سببا مهلكا **الثالث** التوحيد
وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة
بمناقضات الخصوم ويسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية
هذه الصناعة لم يكن يعرف منه شيء في العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على من
يفتح بابا من الجدل والمماراة وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر آخر لا يفهمه اكثر
المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية يقطع
التفاته عن الاسباب والوسايط فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام شريف
احدى ثمراته التوكل كما سياتي بيانه ومن ثمراته ترك شكاية الخلق والرضا
والتسليم لحكم الله تعالى **الرابع** الذكر والتذكير قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار فتقود الناس على تلقف
الالفاظ في هذا المعنى يدعون بها وربما يتكلمون فيها بطريق الوعظ ويمزجون
بالاشعار في معنى العشق وما يحرك الطباع ويلقفون كلمات من الشطح اذا انكر
عليهم منكر يحتجون بالمشايخ الذين قالوا شيئا من غلبات الوجد وربما يقولون هذا
الانكار من العلم والعلم حجاب في الطريق وربما يحفظون من الشطح كلمات غير مفهومة
ولها ظواهر رايعة وفيها عبارات هايلة وليس وراءها طايل الا انها تشوش القلوب
واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه من الشطح وامر آخر يخصه وهو صرف الفاظ
الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة وهذا ايضا حرام وضرره عظيم
اذ يجر ذلك الى ابطال آيات القرآن والاخبار وكذلك ذكر الحكايات الموضوعة
ويدعون بان غرضنا ترغيب الناس في الخير وذلك جهل اذ في الصدق ما يغني عن
الكذب فقد عرفت كيف صرف دواعي الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل
ذلك بتلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي **اللفظ** الخامس الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق
على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع
الطرق والحكمة هي التي اثنى الله تعالى عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا

كثيرا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا انقلبت وقس به بقية الالفاظ
واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من الشياطين
فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واعلم ان العلم بهذا الاعتبار
ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وقسم
يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه وهو مثل احوال البدن فان فيه
ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالشح وسوء الخلق
ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد وهو بذل فالقسم
الاول ما لا فايدة فيه دينا ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات
والنجوم واما المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء هو العلم بالله وبصفاته وافعاله
وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته
واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص هي العلوم التي ذكرناها من
فروض الكفاية فان الاستقصاء في كل علم منه لا يدرك الى آخر العمر فكن احد
الرجلين اما مشغولا بنفسك او متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان
تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت مشغولا بنفسك فلا تشتغل
الا بالعلم الذي هو فرض عينك وما يتعلق بالاعمال الظاهرة والباطنة الموصلة
الى الله تعالى فاذا فرغت عن نفسك فاشتغل بفرض الكفايات وراع التدريج فيها
فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله عليه السلام ثم بعلم التفسير وعلم الناسخ والمنسوخ
والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه
دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلم على ما يتسع له العمر ويساعد
فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد طالبا للاستقصاء فان العلوم
كثيرة والعمر قصير وهذه العلوم آلات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها واياك
ان تدور حول الخلافيات وهي التي اتخذها الفقهاء كلهم وسيلة الى طلب المناصب
والمباهات بها واجتنبها فانها السم القاتل ولا يغرنك قول من يقول الفتوى

عما والشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة
عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة رض وقد كانوا مفتين ببيان
اقبال الخلق على علم الخلاف اعلم ان الخلافة بعد رسول الله عم تولاها الخلفاء
الراشدون وكانوا ائمة وعلماء ولا يستعينون بالفقهاء الا نادرا فتفرغ العلماء
لعلم الآخرة وتجردوا له كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام
تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتوى اضطروا الى استصحاب الفقهاء في
جميع احوالهم والاستعانة بهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من العلماء من هو
مستمر على الطراز الاول وكانوا اذا طلبوا هربوا واضطر الخلفاء الى الالحاح
في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال
الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فانكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم
على الولاة فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح
الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين اعزة طالبين اذلة الا من وفقه الله تع من علماء
دينه ثم ظهر بعدهم من الصدور من سمع مقالات الناس في قواعد العقائد فمالت
نفسه الى سماع الحجج فيها فعلم رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فانكب الناس
على علم الكلام فاكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات وزعموا ان
غرضنا الذب عن دين الله تع كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاستقلال بالفتاوى
للدين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم بعد ذلك ظهر من الصدور من لم يستصوب الخوض
في الكلام من ظهور التعصبات الفاحشة ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه بين مذهب
الشافعي وابي حنيفة فترك الناس الكلام واقبلوا على المسائل الخلافية وزعموا ان
غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب ورتبوا فيها انواع المجادلات
ثم بعد ذلك سئم الصدور من المناظرات اذ كانت افهامهم لا تصل الى ادراك
ذلك فاحبوا الوعظ فمال الناس الى الوعظ وحفظوا من الكلمات الرشيقة المزخرفة
ورتبوها وزينوها بالاشعار ليستميلوا بها قلوب الخواص والعوام ولست ادرى

فيما يقدر الله تع بعدنا من الاعصار ثم ان علماء المناظرين يستدرجون الناس الى
ذلك بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح وهكذا كان عادة الصحابة
في مشاوراتهم كتشاورهم في مسئلة الجد مع الاخوة وحد شرب الخمر وغيره ويطلعك
على هذا التلبيس ما يأتي وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط
وعلامات الاول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض
الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق
فهو كذاب الثاني ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان رأى ما هو اهم
عصى بفعله الثالث ان يكون المناظر مجتهدا مفتيا برأيه لا بمذهب الشافعي وابي
حنيفة حتى اذا ظهر له الحق في مذهب رحمه الله فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وانما
يفتي ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي
فايدة له في المناظرة ومذهبه معلوم الرابع ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة او
قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع او ما
يغلب وقوعه كالفرايض الخامس ان يكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من
المحافل السادس ان يكون في طلب الحق كمنشد الضالة لا يفرق بين ان تظهر
الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما السابع
ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال
وهكذا كانت مناظرات السلف ولا يقول اني لا اعرف ذلك ولا يلزمني ذكره
فان قوله لا يلزمني كذب على الشرع ان كان لا يعرف معناه وان كان يعرف
فجحدانه نقد اخاه من الجهل فيتبين له الحق والا فيفسق باخفائه الثامن ان يناظر
من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة
الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ووراء هذه شروط دقيقة ولكن
في هذه الشروط ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة ومن لا يناظر
الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له ولا يزال يدعوه الى

هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل مجتهد فيها فهو ضحكة للشيطان وهذه
المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام والمباهاة والمماراة هي منبع جميع
الاخلاق المذمومة عند الله تعالى ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب
والحسد والحقد وحب الجاه وغيرها نسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من
الزنا والقتل والسرقة وكما ان من خير بين الشرب وساير الفواحش استصغر
الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش والخبايث كلها
في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة من الحسد والحقد والكبر والرياء والفتنة
والنفاق والكذب وتتبع العورات والمماراة والشتم والمناظرون يتفاوتون
فيها على حسب درجاتهم واعلم ان هذه الرذايل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ
ايضا اذا كان قصده طلب القبول ونيل الثروة والعز وهي ايضا لازمة للمشتغل
بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف
والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة
فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد فالعلماء ثلاثة
اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا واما مسعد نفسه وغيره وهم
الراغبون الى الله تعالى عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره
وهو الذي يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في
الباطن قبول الخلق واقامة الجاه نعوذ بالله من تسلط الشيطان على السالك
بيان آداب المتعلم والمعلم اما المتعلم فآدابه ووظايفه كثيرة ولكن ينظم
تفاريقها عشر جمل الاولى تقديم طهارة النفس عن رذايل الاخلاق اذ العلم
عبادة القلب وصلوة السر فكما لا تصح الصلوة في الظاهر الا بتطهير الظاهر
عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم
الا بطهارته عن خبائث الاخلاق فان قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل
العلوم فهيهات ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة

فان

فان من اوايل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رأيت من
يتناول شيئا مع علمه بكونه سما اما الذي تسمعه من المترسمين فحديث تلقفوه يرددونه
بالسنتهم فليس ذلك من العلم بشيء قال ابن مسعود رض ليس العلم بكثرة الرواية
وانما العلم نور يقذف في القلب الثانية ان يقلل علايقه من اشغال الدنيا
ويبعد عن الاهل والوطن فان العلايق شاغلة ومهما توزعت الفكرة قصرت
عن درك الحقايق الثالثة ان لا يتكبر على العالم بل يلقي اليه زمام امره بالكلية
في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق
ويتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ومن تكبر على المعلم ان يستنكف
من الاستفادة الا من المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب السعادة فينبغي
ان يتقلد المنة لمن ساقها اليه ومهما اشار المعلم اليه بطريق في التعلم فليقلده
وليدع رأيه فان خطأ مرشده انفع له من صوابه في نفسه وقد نبه الله تعالى في قصة
موسى عم والخضر ولا يسأل الا فيما اذن المعلم له فان السؤال عما لم يبلغ رتبتك
الى فهمه مذموم الرابعة ان يحترز الخايض في مبداء الامر عن الاصغاء الى اختلافات
الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او من علوم الآخرة فان ذلك
يدهش عقله ويفتر رأيه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة
الواحدة المرضية عند استاده ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه الخامسة ان لا يدع
طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده
وغايته فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك
عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا فالعلوم على درجاتها اما
سالكة بالعبد الى الله تعالى او معينة على السلوك نوعا من الاعانة السادسة ان العمر
اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمة
ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم
الآخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة

معرفة الله تعالى لا بطريق الكلام والادلة بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه
الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث وابو بكر الصديق رض افضل
على الكل بسر وقر في صدره كما اخبر به النبي عم والعجب ممن يسمع ذلك من الشارع ثم ينكر
احوال الصوفية ويزعم انها ترهات غير معقولة فمن اراد معرفة ذلك ينبغي ان يخرج
عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ويحرص على الطلب حتى يجد منه شيئا السابعة ان يعرف السبب
الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيئان احدهما شرف الثمرة والثاني
وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحيوة الابدية
وثمرة الآخر الحيوة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان
الحساب اشرف باعتبار ثمرته لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان
الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى
فبان بهذا ان اشرف العلوم العلم بالله تعالى الثامنة ان يكون قصد المتعلم في الحال
تحلية باطنه وفي المآل القرب من الله تعالى ولا يقصد به الرياسة ومباهات الاقران
ولا ينظر الى ساير العلوم بعين الحقارة والمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور
والمرابطين لها التاسعة ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد كي يوثر الرفيع القريب على
البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شأنك في الدنيا والآخرة
واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة فالمهم ما يبقى ابد الآباد وعند ذلك
تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء
الله تعالى وفيه النعيم كله والعلوم على ثلاث مراتب نفهمها بالموازنة بمثال وهو ان
العبد اذا علق عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل له ان حججت وتممت وصلت
الى العتق والملك جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في
الطريق مانع ضروري حصل لك العتق والخلاص من شقاء الرق دون سعادة
الملك فله ثلاثة اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب كشراء الناقة والزاد
وغيره الثاني السلوك ومفارقة الوطن والتوجه الى الكعبة الثالث الاشتغال باعمال

الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ من اعمال الحج يستحق النهوض للملك والسلطنة
وليس قرب من ابتداء باركان الحج كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة
فالعلوم ايضا ثلاثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء
الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق به من مصالح البدن في الدنيا و
قسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن
كدورات الصفات فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات
الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل دون سلوكها لا يغني علم التهذيب
الاخلاق دون مباشرة التهذيب وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه
وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وافعاله وههنا نجاة وفوز بالسعادة
لا ينالها الا العارفون واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة
والسلامة بيان وظايف المعلم المرشد اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال حال
طلب وحال تحصيل وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال
تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت
السماء فهو كالشمس مضيئة في نفسها وتضيء لغيرها ومن يعلم ولا يعمل به كالدفتر
الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالذبالة التي اذا وقدت تضيء للناس
وهي تحترق ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا جسيما وخطرا عظيما فليحفظ
آدابه ووظايفه فالوظيفة الاولى الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى
بنيه فان الوالد سبب لوجود الحيوة الفانية والمعلم هو السبب للحيوة الاخروية
الباقية اعني معلم علوم الآخرة او علوم الدنيا على قصد الآخرة اما التعليم على
قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك وحق تلامذة الرجل الواحد التحابب فانهم سالكون
الى الله تعالى وسالكون اليه بالطرق ولا حسد في طريقه اذ لا ازدحام فيه الوظيفة الثانية
ان يقتدي بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ولا يطلب على افاضة العلم اجرا ولا
جزاء بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة

لازمة عليهم ولا يطلب الاجر الا من الله تعالى فان المال وما في الدنيا خادم البدن
والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم
المال جعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانكاس على ام الراس
الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها
والتشاغل بعلم قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان طلب العلوم القرب من الله تعالى
دون الرياسة والمباهات فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا ويكون ذلك
العلم علم الخلاف والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك
فان هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان
يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به وعلم
الآخرة فان تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا باس فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاتباع
ولكن يتنبه في اثناء الامر واخره **الرابعة** وهي من دقائق صنعة التعليم ان يزجر
المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح فانه يهتك حجاب الهيبة
وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ **الخامسة** ان المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح
في نفس المتعلم العلوم التي وراءه لان كل عالم في جنس من العلوم ينفر عن ساير العلوم
بل ينبغي ان يحبب اليه العلوم وان كان متكفلا بالعلوم ينبغي ان يرعى التدريج في ترقية
المتعلم من رتبة الى رتبة **السادسة** ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ولا يلقي اليه ما لا يبلغه
عقله فينفره او يخبط عليه عقله ويبث الحقيقة اليه اذا علم انه يستقل بفهمها فان
افشاء العلم الى غير اهله ظلم **السابعة** ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقي اليه الجلي اللائق
ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته الى الجلي
ويشوش قلبه ويخيل اليه البخل عنه اذ يظن كل احد انه اهل كل علم دقيق وكذلك لا
يذكر التأويلات للعوام الذين قلدوا مذهب السلف عن غير شبهة فانه يشوش
عليهم ولا يقدر ان يفهمهم حرفا من العلوم فيصيروا شياطين هلكى **الثامنة** ان يكون عاملا
بعلمه ولا يكذب قوله بفعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل بالابصار وارباب الابصار

اكثر

اكثر من ارباب البصاير فاذا خالف العلم العمل منع الرشد ولذلك قال علي رض
قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم
ينفرهم بتهتكه **بيان آفات العلم** وعلامات علماء الآخرة والعلماء السوء قد
ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم اشد عذابا يوم القيامة
فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة والعلماء
السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها
وقد ورد فيهم آيات واخبار كثيرة قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين حتى قال فمثله كمثل الكلب
وكذلك العالم الفاجر وقال النبي عم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم
لم ينفعه الله بعلمه وقال عمر رض ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم
قالوا وكيف منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب **بيان علامات** علماء الآخرة
فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا
وخستها وعظم الآخرة ودوامها ويعلم انهما متضادتان فمن لا يعلم حقارة الدنيا
فهو فاسد العقل فان المشاهدة ترشد الى ذلك ومن لا يعلم عظم الآخرة ودوامها
فهو كافر مسلوب الايمان ومن لا يعلم ان الجمع بينهما متضاد فهو جاهل بشريعة الانبياء
عليهم السلام ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان
قال الحسن البصري رض عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل
بعمل الآخرة **ومنها** ان لا يخالف فعله قوله قال الله تعالى لعيسى عم يا ابن مريم
عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال الفضيل بلغني ان
الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيمة قبل عبدة الاوثان **ومنها** ان يكون
عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة ويجتنب العلوم التي يقل
نفعها ويكثر فيها الجدال وروي عن حاتم الاصم رح تلميذ شقيق البلخي انه قال له
شقيق منذ كم صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنة فقال ما تعلمت في هذه

المدة قال ثمان مسائل فقال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك وما
تعلمت الا ثمان مسائل قال يا استاد لم اتعلم غيرها فلا احب ان اكذب فقال هاتها
حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع
محبوبه الى القبر واذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت
القبر دخل محبوبي معي الثانية اني نظرت الى قول الله تع واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت ان قوله هو الحق فاجتهدت نفسي
في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تع الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق
فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت في قول الله تع
ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته الى الله
ليبقى لي عنده الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى
المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قول الله تع
ان اكرمكم عند الله اتقيكم فعملت في التقوى حتى اكون عند الله كريما الخامسة اني
نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل ذلك
كله الحسد ثم نظرت الى قول الله تع نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فتركت
الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله تع وتركت عداوة الخلق عني
السادسة اني نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا
فرجعت الى قول الله تع ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده
فاجتهدت في اخذ حذري منه لان الله تع شهد عليه انه عدو لي فتركت عداوة الخلق
السابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل نفسه
ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قول الله تع وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها فعلمت اني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت
بما لله علي وتركت ما لي عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين
هذا على صنعته وهذا على تجارته وكل مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى

قول

قول الله تع ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت
في علم التورية والانجيل والزبور والقرآن العظيم وهو يدور على هذه المسائل
الثمان فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم يهتم بادراكه
والتفطن له علماء الآخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب
المال والجاه ويهملون امثال هذه العلوم التي بعث الانبياء كلهم بها ومنها
ان يكون غير مائل الى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن
بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل
في جميع ذلك ومنها ان يكون منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام
يجد الى الفرار منهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا
حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين فان المخالط بهم لا يخلو من تكلف
في طلب مرضاتهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم قال سفيان
في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك ومنها ان لا يكون مسارعا
الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه حقيقة
افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين دفع
عن نفسه واحال على غيره هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر
العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري ومنها ان يكون اكثر اهتمامه
بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء
في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة
في دقائق علم القلوب وتتفجر ينابيع الحكمة من القلب ولا تفي به الكتب والتعليم قال
رسول الله عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومنها ان يكون شديد العناية
بتقوية اليقين فان اليقين هو رأس مال الدين واليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان
لمعنيين مختلفين فان النظار والمتكلمين يعنون به عدم الشك اذ ميل النفس الى
التصديق بالشيء له اربع مقامات الاولى ان يعتدل التصديق والتكذيب

ويعبر عنه بالشك **الثانية** ان تميل النفس الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه
ويسمى هذه الحالة ظنا **الثالثة** ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها
ولا يخطر بالبال نقيضه ولو خطر تمتنع النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة
ويسمى هذا اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات **الرابعة**
المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا شك فيه ولا يتصور الشك فيه
فيسمى يقينا عند هؤلاء والمتصوفة واكثر العلماء يقولون هو ان لا يلتفت فيه الى
اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين
بالموت مع انه لا يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه
قد يجوز ان لا يأتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب
واستولى حتى صار هو المحكم والمتصرف في النفس بالتحريض والمنع يسمى ذلك يقينا **ومنها**
ان يكون اكثر بحثه عن علم الاعمال وما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوساوس
ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن
لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه فهذه علامات علماء الآخرة يجمع كل
واحد منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد الرجلين اما متصفا بهذه الصفات
او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان
تبدل آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلحق بجهلك
بزمرة الهالكين نعوذ بالله من خدع الشياطين فبها هلك الجمهور **بيان العقل وشرفه**
وحقيقته واقسامه فالعقل شرفه اظهر من ان يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما
وقد ظهر شرف العلم من قبل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه
مجرى الثمرة من الشجر والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو
وسيلة الى السعادة في الدنيا والآخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها
تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة اذا رأى صورة الانسان
هابه واحتشمه لشعوره باستيلائه عليه ولذلك قال النبي عم الشيخ في قومه كالنبي

في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة العقل ولذلك
ترى الاكراد والاتراك واجلاف العرب مع قرب مرتبتهم من البهائم يوقرون
المشايخ بالطبع لان شرف العقل يدرك بالضرورة قال النبي عم اول ما خلق الله
العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت
خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب وقد ورد في شرفه
اخبار كثيرة قال عم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا
وان كان اقلكم تطوعا **واما حده** وحقيقته فاختلف الناس فيه وذهل الاكثرون
عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف
للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على معان اربعة كما يطلق اسم العين على معان
عدة **الاول** الوصف الذي يفارق به الانسان ساير البهائم وهو الذي به استعد
لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث
المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية فكانه
نور يقذف في القلب يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى
مجرد العلم الضروري فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار
وجود هذه الغريزة مع فقد العلوم ونسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة
العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف
العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر **الثاني** هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل
بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات **الثالث** علوم تستفاد من التجارب بمجاري
الاحوال فمن حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن
لم يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا **الرابع**
ان ينتهي قوة تلك الغريزة الى ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية
الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة يسمى صاحبها عاقلا من
حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب وهذه ايضا من خواص

الانسان الذي بها يتميز عن ساير الحيوان فالاول هو الاس والمنبع والثاني هو
الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم
الضرورية يستفاد علوم التجارب والرابع الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى
فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب واختلف الناس في تفاوته والحق
الصحيح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم
الضروري بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين اكثر من
الواحد عرف ايضا استحالة كون شخص في مكانين في آن واحد وكذلك ساير النظاير
اما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء
القوة على قمع الشهوات لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص
الواحد وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل
على ترك بعض الشهوات دون بعض وذلك غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز
عن ترك الزنا فاذا كبر وتم عقله قدر عليه وقد يكون سببه التفاوت في العلم
المعرف لغايلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة
وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة
فيه مضرة واما القسم الثالث وهو علم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم
يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك فيكون سببه اما تفاوت في الغريزة
واما تفاوت في الممارسة فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل و
المعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة
والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان
يقرروا عندهم انكم اخطاتم في التسمية فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم
فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله صلوات
الله عليهم فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي يحمد فان
كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به

فيكون الشرع ايضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين
ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده هو بعين اليقين ونور الايمان
وهو الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهايم حتى ادرك بها حقايق الامور
واكثر هذه التخبطات انما نشات من جهل اقوام طلبوا الحقايق من الالفاظ
فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان
العقل والله اعلم تم كتاب العلم والحمد لله وحده كتاب قواعد العقايد بيان ترجمة
عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني الاسلام فنقول في
التنزيه انه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام
لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض
ولا تحله الاعراض ولا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار وانه مستو على العرش
على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن المماسة والحلول
والانتقال اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام
وانه باين من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته لا تحله الحوادث
ولا تعتريه العوارض مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفا بالابرار القدرة
وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم
وانه المنفرد بالخلق والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم
لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يحصى مقدوراته ولا يتناهى معلوماته العلم وانه
عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري في تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن
علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء يدرك حركة الذرة في جو الهواء ويعلم
دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويطلع على هواجس
الضماير وخفيات السراير بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الآزال
الارادة وانه مريد للكاينات مدبر للحادثات لا يجري في الملك والملكوت
من الخير والشر والصغير والكبير الا بقضايه وقدره وحكمه ومشيته ولو اجتمع الخلق

كلهم من جميع الاصناف على ان يحركوا ذرة او يسكنوها في العالم دون ارادته
ومشيته عجزوا عنه وان ارادته قايمة بذاته في جملة صفاته **السمع والبصر** وانه تعالى
سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي
وان دق يرى من غير حدقة واجفان ويسمع من غير اصمخة وآذان كما يعلم من غير
قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا يشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه
ذاته ذات الخلق **الكلام** وانه متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام ازلي قديم
قايم بذاته لا يشبه كلام الخلق وكل ما هو آلة الخلق ويقبل التغير ويتصف بصفات
الخلق فليس بقديم فان القرآن والتورية والانجيل والزبور كتبه المنزلة على
رسله وان القرآن مقروء بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه
مع ذلك قديم قايم بذات الله تعالى **الافعال** وانه لا موجود سواه الا وهو محدث
بفعله خلقها واكملها واتمها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته لا يقاس عدله
بعدل الخلق اذ الخلق يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله
لانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما وكل ما في الوجود محدث
اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل
موجودا ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعده اظهارا للقدرة من غير حاجة اليهم
وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم
وانه ان عذب الخلق كلهم لم يكن منه قبيحا ولا ظلما لانه لا يجب لاحد عليه حق وحقه
في الطاعات واجب على الخلق بايجابه على لسان الانبياء لا بمجرد العقل وبعث الانبياء
واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فوجب على الخلق تصديقهم وانه بعث النبي الامي
القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة الخلق ونسخ بشرعه الشرايع وفضله
على ساير الانبياء ولا يقبل ايمان عبد حتى يؤمن به ويؤمن بما اخبر عنه بعد الموت
واوله سؤال منكر ونكير ويؤمن بعذاب القبر وانه على الحق وبالميزان ذي الكفتين
واللسان وبالصراط وانه جسر ممدود على متن جهنم احد من السيف وادق من الشعر

وبالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول
الجنة ويؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه والسؤال وشفاعة الانبياء ثم العلماء
ثم الشهداء ثم ساير المؤمنين وانه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان
ويعتقد فضل الصحابة وترتيبهم ويحسن الظن بجميع الصحابة فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا
به كان من اهل الحق وينبغي ان يقدمه الى الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا
يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد
والايقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان ومجمع عقايد
العوام مباديها التلقين المجرد والتعليم المحض في الابتداء لا يخلو عن نوع ضعف
فلا بد من تقويته في نفس الصبي والعامي حتى يرسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في
تقويته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بقراءة القرآن والتفسير والحديث
ووظايف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا كالبذر فانه ينمو
بالتربية حتى يبلغ وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يصلحه و
ما يهلك بالعيان برهانا ففتش عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس لعقيدة
المتكلمين والمجادلين فانه كالطود الشامخ لا يحركه الدواهي وعقيدة المتكلم
الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء يقلبه الريح مرة هكذا ومرة
هكذا ومن يشتغل بالرياضات والمجاهدات تفتح له ابواب من الهداية تكشف
عن حقايق هذه العقيدة ومن لم يكن من هذا القبيل وكان من عوام الناس
المشتغلين بالدنيا فلا يجب عليه تعلم الجدل **فان قلت** فعلم الجدل والكلام مذموم
كعلم النجوم او هو مباح او مندوب فاعلم ان للناس في هذا غلوا واسرافا فمن قايل
انه بدعة وحرام ومن قايل انه واجب وفرض اما على الكفاية واما على الاعيان
والى التحريم ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وقالوا ان هذا شيء لم ينقل
من رسول الله عم ولا من الصحابة وما امروا به وما اشتغلوا ولو كان واجبا
لامر الرسول صلعم بتحصيله وقال الآخرون الشرع ورد به في قصة ابرهيم عم

وقصة موسى عم لقوله تع الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه وفي قصة موسى عم
قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما فاذا كان الانبياء
على المحاجة مع الخصوم دل على انه مشروع والحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل
حال او بحمده في كل حال خطا بل لا بد فيه من تفصيل فنقول الاشياء تنقسم الى ما
يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما
يضر عند الكثرة فيطلق عليه القول بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور
فنعود الى الكلام فنقول فيه منفعة ومضرة فهو باعتبار المنفعة في وقت المنفعة
حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت
الاستضرار حرام اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقايد وهذا ضرره
في العقايد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة في صدورهم فان الهوى
والتعصب يحملهم على ان لا يرجعوا عن اعتقادهم ولو اجتمع الاولون والآخرون
واما منفعته فقد يظن ان فايدته كشف الحقايق ومعرفتها على ما هو عليه و
هيهات فليس في الكلام وفاء بهذه المطالب الشريفة فمن تعمق فيه غاية التعمق
تحقق ان الطريق الى حقايق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام
عن نوع كشف وايضاح لبعض الامور وذلك على الندور بل منفعته شيء واحد
وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات
المبتدعة بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا
ومعارضة الفاسد بالفاسد يدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي
قدمناها واما العامي المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق بالكلام اللطيف
المؤثر في النفس من سياق ادلة القرآن والحديث الممزوج بالوعظ وكذلك
من وقع له شك يجب ازالته باللطف والجدل انما ينفع في موضع واحد وهو ان يفرض
عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق
فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدع والآن قد ثارت البدع وعم

البلوى فلا بد وان يصير هذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال
وساير الحقوق فاعلم ان الحق فيه انه لا بد في كل بلد من قايم بهذا العلم مستقل بدفع
شبه المبتدعة الذين ثاروا في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من
الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه فان هذا مثل الدواء والفقه مثل
الغذاء فالعالم ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال احدها التجرد
للعلم والحرص عليه والثانية الذكاء والفطنة والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة
والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين فاذا
عرفت ذلك اتضح لك بان المحمود ما هو من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة
في القلوب دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يدركها اكثر الناس
فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها واما ازالة الشبهة وكشف الحقايق
بترجمة ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح لها الا المجاهدة وقمع الشهوات
والاقبال بالكلية على الله تعالى وهي رحمة منه يفيض على من يتعرض لنفحاته فان قلت
هذا الكلام يشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو وبعضها
خفي يتضح بالمجاهدات والرياضة وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع
ظاهر وباطن فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى جلية والى خفية لا ينكرها ذو
بصيرة وانما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا من الصبا شيئا وجمدوا عليه فلم يكن
لهم ترقي الى شاو العلى وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال النبي عم ان للقرآن ظاهرا
وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رض ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها
حملة فان قيل هذا الكلام يتطرق اليه التاويل فبين كيفية اختلاف الظاهر والباطن
فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال
ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة
عن الباطن فان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا
يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال

يحرك قطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة المقصود
وهو غرض هذا الكتاب فان العقائد التي ذكرناها من اعمال القلوب تعبدنا بالتصديق
والقبول بعقد القلب لها ولولا انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب
ولولا انه عمل ظاهر القلب لما اوردناه في الصدر الاول من الكتاب واما الكشف
الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة
الظاهر والباطن فلا بد من الكلام فيه فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن
يناقض الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه من الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون
بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون من افشائها اليهم ترجع
الى خمسة اقسام **القسم الاول** ان يكون الشيء دقيقا يكل اكثر الافهام عن دركه
فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوا الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم
واخفاء سر الروح من هذا القسم فان حقيقته مما يكل الافهام عن دركه ويقصر الاوهام
عن فهمه ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان
من لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه كيف يعرف ربه ولا
يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء ولكن بتأدبون بادب
الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله من الخفايا ما يقصر افهام
الجماهير من دركه ولم يذكر رسول الله عم منها الا الظواهر للافهام من العلم
والقدرة وغيرهما اذ كانت لهم من الصفات ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون
بنوع مقايسة **القسم الثاني** من الخفيات التي تمنع الانبياء والصديقون عن
ذكره ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن يضر ذكره باكثر المستمعين
ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم من افشائه
من هذا القسم ولا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما
يضر نور الشمس بابصار الخفافيش ولو قال قائل ان القيامة اذا ذكر ميقاتها
وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان ذلك مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة

العباد

العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطأت
النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة في علم الله تعالى
ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الانسان من الاعمال وخربت الدنيا فهذا
المعنى يكون مثالا لهذا **القسم الثالث** ان يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم
ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه
في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال
قائل رأيت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم في
غير اهله فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق يفطن لذلك السر ومنه قوله عم
ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار وانت تدري ان
ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان المسجد معظم ورمي النخامة فيه تحقير له
القسم الرابع ان يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق
بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني
كاللب والاول كالظاهر والثاني كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان في عينه
شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب او بعد زوال
الظلمة ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك
في العلم والايمان والتصديق اذ يصدق الانسان بوجود العشق والمرض
والموت قبل وقوع ذلك وتحققه عند الوقوع اكمل من تحققه قبل الوقوع **القسم
الخامس** ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر
ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار
للوتد لم تشقني قال سل من يدقني ولم يتركني وراءه الحجر الذي ورائي فهذا
تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر في فهمه الى ان يعتقد حيوة
يخلقها للارض وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو بصوت وحرف تسمعه الارض

فيجيب بحرف وصوت والبصير يعلم ان ذلك بلسان الحال وانه انباء عن كونه مسخرا
بالضرورة ومضطرا الى التسخير وهذا الفن ايضا مما يتفاوت فيه ارباب الظواهر
وارباب البصاير وفي هذا المقام لارباب المقالات اسراف واقتصاد
فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا
قوله تع وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وكذلك
المخاطبات التي تجرى من منكر ونكير وفي الميزان والحساب ومناظرات اهل
الجنة واهل النار زعموا ان ذلك بلسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب
منهم احمد بن حنبل حتى منع من تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك
خطاب يوجد من الله تع في كل لحظة بعدد كون كل مكون حتى سمعت بعض
اصحابه يقول انه حسم باب التاويل الا لثلاثة الفاظ منها قوله عم الحجر الاسود
يمين الله والثاني قوله عم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
والثالث قوله عم اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن ومالوا في البقية
الى حسم الباب مع انهم علموا من الاخبار المتشابهة انها لا يجوز اجراؤها وتفسيرها
على الظاهر ولكن قالوا امروها كما جاءت من غير تفسير ولا تاويل وذهبت
طايفة الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله وتركوا
ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود
الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون وكشف الغطاء في هذه
الامور عن حد الاقتصاد داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول والغرض
بيان موافقة الظاهر الباطن ومخالفته له وقد انكشف بهذه الاقسام
الخمسة واختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل
عنه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وانهما شيآن لا يتكاملان
او شيان ولكن يرتبط احدهما بالآخر ونحن نقول في هذا ثلاث مباحث
بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في مطلق الشرع و بحث

عن حكمهما في الدنيا والآخرة **البحث الاول** في موجب اللغة فالحق فيه ان الايمان
عبارة عن التصديق قال الله تع حكاية عن اخوة يوسف عم وما انت بمؤمن لنا
اى مصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان وترك
التمرد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه
عام في القلب واللسان والجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص
البحث الثاني عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما على
سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل
التداخل اما الترادف كقوله تع فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين واما على سبيل الاختلاف فكقوله قالت الاعراب امنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فاراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب
فقط وبالاسلام ظاهر اللسان والجوارح **البحث الثالث** عن الحكم الشرعي و
للاسلام والايمان اخروي ودنياوي اما الاخروي فهو الاخراج من النار
ومنع التخليد اذ قال النبي صلعم يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان
واختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا فمن
قائل يقول انه مجرد العقد ومن قائل انه عقد بالقلب وشهادة باللسان
ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء ونقول
من جمع بين هذه الثلاث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة **الثانية** ان
يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب
صاحبه كبيرة قالت المعتزلة خرج بهذا من الايمان ولم يدخل في الكفر وهو مخلد في
النار **الثالثة** ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال
بالجوارح فقد اختلفوا في حكمه قال ابو طالب المكي رح العمل من الايمان ولا يتم
دونه وادعى الاجماع فيه ومع دعواه الاجماع نقل قوله عم لا يكفر احد الا بجحود
ما اقر به وينكر على المعتزلة في التخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل

بمذهب المعتزلة اذ يقال له من يصدق بقلبه ويشهد بلسانه ومات في الحال فهو
في الجنة ام لا فلا بد وان يقال نعم وفيه الحكم بوجود الايمان فرند ونقول لو
بقي حتى دخل عليه وقت صلوة واحدة فتركها ثم مات او زنى ثم مات
فهل يخلد في النار فان قالوا نعم فهو مراد المعتزلة وان قالوا لا فهو تصريح بان
العمل ليس ركنا ولا شرطا في استحقاق الجنة به فان قال اردت ان يعيش مدة طويلة
لا يصلي ولا يقدم على شيء من الاعمال الشرعية فاضبط تلك المدة وما عدد الطاعات
التي بتركها سبطل الايمان وهذا لا يمكن الحكم بتقديره وانه لم يصر اليه صاير الرابعة
ان يوجد التصديق بالقلب قبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال ثم مات
فهو يقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى الخامسة ان يصدق بالقلب ويساعده
من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل
ان يجعل امتناعه من النطق كامتناعه من الصلوة ونقول هو غير مخلد في النار لان
الايمان عبارة عن التصديق بالقلب واللسان ترجمانه وقال قايلون القول
ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد السادسة ان يقول بلسانه
لا اله الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا يشك في انه في حكم الآخرة
من الكفار وانه مخلد في النار فان قيل فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد
وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فيقال السلف هم العدول وما لاحد عن قولهم
عدول فما ذكروه حق ولكن الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء
الايمان واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزايد موجود والناقص
موجود والشيء لا يزيد براسه فلا يجوز لانسان ان يقول يزيد الانسان براسه
بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلوة تزيد بالركوع والسجود بل
تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف
حاله بالزيادة والنقصان فان قيل الاشكال قايم في ان التصديق كيف يزيد
وينقص فيقال الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة اوجه الاول انه يطلق على التصديق

بالقلب

بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام
وهذا الاعتقاد وهو عقدة على القلب تارة يشتد ويقوى وتارة يضعف ويسترخي
والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته قال الله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وذلك
بتاثير الطاعات في القلب لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة
على العبادة والاطلاق الثاني ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال عم
الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني فاذا
دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه الاطلاق الثالث
ان يراد التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة
بنور البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول زيادة فقد ظهر في جميع الاطلاقات
ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق فان قيل فما وجه قول السلف
انا مؤمنون ان شاء الله والاستثناء شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا
يحترزون من جزم الجواب بالايمان وما وجه هذه الاستثناءات فاعلم
ان هذا الاستثناء صحيح وله اربعة اوجه وجهان مستندان الى الشك لا في اصل
الايمان ولكن في خاتمته وكماله ووجهان لا يستندان الى الشك الاول الذي
لا يستند الى الشك الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا
تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح قال ثناء الانسان على نفسه والايمان
اعلى من صفات الحمد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كانها نقل من التزكية
كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض
الشك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه الثاني التادب بذكر الله في كل حال
واحالة الامور كلها الى مشية الله فقد ادب الله سبحانه نبيه صلعم بقوله ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وبقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
وكان عالما بانه يدخل لا محالة وانه شاء ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب رسول
الله صلعم في كل ما يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا الوجه الثالث مستنده الشك ومعناه

المؤمن حقاً ان شاء الله اذ قال تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ورجع
هذا الشك الى كمال الايمان وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك
في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي
لا يتحقق البراءة عنه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال اما
العمل فقال الله تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا الى قوله
الصادقون فيكون الشك في ذلك الصدق واما ارتباطه بالبراءة من النفاق
والشرك الخفي فقوله عم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها اذ النفاق ربما تمكن
في المنافق ولا يعلم الرجل وقد ورد به اخبار وآيات وكان عمر رض يسأل حذيفة
عن نفسه انه هل ذكر في المنافقين والنفاق نفاقان احدهما يفضي الى الخلود في النار
والثاني يفضي الى النار الى مدة وينقص من درجات العليين الرابع ايضا مستند
الى الشك وذلك خوف الخاتمة فانه لا يدري أيسلم له الايمان عند الموت ام لا فان
ختم بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الآخرة ولو سئل الصائم
ضحوة النهار عن صحة صومه فقال اني صائم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه بل
كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس في النهار والاستثناء في جميع البر يكون
شكا في القبول تم كتاب قواعد العقايد **كتاب اسرار الطهارة ومهماتها** قال الله تعالى
فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وقال النبي عم بني الموت على النظافة فتفطن ذو
البصاير بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله عم
الطهور شطر الايمان طهارة الظاهر بالتنظيف وافاضة الماء وتخريب الباطن
وابقاؤه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات فللطهارة اربع
مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح
عن الجرائم والآثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة الرابعة
تطهير النفس عما سوى الله وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في كل مرتبة نصف
العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن يحل

وجاهدوا باموالهم وانفسهم اولئك هم

والله يحب المطهرين

معرفة الله بالحقيقة في السر واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة
والعقايد المشروعة ولن يتصف بها ما لم يتنظف عن نقايضها وتطهيرها احد
الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان
بهذا المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات ومن عميت بصيرته
لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة
الى اللب المطلوب فصار يستقصي في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر ظنا منه
بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة هي هذه فقط جهلا بسيرة
الاولين واستغراقهم جميع الهم في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى انهم
كانوا يقتصرون على الاستنجاء بالحجر ويصلون في نعالهم ويمسحون اصابعهم
تحت ارجلهم ويمشون حفاة واذا آل الامر الى الاكل كانوا يدعون الحلال
مخافة الوقوع في الحرام ولكن لا يتعرض في هذا الكتاب الا للمرتبة الرابعة وهي
نظافة الظاهر لان في الاول من الكتاب لا يذكر الا ما يتعلق بالظاهر فنقول
طهارة الظاهر ثلاثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة
عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة وغيره القسم الاول
في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة الطرف الاول
في المزال وهي النجاسات فالاعيان ثلاثة جمادات وحيوانات واجزاء حيوانات
اما الجمادات فكلها طاهرة الا الخمر وكل نبيذ مسكر والحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير
وما تولد منهما واذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة الآدمي والسمك والجراد ودود
التفاح وفي معناه كل ما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء
وغيرهما ولا يتنجس الماء بوقوع شيء منها واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع
منه وحكمه حكم الميت فالشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة
عن باطنه وكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط
واما ما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض واما القيح

والدم والروث والبول فنجس من ساير الحيوانات ولا يعفى عن هذه النجاسات
قليلها وكثيرها الا خمسة الاول اثر النجو بعد الاستنجاء بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد
المخرج الثاني طين الشوارع وغبار الروث في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة
بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او سقطة الثالث
ما في اسفل الخف من نجاسة لا تخلو الطرق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع
دم البراغيث ما قل او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او في
ثوب غيرك الخامس دم البثرات وما يتفصل منها من قيح وصديد وفي معناه لطخات
الدماميل التي لا تدوم غالبا الطرف الثاني في المزال به وهو اما جامد او مايع اما
الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير
محترم واما المايع فلا يزال النجاسة بشيء منها الا الماء الطاهر الذي لم يتفاحش
تغيره بمخالطة ما يستغني عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقات النجاسة
طعمه او لونه او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من خمسمائة رطل بالعراقي لم يتنجس واما الجاري
اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وتحتها اما الكلام في كيفية
ازالة النجاسة فان كانت النجاسة حكمية وهي التي ليس لها جرم او حجم محسوس فيكفي
اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم
يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فانه معفو عنه بعد الحت
والقرص وفي التوزد المزيل للوسواس ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا تشاهد
عليها نجاسة ولا تعلمها يقينا فصل معه ولا ينبغي ان يتوصل بالاستنباط الى تقدير
النجاسات القسم الثاني طهارة الاحداث ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها
الاستنجاء فنورد كيفيتها على الترتيب آداب قضاء الحاجة ينبغي ان يبعد عن اعين
الناظرين في الصحراء وان يستتر ان وجد سترة وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء
الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها
الا اذا كان في بناء والعدول ايضا في البناء احب وان تستر في الصحراء براحلته جاز

وكذا

وكذا بذيله وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد وفي
مواضع اللعنة ويحترز في حفظ بدنه وثيابه من النجاسة وان يتكي في جلوسه على الرجل
اليسرى ويقدم رجله اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يصحب شيئا عليه
اسم الله تع ورسوله عم ولا يدخل حاسر الراس ويقول بسم الله اعوذ بالله من الخبث
المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى
علي ما ينفعني ويستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب
وما لحس من بلل فليقدر انه بقية الماء ثم يستنجي لمقعده بثلاثة احجار فان اكتفى و
الا استعمل حتى يكتفي ويستحب ان يوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعد
قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخر ويأخذ الثاني ويضعها
على المؤخر كذلك ويمرها بالمسح والادارة الى المقدم ويأخذ الثالثة فيديرها
حول المسربة ادارة وان مسح من مقدمه الى مؤخره من غير ادارة اجزأه ثم يأخذ
حجرا كبيرا بيمينه ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع وان حصل
ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر ثم ينتقل الى
موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى
اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع
الوسواس وكل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم
طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحايط لازالة الرائحة
والجمع بين الحجر والماء مستحب وان انتشر الخارج الى ظاهر الالية فاستعمال الماء واجب
وان انتشر الى باطن الالية ففيه قولان واما في البول فان انتشر الى موضع الحشفة يجب
استعمال الماء فيه واذا فرغ من الاستنجاء يشتغل بالوضوء ويبدأ بالسواك لانه
قد ورد فيه فضايل ويستاك بعود من اراك وغيره ويستاك عرضا وطولا ثم يسمي
الله تع ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك ان يحضرون
ثم يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم اني اسألك اليمن والبركة

واعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث واستباحة الصلوة ويستديم النية
الى غسل الوجه وان نسيها عند وجهه لم تجزه ثم يأخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر
الا ان يكون صايما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك
ثم غرفة لانفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالتنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول
اللهم ارحني رايحة الجنة وانت عني راض اللهم اني اعوذ بك من روايح النار ومن سوء
الدار ثم يأخذ غرفة لوجهه فيغسله من مبتدإ سطح الجبهة الى المنتهى من الذقن في الطول
ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في الوجه النزعتان على طرفي الجبين
فهما من الرأس ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبين والشاربين
والاهداب والعذارين لانها خفيفة في الغالب ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية
الخفيفة واما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية ثم يفعل ثلاثا ويدخل الاصبع في
محاجر العينين وموضع الرمص وينقيهما ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم
تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك و
يستحب ان يخلل لحيته ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويرفع الماء الى اعالي
العضد ويبدأ باليمنى ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول
عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم
يستوعب رأسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤوس اصابع يده اليمنى باليسرى ويضعها
على مقدم الرأس ويمدها الى القفا ثم يردها الى المقدمة يفعل ذلك ثلاثا ويقول
اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك
ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه ويدير
ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرر ثلاثا ويقول اللهم
اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح
رقبته ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم
يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر

من

من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل
الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي على الصراط
يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه
الى السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك و
اتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين و
اجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني
اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا فقيل ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه
بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم
القيمة ويكره في الوضوء ان يزيد على الثلاث وان يسرف في الماء وان ينفض
اليد فيرش الماء وان يتكلم في اثناء الوضوء وان يلطم وجهه بالماء لطما وان يتوضأ
من اناء صفر وان يتوضأ بالمشمس وكره قوم التنشيف ومهما فرغ من وضوئه اقبل
على الصلوة وينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي ان يستحيي
من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موقع نظر الرب وطهارة القلب بالتوبة
والخلو عن الاخلاق الذميمة وان من اقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا
الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار
وما اجدره بالتعرض للبوار وقد ورد في فضيلة الوضوء اخبار كثيرة قال النبي
عم من توضأ واسبغ الوضوء وصلى ركعتين ولم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه كيفية الغسل وهو ان يضع الاناء عن يمينه ويسمي الله
ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفناه ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت
ثم يتوضأ وضوءه للصلوة كما سبق الا غسل قدميه فانه يؤخرهما ثم يصب الماء
على شقه الايمن ثلاثا وعلى شقه الايسر ثلاثا ثم على رأسه ثلاثا ثم يدلك ما اقبل من
بدنه وما ادبر ويخلل شعر الرأس ويوصل الماء الى منابتها ما كثف منه او خف و

يتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره في اثناء ذلك والواجب من ذلك النية
واستيعاب البدن في الغسل ومن الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين مع
المرفقين ومسح ما يطلق عليه الاسم من الراس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب
واما الموالاة فليست واجبة والغسل الواجب اربعة الغسل لخروج المني والتقاء الختانين و
الحيض والنفاس وما عداه من الاغسال سنة ومن تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد
الطلب او لمانع له من الوصول اليه او كان الماء الحاضر يحتاج اليه للعطش او ملكا لغيره
ولا يبيع منه الا باكثر من ثمن مثله او كان به جراحة او مرض وخاف من استعماله فساد
العضو او شدة الضنا فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا
طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار فيضرب عليه كفيه ضاما
بين اصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي بهذه استباحة الصلاة
ولا يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور وان يستوعب بشرة وجهه بالغبار
ويحصل ذلك بالضربة الواحدة ويضرب ضربة ثانية يفرج بين اصابعه ثم يلصق ظهور
اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من احدى
اليدين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر بيده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعد
اليمنى ثم يمرها الى الكوع ويمر بطن ابهام اليسرى على ظهر ابهام اليمنى ويفعل باليد
اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه والغرض من هذا التكلف تحصيل الاستيعاب
الى المرفقين بضربة فان عسر عليه ذلك فلا باس بان يستوعب بضربتين وزيادة فان
صلى به فله ان يتنفل كيف شاء ولا يجمع بين فريضتين بتيمم واحد بل يفرد كل فريضة
بتيمم القسم الثالث من النظافة التنظيف من الفضلات الظاهرة وهي نوعان
اوساخ واجزاء الاول الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الاول
ما يجتمع في شعر الراس من الدرن والقمل من الوسخ في معاطف الاذن فالمسح
يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان يتكلف برفق عند الخروج من الحمام
فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع الثالث ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة

الملتصقة

الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والاستنثار الرابع ما يجتمع على الاسنان
واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما الخامس ما
يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح
بالمشط السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل السابع تنظيف ما تحت
الاظفار من الوسخ امر رسول الله صلعم بذلك العرب وهي رؤس الانامل لانها كانت
لا تحفرها المقاريض في كل وقت فتجتمع فيها الاوساخ فوقت لهم رسول الله عم قلم
الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما الثامن الدرن الذي
يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام دخل اصحاب
رسول الله عم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن
ويذكر النار وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء
فهذا تعرض لآفته وقال بعضهم لا باس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة
وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينيه ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن و
الواجبات فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره اما الواجبان
في عورته فهو ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير والواجبان في
عورة الغير ان يغض بصره عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب
الا ان يخاف الضرب والشتم وقوله انا اعلم ان ذلك لا يفيد فلا يكون عذرا
بل لا بد من الذكر واما السنن فعشر الاول النية وهو ان يقصد التنظيف للصلوة
ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وتسليم الاجرة رفع الجهالة
ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس
النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة ويغسل الجناحين عند
الدخول ولا يعجل بدخول بيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء
بل يقتصر على قدر الحاجة فانه الماذون فيه بقرينة الحال وان يتذكر حر النار بحرارة
الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه على جهنم فانه اشبه بيت بجهنم

النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله منه فان سالكي الآخرة يعتبرون بكل ما ينظرون اليه ولا تسلم عند الدخول وان سلم عليك غيرك لم تجب وان اردت الجواب فلا ترد بلفظ السلام بل تقول عافاك الله ولا باس بالمصافحة ولا تكثر الكلام فيه ولا يقرا القرآن الا سرا ولا باس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشائين وقريب من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان يدلك غيره ويحرم على المراة دخول الحمام الا نفساء او مريضة فان دخلت لضرورة ولا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها الاجرة للحمام فيكون معينا لها على المكروه النوع الثاني ما يحذف من البدن وهي ثمانية الاول شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظيف الثاني شعر الشارب بقصه الى طرف الشفة ولا باس بترك سبالته وما طال في الشارب وكره بعض العلماء الحلق وراه بدعة الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين يوما ومن تعود الحلق جاز له ذلك اذ في النتف ايلام وتعذيب والمقصود النظافة وتحصل في ذلك بالحلق الرابع شعر العانة ويستحب ازالته ذلك اما بالحلق واما بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما الخامس قلم الاظفار ويستحب ذلك اذا طالت لوحشة صورتها ولما يجتمع فيها من الوسخ ولم ينقل خبر مروي في ترتيب قلم الاظفار وقيل انه عم بدا بمسبحة اليمنى وختمه بابهامه اليمنى وابتدا في اليسرى بالخنصر الى الابهام السادس زيادة السرة فتقطع في اول الولادة السابع قطع جلد الحشفة الثامن ما طال من اللحية واما اخذ ما يلي عنها في اللحية من السنة والبدعة قال النخعي عجبت من رجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من لحيته فيجعلها بين اللحيتين وفي اللحية عشر خصال مكروهة بعضها اشد من بعض الاول الخضاب بالسواد وهو منهي عنه قال النبي عم الخضاب بالسواد خضاب الكفار واول من خضب فرعون الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة جايز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية فهو مذموم الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا للظهور بالسن وتوصلا الى التوقير وقبول الشهادة

وترفعا

وترفعا على الشباب ولم يعلم بان التقدم بالعلم لا بالسن وان الاحمق بطول سنه ولا يزيد الا حماقة الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيبة وقد نهى الرسول عم عن نتف الشيبة وقال هو نور المومن الخامس نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه مشوه للخلقة ونتف الفنيكين وما جانبا العنفقة واما نتفها في اول النبات تشبيها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء السابع الزيادة فيها وهو ان يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهي الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل الصلاح الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر في اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها منفتلة لاجل الزهد التاسع والعاشر النظر الى سوادها وبياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع اجزاء البدن بل في جميع الاخلاق والافعال ولنقتصر على هذا القدر فان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة تم كتاب اسرار الطهارة والحمد لله وحده كتاب اسرار الصلوة اما بعد فان الصلوة عماد الدين وعصام اليقين ونحن نذكر ما لا بد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة ودقايق معانيها الخفية وفيها سبعة ابواب الاول في فضيلة الصلاة والسجود والجماعة والاذان وغيرها اما فضيلة الاذان قال النبي عم ثلاثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهمهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القرآن ابتغاء وجه الله تع وام بقوم وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجه الله تع ورجل ابتلي بالرق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وورد فيه اخبار كثيرة فضيلة المكتوبة قال الله تع إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا وقال النبي عم خمس صلوات كتبهن الله تع على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن

فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وفيه اخبار كثيرة **فضيلة اتمام**
الاركان قال النبي عم من صلى الصلوة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها
وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة يقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير
وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي
سوداء مظلمة تقول ضيعتني ضيعك الله حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف
الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وفيه ورد اخبار كثيرة **فضيلة الجماعة** قال النبي عم صلوة
الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة **فضيلة السجود** قال النبي صلعم ما من مسلم
يسجد لله سجدة الا رفعه الله تع بها درجة وحط عنه بها خطيئة **فضيلة الخشوع** قال الله
ولا تكن من الغافلين وقال النبي عم من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيء من
الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وروى عن مسلم بن يسار انه كان يصلي
يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك ولم يشعر به حتى
انصرف من الصلوة **فضيلة المسجد** ومواضع الصلوة قال الله تع انما يعمر مساجد الله
من آمن بالله الآية وقال النبي عم من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له
بيتا في الجنة وقال النبي عم الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي
فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج من المسجد وفيه قال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه اذا مات العبد بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء
ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقد ورد في كل ما
ذكرناه آيات واخبار كثيرة لم نذكرها ونحن نحتاج الآن الى تبيين كيفية الاعمال
الظاهرة والباطنة من الصلاة والبداية بالتكبير فينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء
وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى
الركبة ان ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويزاوج بين قدميه فلا يضمهما فان النبي
نهى عنه فليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه وليقرب من حائط ليمنع
تفرق الذكر فاذا استوى قيامه واستقباله واطرافه فليقرأ قل اعوذ برب

واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين

الناس

الناس تحصنا برب الشيطان ثم ليأت بالاقامة فان كان يرجو حضور من يقتدي به
فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر ويقول بقلبه اؤدي فريضة الظهر
ليميزه بقوله اؤدي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن
معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه النية فالالفاظ مذكرات واسباب
لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا يعزب فاذا خطر في قلبه
ذلك فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي منكبيه وبابهاميه شحمة
اذنيه وبرؤوس اصابعه رؤوس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه وتكون
مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا
ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم فهذا اولى
فاذا استقرت اليدان في مستقرهما ابتدأ التكبير مع ارسالهما واحضار
النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى
اكراما لليمنى وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر
والبنصر على كوع اليسرى فقد روي التكبير مع رفع اليد ومع استقرارها ومع
الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع
احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبدؤه الارسال وآخره الوضع
ومبدأ التكبير الالف وآخره الراء فليتق مراعاة التطابق بين العقد والفعل
ولا يبالغ في التكبير حتى لا يدخل فيه ما ليس فيه ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وهو ان
يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت
وجهي الى قوله وما انا من المشركين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان
خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرأ فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد
الفرق بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل

للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين

آمين بقوله ولا الضالين وصلاة يجهر فيها القراءة في الصبح والمغرب والعشاء
الا ان يكون ماموما ثم يقرا السورة او ثلاث آيات من القرآن فما فوقها
ويفصل بين آخر السورة وتكبيرة الهوى ويقرا في الصبح من طوال المفصل
وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء والطارق
وذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو
الله احد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية ثم يركع ويراعي فيه امورا وهو
ان يكبر للركوع ويرفع يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى
الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه واصابعه منشورة من جهة نحو القبلة على طول
الساق وان ينصب ركبتيه وان يمد ظهره مستويا بان يكون عنقه وراسه مع ظهره
كالصفحة الواحدة وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المراة مرفقيها الى جنبيها
ويقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والزيادة الى السبعة والعشرة حسن ان لم يكن
اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن
في الاعتدال ويقول ربنا لك الحمد ملء السماء وملء الارض وملء ما شئت من شيء
بعد ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة ثم يهوي الى
السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوى
ولا يرفع يديه مع غير الركوع ويضع انفه على الارض ويجافي مرفقيه عن جنبيه ولا
تفعل المراة ذلك ويرفع بطنه عن الفخذين والمراة لا تفعل ذلك ويرفع يديه
حذو منكبيه ولا يفرج اصابعهما ولا يفرش ذراعيه على الارض ويقول سبحان ربي
الاعلى ثلاثا فان زاده فحسن ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا ويرفع
راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه و
الاصابع منشورة ويقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني
وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة ويأتي بالسجدة الثانية كذلك ويستوي
جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد فيها ثم يقوم فيضع اليد على الارض

ولا يقدم احدى يديه في حال الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه
عن القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الاول
ثم يصلي على النبي عم ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابعه اليمنى الا
المسبحة ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحته وحدها عند قوله الا الله
ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير
يستكمل الدعاء بعد الصلاة ولكن يجلس في الاخيرة على وركه الايسر لانه ليس مستوفزا
للقيام ويخرج رجليه من الجانب الايمن ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
يلتفت يمينا بحيث يرى خده الايمن من وراءه ويلتفت شمالا كذلك و
يسلم تسليمة ثانية وينوي الخروج من الصلوة وينوي السلام على من على يمينه
من الملائكة والمسلمين وينوي مثل ذلك في الثانية وجملة ما ذكرناه اشتملت
على السنن والفرائض والآداب التي ينبغي ان يراعي مريد الآخرة جميعها
فالفرض من جملتها اثنا عشر النية والتكبير الاول والقيام والفاتحة والانحناء
في الركوع الى ان ينال راحتاه ركبتيه مع الطمانينة والاعتدال عنه قائما والسجود
مع الطمانينة والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاول والتشهد الاخير
والصلوة على رسول الله صلعم والسلام الاول اما نية الخروج فلا تجب واما
السنن من الافعال اربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوى الى
الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الاول واما نشر الاصابع وحدودها
والتورك والافتراش والاطراق وترك الالتفات وجلسة الاستراحة فهذه
كلها هيئات واما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح والتعوذ و
التامين وقراءة السورة وتكبيرات الانتقالات والذكر في الركوع
والسجود والاعتدال عنهما والتشهد الاول والصلوة فيه على النبي عم فهذه
فرائض الصلوة وسننها ومن ترك شيئا منها فلا يكون صلاته كاملة لان هذه
الهيئات من الصلوة بمنزلة الاعضاء من البدن وكمال البدن يكون بكمال الاجزاء

واذا نقص شيء من الاعضاء يكون نقصا في البدن فكذلك اذا نقص شيء من
الهيئات يكون نقصا في الصلوة والآداب يكون عبرة له الحسن والبهاء وهذه
الاعمال الظاهرة اذا كانت تؤثر في اكمال الصلوة ونقصها فكذلك الاعمال
الباطنة بل هي اولى لان النبي عم قال من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد
من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع عن الفحشاء واما الصلوة فليس فيها الا
ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود وليس المقصود الاتيان بصورة
هذه الافعال لانه ليس فيها كلفة ومشقة بل المقصود من التعبد بهذه اما حضور القلب
الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله تع وليس المقصود منه تحريك اللسان فان
تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل بل المقصود من حيث انه نطق
ولا يكون نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير فلا يكون معربا الا بحضور القلب فان
لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاي مشقة في حركة اللسان مع الغفلة لا سيما بعد
الاعتياد ولا شك ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع
والدعاء والمخاطب هو الله تع فمن كان قلبه محجوبا بحجاب الغفلة عن المخاطب فلا يراه
ولا يشاهده وهو غافل عنه ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود
بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله تع ورسوخ عقد الايمان
به واما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما ولو جاز ان يكون معظما لله
وهو غافل عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه وان
يكون معظما للحائط بين يديه وهو غافل واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا
مجرد تحريك الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين
والفاصل بين الكفر والايمان فان قيل جعلت حضور القلب شرطا في صحتها
وخالفت به اجماع الفقهاء قلنا الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون
عن القلوب بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر احكام اعمال الجوارح وظاهر
الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان اما ما ينفع في الآخرة فليس هذا

من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى الاجماع فقد ورد فيه اخبار وآثار
قال النبي عم ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد
من صلوته ما عقل منها وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلماء على انه ليس للعبد من صلوته
الا ما عقل منها وما نقل من هذا الجنس من العلماء المتورعين اكثر من ان يحصى
وحضور القلب هو روح الصلوة واول من يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير
والنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في اجزاء الصلوة
والمعاني الباطنة التي تتم بها حيوة الصلوة تكثر العبارات عنها ولكن تجمعها ست
جمل هي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فنذكر تفاصيلها
ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها الاول حضور القلب وهو ان لا يصرف الفكر الى
شيء عن افعال الصلوة والتفهم اشتمال القلب على العلم دون اللفظ وهو وراء
حضور القلب واما التعظيم فهو امر وراءهما وهو ان يكون معهما معظما للصلوة
واما الهيبة فزائدة على التعظيم وهي عبارة عن خوف منشأه التعظيم واما الرجاء
فهو زائد على هذا فكم من يعظم يهاب ملكا ولا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون
راجيا بصلاته ثواب الله كما انه خائف بتقصيره عقاب الله واما الحياء فهو زائد
على الجملة لان مستنده استشعار تقصيره وتوهم ذنب وحضور القلب سببه الهمة
فان قلبك تابع لهمك ولا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو
مجبول عليه ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة وذلك لا يكون الا
بان تعلم ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان بان الآخرة خير وابقى
والصلوة وسيلة اليها فهذه العلة لحضور القلب واما الفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان
الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب ودفع
الخواطر الشاغلة ودفعها قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب
الخواطر اليها واما التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة جلال
الله وعظمته والثانية معرفة حقارة النفس وخستها حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة

والخشوع لله تعالى واما الهيبة والخوف للنفس فحالة تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالى
وسطوته ونفوذ مشيته مع قلة المبالاة بخلقه واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله
وعميم انعامه ومعرفة صدقه في وعده بالجنة بالصلوة واما الحياء فهو استشعار
التقصير في العبادة والعجز عن تعظيم حق الله تعالى والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات
القلب ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين لان بقدر اليقين يخشع القلب وسبب غيبة
القلب عن المناجاة الخواطر الشاغلة وسبب تواردها والخواطر اما ان يكون امرا خارجا او
امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى
يتبعه ويتصرف فيه ثم ينجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل فعلاجه قطع هذه الاسباب بان
يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه اما الاسباب الباطنة
فغض البصيرة عما لا يعنيه فان ما وقع في القلب كاف للشغل فطريقه ان يرد النفس قهرا
الى فهم ما يقرأه في الصلوة ويشغله به عن غيره ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وموضع
المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى قبل التحرم بالصلوة فيفرغ قلبه عن اشغال
يلتفت الخاطر اليها فان لم يسكن هائج افكاره بهذا الدواء فلا ينجيه الا المسهل الذي
يقمع مادة داءه من اقلاع العروق وهو ان ينظر في الامور الصارفة عن احضار القلب
ولا شك انها تعود الى مهماته وانما صارت مهماته لشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع
عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند
ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه وروي ان النبي عم كان
يصلي وعليه خميصة معلمة فنظر في الصلوة اليها فلما فرغ قال خذوا خميصتي هذه واعطوها
لابي جهم واتوني بانبجانية ابي جهم فانها الهتني عن الصلوة آنفا وروي ان رجلا
صلى في حايط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فاعجبته فلم يدر كم صلى فذكر ذلك
لعثمان رض وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا وكانوا
يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا
هو الدواء القامع لمادة العلة ولابد من التشمير عن ساق الجد حتى يمكنك ان تصلي

بعض الصلوة بحضور القلب اذ لا مطمع في الكل وينبغي ان يحضر قلبه عند كل ركن وشرط
من اعمال الصلوة اذا سمع الاذان يحضر في قلبه هول النداء يوم القيمة واهواله ويعرض
على قلبه هذا النداء فان وجده مملوا بالفرح مشحونا بالرغبة الى الابتدار فيعلم انه يأتيه
النداء بالبشرى واذا قعد للتطهير فلا يغفل عن طهارة القلب بالتوبة والندم وعند
ستر العورة يعلم ان معناه تغطية مقابح بدنه عن ابصار الخلق وعورات باطنه و
فضائح سره لا يسترها عن الله تعالى الا الندم والخوف والحياء واما استقبال القبلة
فهو صرف ظاهر الوجه عن ساير الجهات الى جهة بيت الله تعالى والمقصود منه صرف
القلب عن ساير الامور الى امر الله تعالى ولا ينفع توجه الوجه الى القبلة اذا كان القلب
مصروفا الى اسباب الدنيا واما اعتدال الكل والاطراق فاذكر الوقوف بين يدي
الله تعالى يوم العرض الاكبر واعلم ان الله تعالى مراقب لظاهرك وباطنك ولا تخطر بقلبك
سوى الله تعالى حتى لا يعقبك واما النية فاعزم على اجابة الله في امتثال الامر
بالصلوة واتمامها والكف عن نواقضها واخلاص ذلك لوجه الله متقلدا اللمنة باذنه
اياك في المناجات مع سوء ادبك وانظر من تناجي واما التكبير فاذا نطق به لسانك
فينبغي ان لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك
لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قوله تعالى وَاللَّهُ يَشْهَدُ
اِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وَجَّهْتُ
وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك انما
وجهته الى جهة القبلة وانما وجه القلب هو الذي يتوجه به الى فاطر السموات فانظر
اليه امتوجه الى امانيه ومنبع الشهوات او مقبل على فاطر السموات واياك
ان يكون اول مفاتحك للمناجات بالكذب واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان
يخطر ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من يده ولسانه واذا قلت وما
انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فاستشعر النجاة في قلبك ان وصفت
نفسك بالبرء منها واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه

موجود لسيده واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عند ذكره متربص لصرف قلبك عن الله تع حسدا لك على مناجاتك مع الله فاقطع مواده التي بها يستولي عليك مع التعوذ وكل ما خطر بقلبك مشغلك عن فهم معاني ما تقراه فذاك وسوسة الشيطان فينبغي ان يكون قلبك تابع اللسان فيسمع منه ويفهم منه او يسبق قلبك الى المعاني ثم يخدم اللسان قلبك فيترجمه فالاول درجة اصحاب اليمين والثاني درجة المقربين وتفصيل ترجمة المعاني اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة بكلام الله تع ومعناه ان الامور كلها بالله فلا جرم كان الحمد لله اى الشكر لله اذ النعم من الله ومن يرى نعمة من غير الله ففي تحميده نقصان على قدر التفاته الى غير الله واذا قلت الرحمن الرحيم فاقصد في قلبك انواع لطفه ثم استشعر من قلبك الخوف بقولك مالك يوم الدين وجدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز بقولك واياك نستعين فاذا فرغت من التفويض الله فعين سؤالك اى لا تطلب الا مهم حاجتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا اليك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرفا وتفضيلا وتاكيدا واستشهادا بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزايغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه ان يكون ممن قال الله تع قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي الحديث الى آخره فلو لم يكن لك من صلوتك حظ سوى ذكر الله تع لك في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف ما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرؤه من السورة ولا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه روى ان زرارة بن ابي اوفى انتهى الى قوله تع فاذا نقر في الناقور فخر ميتا واما دوام القيام فهو منبه على اقامة القلب مع الله تع على نعت واحد من الحضور وكما يجب حراسة العين والراس من الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات

الى

الى غير الصلوة فعليك ان تلزم الخشوع للقلب ومهما خشع الباطن خشع الظاهر واما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله تع من عقابه ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم تستانف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو مولاك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك وتسبح ربك وتشهد له بالعظمة ثم ترفع عن ركوعك راجيا انه راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقول سمع الله لمن حمده ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات الاستكانة فانك تمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع وقل سبحان ربي الاعلى فاذا جلست للتشهد فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات اى الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي عم وشخصه الكريم وقل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباد الله الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله ثم ادع في آخر صلوتك بالدعاء الماثور مع التواضع والضراعة واشرك في دعائك ابويك وساير المومنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو به ختم الصلوة وتوهم انك مودع لصلوتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها قال النبي عم صل صلوة مودع فهذا تفصيل صلوة الخاشعين الذين هم على صلوتهم يحافظون وذلك سبب لحصول الانوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله انما يكاشفون في الصلوة ومن لم يكن له هذا فلا اقل من ان يؤمن بالغيب الى ان يستظهر بالتجربة وفي الخبر ان العبد اذا قام في الصلوة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه واما من يكون اماما فعليه ان يراعي شروط الامام

قبل الصلوة في القراءة وفي اركان الصلوة بعد السلام اما الوظايف قبل الصلوة
فست اولها ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى
الاكثرين وان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى ولا يتقدم
على من هو افقه منه الا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم الثانية اذا خير المريد
بين الاذان والامامة فاختيار الامامة اولى الثالثة ان يراعي الامام
اوقات الصلوة فيصلي في اوايلها ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت على آخره
كفضل الآخرة على الدنيا ولا ينبغي ان يؤخر الصلوة لكثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة
فضيلة اول الوقت الرابعة ان يؤم مخلصا لوجه الله تعالى ومؤديا للامانة الله
عز وجل في طهارته وجميع شرايط صلاته والاخلاص ان لا ياخذ عليها اجرة واما
الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسوق والكباير والاصرار على الصغاير الخامسة
ان لا يكبر حتى يستوي الصفوف فيلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر بالتسوية
ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان
بقدر استعداد الناس السادس ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وساير التكبيرات
ولا يرفع المأموم صوته الا قدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل وان
لم ينو صحت صلوته ووظايف القراءة ثلاث اولها يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ
كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح والاوليين من المغرب والعشاء
وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين في الصلوة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم
تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا الثانية ان يكون للامام ثلاث سكتات في
الصلوة اولهن عند قراءة دعاء الاستفتاح والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة
وهي ادنى من الاولى الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها الثالثة
ان يقرأ في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فان الاطالة في قراءة
الفجر سنة ولا باس ان يقرأ في الثانية باواخر السور من الثلاثين الى العشرين الى
ان يختم السورة ويقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلثين آية وفي العصر نصف ذلك

وفي المغرب باواخر المفصل والتخفيف اولى اذا كثر الجمع فان فيهم الضعيف والكبير
وذا الحاجة وفي العشاء الاخيرة مثل الظهر ووظايف الاركان ثلاثة اولها ان
يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيح على ثلاثة الثاني المأموم ينبغي ان لا يسابق
الامام في الركوع والسجود بل يتأخر ولا يهوي للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام
الى موضع السجود الثالث ان لا يزيد في قراءة دعاء التشهد على مقدار التشهد
حذرا من التطويل ولا يخص في الدعاء نفسه بل ياتي بصيغة الجمع ووظايف التحلل ثلاث
اولها ان ينوي بالتسليمتين السلام على الجمع والملائكة الثاني ان يثبت عقيب السلام
كذلك فعل رسول الله عم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما ويصلي النافلة في موضع
آخر الثالث اذا وثب فينبغي ان يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام
قبل انفتال الامام اما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا فيمن
ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين
فيقرأ معه او يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين او يقول صدقت بيان
فضيلة الجمعة وآدابها وسننها وشروطها قال الله تعالى اذا نودي للصلوة من
يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله حرم الاشتغال بامور الدنيا عند السعي الى الجمعة
وقال النبي عم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة
وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك
يسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة وفيه اخبار كثيرة وشروط
الجمعة ستة الاول الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة
فعليه ان يتمها ظهرا والثاني المكان فلا تصح في الصحارى والبوادي وبين الخيام
بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل تجمع اربعين ممن تلزمهم الجمعة الثالث العدد
فلا تنعقد باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا بالغين مقيمين لا يظعنون عنه
شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد اما في الخطبة او في الصلوة لم يصح
الجمعة الرابع الجماعة فلو صلى اربعون في قرية او بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق

اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية فان لم يدرك ركوع الركعة
الثانية اقتدى ونوى الظهر اربعا فاذا سلم الامام تممه ظهرا الخامس ان لايكون الجمعة
مسبوقة باخرى في تلك البلدة ان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين
او ثلاثة بقدر الحاجة فان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع بها التحرم اولا السادس
الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى
اربع فرايض التحميد واقله الحمد لله والثانية الصلوة على النبي عم الثالثة الوصية
بتقوى الله تع الرابع قراءة آية من القرآن وكذا فرايض الثانية اربعة الا انه
يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة واجب من الاربعين واما السنن
فاذا زالت الشمس واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلوة سوى
التحية والكلام لاينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم
فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس ويشغل يديه بقايمة السيف او العنزة و
يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ويكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ولا يسلم من دخل
والامام يخطب اما شرايط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على ذكر بالغ عاقل مسلم
حر مقيم في بلد او قرب من سواد البلد يبلغها النداء من طرف يليها والاصوات
ساكنة والمؤذن رفيع الصوت ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة بعذر المطر والوحل
والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم فان حضر الجمعة مريض او عاجز
او عبد او امراة صحت جمعتهم واجزأت عن الظهر اما آداب الجمعة فعشرة الاول
الاستعداد لها من يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء
والاستغفار بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم
الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور
الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا ولكن مضموما الى
يوم الخميس او السبت لامفردا فانه مكروه ويشتغل باحياء هذه الليلة بالصلوات
وختم القرآن فلها فضل كثير الثاني اذا اصبح ابتدا بالغسل بعد طلوع الفجر

لان الغسل يستحب استحبابا مؤكدا الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهو في ثلاثة
الكسوة والنظافة وتطييب الرايحة اما النظافة فبالسواك وحلق الشعور وقلم الاظفار
وقص الشارب وساير ما سبق في كتاب الطهارة وليتطيب في هذا اليوم باطيب
طيب عنده ليغلب بها الروايح الكريهة ويوصل بها الرايحة الى مشام الحاضرين في جواره
واما الكسوة فاحبها البيض من الثياب ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل الرابع
البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من فرسخين وثلاثة وليبكر ويدخل وقت
البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجامع خاشعا
متواضعا ناويا للاعتكاف فيه الى وقت الصلوة قاصدا للمبادرة الى جواب نداء
الله اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه الخامس في هيئة الدخول ينبغي
ان لايتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم فقد ورد وعيد شديد في تخطي رقاب
الناس وهو ان يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس ومهما كان الصف الاول
خاليا فله ان يتخطى اليه لان الناس ضيعوا حقه وتركوا موضع الفضيلة السادس
ان لايمر بين يدي الناس ويجلس هو الى قرب من اسطوانة او حايط حتى لايمرون
بين يديه فيحفظ الناس عن الاثم السابع ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير الا ان
يحتاج ان يتخطى رقاب الناس او يكون بقرب الامام منكر يعجز عن تغييره فالتاخر له اسلم
واجمع للهم الثامن ان يقطع الصلوة عند خروج الامام ويقطع الكلام ايضا ويشتغل
بجواب المؤذن واستماع الخطبة التاسع ان يراعي في قدوة الجمعة للامام ماذكرنا
في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ غير الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله
سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبع مرات والمعوذتين سبع مرات
ويصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روي انه عم صلى ستا وروي ركعتين وروي
اربعا والاكمل افضل العاشر ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى
المغرب فهو الافضل وان لم يأمن التصنع او خاف الخوض فيما لايعني فالافضل
ان يرجع الى منزله ذاكرا الله تع مفكرا في آلائه مراقبا بقلبه ولسانه الى غروب

الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد
بحديث الدنيا اما السنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار
فهي سبعة الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد الصلوة او بعد العصر ولا يحضر مجالس
القصاص ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى
توافقه الساعة الشريفة وهو في خير الثاني ان يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة
ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا الا اعطاه
وفي رواية لا يصادفها عبد يصلي فاختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل
عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة
وقيل اذا قام الناس الى الصلوة وقيل آخر وقت العصر وقيل قبل غروب الشمس
وقال بعض العلماء وهي مبهمة في جميع اليوم كليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على
مراقبتها الثالث ان يكثر الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم فقد
قال النبي عم من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة
قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك و
رسولك النبي الامي وتعقد واحدا وان قال اللهم صل على محمد صلوة تكون لك
رضى ولحقه اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو
اهله واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين
والصالحين يا ارحم الراحمين فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات
وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم الرابع قراءة القرآن فليكثر منه ويقرأ
سورة الكهف خاصة فقد روى ابن عباس وابو هريرة رضي الله عنهما من قرأ
سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقرؤها الى مكة وغفر
له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي
من الداء والدبيلة وذات الجنب والجذام والبرص وفتنة الدجال ويستحب ان
يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها ان قدر الخامس الصلوات يستحب اذا دخل المسجد

الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله احد مائتي مرة
في كل ركعة خمسين مرة ويستحب في هذا اليوم ان يصلي اربع ركعات باربع سور
الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسجدة الم ولقمان وسورة
الدخان وسورة الملك ويستحب ان يصلي صلوة التسبيح السادس الصدقة مستحبة
في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف الا على من سأل والامام يخطب ويتكلم في كلام
الامام وهذا مكروه السابع ان يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع اشغال
الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدئ فيه السفر الا اذا كانت الرفقة تفوت
وينبغي ان يزيد في الجمعة في اوراده وانواع خيراته بيان النوافل من الصلوة اعلم
ان ما عدا الفرائض من الصلوات تنقسم الى ثلاثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات
ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله عم المواظبة عليها كالرواتب عقيب الصلوات
وصلوة الضحى والوتر والتهجد وغيره ومعنى المستحب ما ورد الخبر بفضله ولم
ينقل المواظبة عليه والتطوع ما وراء ذلك بما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع العبد به
من حيث رغب في مناجات الله تع بالصلوة وتسمى هذه الاقسام نوافل فكل قسم
من هذه الاقسام يتفاوت درجاتها في الفضل بحسب ما ورد فيه الاخبار القسم
الاول ما يتكرر بتكرر الايام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب صلوات الخمس
وثلاثة وراءها وهي صلوة الضحى واحياء ما بين العشائين والتهجد الاولى راتبة
الصبح وهي ركعتان قال النبي صلعم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ويدخل
وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل ويعرف ذلك عيانا بزوال
القمر وبطلوع القمر ليلة الست والعشرين من الشهر غالبا وبغروب القمر ليلة اثني عشر
من الشهر غالبا ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم
منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع على مقادير الاوقات بالليل وعلى الصبح
الثانية راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعد الفرض وهي سنة مؤكدة
واربع قبلها وهي ايضا سنة وان كانت دون الاخيرتين ويدخل وقت ذلك

بالزوال ويعرف ذلك بزيادة ظل الاشخاص المنتصبة مايلا الى جهة المشرق واذا
طلعت الشمس لا يزال يرتفع والظل ينقص الى ان يبلغ الشمس منتهى ارتفاعها فيكون
ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة
فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر وعلم قطعا ان الزوال
في علم الله تعالى وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس الثالث راتبة
العصر وهي اربع ركعات قبل الفرض الرابع راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة
الخامسة راتبة العشاء الاخيرة وهما ركعتان بعد الفريضة وورد اربع ركعات
السادس الوتر كان النبي صلعم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الاولى
سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد
وروى انه صلعم كان يصلي بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعض الاخبار اذا اراد
ان يأوي الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرأ فيهما
اذا زلزلت الارض والهيكم ويجوز الوتر موصولا ومفصولا بتسليمة واحدة
وبتسليمتين وقد اوتر صلى الله عليه وسلم بركعة وثلث وخمس وهكذا الاوتار الى
احدى عشر فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اوتر بثلثة مفصولا ان نوى
بالركعتين التهجد لم يكن من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما
الوتر ما بعده ولكن الاظهر انه ينوي الوتر كما في الثلثة الموصولة السابع صلوة
الضحى والمواظبة عليها من عزائم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها فاكثر
ما نقل فيه ثمان ركعات واقلها ركعتان وكان النبي عم يواظب على اربع ركعات
ووقتها اذا ارتفعت الشمس الى وقت الاستواء واولى اوقاتها اذا ارتفعت
فيذرع واذا امضى من النهار ربعه من جانب المشرق بازاء صلوة العصر من جانب
اذا بقي من النهار ربعه الثامن احياء ما بين العشائين سنة مؤكدة وقيل انها
المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وانها من صلاة الاوابين القسم الثاني
ما يتكرر بتكرار الاسابيع وهي صلوة ايام الاسبوع ولياليها لكل يوم ولكل ليلة

صلاة

صلاة اما الايام فيبدأ فيها بيوم الاحد روى ابو هريرة رض عن النبي عم
انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن
الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه ثواب
نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلوة واعطاه الله في الجنة بكل
حرف مدينة من مسك اذفر يوم الاثنين روى انس رض عن النبي عم انه قال من صلى
يوم الاثنين اثنى عشر ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة
فاذا فرغ قرأ قل هو الله احد اثنى عشر مرة واستغفر اثنى عشر مرة ينادى يوم
القيمة اين فلان بن فلان ليقم وليأخذ ثوابه من الله فاول ما يعطى من الثواب
الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية
فيتبعونه حتى يدور على الف قصر من نور يتلألأ يوم الثلثاء عن انس رض قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلثاء عشر ركعات عند انتصاف
النهار وفي رواية عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية
الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان
مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة يوم الاربعاء عن
معاذ بن جبل من صلى اثنى عشر ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة
الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث
مرات ناداه ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر ورفع الله عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنك شدائد
القيامة ورفع له من يومه عمل نبي يوم الخميس عن ابن عباس رض قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى
فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل
هو الله احد مائة مرة ويصلي على مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان
ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله

وتوكل عليه حسنة **يوم الجمعة** روى علي بن ابي طالب رض عن النبي عم انه قال يوم
الجمعة ما من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من ذلك فتوضا
واسبغ الوضوء فصلى تسبيحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا رفع الله له في الجنة اربعمائة
درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله له في الجنة ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه كلها
ومن صلى اثنى عشر ركعة كتب الله له الفا ومائتي حسنة ومحى عنه الفا ومائتي سيئة
ورفع له في الجنة الفا ومائتي درجة **يوم السبت** روى ابو هريرة رض ان النبي عم
قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل
يا ايها الكافرون ثلاث مرات فاذا فرغ قرا آية الكرسي كتب الله له بكل حرف
حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله
بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء **اما
الليالي فليلة الاحد** روى انس بن مالك رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله
احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله مائة مرة واستغفر لنفسه
ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي عم مائة مرة وتبرا من حوله وقوته والتجا
الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان آدم صفوة الله وفطرته
وابرهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب
بعدد من ادعى لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله يوم القيامة مع الآمنين
وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة الاثنين** روى الاعمش عن انس
انه قال قال رسول الله صلعم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات يقرا في الركعة الاولى
الحمد لله مرة وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله مرة وقل هو الله
احد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد ثلثين مرة وفي الرابعة
الحمد لله مرة وقل هو الله احد اربعين مرة ثم قرا قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة
واستغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على النبي عم خمسا وسبعين مرة

ثم

ثم يسال الله حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سؤله وهي تسمى صلوة الحاجة **ليلة الثلثاء**
يصلي ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد والمعوذتين
خمسة عشرة مرة ويقرا بعد التسليم خمسة عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله خمسة عشرة
مرة **ليلة الاربعاء** روت فاطمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلعم من صلى
ليلة الاربعاء ست ركعات بثلث تسليمات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة
وقل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فاذا فرغ من صلاته يقول سبعين مرة جزى
الله محمدا عنا ما هو اهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار **ليلة الخميس** قال
ابو هريرة رض قال النبي صلعم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرا
في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات
فاذا فرغ من صلاته استغفر الله خمس عشر مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى
حق والديه وان كان عاقا بهما واعطاه الله ما يعطي النبيين والشهداء **ليلة الجمعة**
قال جابر رض قال رسول الله صلعم من صلى ليلة الجمعة ما بين المغرب والعشاء اثنى
عشر ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد عشر مرات فكانما عبد
الله اثنى عشر سنة صيام نهارها وقيام لياليها وقال انس رض قال النبي عم من صلى
ليلة الجمعة صلوة العشاء الاخرة في جماعة وصلى ركعتين للسنة ثم يصلي بعدها عشر ركعات
يقرا في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلاث ركعات
ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيى ليلة القدر وقال النبي عم اكثروا
من الصلوة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة **ليلة السبت** قال
انس رض قال رسول الله صلعم من صلى ليلة السبت ما بين المغرب والعشاء اثنى عشر ركعة
بنى الله له قصرا في الجنة فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرا من اليهود
وكان حقا على الله ان يغفر له **القسم الثاني** ما يتكرر بتكرر السنين وهي اربعة صلوة
العيدين والتراويح وصلوة رجب وصلوة شعبان **الاول** صلوة العيدين وهي
سنة مؤكدة وشعائر من شعائر الدين وهي مذكورة في كتب الفقه **اما** التراويح فهي

عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة واختلفوا في ان الجماعة فيها
افضل ام الانفراد اما صلوة رجب فقد روي بالاسناد عن رسول الله صلعم انه قال
ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة
يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في
ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله احد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى
علي سبعين مرة ويقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده
سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة
رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول
فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسأل حاجته في سجوده فانها تقضى قال رسول
الله عم لا يصلي احد هذه الصلوة الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد
البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيامة في سبعمائة
من اهل بيته ممن قد استوجب النار اما صلوة شعبان فليلة الخامس عشر منه يصلي
مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات وان
شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله احد هذا ايضا
مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلوة ويسمون هذه الصلوة
صلوة الخير ويجتمعون فيها روي عن الحسن رضه انه قال حدثني ثلثون من اصحاب رسول
الله صلعم ان من صلى هذه الصلوة في هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة قضى له
بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة القسم الرابع ما يتعلق باسباب عارضة ولا
يتعلق بالمواقيت كصلوة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي
الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل و
الدخول فيه ونظاير لذلك وهي مشهورة اما صلوة الاستخارة فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأمر بها في امر مهم لا يدري عاقبته بان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى
فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ

دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تقدر ولا اقدر
وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير في ديني
ودنياي وعاقبة امري او عاجله وآجله فقدره لي ثم يسره لي وان كنت تعلم
ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري او عاجله وآجله فاصرفني
عنه واصرفه عني وقدر لي الخير اينما كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن
عبد الله رضه قال كان رسول الله صلعم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا
السورة من القرآن وبعض السلف كان يصلي عند الاكل وعند الشرب وعند جميع
الامور ركعتين اما صلوة الحاجة فمن ضاق عليه الامور ومست حاجته
في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلوة وهي ما روي
عن وهيب بن الورد رضه انه قال من الدعاء الماثور الذي لا يرد ان يصلي العبد
اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بام القرآن وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا
فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف
بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان
ذي الفضل والمن سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول واسالك بمعاقد
العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان يصلي على محمد ثم سال حاجته التي لا معصية
فيها فيجاب ان شاء الله تعالى قال وهيب بلغنا انه قال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون
على معصية الله تعالى وهذه الصلوة رواها ابن مسعود رضه عن النبي صلعم واما صلوة
التسبيح فهي صلوة ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب ان لا
يخلو الاسبوع منها مرة واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضه
ان النبي صلعم قال للعباس بن عبد المطلب رضه الا اعطيك الا امنحك الا اخبرك بشيء
اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه وخطاه وعمده
سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة

فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قايم قلت سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع وتقولها عشرا ثم ترفع راسك وتقولها
عشرا ثم تسجد وتقولها عشرا ثم ترفع راسك عن السجود وتقولها عشرا ثم ترفع راسك
وتقولها عشرا فذلك خمسة وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في كل اربع ركعات ان
استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل
ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه يقول في اول الصلوة سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمسة عشر تسبيحة قبل القراءة وعشرا
بعد القراءة والباقي كما سبق عشرة عشرة ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة قاعدا و
هذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلاث مائة تسبيحة فان
صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين افضل وان زاد
بعد التسبيح قوله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن وقد ورد ذلك في
بعض الروايات ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية
المسجد والكسوف والاستسقاء وقضاء الصلوات تم كتاب اسرار الصلوة

كتاب اسرار الزكوة

اما بعد فان الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام فقال اقيموا الصلوة واتوا الزكوة
وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
اليم فنحن نذكر انواع الزكوة واسباب وجوبها وشروطها وآدابها والقابض
وشروط استحقاقه ونبدا اولا بانواع الزكوة وهي ستة انواع

النوع الاول زكوة النعم ولا تجب هذه الزكوة وغيرها الا على كل حر مسلم ولا يشترط البلوغ والعقل
فاما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سايمة باقيا حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال
اما الاول فكونه نعما فلا زكوة الا في الابل والبقر والغنم اما الابل فاذا بلغ
خمسا ففيها جذعة من الضان او ثنية من المعز وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر
ثلاث شياه وفي عشرين اربع وفي خمس وعشرين ابنة مخاض فان لم يكن في ماله
بنت مخاض فابن لبون ذكر وفي ست وثلثين بنت لبون فاذا بلغت ستا واربعين
ففيها

ففيها حقة فاذا بلغت واحدا وستين ففيها جذعة واذا بلغت ستا وسبعين
ففيها بنتا لبون فاذا بلغت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا بلغت مائة
واحدى وعشرين ففيها ثلث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلثين فقد استقر
الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون **واما البقر** فلا شيء فيها حتى
تبلغ ثلثين ففيها تبيع وفي اربعين مسنة ثم في الستين تبيعان فاذا استقر الحساب
ففي كل ثلثين تبيع وفي كل اربعين مسنة **اما الغنم** فلا زكوة فيها حتى تبلغ اربعين
ففيها جذعة من الضان او ثنية من المعز فاذا بلغ مائة واحدى وعشرين ففيها
شاتان فاذا بلغت مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى اربع مائة
ثم استقر الحساب ففي كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في
النصب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة وخلطة الجوار
كخلطة الشيوع لكن يشترط ان يريحا معا ويسقيا معا ويسرحا معا ويحلبا معا
ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وان يكونا جميعا من اهل الزكاة و
لا يؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الاكولة ولا الربى
ولا الماخض ولا الفحل ولا غذاء المال

النوع الثاني زكوة المعشرات فيجب العشر
في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه و
القطن ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب بعد الجفاف ويكمل
مال الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع ولا يكمل نوع بنوع آخر وهذا قدر
الواجب اذا كان يسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر
وان اجتمعا يعتبر الاغلب

النوع الثالث زكوة النقدين فاذا تم الحول على مائتي
درهم بوزن مكة نقرة صافية ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه
ويجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها القدر من النقرة الخالصة وتجب
الزكوة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ولا تجب في الحلي المباح
وتجب في الدين الذي هو على مليء ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا

فلا يجب الا بعد حول **النوع الرابع** زكوة التجارة وهي زكوة النقدين وانما ينعقد الحول
من وقت ملك النقد الذي اشترى به البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا
او اشترى بعوض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء ويؤدي الزكوة من نقد البلد
ويقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به اولى
من نقد البلد وان نوى التجارة في مال قنية لا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به
شيا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة وما كان من ربح في السلعة
في آخر الحول وجبت الزكوة فيها بحول رأس المال وما يستانف له حول كما في النتاج
واموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم **النوع الخامس** الركاز والمعدن
والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى
واجدها في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى ان لا يعتبر النصاب
ايضا واما المعادن فلا زكوة فيما يستخرج منها سوى الذهب والفضة وفيهما تجب
بعد الطحن والتخليص ربع العشر في اصح القولين ويجب الخمس في الآخر **النوع السادس**
صدقة الفطر وهي واجبة على لسان رسول الله صلعم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت
من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلعم وهو منوان
وثلثا من يخرجه من جنس قوته او افضل منه وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها
ومن ايها اخرج اجزاه وقسمتها كقسمة زكوة الاموال فيجب استيعاب الاصناف
ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على المسلم فطرة من يجب عليه نفقته بالشرع **بيان**
الاداء وشروطه الباطنة والظاهرة يجب على مؤدي الزكوة مراعاة خمسة امور
النية وهو ان ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس عليه تعيين الاموال ونية الولي
تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام المالك الممتنع عن الزكاة
في ظاهر حكم الدنيا لا الآخرة **الثاني** البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر لا يؤخرها
عن يوم الفطر ووقت وجوبها وقت غروب الشمس آخر يوم من رمضان و
وقت تعجيله شهر رمضان كله ومن اخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه

بتلف

بتلف ماله وتعجيل الزكوة جائز بشرط ان يكون بعد كمال النصاب وانعقاد الحول
فلو مات المسكين قبل الحول او ارتد او صار غنيا بعد ما عجل اليه او تلف مال المالك
او مات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع
الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه ولعل بعض من لا
يدرك غرض الشافعي رضه يتساهل في ذلك ويقول المقصود سد خلة الفقراء وما
ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل هو تعبد محض
لا يعقل معناه وفيه تطويل **الرابع** ان لا ينقل الصدقة الى بلد آخر فان اعين المساكين
في كل بلد تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب للظنون فيخرج زكاة كل مال في بلد
البلد ثم لا باس لان يصرف الى الغرباء في تلك البلدة **الخامس** ان يقسم ماله بعدد
الاصناف الموجودين في بلده فان استيعاب الاصناف واجب عليه وقد عدم
صنفان في اكثر البلاد وهم المؤلفة والعاملون ويوجد في جميع البلدان اربعة
اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون يعني ابناء السبيل
وصنفان يوجدان في بعض البلاد وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة
اصناف مثلا قسم زكوة ماله بخمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسم
كل قسم بثلثة اقسام فما فوقها اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين
آحاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة فينقص نصيب كل واحد **بيان دقايق الآداب**
الباطنة وهي وظايف **الاول** ان يعلم ان الله تع جعل الزكوة من مباني الاسلام
مع انه تصرف مالي وذلك ان المال معشوق الطباع محبوب الانفس فامرهم الله
باخراج المال ليعلم صدق توحيدهم ودعواهم لمحبة الله تع فانقسم الناس الى
ثلاثة اقسام قوم تركوا الكل ونزلوا عن جميع الاموال كالصديق رضه جاء
بجميع ماله فقال له النبي عم ما ذا ابقيت لاهلك قال الله ورسوله فاقبلوا على الله
تع واشتغلوا به وقوم درجتهم دون درجة هؤلاء وهم الممسكون اموالهم
المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار

الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل الى وجوه البر وهؤلاء لا
يقتصرون على مقدار الزكوة وقوم يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه
ولا ينقصون وهي اقل الرتب فهذا احد معاني امر الله تع ببذل المال المعنى الثاني
التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال الله تع ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وانما تزول صفة البخل بان يتعود ببذل المال المعنى الثالث شكر النعمة
فيجب عليه اذا راى الفقير وهو مضيق عليه ان يعطيه شيا من فاضل ماله شكرا لنعم الله
الوظيفة الثانية وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل على وقت الوجوب
اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقراء وعلما بان في
التاخير آفات ويجتهد ان يكون اخراجه في افضل الاوقات الوظيفة الثالثة
الاسرار فان ذلك ابعد عن الريا والسمعة قال النبي صلعم افضل الصدقة جهد المقل
الى فقير في سر فقد بالغ في الاخفا جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي
ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله الوظيفة الرابعة ان يظهر حيث يعلم ان
في الاظهار ترغيب الناس في الاقتداء به ويحرس سره عن داعية الريا الوظيفة الخامسة
ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى ان يظهرها
وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر فينبغي ان يتقبل
المنة من الفقير حيث خلصه من حق واجب عليه وطهره ثم اذا عرف ان الآخذ هو
الله تع لا الفقير لا يرى لنفسه احسانا الى الفقير ولا يرى نفسه احرى رتبة من الفقير
حيث احتاج اليه وعلامته انه لا يرى انه محسن الى الفقير هو ان يقدر في نفسه
ان الفقير لو جنى عليه جناية او مالا عدوا له عليه مثلا بعد العطاء هل كان يزيد استنكاره
عليه على ما قبل التصدق فان زاد لم تخل صدقته عن شايبة المنة ودواء المنة المعرفة
بالحقائق التي تقدم ذكرها من فهم الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول
عنه والتذلل له والتقرب اليه في الظاهر والرد عليه بالدعاء ونحو ذلك ما يدعو الى تخليص صدقته
عن المن والاذى الوظيفة السادسة ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها

والعجب بها من المهلكات وهو محبط الاعمال ويقال ان الطاعة كلما استصغرت
عظمت عند الله تع والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تع ودواء العجب
علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه
باقل درجات البذل فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه وان كان يبذل
كل ماله او اكثره فليتامل ان المال لله وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه لبذله
فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله تع واما العمل فهو ان يعطيه عطاء الخجل
من عمله بامساكه بقية ماله عن الله تع فيكون في هيئة الانكسار والحياء كهيئة من
يطالب برد الوديعة فيمسك بعضها ويرد البعض الوظيفة السابعة ان ينتقي من
ماله اجوده واحبه اليه واطيبه فان الله تع لا يقبل الا الطيب واذا لم يكن المخرج
من جيد المال فهو من سوء الادب ان يمسك الجيد لنفسه ولاهله فيكون قد آثر
على الله غيره هذا اذا كان نظره الى الله تع وان كان نظره الى نفسه والى الثواب
فليس بعاقل من يوثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل
فافنى او لبس فابلى الوظيفة الثامنة ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا
يكتفي ان يكون من الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص
تلك الصفات وهي ستة الصفة الاولى ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين
لتجارة الآخرة الثانية ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم
فان العلم افضل من العبادة الثالثة ان يكون صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد
وتوحيده انه اذا اخذ العطاء شكر الله تع وحمده وراى النعمة منه ولم ينظر الى
الواسطة لان من عرج بالعطاء ويرى الواسطة في البين يذم بالمنع الرابعة
ان يكون متسترا مخفيا حاجته لا يظهر الشكوى ويكون من اهل المروة وممن
ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل الخامسة ان يكون معيلا
او محبوسا بالمرض او بسبب من الاسباب السادسة ان يكون من الاقارب وذوي الارحام
فيكون صدقة وصلة فليراع هذه الدقائق وهذه هي الصفات المطلوبة

وفي كل صنف درجات فينبغي ان يطلب اعلاها **الفصل الثالث** في القابض واسباب
استحقاقه ووظايف قبضه ولا يستحق الزكوة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي
اتصف بصفة من صفة الاصناف الثمانية المذكورة في كتاب الله تع **الصنف الاول**
الفقراء والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه
وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين فان قدر على الكسب ولكن لا يليق بمروته وبحال
مثله فهو فقير وان كان متفقها يمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير **الصنف الثاني**
المساكين والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك الف درهم وهو مسكين وقد
لا يملك الا فاسا وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يلبسه
على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا اثاث البيت مما يحتاج اليه وكتب الفقه
الصنف الثالث العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكوة سوى الخليفة والقاضي
ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ ولا يزداد واحد منهم على اجرة
المثل **الصنف الرابع** المؤلفة قلوبهم وهو الشريف الذي اسلم وهو مطاع في قومه وفي
اعطائه تقرير على الاسلام وترغيب نظرائه **الصنف الخامس** المكاتبون فيدفع الى السيد
سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته الى مكاتبه لانه بعد
عبده **الصنف السادس** الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح
فهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض
دينه الا اذا استقرض لمصلحة واطفاء نايرة **الصنف السابع** الغزاة الذين ليس لهم
مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم على
الغزو **الصنف الثامن** ابن السبيل وهو الذي شخص عن بلده ليسافر في غير معصية
واجتاز به فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر يعطى قدر بلغته كالفقير
والمسكين والمريد للسفر والعازم على الغزو يعطون بمجرد قولهم انا فقراء او مساكين
او عازم على الغزو او السفر ولا يطلب منهم على ذلك بينة وساير الاصناف فلا
يعطون الا بالبينة **بيان وظايف القابض** وهي خمسة الاولى ان يفهم ان الله تع اوجب صرف

اليه ليكفي مهمه ويجعل همومه هما واحدا وهو الله والیوم الاخر ولما كانت الحاجات
سببا لتفرقة الهم اقتضى الكرم افاضة نعمة ليكفي الحاجات فاكثر الاموال وصبها في ايدي
العباد ليكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم فمنهم من اكثر
امواله فتنة فاقحمه متن الخطر ومنهم من احبه فحماه عن الدنيا كما يحمي الشفيق مريضه
وساق اليه قدر حاجته على ايدي الاغنياء ليكون تعب التحصيل والحفظ لهم والفقراء
يتجردون لعبادة الله تع ويصيب اليهم فايدة الاموال وهذا منتهى النعمة
فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر وفضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من
فضله فيما اعطاه فما يأخذه من الله رزقا له وعونا على الطاعة فليكن نيته
فيه ان يتقوى به على طاعته فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباح الله تع فان
استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت من الله
والثانية ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ولا يرى النعمة منه بل من الله تع ولكن
هو طريق وصول نعمة الله له وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا ومن تمام
الشكر ان يستر عيوب العطاء ولا يحقره ولا يذمه اذا منع فوظيفة المعطي الاستصغار
ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل واحد منهما القيام بحقه و
ذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض وكل ذلك لا ينافي رؤية
النعمة من الله تع فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل واما المنكر ان يرى
الواسطة اصلا **الثالثة** ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حله تورع عنه فلم يعدم
المتورع من الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من اموال الجنود والاتراك وعمال
السلاطين ومن اكثر كسبه من الحرام الا اذا ضاق عليه الامر **الرابعة** ان يتوقى
مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذ فلا يأخذ منه الا القدر المباح
ولا يأخذ الا اذا كان موصوف بصفة الاستحقاق فلا يزيد على قدر الحاجة
الخامسة ان يسأل رب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن
فلا يأخذ منه لانه لا يستحق مع شركائه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف

الى اثنين من صنفه **الفصل الرابع** في صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها
اما فضيلتها فقد ورد فيها اخبار وآثار كثيرة قال النبي صلعم تصدقوا ولو بتمرة
فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال صدقة السر تطفئ غضب
الرب وقال عروة بن الزبير لقد تصدقت عايشة رضه بخمسين الفا وان درعها
لمرقع واختلف طرق طلاب الاخلاص في ذلك فقال قوم الاخفاء افضل وقال قوم
الاظهار افضل اما الاخفاء ففيه خمس معان **الاول** انه ابقى للستر على الآخذ فان اخذه
ظاهرا انهتك ستر المروة وكشف عن الحاجة وخرج عن التعفف **الثاني** انه اسلم لقلوب
الناس والسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه او يظنون انه اخذه
مع الاستغناء والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبار فصيانة الناس عنها
اولى **الثالث** اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء كثير و
الاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما اظهر هذا انكشف
امر المعطي **الرابع** ان في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه **الخامس**
احترازه من شبهة الشركة قال صلعم من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها
واما الاظهار ففيه معان اربعة الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال
والمراياة الثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن
الكبرياء ودعوى الاستغناء الثالث هو ان العارف لا نظر له الا الى الله فالسر
والعلانية في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد الرابع ان الاظهار اقامة
لسنة الشكر وهو واجب والكتمان كفران النعمة وهو مذموم في القرآن فاذا عرفت
هذه المعاني فاعلم ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسئلة بل هو اختلاف
حال لا انا نحكم حكما بتا بان الاخفاء افضل في كل حال او الاظهار افضل بل يختلف ذلك
باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون
المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان
والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار فمهما لم يكن في حفظ الجاه

والمنزلة

والمنزلة في قلوب الناس يجوز ان يخفيه وان كان ذلك فالاخفاء حرام فينبغي ان
يفتش عن باطن الامور ودقايق قصده حتى يعثر على قصد الشيطان واما
الاظهار فان كان قصده الاسترداد منه او الاخذ من الغير بهذا الطريق فهو
مذموم وعلى الجملة فينبغي ان لا يغفل عن مثل هذه الدقايق حتى يعلم ان الاظهار
افضل في حقه ام الاخفاء وعمل الجوارح مع اهمال هذه الدقايق ضحكة الشيطان لكثرة
التعب وقلة النفع وعلى الجملة فالاخذ في الملاء والرد في السر احسن الطرق واسلم له
واستواء السر والعلانية هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى **بيان الافضل**
من اخذ الصدقة والزكوة كان ابرهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من
الصدقة افضل فان في اخذ الزكوة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولانه ربما لا يكمل في
اخذه صفة الاستحقاق فاما الصدقة فاوسع وقال قوم اخذ الزكوة افضل
لانه اعانة على واجب ولانه لا منة فيه وانما هو حق واجب لله رزق العباد ولانه
اخذ بالحاجة واخذ الصدقة اخذ بالدين لان الغالب ان المتصدق يعطي من يعتقد
فيه خيرا والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باحوال الشخص وبما يغلب عليه فان كان
في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكوة الا اذا علم
انه مستحق قطعا فاذا تخير هذا بين الزكوة وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة
لا يتصدق بذلك المال لو لم ياخذها فلياخذ الصدقة فان الزكوة الواجبة يصرفها
صاحبها الى مستحقها وفي ذلك تكثير للخير وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن في
اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير في ذلك الامر فيهما متقارب واخذ الزكوة
اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال والله اعلم

كتاب اسرار الصوم

اعلم ايدك الله ان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلعم الصوم نصف الصبر وبمقتضى
قوله عم الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تع لقوله تع الصوم
لي وانا اجزي به وانما فضل الصوم على ساير العبادات مع كونه مشرفا بالنسبة اليه تع
لمعنيين احدهما ان الصوم كف وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد فجميع الطاعات

افضل

بمشهد من الخلق والصوم لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني
انه قهر للشيطان فان وسيلة الشيطان الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل
والشرب فلما كان الصوم قمعا للشيطان وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله تعالى
ففي قمع عدو الله نصرة الله ونصرة الله موقوفة على النصرة لقوله تعالى ان تنصروا الله
ينصركم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله فاذا علمت فضيلة الصوم فلا بد
من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه وسننه وفيه فصول الفصل الاول
في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده اما الواجبات الظاهرة
فستة الاول مراقبة شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فباستكمال شعبان
ثلثين يوما الثاني النية فلا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة ولو نوى الصوم
مطلقا او الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوي فريضة الله تعالى صوم رمضان الثالث
الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد الصوم بالاكل والشرب
والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن
والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل من غير قصد كغبار الطريق
او ذبابة تسبق الى جوفه او ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ
في المضمضة فيفطر لانه مقصر الرابع الامساك عن الجماع وحده تغييب الحشفة في الفرج
عامدا وان طلع الفجر وهو مخالط اهله فنزع في الحال صح صومه وان صبر فسد ولزمته
الكفارة الخامس الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المني قصدا بجماع او غير جماع
فان ذلك مفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ومضاجعتها الا ان ينزل فان قبل وسبقه
المني فطر للتقصير السادس الامساك عن اخراج القيء فان الاستقاء يفسد الصوم
وان ذرعه القيء لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من صدره او حلقه لم يفسد صومه
رخصة لعموم البلوى به الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك واما لوازم
الافطار فاربعة القضاء والكفارة والفدية وامساك بقية النهار تشبها
بالصائمين اما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او غير عذر

والحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلوة وكذلك المرتد اما الكافر والصبي والمجنون
فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في القضاء من رمضان اما الكفارة فلا تجب
الا بالجماع اما الاستمناء والاكل والشرب لا يجب كفارة والكفارة عتق رقبة
فان عجز فصوم شهرين متتابعين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا واما
امساك بقية النهار فيجب على من عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض
اذا طهرت بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا ولا يفطر المسافر يوم
يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما واما الفدية فيجب على الحامل
والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء
والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا اما السنن فستة تاخير السحور
وتعجيل الفطر بالتمر او الماء قبل الصلوة وترك السواك بعد الزوال والجود
في رمضان ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخير
اذ فيها ليلة القدر والاغلب انها في الاوتار فان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع
الاعتكاف وله ان يتوضأ في البيت الفصل الثاني في اسرار الصوم وشروطه الباطنة
اعلم ان للصوم ثلث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص
اما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما
صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الاثام
واما صوم خصوص الخصوص فهو صوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية
وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله
وهذه رتبة الانبياء والصديقين وقد قال بعض ارباب القلوب من تحركت همته
بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق
بفضل الله واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الاثام
وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره
والى ما يشغل القلب عن الله تعالى الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب

الوثوق الاعتماد

والغيبة والشتم والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله
بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد جاء في الخبر ان امرأتين صامتا
على عهد رسول الله صلعم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا
فبعثتا الى رسول الله صلعم يستأذناه في الافطار فارسل صلعم اليهما قدحا وقال
قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت
الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال النبي صلعم هاتان صامتا عما
احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احديهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس
فهذا ما اكلتاه من لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان كل ما حرم
قوله حرم الاصغاء اليه فان الله تعالى سوى بين المستمع واكل السحت في قوله سماعون للكذب
اكالون للسحت وقال صلعم المغتاب والمستمع شريكان في الاثم الرابع كف بقية
الجوارح من اليد والرجل عن المكاره فكف البطن عن الشبهات وقت الافطار
فلا معنى للصوم وهو كف النفس عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثاله
مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا لان الطعام الحلال انما يضر بكثرته وتدارك الاستكثار
من الدواء آخر فامن ضرره اذا عدل الى السم وتناول منه كان سفيها والحرام سم يهلك
الدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقال صلعم رب
صايم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش الخامس ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار
بحيث يمتلئ فما من وعاء ابغض الى الله تعالى من بطن ملئ من حلال فكيف يستفاد
من الصوم قهر الشيطان وكسر الشهوة اذا تدارك الصايم عند فطره ما فاته ضحوة
النهار وربما يزيد عليه في الوان الطعام ومعلوم ان مقصود الصوم كسر الهوى
وروح الصوم وسره تضعيف الشهوة وكسرها ولن يحصل ذلك الا بالتقليل في الاكل
ومن الآداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش فيصفو عند ذلك
قلبه ويخف عليه تهجده واوراده فينظر الى ملكوت السماء السادس ان يكون قلبه
بعد الافطار معلقا مضطربا بين الرجاء والخوف اذ لا يدري أقبل صومه فهو من المقربين

او رد

او رد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فان قلت
فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء
صومه صحيح فما معناه فاعلم ان فقهاء الظاهر يفتون بشروط الظاهر ولا يبحثون
عن الباطن فان ذلك يشق على اكثر الخلق خصوصا على المشتغلين اما علماء الآخرة
فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود وان المقصود من الصوم
التخلق بخلق من اخلاق الله تعالى وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات
بحسب الامكان اذ الانسان رتبته فوق رتبة البهايم لقدرته بالعقل على كسر شهوته
دون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه فكلما انهمك في الشهوات انحط
والتحق بغمار البهايم وكلما قمع الشهوات ارتفع والتحق بافق الملائكة وتشبه
باخلاقهم فيقرب من الله بقربهم فان التشبه من القريب قريب والقرب هناك
بالصفات لا بالمكان الفصل الثالث في التطوع بالصيام وترتيب الاوراد واستحباب
الصوم يتأكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها
في كل شهر وبعضها في كل اسبوع اما في السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة
ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع
الاشهر الحرم مظان للصوم وهي اوقات فاضلة ومن الاشهر الفاضلة رجب
وشعبان فافضل الاشهر الحرم ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات
واما ما يتكرر في الاسبوع فالاثنين والخميس والجمعة واما صوم الدهر فقد كرهه
بعض السالكين اذ قد وردت فيه اخبار تدل على كراهيته والصحيح انه يكره
لمعنيين احدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق والآخر ان يرغب
عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه فاذا لم يكن شيء من ذلك
ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين
ودون صوم الدهر درجة اخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر
يوما وذلك اشد على النفس واقوى في قهرها وقد ورد في فضله اخبار كثيرة

لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم قال النبي صلعم افضل الصيام صوم اخي داود
عم كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس
بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلثة ايام من اول الشهر
وثلثة من الوسط وثلثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة
وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث وفي الجملة فالمقصود من الصوم
تصفية القلب وتفريغ الهمة لله وقد كره العلماء ان يوالي في الافطار اكثر من اربعة
ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكر ان ذلك يقسي القلب ولعمري هو
كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما اردنا
ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله اعلم **كتاب اسرار الحج** ومهماته اما بعد فان
الحج من بين اركان الاسلام ومباني عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام قال
النبي صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا
فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها ويساوي تاركها اليهود والنصارى
واجدر بها ان يصرف العناية الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وآدابها
وفضائلها واسرارها وجملة ذلك بتوفيق الله تع في ثلثة ابواب **الباب الاول**
في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل اركانها وشرائط وجوبها
الباب الثاني في اعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر الى الرجوع **الباب الثالث**
في آدابها الدقيقة واسرارها الخفية واعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الاول
وفيه فصلان **الفصل الاول** في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة
وشد الرحال الى المشاهد فضيلة الحج قال الله تع واذن في الناس بالحج يأتوك
رجالا الآية وقال صلى الله عليه وسلم من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج
من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال صلعم من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات
اجري له اجر الحاج والمعتمر الى يوم القيمة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم
يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال مجاهد ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة

وسلموا

وسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وروي
عن الحسن البصري ان صوم يوم فيها بمائة الف يوم وصدقة درهم بمائة الف درهم وكذا كل
حسنة بمائة الف **فضيلة المقام** بمكة وكراهيته كره الخائفون من العلماء المقام
بمكة لمعان ثلثة احدها خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر في تسكين
حرقة القلب في الاحترام الثاني تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود الثالث
الخوف من ركوب الخطايا والذنوب فيها فان ذلك مخطر وبالحري ان يورث
مقت الله لشرف الموضع قال ابن مسعود رض ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل
الا مكة وتلا قوله تع ومن يرد فيه بالحاد بظلم الآية ولا تظنن ان كراهية المقام بها
ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى ان ترك المقام بها افضل اي
بالاضافة الى المقام مع التقصير **فضيلة المدينة** على ساير البلاد ما بعد مكة بقعة
افضل من مدينة الرسول عم والاعمال فيها ايضا تضاعف قال النبي صلعم صلوة
في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يفضل عليه بمائة
وكذلك كل عمل بالمدينة بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة فيها بخمس
مائة وكذا ساير الاعمال قال النبي صلعم لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد
الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا
الحديث في المنع من الرحلة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وليس كذلك الزيارة
مأمور بها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
والحديث ورد في المساجد لان المساجد بعد هذه المساجد الثلثة متماثلة فلا
معنى للرحلة اليها اما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم
عند الله تع ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء
مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم صلوات الله عليهم فالمنع من ذلك غاية الاحالة فاذا
جوز ذلك فقبور العلماء والاولياء والصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك
من اغراض الرحلة كما ان زيارة العلماء في الحيوة من المقاصد اما المقام لا وللي

نذيقه من عذاب اليم

بالمريدان يلازم مكانه اذا لم تكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله
في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما هو اسلم للدين وهو افضل المواضع له
الفصل الثاني في شروط وجوب الحج واركانه وواجباته ومحظوراته اما الشرائط
فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي واما الوقت فهو شوال وذو
القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة
فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة واما شروط وقوعه عن حج الاسلام فخمسة الاسلام
والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي او العبد ولكن اعتق العبد وبلغ
الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزأهما عن حجة الاسلام
واما شرط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة فاما
الاستطاعة فنوعان احدهما المباشرة وذلك باسباب اما في نفسه فالصحة واما في
الطريق بان يكون خصبة آمنة واما في المال فان يجد نفقة ذهابه وايابه الى
وطنه وان يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة وان يقدر على راحلة او كراها
اما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله بان يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن
حجة الاسلام نفسه ويكفي نفقة الذهاب راحلة في هذا النوع ومن استطاع لزمه الحج وله
التأخير ولكنه على خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج
لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه
وان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس ثم مات
لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله اما الاركان
التي لا يصح الحج دونها فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة و
الحلق على قول واركان العمرة كذلك الا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم
ستة الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمي
ففيها الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة
والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة تجبر تركها بالدم على احد القولين

واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلاثة الاول الافراد وهو الافضل وذلك بان
يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل واحرم واعتمر الثاني القران وهو ان
يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة فيصير محرما بهما ويكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت
الحج الثالث التمتع وهو ان يجاوز الميقات بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات
الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمسة شرائط احدها ان لا يكون من
حاضري المسجد وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلوة الثاني
ان يقدم العمرة على الحج الثالث ان يكون عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع
الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج الخامس ان يكون حجه وعمرته عن
شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة
فان لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع
الى اهله وشرح هذه الثلاثة واحكامها مسطورة في كتب الفقه فنترك ذكرها
ههنا واما محظورات الحج والعمرة فستة الاول لبس القميص والسراويل والخف
والعمامة ينبغي ان يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبا وان لم
يجد ازارا فسراويلا ولا بأس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل ولكن لا ينبغي ان يغطي
رأسه فان احرامه في الرأس وللمرأة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا يستر وجهها بما
يماسه فان احرامها في وجهها الثاني التطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا
فان تطيب او لبس فعليه دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة
ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو
مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان بعد التحلل
الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة
التي تنقض الوضوء مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح
والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس قتل صيد البر اعني ما يؤكل وما هو
متولد من الحرام والحلال فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب

الخلقة وصيد البحر حلال لا جزاء فيه الباب الثالث في ترتيب الاعمال الظاهرة من اول
السفر الى الرجوع وهي عشر جمل الجملة الاولى في السنن من اول الخروج الى
الاحرام وهي ثمان الاولى في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء
الدين واعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته الى وقت الرجوع ورد ما عنده
من الودائع ويستصحب من المال الحلال الثانية في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا
محبا للخير معينا على الخير والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك
وخواتيم عملك الثالثة في الخروج من الدار ينبغي اذا هم الى الخروج ان يصلي ركعتين
يقرأ في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص واذا فرغ
رفع يديه ويقول اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد
والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك ان تطوي لنا
الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والمال والدين
وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك عم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة
المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم
في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة اذا حصل
على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اني
اعوذ بك ان اضل او اضل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج
اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك
وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك عم وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم
بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي و
انت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك و
جل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما
توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يرحل منه الخامسة في الركوب فاذا ركب
الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت ولا حول ولا قوة الا بالله

العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا
له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري
اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على
الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع
مرات وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله
اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السادسة في النزول
والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره بالليل للحديث ومهما
اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الشياطين
وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسألك
خير هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر اهله وشر ما فيه
اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى فيه ركعتين ثم قال اللهم اني
اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق
فاذا جن عليه الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر
ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب
ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع
العليم السابعة في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار ولا يمشي منفردا خارج القافلة
لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام في ابتداء
الليل افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه
هكذا كان رسول الله صلعم ينام في اسفاره والاحب بالليل ان يتناوب الرفيقان
في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر فهو السنة الثامنة مهما علا نشزا من الارض
في الطريق فيستحب ان يكبر ثلاثا ويقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد
على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الملك القدوس
رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الجملة الثانية في آداب الاحرام

من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاول ان يغتسل اذا انتهى الى الميقات
المشهور ويوى غسل الاحرام ويتم غسله بالتنظيف ويستكمل النظافة التي ذكرنا
في كتاب الطهارة الثاني ان يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوب الاحرام فيرتدي
ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض احب الثياب الى الله ويتطيب في بدنه وثيابه
الثالث ان يصبر بعد لبس الثياب حتى ينبعث به راحلته فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او العمرة
ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان تقترن اليه بالتلبية فيقول لبيك
اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال
لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغبة اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية يستحب ان يقول اللهم اني اريد
الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت اداء فريضتك في
الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك
الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد
احرم لك شعري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء
والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه
المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب تجديد التلبية في
دوام الاحرام وعند اصطدام الناس وعند كل صعود وهبوط وركوب ونزول
رافعا به صوته بحيث لا يبح به حلقه وكان صلى الله عليه وسلم اذا رأى شيئا يعجبه قال
لبيك ان العيش عيش الآخرة الجملة الثالثة في آداب دخول مكة الى الطواف وهي
ستة الاول ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغسال المسنونة في الحج تسعة الاول
للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم
للوقوف بالمزدلفة ثم ثلاثة اغسال لرمي الجمرات الثلاث ولا غسل لرمي جمرة
العقبة ثم لطواف الوداع فيعود الى سبعة الثاني ان يقول عند الدخول في اول الحرم
وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار

وامني

وامني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك
الثالث ان يدخل مكة من جانب الابطح من ثنية كدى بفتح الكاف عدل رسول الله
من جادة الطريق اليها واذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى
والاولى هي العليا الرابع اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعنده يقع بصره
على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك
دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته
وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه
برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان
الرجيم الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل بسم الله وبالله
ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا
قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على
محمد عبدك ورسولك وعلى ابرهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك و
ليرفع يديه وليقل اللهم اني اسألك في مقامي هذا في اول مناسكي هذا ان تقبل
توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام
الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني
عبدك والبلد بلدك والحرام حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسألك
مسألة المضطر الخائف لعقوبتك الراجي رحمتك الطالب مرضاتك السادس ان
يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتي اديتها
وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته
ويقول مثل ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا
ان يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف الجملة الرابعة في الطواف فاذا اراد
افتتاح الطواف اما للقدوم او لغيره فليراع امورا ستة الاول ان يراعي شروط
الصلوة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمكان وستر العورة

والطواف بالبيت صلوة لكن الله تعالى اباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف
وهو ان يجعل وسط ازاره تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخى طرفا على
ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي
سنذكرها الثاني اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر
الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه
وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل
ولكن لا يكون طايفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود وقد يتصل
بالارض ويلتبس بها والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان
هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد ان ضيق اعلى الجدار ومن هذا الموقف
يبتدئ بالطواف الثالث ان يقول قبل مجاوزة الحجر في ابتداء الطواف بسم الله
والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك
محمد صلعم ويطوف واول ما ينتهي الى باب البيت يقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا
الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العايذ بك من النار وعند ذكر المقام
يشير بعينه الى مقام ابرهيم ويقول اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين
فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وامني من
اهوال يوم القيمة واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن
العراقي فعنده يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق
والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد فاذا بلغ
الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني بكاس
محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي يقول اللهم
اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور
رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك انت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني
يقول اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة

المحيا

المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليماني
والحجر الاسود اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب
القبر وعذاب النار فاذا بلغ الى الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا
الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوطا واحدا
فيطوف كذلك سبعة اشواط ويدعو بهذه الادعية في كل شوط الرابع ان يرمل
في ثلثة اشواط ويمشي في الاربعة الاخيرة على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل
الاسراع في المشي مع تقارب الخطى وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد
والمقصود من الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان
القصد اولا قطعا لطمع الكفار ومن اراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن
اليماني على الاستلام اعني المس باليد فهو اولى اذ هو الاشهر في الرواية الخامس
اذا تم الطواف سبعا سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع
استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت
ويضع عليه خده الايمن ويبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب هذا
البيت العتيق اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من
كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم هذا البيت بيتك والعبد
عبدك وهذا مكان العايذ بك من النار اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك ثم
ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع ويصلي على رسوله محمد صلعم وعلى جميع الرسل عليهم السلام
كثيرا وليدع بحوايجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه السادس اذا فرغ من ذلك ينبغي ان
ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية
الاخلاص وهما ركعتا الطواف وان قرن بين اسابيع وصلى جاز فعل ذلك
رسول الله صلعم وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني
العسرى واغفر لي في الآخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك كيلا اعصيك
واعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك

ورسلك وتجب عبادك الصالحين اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين
اللهم كما هديتني للاسلام فثبتني عليه بالطافك ولا تبتلني واستعملني بطاعتك وطاعة
رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف هذه كيفية
الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلوة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع
البيت وان يبتدئ بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج
البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا
خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهي سنن وهيئات الجملة الخامسة في السعي فاذا
فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الركن اليماني
والحجر الاسود فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه
درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله صلعم حتى بدت له الكعبة
ويبتدئ من ههنا ويسعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا
ينبغي ان يستقبل على البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا بمحامده
كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق
وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله ولا نعبد
الا اياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين له الدين
الحمد لله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض
وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض
بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر
تنتشرون اللهم اني اسئلك ايمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا
خاشعا ولسانا ذاكرا واسئلك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة
ثم يصلي على محمد صلعم ويدعو بما شاء من حاجته لنفسه عقيب هذا الذكر ثم ينزل ويبتدئ
السعي وهو يقول رب اغفر وارحم واعف عما تعلم انك انت الاعز الاكرم اللهم ربنا

الدائمة

وتجاوز عما

آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هيئته حتى
ينتهي الى الميل الاخضر وهو على محاذاة المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة
الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين
ثم يعود الى الهيئة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه
على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى
الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا يرمل في موضع الرمل كل مرة ويسكن في
موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك
فقد اتى بطواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة للسعي مستحبة وليست
بواجبة وشرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف كان الجملة السادسة في الوقوف
وما قبله الحاج ان انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم و
دخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بايام وطاف طواف القدوم
فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر
عند الكعبة ويأمر الناس بالاستعداد بالخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها
والغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف
من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي ان يخرج الى منى ملبيا
ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه والمشي من مسجد ابرهيم عم
الى الموقف افضل واكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذا منى فامنن علي
بما مننت على اوليائك واهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت
منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى الصبح واذا طلعت الشمس على ثبير
سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط واقربها
من رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت ووجهك
اردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وافضل فاذا اتى عرفات
فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف

وادون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وقعد واخذ
المؤذن في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان
وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين
وقصر الصلوة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقف في وادي عرنة و
الافضل ان يقف عند الصخرات بقرب الامام وليستقبل القبلة وليكثر من انواع
التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله والدعاء ولا يصوم في هذا اليوم
ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية بعرفة بل الاحب ان يلبي تارة
ويكب على الدعاء اخرى ولا ينبغي ان ينتقل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة
بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند امكان الغلط
في الهلال فهو الحزم ومن فاته الوقوف بعرفة حتى صلى الفجر يوم النحر فقد فاته
الحج فينبغي ان يتحلل من احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم
ليقض وليكن اهم اشغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل هذا اليوم ومثل ذلك
الجمع يرجى اجابة الدعاء والدعاء الماثور في يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي
بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري وليقل اللهم رب الحمد لك الحمد
كما نقول وخيرا مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي و
لك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الامر وعذاب القبر
اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر بوايق
الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني
بالهدى واغفر لي في الآخرة والاولى يا خير مقصود واير منزول عليه واكرم
مسؤول ما لديه اعطني العشية افضل ما اوتيت احدا من خلقك وحجاج بيتك الحرام
يا ارحم الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر السموات

اليك

اليك الاصوات بصنوف اللغات تسألك الحاجات وحاجتي اليك ان لا تنساني في دار
البلاء اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري
وعلانيتي ولا يخفى عليك امري انا البائس الفقير المستجير المستغيث الوجل
المشفق المعترف بذنبه اسألك مسألة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل
وادعوك دعاء الخائف الضعيف دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته
وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا
رحيما يا خير المسؤولين واكرم المعطين الهي من مدح اليك نفسه فاني لائم نفسي
الهي اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل اللهم
اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم
الاكرمين اللهم ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فرحمتك اهل ان تبلغني ورحمتك وسعت
كل شيء وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في جنب
عفوك فاغفر لي يا كريم الهي انت انت وانا انا انا العواد الى الذنوب
وانت العواد الى المغفرة ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع
المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك
ما اعظم حجتك علي وانقطاع حجتي وفقري اليك وغناك عني الا غفرت لي
يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه السلام
اتوسل اليك فاغفر لي ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي
ما سألت وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتني
فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما انت صانع العشية بعبد مقر بذنبه
خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك في الحاح حوائجه
راج اليك في موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من احسن
فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا
واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك

اشفقنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضماير الصامتين
يا من ليس معه رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى
ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج
الا تفضلا واحسانا الهى انك جعلت لكل ضيف قرى فنحن اضيافك واجعل
قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جايزة ولكل زاير كرامة ولكل سائل
عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل
راغب اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام وشاهدنا
هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك الهنا تابعت النعم حتى اطمانت الانفس
بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحججك وظاهرت المنن حتى
اعترف اولياؤك بالتقصير عن حقك واظهرت الآيات حتى افصحت السموات
والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شىء لعزتك وعنت الوجوه
لعظمتك اذا اساء عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا تفضلت وقبلت
واذا اعصينا سترت واذا اذنبنا عفوت واذا دعونا اجبت واذا
ناديناسمعت واذا اقبلنا قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك
قلت وقولك الحق ۞ في كتابك المبين لمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قل
للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد
بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مخلصين
فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ
من دخل الاسلام الهنا انك احببت التقرب بعتق ما ملكت ايماننا ونحن
عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا
ونحن فقراؤك وانت احق بالطول فتصدق علينا وقد وصيتنا بالعفو
عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا وانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا
وارحمنا انت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك

عذاب

عذاب النار وليكثر دعاء الخضر عليه السلام وهو يا من لا يشغله سمع عن سمع
ولا يشتبه عليه الاصوات يا من لا يغلطه المسائل ولا يختلف عليه اللغات
يا من لا يبرمه الحاح الملحين ويا من لا يضجره مسئلة السائلين اذقنا برد عفوك
وحلاوة رحمتك وليدع بما بدا له وليستغفر لنفسه ولوالديه وليلح في
الدعاء وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شىء الجملة السابعة ۞ بقية اعمال الحج
بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف فاذا فرغ من
الطواف بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار وليجتنب
وجيف الخيل وايضاع الابل كما يعتاد بعض الناس فان رسول الله صلعم نهى
عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا
تواطئوا ضعيفا ولا تواطئوا مسلما واذا بلغ المزدلفة اغتسل لان المزدلفة
من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى
توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة
قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة نسالك حوائج مؤتنفة فاجعلنى
ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة
في وقت العشاء ۞ فاصلة باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع
نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدا بنافلة المغرب ثم
بنافلة العشاء كما في الفريضتين وهكذا يفعل الجامع في السفر فان ترك
النوافل في السفر خسران ظاهر ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهى مبيت نسك
ومن خرج منها في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه
الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف الليل ياخذ
في التاهب للرحيل ويتزود الحصا منها ففيها حجارة رخوة فلياخذ سبعين
حصاة ولا باس بان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضه وليكن الحصى
خفافا بحيث يحتوى عليه اطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ ۞

البير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى وقت
الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح
محمد عليه السلام منا التحية والسلام يا ذا الجلال والاكرام فاذا انتهى الى وادي
محسر فيستحب ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع
في المشي ثم اذا اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي
الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة فيتجاوز الاول والثاني فلا شغل له معهما
يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى
مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر في جمرة العقبة بعد طلوع الشمس قيد رمح
ويرمي سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة
اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا
التكبير عقيب فرائض الصلوات من الظهر يوم النحر الى عقيب العصر آخر ايام التشريق
ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصيغة التكبير ان يقول الله اكبر
الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده
لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق
وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح الهدي ان كان معه والاولى
ان يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر اللهم منك وبك ولك تقبل مني كما تقبلت
من خليلك ابراهيم عم والتضحية بالبدن افضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة افضل
من مشاركة السبعة في البدن او البقر والضان افضل من المعز والبيضاء افضل
وليأكل منه ان كان هدي التطوع ولا يضحين بالجدعاء والعضباء والجرباء
والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء فالجدع القطع في الانف
والاذن والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن
من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي اي لا مخ لها من
الهزال والجرباء التي يفسد لحمها من الجرب لكثرته ثم ليحلق بعد ذلك والسنة

ان

ان يستقبل القبلة ويبدأ بمقدم رأسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على
القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة
وارفع لي بها عندك درجة والمرأة تقصر ولا تحلق والاصلع يستحب له امرار الموسى
على رأسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة الاولى فقد حصل له التحلل الاول وحل له
كل المحظورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا
الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة واول وقته بعد نصف
الليل من ليلة النحر وافضل وقته يوم النحر وله ان يؤخر الى اي وقت شاء
ولكن يبقى متقيدا بعلقة الاحرام فلا تحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف
تم التحلل وله قطع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى
وهما واجبان واسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف والسنة
للامام ان يخطب في هذا اليوم بعد الزوال وهي خطبة الوداع ثم اذا فرغ من
الطواف يوم النحر عاد الى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى فاذا زالت
الشمس يوم الثاني من العيد اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي
على يمين الجادة ويرمي اليها سبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين
الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله وهلله وكبره ودعا مع حضور
القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا
على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي سبعا كما رمى الاولى ويقف كما
وقف في الاول ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع
الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول واذا صلى الظهر
في اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم
الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة ومن خرج من منى قبل
غروب الشمس فلا شيء عليه وان صبر الى الليل لا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى
يرمي في يوم النفر الثاني احدى وعشرين حصاة كما سبق وفي ترك المبيت والرمي

اراقة دم للتصدق باللحم **الجملة الثامنة** في صفة العمرة وما بعدها الى طواف
الوداع من اراد ان يعتمر بعد حجه او قبله كيف ما اراد وليغتسل وليلبس ثياب الاحرام
كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم
الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عايشة رض ويصلي ركعتين ويدعو
الله تعالى بما شاء ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد
ترك التلبية فطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفناه فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت
عمرته والمقيم بمكة ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف ويكثر النظر الى البيت فاذا دخله
فليصل بين العمودين وهو افضل وليدخله حافيا موقرا وليكثر شرب ماء زمزم
وليستق بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله
شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والاخرة
الجملة التاسعة في طواف الوداع مهما عن له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اعمال
الحج والعمرة فلينجز اولا اشغاله ويشد رحاله ويجعل آخر اشغاله وداع البيت
ووداعه بان يطوف سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه
صلى ركعتين خلف المقام وشرب ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويتضرع ويدعو
ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن امتك حملتني على ما
سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضاء
مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد لي رضا والا فمن الآن قبل ان تنأى عن
بيتك داري هذا اوان انصرافي ان اذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب
عنك ولا عن بيتك اللهم فاصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني واحسن منقلبي وارزقني
طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل
هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاولى ان
لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه **الجملة العاشرة** في زيارة المدينة وآدابها
قال النبي صلى الله عليه وسلم من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي فمن قصد

زياره

زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فاذا وقع
بصره على حيطان المدينة واشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية
من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرم
وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها فليدخل متواضعا معظما وليقل بسم الله
وعلى ملة رسول الله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل
عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون
الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه وذلك موقف رسول الله صلعم قبل ان يغير
المسجد وليجتهد ان يصلي في المسجد الاول قبل ان يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي
صلعم ويقف عند وجهه وذلك بان يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على
نحو اربعة اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على راسه
وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبل بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام
فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام
عليك يا امين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا
خيرة الله السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا القاسم
السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك
يا نذير السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد
المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين
السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة
السلام عليك يا سيد الامة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى
اهل بيتك الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك
الطيبين وازواجك الطاهرات امهات المؤمنين جزاك الله عنا افضل ما
جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما

غفل عن ذكرك الغافلون وصلّ عليه في الأولين والآخرين افضل واكمل واعلا واطيب
واطهر ما صليت على احد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصّرنا بك من العماية
وهديتنا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله
وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة
ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين
صلى الله عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصى بتبليغ سلام
فيقول السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الصديق رضي الله عنه
لان رأسه عند منكب رسول الله صلعم ورأس عمر رض عند منكب الصديق رض ثم يتأخر
قدر ذراع ويسلم على الفاروق رض ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول
الله صلعم والمعاونين له بالقيام بالدين ما دام حيا والقائمين في امته بعده بامور
الدين تتبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزراء نبي
على دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلعم بين القبر والاسطوانة اليوم واستقبل
القبلة ويدعو وليحمد الله وليمجده وليكثر من الصلوات على رسول الله صلعم ثم يقول
اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك واطعنا امرك وقصدنا
نبيك متشفعين به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من
زللنا مستغفرين من خطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا
فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر
لاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك عليه السلام
ومن حرمك يا ارحم الراحمين ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع
ويدعو عند المنبر ويستحب ان يضع يده على الرمانة التي كان صلى الله عليه وسلم يضع
يده عليها عند الخطبة ويستحب ان يأتي احدا يوم الخميس ويزور قبر الشهداء ويصلي
الغداة في مسجد النبي عم حين يخرج ويعود الى المسجد لصلوة الظهر حتى لا يفوته

فريضه من الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول
الله صلعم ويزور قبر عثمان رض وقبر الحسن بن علي رض وفيه ايضا قبر الحسين بن
علي ومحمد بن علي وجعفر بن علي رض ويصلي في مسجد فاطمة رض ويزور قبر
ابرهيم بن رسول الله صلعم وقبر صفية عمة رسول الله صلعم فذلك كله بالبقيع ويستحب ان
يأتي مسجد قبا ويصلي فيه في كل سبت ويأتي بئر اريس يقال ان النبي عليه السلام
تفل فيها عند المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها ويأتي مسجد الفتح وهو على
الخندق وكذا يأتي ساير المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المساجد والمشاهد
بالمدينة ثلثون موضعا يعرفها اهل المدينة فيقصد ما يقدر عليه وكذلك يقصد
الآبار التي كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي
سبعة آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلعم وان امكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة
الحرمة فلها فضل عظيم قال النبي صلعم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت فانه
لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة ثم اذا فرغ من اشغاله
وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان يأتي القبر ويعيد دعاء الزيارة كما
سبق ويودع رسول الله صلعم ويسئل الله تعالى ان يرزقه العود اليه ويسال
السلامة في سفره ويصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهو موضع مقام
رسول الله صلعم واذا خرج يخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى ويقول اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط اوزاري بزيارته
واصحبني في سفري ويسر لي رجوعي واجعلني من السالمين يا ارحم الراحمين
وليتصدق على جيران رسول الله صلعم بما قدر عليه واذا رجع من السفر
فالسنة ان لا يدخل داره بغتة بل اذا دخل البلد ينبغي ان يدخل المسجد اولا
ويصلي ركعتين فهو سنة كذلك كان رسول الله صلعم يفعل فاذا دخل منزله فلا ينبغي
ان ينسى ما انعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وزيارة نبيه صلى الله عليه وسلم
فيكفر النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك علامة الحج

المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متأهبا للقاء رب
العزة والله اعلم

الباب الثالث في الاداب الدقيقة والاعمال الباطنة

بيان دقائق الاداب وهي عشرة الاول ان يكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية
من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا
منصرفا الى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره الثاني ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكس
اليهم اعانة على الظلم الثالث التوسع في الزاد وطيب النفس بالانفاق و
البذل من غير تقتير ولا اسراف الرابع ترك الرفث والفسوق والجدال
قال سفيان رض من رفث فسد حجه الخامس ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك
افضل اوصى عبد الله بن عباس بنيه رض عند موته فقال يا بني حجوا مشاة
فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبع مائة حسنة من حسنات الحرم قيل
وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف السادس ان لا يركب الا زاملة اما
المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف على الزاملة او لا يستمسك عليها لعذر وفيها
معنيان احدهما التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفين
والمتكبرين حج رسول الله صلعم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة
قيمتها اربعة دراهم السابع ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة وغير
مايل الى اسباب التفاخر فيكون من المتكبرين الثامن ان يرفق بالدابة فلا يحملها
ما لا تطيقه والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها التاسع
ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه العاشر ان يكون طيب النفس بما
انفقه من نفقة وهدي وبما اصابه من خسران ومصيبة في مال وبدن ان اصابه
ذلك فان ذلك من دلايل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في
سبيل الله وله بكل اذى يحتمله ثواب ولا يضيع منه شيء عند الله وان يستبدل باخوان
البطالين اخوانا صالحين ومجالس اللهو والغفلة بمجالس الذكر واليقظة

بيان الاعمال الباطنة

ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة والتذكر لاسرارها

ومعانيها

ومعانيها اعلم ان اول الحج الفهم اعني تفهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم
عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء
الراحلة ثم الخروج ثم السير ثم الاحرام من الميقات ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال
كما سبق وفي ذلك اشارة للفطن الصادق فليرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح له
بابها انكشف لكل حاج من اسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه اما الفهم
فاعلم انه لا وصول الى الله عز وجل الا بالتنزه عن الشهوات والاقتصار على
الضرورات والتجرد لله سبحانه وتعالى في جميع الحركات والسكنات فان الله سبحانه
انعم على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم وشرف البيت العتيق بالاضافة
الى نفسه وجعله مقصدا للعباد وجعل ما حوله حرما تفخيما لامره وجعل عرفات
كالميدان على فناء حرمه فاكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على
مثال حضرة الملوك يقصدها الزوار من كل فج عميق شعثا غبرا متواضعين
لرب البيت ليكون ذلك ابلغ في عبوديتهم ووظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها
النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين
الصفا والمروة على سبيل التكرار بخلاف الصلوة والزكوة فان فيهما توسعا
وارفاقا وفي الصوم كسر الشهوة وللعقل سبيل الى معرفة خاصية هذه الافعال
والنفوس انس بتعظيم الله تعالى فاما التردد في السعي ورمي الجمار وامثال هذه
الاعمال فلا حظ للنفس فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام
عليها باعث الا الامر المجرد فلذلك قال النبي صلعم في الحج على الخصوص لبيك بحجة
حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في الصلوة وغيرها فاذا تفطنت لهذا فهمت
ان تعجب النفوس من هذه الافعال مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا
مقتضى الاسترقاق فهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج اما الشوق فانما
ينبعث بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله تعالى وانه وضع على مثال حضرة
الملوك فقاصده قاصد الى الله عز وجل وزائر له وان الله تعالى لا يضيع زيارته

فى سعادة المقربين وهو النظر الى وجه الله تعالى فى دار القرار واما العزم فليعلم
انه بعزمه قاصدا الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات الى زيارة
بيت الله تعالى فليعظم فى نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر
رفيع خطر امره فان من طلب عظيما خاطر بعظيم فليجعل عزمه خالصا لوجه الله تعالى
وليتحقق انه لا تقبل من قصده وعمله الا الخالص فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه
بالاخلاص واخلاصه باجتناب كل ما فيه ريآء وسمعة وليحذر ان يستبدل الذى
هو ادنى بالذى هو خير واما قطع العلائق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة
لله عز وجل عن جملة المعاصى فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق به وينادى عليه
اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره ومستهزئ به
فهو يذكر ان كنت راغبا فى قبول زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب
عن جميع المعاصى فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك الا التعب والشقاء اولا
والطرد والرد آخرا وليكتب وصيته لاهله وليتذكر عند قطعه العلائق قطع
العلائق لسفر الآخرة واما الزاد فيطلبه من موضع حلال واذا احس من
نفسه الحرص على استكثاره ليبقى مع طول السفر فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من
هذا السفر وزاده التقوى وما عداه مما يظن انه زاد يتخلف عنه بالموت
فيبقى وقت الحاجة متحيرا واما الراحلة اذا احضرها فليشكر الله تعالى بقلبه
على تسخير الله تعالى له الدواب ليخفف عليه المشقة وليتذكر المركب الذى يركبه
عند الموت الى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها فاقرب ذلك منه
واما شراء ثوب الاحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فكما لا يلقى بيت الله
تعالى الا مخالفا عادته فى الزى والهيئة فلا يلقى الله تعالى بعد الموت الا فى زى مخالف
لزى الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك اذ ليس فيه ولا فى الكفن مخيط واما
الخروج من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله تعالى
فى سفر لا يضاهى اسفار الدنيا فليحضر فى قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة

من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك فى زمرة الزائرين اليه الذين نودوا
فاجابوا وتشوقوا فاشتاقوا واقبلوا الى بيت الله الحرام الذى عظم ورفع
قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم
وهو النظر الى مولاهم وليرج انه ان لم يصل وادركته المنية لقى الله تعالى وافدا اليه
اذ قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد
وقع اجره على الله واما دخول البادية الى الميقات فليتذكر فيها ما بين
الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيامة وما بينهما من الاهوال والمطالبات
وليتذكر من قطاع الطريق سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادى عقارب القبر
وديدانه وحياته ومن انفراده عن اهله وحشة القبر واما الاحرام والتلبية
والميقات فليعلم ان معناه اجابة نداء الله عز وجل فارج ان تكون مقبولا
واخش ان يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا
وعن حولك وقوتك متبريا وعلى فضل الله تعالى وكرمه متوكلا فان وقت
التلبية هو بداية الامر وهو محل الخطر واما دخول مكة فليتذكر عندها انه قد
انتهى الى حرم آمن وليرج ان يأمن بدخوله عذاب الله تعالى وليخش ان لا يكون
اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم جانيا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه
فى جميع الاوقات غالبا فان الكرم عميم واما وقوع البصر على البيت فينبغى ان
يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ويقدر كانه مشاهد لرب البيت وارج
ان يرزقه الله تعالى النظر الى وجهه الكريم واما طواف البيت فاعلم انه صلوة
فاحضر فى قلبك التعظيم فيه والخوف والرجاء واعلم انك بالطواف بالبيت متشبه
بالملائكة المقربين الحافين حول العرش ولا تظن ان المقصود بالطواف
طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك برب البيت وهذا هو الطواف
الشريف النافع واما الاستلام فاعتقد عنده انك مبايع لله تعالى على طاعته فصمم
على الوفاء فمن غدر فى المبايعة استحق المقت واما التعلق باستار الكعبة

والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حباً وشوقاً للبيت
ورب البيت وتبركاً بالمماسة رجاء التحصن من النار ولتكن نيتك في التعلق
بالستر الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان من العذاب كالمذنب المتعلق
بثياب من اذنب اليه واما السعي بين الصفا والمروة فيضاهي تردد العبد
بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرة بعد اخرى اظهاراً للخلوص في الخدمة و
رجاء الملاحظ بعين الرحمة وليذكر عند تردده بينهما تردده بين كفتي الميزان
في عرصات القيمة واما الوقوف بعرفة فليذكر بما يرى من ازدحام الناس
وارتفاع الاصوات باختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم عرصات القيمة
واجتماع الامم مع الانبياء عليهم السلام والائمة ورجاءهم شفاعتهم واذا تذكرت
ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله تع ان يحشرك في زمرة الفائزين
المرحومين والرحمة انما تصل الى كافة الخلايق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد
الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد والصالحين فرجو
اجابة الدعاء فاجتماع الهمم في وقت واحد على صعيد واحد هو الطريق في استدرار
رحمة الله تع واما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للامر واظهار العبودية من غير
حظ النفس ثم اقصد به التشبه بابرهيم عم حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع واعلم
انك في الظاهر ترمي الجمار الى العقبة وفي الباطن ترمي به وجه الشيطان وتقصم ظهره
واما ذبح الهدي فاعلم انه تقرب الى الله تع بحكم الامتثال وارج ان يعتق بكل
جزء منها جزء منك من النار واما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك على حيطانها
فتذكر انها البلد التي اختارها الله تع لنبيه عم وجعل اليها هجرته ثم جعل تربته
فيها وتربة وزيريه رضي الله عنهما ثم تفكر في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلعم
وترداداته فيها فانه ما من موضع قدم تطاؤه الا ويمكن ان يكون موضع قدمه
العزيزة صلعم فلا تضع قدمك الا على سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها
وما استودع الله تع قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكره واحباطه عمل

من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ومثل في نفسك انه حي وانك واقف
بين يديه وتزوره ميتاً كما تزوره حياً ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب
من شخصه الكريم ولا تقبله بل تقف من بعد واعلم انه عالم بحضورك وقيامك
وزيارتك وقد قال صلعم من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً فهذا جزاؤه
في الصلوة عليه بلسانه فكيف في الحضور لزيارته واذا اتيت الى المنبر
فمثل في نفسك صعوده صلعم وهو يحث على طاعة الله عز وجل وقد احدق به
المهاجرون والانصار رضي الله عنهم واسأل الله ان لا يفرق بينك وبينه في الآخرة
ومثل في قلبك طلعته البهية بازائك فهذا وظيفة القلب في اعمال الحج فاذا فرغ
منها كلها ينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف فانه لا يدري اقبل حجه ام لا
وليتعرف ذلك من قلبه ومن اعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار
الغرور وانصرافاً الى الانس بالله تع ووجد اعماله قد اتزنت بميزان الشرع
فليثق بالقبول فان الله تع لا يقبل الا من احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه
آثار محبته وصرف عنه سطوة عدوه ابليس وان كان الامر بخلافه فيوشك ان
ان يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله منه والله سبحانه وتعالى اعلم
تم كتاب اسرار الحج والحمد لله رب العالمين **كتاب آداب تلاوة القرآن** وهو الكتاب
الثامن من ربع العبادات اعلم ان القرآن هو الضياء والنور وبه النجاة من
الغرور وهو حبل الله المتين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى وهو المحيط
بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تتناهى غرايبه ولا تنقضي عجايبه وهو الذي
ارشد الخلق الى باب الله تع فكل من آمن به فقد وفق ومن تمسك به فقد هدي
ومن عمل به فقد فاز قال الله تع انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن
اسباب حفظه في القلوب المواظبة على تلاوته ودراسته مع القيام بآدابه
وشرايطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك
لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده في اربعة ابواب **الباب الاول**

في فضل القرآن واهله الباب الثاني في آداب التلاوة في الظاهر الباب الثالث
في الاعمال الباطنة عند التلاوة الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي

الباب الاول في فضل القرآن واهله وذم المقصرين في تلاوته فضيلة القرآن
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن
لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم
يوم الفزع فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ فيما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله
وام به قوما هم به راضون وقال ابن مسعود رضه اقرأوا القرآن فانكم تؤجرون
عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف
والميم حرف وقال ابو سليمان الداراني رضه الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون
الله منهم الى عبدة الاوثان حين عصوا الله بعد القرآن وقال الفضيل رحمه الله
من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات في يومه ختم الله له بطابع الشهداء ومن
قرأها حين يمسي ثم مات في ليلته ختم له بطابع الشهداء الباب الثاني في ظاهر آداب
التلاوة وهي عشرة الاول في حال القارئ وهو ان يكون على الوضوء واقفا على
هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع
ولا متكئ وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلوة قائما وان يكون في المسجد فذلك من
افضل الاعمال فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل
ولكنه دون ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى
على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا وقال علي رضي الله عنه
من قرأ القرآن وهو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأها وهو
جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير صلوة وهو على وضوء فخمس
وعشرون ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو افضل لانه
افرغ للقلب قال ابو ذر رضه ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل الثاني
في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فبعضهم

الم

يختم القرآن في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم
من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلعم من
قرأ القرآن في اقل من ثلاث لم يفقهه وقالت عايشة رضي الله عنها لما سمعت
رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا ما قرأ ولا سكت وامر النبي صلعم عبد الله بن عمر رضه
ان يختم القرآن في سبع وكان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة الثالث
وجه القسمة اما من ختم القرآن في الاسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة اجزاء فقد حزب
الصحابة رضي الله عنهم احزابا الرابع في الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا
بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانه تبيين وتزيين وصد عن اللحن
والخطأ لمن يقرؤه وان كان بعضهم كره ذلك والمذموم بدعة تصادم سنة
او يكاد يفضي الى تغييرها الخامس الترتيل وهو المستحب في هيئة القراءة لان المقصود
من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت ام سلمة رضه قراءة رسول الله
صلعم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس رضه لان اقرأ البقرة
وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال
ايضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة
وآل عمران تهذرا والترتيل مستحب ولو كان من الاعجمي لان ذلك اقرب الى التوقير
والاحترام واشد تأثيرا في القلب السادس البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال ابن عباس رضه اذا قرأتم سجدة سبحان
فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وطريقه ان يحضر قلبه
الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن نزل بحزن
فاذا قرأتموه فتحازنوا وطريقه تأمل التالي ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق
والعهود ثم يتأمل تقصيره في اوامره وزواجره فان لم يحضره حزن وبكاء فليبك
على فقد الحزن والبكاء فان ذلك من اعظم المصائب السابع ان يراعي حق الآيات
فاذا مر بسجدة سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا على طهارة

والكمال ان يسجد بعد ان يكبر ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قراءها كما اذا قرأ
وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك والمسبحين بحمدك
واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك او على اوليائك وكذلك اذا قرأ قوله تع
ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فليقل اللهم اجعلني من الباكين الخاشعين
لك وكذلك في كل سجدة ويشترط في هذا السجود شروط الصلوة من ستر العورة واستقبال
القبلة وطهارة الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد
قد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحرم ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم الثامن ان يقول في
مبتدأ قرائته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات
الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد
وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم وفي
اثناء القراءة اذا مر باية تسبيح سبح وكبر واذا مر باية دعاء واستغفار دعا واستغفر
واذا مر بمرجو سأل واذا مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان
الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا واذا فرغ قال ما كان يقوله صلى الله عليه
وسلم عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة
اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل والنهار
واجعله حجة لي يا ارحم الراحمين التاسع في الجهر بالقراءة ولا شك في انه لا بد وان يجهر
الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف فان لم يسمع نفسه لم تصح
صلوته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر
قال صلى الله عليه وسلم فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة
العلانية وقال صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة
وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته والاسرار ابعد من الآفات فهو
افضل من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل

آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان خيره يتعدى الى غيره ولانه يوقظ قلب القارئ
ويجمع همه ويزيد في نشاطه ويطرد النوم عنه الى غير ذلك فان اجتمعت هذه النيات
تضاعف الاجر ولهذا قيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة
وكان كثير من الصحابة يقرؤن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا
في المصحف العاشر تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط
يغير النظم فذلك سنة قال رسول الله صلعم زينوا القرآن باصواتكم واستمع صلى الله عليه وسلم
ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود رض ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا
طويلا ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام
عبد وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله تع كانت له نورا يوم القيمة
وفي الخبر كتب له عشر حسنات واذا كان التالي هو السبب كان شريكا في الاجر الا
ان يكون قصده الريا والتصنع الباب الثالث في الاعمال الباطنة في التلاوة وهي
عشرة فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع
الفهم ثم التخصص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري الاول فهم عظمة الكلام وعلوه و
فضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة فهم خلقه فلينظر
لطفه ايضا بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام
خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز
البشر عن فهم صفات الله تع الا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جمال كلامه
بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة
سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله تع موسى صلوات عليه لما اطاق
سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه ولا يفهم عظمة الكلام الا بامثلة على حد
فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين فقال ان كل حرف من كلام الله تع في اللوح اعظم
من جبل قاف وان الملائكة عم لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه
حتى يأتي اسرافيل عم وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله تع ورحمته لا بقوته

وطاقته ولكن الله تعالى طوقه ذلك واستعمله به وضرب بعض الحكماء لهذا مثلا فقال انا
راينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتاخيرها
واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن انوار
عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهايم واوصلوا مقاصدهم
الى بواطن البهايم باصوات يضعونها لايقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة
من اصواتها التى يطيق حملها فكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله تعالى بكنهه وكمال
صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الاصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير
الذى سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوة فى تلك الصفات
من ان شرف الكلام اى الاصوات لشرفها وعظم التعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا
ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم لمكان الروح فكذلك
اصوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها والكلام عالى المنزلة رفيع الدرجة قاهر
السلطان نافذ الحكم ولا طاقة للبشر ان ينفذوا اغوار الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا
بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما تحتاج به ابصارهم ويستدلون
به على حوائجهم فقط والكلام كالملك المحجوب الغايب وجهه الشاهر امره وكالشمس
العزيزة الظاهرة المكنون عنصرها فهو مفتاح الخزاين النفيسة وشراب الحيوة الذى من
شرب منه لم يمت الثانى التعظيم للمتكلم فالقارى عند البداية بتلاوة القران ينبغى
ان يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقروه ليس من كلام البشر وان تلاوة كلام
الله تعالى غاية الخطر قال الله تعالى لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف و
ورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس الا على الطهارة فباطن معناه بحكم عزه وجلاله
محجوب عن باطن القلب الا اذا كان متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير
ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة رض اذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام
ربى فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم ولن يحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر فى صفاته وافعاله
فاذا خطر بباله العرش والكرسى والسموات والارضون وما بينهما وعلم ان الخالق

لجميعها

لجميعها هو الله تعالى وان الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته
وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه سبحانه الذى قال هولاء
فى الجنة ولا ابالى وهولاء فى النار ولا ابالى وهذه غاية العظمة والتعالى فبالتفكر
فى امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام الثالث حضور القلب وترك حديث
النفس قيل فى تفسير قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة اى بجد واجتهاد واخذه
بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره قيل لبعضهم اذا
قرات القران تحدث نفسك بشى فقال او شى احب الى من القران احدث
به نفسى وكان بعض السلف اذا قرا سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه
تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذى يتلوه يستبشر به ويستانس ولا
يغفل عنه وفى القران ما يستانس به القلب ان كان اهلا له والذى يتفرج فى المتنزهات
لا يتفكر فى غيرها فقد قيل ان القران ميادين وبساتين ومقاصير وعرايس
ودبابيج ورياضات وخانات فالميمات ميادين القران والراآت
بساتين القران والحاآت مقاصيره والمسبحات عرايس القران والحاميمات
دبابيج القران والمفصل رياضات والخانات ما سوى ذلك فاذا دخل القارى
فى الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرايس ولبس الدبابيج
وتنزه فى الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه الرابع
التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر فى غير القران ولكنه يقتصر على سماع
القران من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه
الترتيل قال على رض لا خير فى عبادة لا فقه فيها ولا فى قراءة لا تدبر فيها واذا
لم يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقى فى
تدبر آية وقد اشتغل الامام باية اخرى كان مسيئا وكذلك اذا كان فى تسبيح
الركوع والسجود وهو متفكر فى آية قراها فهذا وسواس الشيطان قد يشغل
بهم دينى يمنع به عن الافضل وعن ابى ذر رض قال قام فينا رسول الله صلعم ليلة

وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ٥

ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ٥

بآية يرددها وهي ان تعذبهم فانهم عبادك الآية وقام تميم الداري رض بهذه الآية
ليلة ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وروي انه عم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم
فردّدها عشرين مرة وانما رددها للتدبر في معانيها الخامس التفهم وهو ان
يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تع واحوال
انبيائه عم وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا واوامره وزواجره
وذكر الجنة والنار اما صفات الله تع ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وكقوله تع
الملك القدوس السلام الى غير ذلك فليتأمل معاني هذه الاسماء والصفات
لتنكشف له انوارها التي تحتها معاني مدفونة تنكشف للموفقين واليه اشار علي
رض ما اسرّ الي رسول الله صلعم شيا كتمه على الناس الا ان يؤتي الله تع عبدا فهما
في كتابه فليحرص على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود رض من اراد علم الاولين
والآخرين فليثوّر القرآن واعظم علوم القرآن تحت اسماء الله تع وصفاته
واما افعاله فكذكره تع خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها
صفات الله تع وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فينبغي ان يشهد في الفعل
الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء فهو منه واليه وبه وله
فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف
ان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل ان
اعتبر ذاته من حيث هو وهذا مبدأ من مبادي علم المكاشفة ولهذا ينبغي
للتالي اذا قرأ قوله تع افرأيتم ما تحرثون افرأيتم الماء الذي تشربون
الى غير ذلك ان لا يقصر نظره على الماء والحرث فليتأمل هذه العجائب ليرتقي
منها الى اعجب العجائب وهي الصفة التي منها ظهرت هذه الاعاجيب فلا يزال
ينظر الى الصنعة ويرى الصانع واما احوال الانبياء عم فاذا سمع كيف كذّبوا
وضربوا وقتل بعضهم فليفهم صفة الاستغناء عن الرسل وانه لو هلك جميعهم لم
يؤثر في ملكه فاذا سمع نصرتهم في آخر الامر فليفهم قدرة الله تع وارادته لنصرة

الحق

الحق واما احوال المكذبين فليكن فهمه منها استشعار الخوف من سطوته ونقمته
وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر ربما
يدركه النقمة وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسايرها في القرآن
فلا يمكن استقصاء جميع ما يفهم منه لان ذلك لا نهاية له قال الله تع قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله
مددا ولذلك قال علي رض لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة
الكتاب ومن لم له فهم ما في القرآن ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال
آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد
في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى
عن العبيد السادس التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الخلق منعوا عن فهم معاني
القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجايب اسرار
القرآن قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني
آدم لنظروا الى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت وحجب الفهم
اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها عن مخارجها
وهذا يتولى حفظه شيطان وكّل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله تع فلا يزال
يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف لهم المعاني
واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس وثانيها ان يكون مقلدا
لمذهب سمعه بالتقليد فثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول
اليه ببصيرة فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه ولهذا قالت الصوفية
العلم حجاب وارادوا بالعلم العقايد التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد
او بمجرد كلمات جدلية فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف بنور البصيرة فكيف
يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا

لكن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار وقد يكون حقا ويكون
ايضا مانعا عن الكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات
وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور
الباطن وثالثها ان يكون مصرا على ذنب او مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا
مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو
اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت
معاني الكلام اشد احتجابا فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدا ومعاني
القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات
مثل تصقيل الجلاء للمرآة قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدرهم والدينار
نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا
بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القرآن ورابعها ان يكون قد قرأ تفسيرا
ظاهرا فاعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس
ومجاهد وغيرهما رضي الله عنهم وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي ومن فسر القرآن
برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا ايضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير
بالرأي في الباب الرابع السابع التخصيص وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في
القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه المأمور والمنهي وان سمع وعدا او وعيدا
فكمثله وان سمع قصص الاولين والانبياء علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود
ليعتبر فما من قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي عم وامته ولذلك
قال تع لنثبت فؤادك ولذلك امر الله تع الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا
نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله
بل قرأه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ولذلك
قال بعض الحكماء هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات
ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات الثامن التأثر

وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم
حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته
كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا ترى
ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله واني
لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى واشباهها كثيرة ولمن تصفح القرآن
من اوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير ان يكون حاله الخشية والحزن قال
وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق للقلوب
ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة
ان يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل
من خيفته كانه يكاد يموت وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من
الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته
وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تع كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر
في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند
صفة النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا
عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فان لم يكن بهذه الصفات
ولم يتردد قلبه في هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح
اللعن على نفسه في قوله الا لعنة الله على الظالمين وفي قوله كبر مقتا عند الله ان
تقولوا ما لا تفعلون وغيرهما من الآيات ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا
باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تع ما لك ولكلامي وانت معرض
عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي فتلاوة القرآن حق تلاوته ان يشترك فيه
اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني
وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان واعظ والعقل مترجم
والقلب متعظ التاسع الترقي واعني ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تع

نفسه فدرجات القراءة ثلاثة ادناها ان يقدر العبد كانه يقرا على الله عز وجل واقفا
بين يديه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال الثانية
ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء
والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات
فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون
مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بشهادة المتكلم عن غيره
وهذه درجة المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين
قال بعض الحكماء كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من
رسول الله صلعم يتلوه على الصحابة ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كاني اسمعه
من جبرئيل عم يلقيه على رسول الله ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم
به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه قال ثابت البناني كابدت القرآن
عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ومشاهدة المتكلم دون ما سواه هو ان يكون
العبد ممتثلا لقوله تع ففروا الى الله ولقوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره
في كل شيء فقد راى غيره فالتوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله العاشر
التبري واعني به انه يتبرى من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية
فاذا تلا آية الوعد فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها
ويتشوق ان يلحقه الله بهم واذا تلا آية المقت وذم العصاة والمقصرين
يشهد نفسه هناك ويقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا فلذلك كان عمر رض يقول اللهم
اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله تع ان الانسان
لظلوم كفار فاذا راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان
من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءه
ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه الى درجة اخرى من البعد اسفل مما هو فيه
ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات

الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت قال سليمان بن ابي
سليمان الداراني وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده فابطا عليه حتى طلع الفجر
فلقيه اخوه من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال لولا ميعادك
ما اخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا
آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء في الوتر رفعت الى روضة خضراء
فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفة لا تكون
الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصيص هذه المكاشفات
بحسب احوال المكاشف فبحسب مشاهدة هذه الكلمات والصفات ينقلب القلب في اختلاف الحالات
وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل
ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام
منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل والله اعلم
بالصواب **الباب الرابع** في فهم القرآن وتفسيره بالراي من غير نقل ولعلك تقول
عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب الزكية
من معانيها فكيف يستحب ذلك وقال رسول الله صلعم من فسر القرآن برايه فليتبوا
مقعده من النار ومن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصرف المنسوبين
الى التصوف في تاويل كلمات القرآن بخلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين
وذهبوا الى كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره
وان لم يصح ذلك فما معنى قوله عم من فسر القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار
فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه
وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطي في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي
حده ومحطه بل الاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن متسعا لارباب الفهم
قال علي رض الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة
فما معنى ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا

وقال علي رض لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير
ظاهرها في غاية الاختصار وترديد رسول الله صلعم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة
لا يكون الا لتدبر باطن معانيه والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير
وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وافعاله
وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات
في التعمق في تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل
على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن رموز
اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركه فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره
فاما قوله عم من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه وقول ابي بكر رض اي ارض تقلني
واي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأيي الى غير ذلك مما ورد في الآثار والاخبار
من النهي عن تفسير القرآن بالرأي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل
والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به امر آخر وباطل قطعا ان
يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما يسمعه لوجوه احدها انه يشترط
ان يكون ذلك مسموعا عن رسول الله صلعم ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في
بعض القرآن فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم من انفسهم
فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي لانهم لم يسمعوه عن رسول الله صلعم وكذا
غيرهم من الصحابة الثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا
فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلعم محال ولو كان
الواحد مسموعا لترك الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له في
استنباطه حتى قالوا في الحروف التي هي اوائل السور اقاويل والجمع بين الكل غير ممكن
فكيف يكون الكل مسموعا الثالث انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رض اللهم
فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله
فما معنى تخصيصه بذلك الرابع انه قال تع لعلمه الذين يستنبطونه منهم اثبت لاهل العلم

الاستنباط

الاستنباط ومعلوم انه وراء السماع فدل ما ذكرناه انه جاز لكل واحد منهم ان
يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله واما النهي فانه ينزل على احد وجهين
احدهما ان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن
على وفق رأيه وهواه ليحتج به على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان
لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات
القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم انه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة
يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه
ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه اي رأيه هو الذي حمله على
ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض
صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى
الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عم تسحروا فان في السحور بركة ويزعم ان
المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي يدعو الى مجاهدة القلب
القاسي فيقول قال الله تع اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومي الى انه
المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا
للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد يستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة
لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على قدر رأيهم ومذهبهم
على امور يعلمون قطعا انه غير مراد به فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالرأي
فيكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح
الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع
والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة والمبدلة
وما فيها من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر
التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر
القرآن برأيه فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط

ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التي لا يفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز
الى جمل منها ليستدل بها على امثالها ومن ادعى فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر
كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك
من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد
منها للفهم وما لا بد فيها من السماع فنون كثيرة **فمنها** الايجاز بالحذف كقوله تع
وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها
فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء
ولا يدري انهم بماذا ظلموا او انهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله تع واشربوا في
قلوبهم العجل اي حب العجل فحذف الحب وقوله ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف
عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى
بذكر الحياة والموت وقوله ثقلت في السموات والارض اي خفيت على اهل
السموات والارض وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك
من حسنة فمن الله معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك وان لم يرد هذا كان مناقضا
لقوله قل كل من عند الله فيسبق الى الفهم منه مذهب القدرية **ومنها** المنقول المنقلب كقوله
وطور سينين اي طور سيناء **ومنها** المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله تع
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن **ومنها** المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط
كقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه لولا كلمة واجل مسمى
لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله يسئلونك كانك حفي عنها اي يسئلونك
عنها كانك حفي **ومنها** المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان في كلمة او حرف اما
الكلمة فكالشيء والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تع ضرب الله مثلا
عبدا مملوكا لا يقدر على شيء اراد به النفقة مما رزق وقوله احدهما ابكم لا يقدر
على شيء اي بالامر بالعدل والاستقامة وقوله قال قرينه هذا ما لدي عتيد اراد به

الملك الموكل به وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته اراد به الشيطان واما الامة
فتطلق على ثمانية اوجه فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقرآن
من اوله الى آخره غير خال من هذا الجنس لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف
كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتاخير ليكون ذلك
مفحما لهم ومعجزا في حقهم وكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن
ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برايه مثل
ان يفهم للامة المعنى الاشهر منه فيميل رايه وطبعه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال رايه
الى ما سمعه من مشهور معناه وترك النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن ان يكون منهيا
دون الفهم لاسرار المعاني كما سبق ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير
بمثال وهو ان الله تع قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره
واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في
الظاهر ما لم يفهم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه
ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة يصدق قوله وما رميت اذ رميت
وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها يحوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين
في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر
فيكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه فمن
هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير فهذا ما نريد
بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم **كتاب الاذكار** والدعوات وهو
التاسع من ربع العبادات اما بعد فليس بعد تلاوة كتاب الله تع عبادة يؤدى
باللسان افضل من ذكر الله ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله تع ولا بد من
شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة
الدعاء وشروطه وآدابه ونقل الماثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين
والدنيا والدعوات الخاصة بسؤال المغفرة والاستغفار والاستعاذة

او يغرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر خمسة ابواب **الباب الاول** في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا **الباب الثاني** في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم **الباب الثالث** في ادعية مأثورة منسوبة الى اصحابها واسبابها **الباب الرابع** في ادعية منتخبة محذوفة الاسانيد من الادعية المأثورة **الباب الخامس** في الادعية المأثورة عند حدوث الحوادث **الباب الاول** في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل من الآثار والاخبار ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله تعالى اذكروني اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني والآيات فيه كثيرة اما الاخبار فقوله عم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال عم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر من جملتهم رجلا ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا والاخبار كثيرة واما الآثار فقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عند ما حرم الله ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله تعالى وقال معاذ بن جبل رض لم يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها **فضيلة** مجالس الذكر قال صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال عليه السلام ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات وقال سفيان بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك **فضيلة** التهليل قال النبي عم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله

الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يأت احد بافضل مما جاء به الا واحد عمل اكثر منه ذلك وقال ايضا لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيمة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والارضون السبع وما فيهن كانت لا اله الا الله ارجح من ذلك وقال يا ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى فكيف للاحياء قال هي اهدم واهدم وقال صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور وكاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال صلى الله عليه وسلم لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له ذلك وفيها اخبار كثيرة **فضيلة التسبيح** والتحميد وبقية الاذكار قال صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلوة ثلثا وثلثين وحمد ثلثا وثلثين وكبر ثلثا وثلثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال عم من قال في اليوم مائة مرة سبحان الله وبحمده حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله عم فاين انت من صلوة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يا رسول الله فقال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى ان تصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة وخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيمة لك ثوابه وقال رفاعة كنا نصلي يوما وراء رسول الله عم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال

من الآيات

الحمد

رجل ورآه ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فلما انصرف رسول الله عم
من صلوته قال لقد رأيت بضعة وثلثين ملكاً يبتدرونها ايهم يكتبها اولا
وعن ابي ذر رض قال الفقرآء لرسول الله عم ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون
كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال اوليس قد
جعل الله لكم ما تصدقون ان لكم لكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة
وتكبيرة صدقة وامر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في اهله
فهي له صدقة فقالوا يا رسول الله يأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال
ارايتم لو وضعتموها في حرام كان عليك فيها وزر كذلك ان وضعها في الحلال
كان له فيها اجر وروت يسيرة عن النبي عم انه قال عليكن بالتسبيح والتهليل
والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة
يوم القيمة والاخبار في هذا كثيرة فان قلت فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان
وقلة التعب فيه صار انفع وافضل من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم
ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة
ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر والقلب لاه
فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما دل عليه ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر
والذهول عن الله مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله
على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل بها يشرف سائر العبادات
فهي غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب وآخره
يوجبه الانس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الانس فان المريد في بداية الامر
قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس الى ذكر الله فان وفق
للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من
المشاهد في العادات ان يذكر غائب غير مشاهد بين يدي شخص ويكرر ذكر خصاله
عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف

اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا حيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر ذكره
ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه وكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر
الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمرة مثمرا وهذا
معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر
التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الانس الا من المداومة على المكابدة والتكلف
مدة حتى يصير التكلف طبعا فهي النفس ما عودتها تتعود ثم اذا حصل الانس بذكر الله
انقطع عن غير الله تعالى فان ما سوى الله تع هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى
معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا غيرها ولا يبقى الا ذكر الله عز وجل
فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه فكأنه
خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن ولذلك قال رسول الله صلعم
ان روح القدس نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه اراد به كل
ما يتعلق بالدنيا فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فهذا
الانس يتلذذ به العبد بعد موته ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان بعثر
ما في القبور وحصل ما في الصدور وقال صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر
النيران او روضة من رياض الجنة ولاجل شرف ذكر الله عظمت رتبة الشهادة
لان المطلوب الخاتمة ومعنى الخاتمة وداع الدنيا والاقبال على الله تع والاستغراق
فيه وان قدر عبد ان يجعل همه مستغرقا بالله تع فلا يقدر ان يموت على تلك الحالة
الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته وما عداها من الدنيا فلا تجرد اعظم
من ذلك ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما
عادت شهوات الدنيا وغلبت ما استولى على قلبه من ذكر الله تع ولهذا اعظم
خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله تع فهو متقلب لا يخلو عن
الالتفات الى شهوات الدنيا عن فترة تعتريه فاذا اغتنم في قلبه امر الدنيا
واستولى عليه في آخر الحال وارتحل عن الدنيا والحالة هذه والعياذ بالله فيوشك

ان بقي استيلاؤه معه فيتمنى الرجوع اليه اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل حظ من الدنيا كما ورد به الخبر بل حب الله تع واعلاء كلمته فمثل هذا الشخص هو البايع للدنيا بالآخرة وعنها عبر بقوله تع ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الآية وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله فكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله ومن يقول ذلك بلسانه ولا يساعده حاله فامره في مشية الله تع ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل لا اله الا الله على ساير الاذكار مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر ذلك في بعض المواضع مقيدا بالصدق والاخلاص كقوله من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسئل الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله تع فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معاني الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة والله اعلم

الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الادعية المأثورة قال الله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي الآية وقال رسول الله صلعم الدعاء هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم وقال الدعاء مخ العبادة وقال صلى الله عليه وسلم ليس شيء اكرم عند الله تع من الدعاء وقال ابو ذر رض يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي مع الطعام من الملح

آداب الدعاء وهي عشرة **الاول** ان يترصد به الاوقات الشريفة كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم الجمعة ووقت السحر **الثاني** ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة رض ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وكذلك بين الاذان والاقامة وكذلك قال صلعم الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف

الاوقات

لعلهم يرشدون

الاوقات الى شرف الحالات وحالة السجود ايضا جدير بالاجابة **الثالث** ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه قال صلعم ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وقال ابو الدرداء رض ارفعوا هذه الايدي بالدعاء قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء ولا يشير باصبعيه وقيل كان صلعم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيآت اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال صلعم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او لتختطفن ابصارهم **الرابع** خفض الصوت بين المخافتة والجهر قال الله تع ادعوا ربكم تضرعا وخفية واثنى الله تع على زكريا عم بقوله اذ نادى ربه نداء خفيا **الخامس** ان لا يتكلف السجع في الدعاء فان الداعي ينبغي ان يكون متضرعا والتكلف لا يناسبه قال الله تع انه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدي في دعائه فيسال الله سبحانه ما لا تقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعاء ولذلك قيل في الاثر ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وفي الخبر سياتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيد احدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة واعلم ان المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا ففي الادعية المأثورة عن رسول الله صلعم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة فليقتصر على المأثور من الدعوات او ليلتمس بلسان التضرع من غير سجع فالتضرع هو المحبوب عند الله تعالى **السادس** الخشوع والرهبة قال الله تع انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال صلعم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه **السابع** ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلعم اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله تع لا يتعاظمه شيء وقال صلعم ادعوا الله

وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال
سفيان رض لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فان الله تع اجاب شر الخلق ابليس
اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
الثامن ان يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا فان النبي صلعم اذا دعا دعا ثلاثا واذا
سأل سأل ثلاثا وينبغي ان لا يستبطئ الاجابة قال صلعم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت
فلم يستجب لي واذا دعوت فاسأل الله تع كثيرا فانك تدعو كريما قال صلعم اذا سأل
احدكم ربه مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه
شيء من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال التاسع ان يفتتح الدعاء بذكر الله تع ولا يبدأ
بالسؤال كان صلعم يفتتح الدعاء بقوله سبحان ربي الاعلى العلي الوهاب وقال صلعم
اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلوة علي فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي
احديهما ويرد الاخرى وكذلك يختم الدعاء بالصلوة على رسول الله العاشر
وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال
على الله تع بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة قال سفيان رض بلغني ان بني
اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة والاطفال وكانوا يخرجون الى الجبال
ويتضرعون فاوحى الله تع الى انبيائهم عليهم السلام لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحفى
ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب لكم
داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم
وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجارة
وقال اصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله تع الى نبيهم عم ان
اخبرهم انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم
بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال
ابن المبارك رض قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون وخرجت
معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش فجلس الى جنبي فسمعته يقول الهي اخلقت

الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء
لتؤدب عبادك بذلك فاسألك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل
ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام
واقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل رض فقال لي
اراك كئيبا فقلت امر سبقنا غيرنا اليه فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح
الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رض استسقى بالعباس رضي الله عنه
فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولن
ينكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلعم فهذه ايدينا اليك
بالذنوب ونواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار
مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر
واخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارخت السماء مثل الجبال فضيلة
الصلوة على رسول الله صلعم قال عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها
الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وروى انه صلعم جاء ذات يوم والبشرى
ترى في وجهه فقال انه جاءني جبرئيل عم قال اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك
الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وقال صلعم
ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلاة وقال صلعم بحسب المؤمن من البخل ان اذكر عنده
ولا يصلي علي وقال صلعم من صلى علي في اليوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين
منها الآخرة وثلثين في الدنيا وقال صلعم اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وقال ايضا
من قال حين يسمع الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة
القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم
القيامة حلت له شفاعتي وقال صلعم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر
له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقيل يا رسول كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل

على محمد وآله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وروى ان عمر رض
سمع بعد موت رسول الله صلعم يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع
تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت
يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب فقال تع عفى الله عنك
لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك في آخر
الانبياء وذكرك اولهم فقال تع واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودوا
ان يكونوا قد اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون ويقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسول بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه
الله حجرا تتفجر منه الانهار فما ذاك باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك
بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان سليمان اعطاه الله تع الريح غدوها شهر
ورواحها شهر فما ذاك باعجب من البراق حين سرت الى السماء السابعة ثم صليت
الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله لئن كان عيسى بن
مريم اعطاه الله تع احياء الموتى فما ذاك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي
مشوية فقالت لا تاكلني فاني مسمومة بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح
عم على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فلو دعوت علينا
بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان
تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول
الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره
ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس
الا كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا
كفوا لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف

وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا

وركبت

وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت طعامك بالارض ولعقت اصابعك
تواضعا منك صلى الله عليك قال بعضهم كنت اكتب الحديث واصلي على النبي صلعم
ولا اسلم فرأيت النبي صلعم في المنام فقال اما تتم الصلوة علي في كتابك
فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت وروى عن ابي الحسين الشافعي رض
قال رأيت النبي صلعم في المنام فقلت يا رسول الله بما جزى الشافعي عنك
حيث يقول في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل
عن ذكره الغافلون فقال جزي عني انه لا يوقف للحساب. فضيلة الاستغفار
قال الله تع والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم وقال عبد الله بن مسعود رض في كتاب الله عز وجل آيتان ما اذنب
عبد ذنبا فقرأهما فاستغفر الله الا غفر الله له والذين اذا فعلوا فاحشة الآية
وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال
رسول الله صلعم من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق
مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلعم لاني لاستغفر الله واتوب اليه
في اليوم سبعين مرة وقال صلعم من قال حين يأوي الى فراشه استغفر الله
الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه
وان كانت مثل زبد البحر او عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد
ايام الدنيا وكان صلعم يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي و
اسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطائي
وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت وما انت اعلم به انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل
شيء قدير وقال علي رض كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلعم حديثا نفعني الله
به ما شاء الله ان ينفعني منه واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف
صدقته وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلعم يقول ما من

عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر له ثم تلا
قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقال صلعم ما اصر من استغفر وان عاد
في اليوم سبعين مرة وقال صلعم يقول الله تعالى يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته
فاستغفروني اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي
وقال صلعم من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كدبيب النمل ويروى ان افضل الاستغفار
اللهم انت ربي وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر
ما صنعت ابوء اليك بنعمتك وابوء على بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي
فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت
وقال صلعم من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر

الآثار

قال خالد بن معدان رض قال الله تعالى ان احب عبادي الي المتحابون بحبي والمعلقة
قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض
بعقوبة ذكرتهم وتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة رض القرآن يدلكم
على دائكم ودوائكم اما داؤكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار وقال علي رض
العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار وقال الربيع رض لا يقولن
احدكم استغفر الله واتوب اليه ليكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي
وتب علي وقال الفضيل رض استغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة
استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم
كان مستهزئا على الله تعالى وهو لا يعلم وقال ابو عبد الله الوراق رض لو كان عليك مثل
عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله
اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك ما وعدتك به
من نفسي ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك مخلصا فخالطه غيرك
واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم

الغيب

الغيب والشهادة من كل ذنب اذنبته في ضياء النهار وسواد الليل في ملاء وخلاء
وسر وعلانية يا حليم وقيل انه استغفار الخضر عم وسمع اعرابي وهو متعلق
باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للؤم وان تركي الاستغفار
مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني وابتغض اليك بالمعاصي
مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفى ادخل عظيم جرمي في عظيم
عفوك يا ارحم الراحمين

الباب الثالث

في ادعية مأثورة ومعزية الى اسبابها
وار بابها مما يستحب ان يدعو بها المريد صباحا ومساء وبعقب كل صلاة فمنها
دعاء الرسول صلعم بعد ركعتي الفجر وهو اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي
بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ
بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلقني بها
رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده
كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني اسألك الفوز عند
القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء
اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك
فاسألك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب
السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه
عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه
احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسألك يا رب اللهم اجعلنا هادين مهديين
غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي
بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد
وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ذي الحبل
الشديد والامر الرشيد اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين
الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما

تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي
لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان
الذي احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي و
نورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي
ونورا في عظامي ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن
شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي
نورا **دعاء عايشة رض** قال رسول الله صلعم لعايشة عليك بالجوامع الكوامل قولي
اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك
من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها
من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسالك من الخير
ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك منه عبدك
ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا
يا ارحم الراحمين **دعاء فاطمة رض** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة ما يمنعك
ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي
طرفة عين واصلح لي شاني كله **دعاء بريدة الاسلمي رض** قال له رسول الله صلعم يا بريدة
الا اعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسه اياهن ابدا قال قلت
بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل فاعزني واني فقير
فاغنني اللهم اني ضعيف فقوني برضاك وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى
رضائي **دعاء قبيصة رض** اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني
الله عز وجل بها فقد كبرت سني فقال عم اما الدنيا فاذا صليت الغداة فقل ثلاث
مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم فانك اذا قلتهن امنت من الغم والجذام والبرص والفالج واما لآخرتك
اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي

من

من بركاتك ثم قال عم اما انه اذا وافى بهن عبد يوم القيمة لم يدعهن فتح له اربعة
ابواب الجنة يدخل من ايها شاء **دعاء ابي الدرداء رض** قيل له قد احترقت دارك
ثلاثا فقال ما كان الله ليفعل ذلك ثم اتاه آت فقال ان النار لما دنت من
دارك قد طفئت فقال قد علمت فسئل عن ذلك قال سمعت رسول الله صلعم قال
من يقول هولاء الكلمات في ليل او نهار لم يضره شيء وقد قلتهن اللهم انت
ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة
انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم **دعاء ابرهيم الخليل عم** كان
يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك
ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت
فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال من دعا بهذا الدعاء
اذا اصبح فقد ادى شكر يومه **دعاء عيسى عم** كان يقول اللهم اني اصبحت لا استطيع
دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي
فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي
في ديني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني **دعاء الخضر عم**
يقال ان الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا في كل موسم لم يفترقا الا عن
هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله
ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله فمن قالها ثلاثا
اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق **دعاء آدم عم** قالت عايشة رض
لما اراد الله ان يتوب على آدم عم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي
وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا
حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته علي فارضني بما قسمته لي فاوحى الله اليه ان

قد غفرت لك ولن يأتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل هذا الذي دعوتني به
الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت
له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها دعاء ابي
المعتمر وتسبيحاته رأى بعض الشهداء في المنام فقال رأيت تسبيحات ابي المعتمر
من الله تع بمكان وهي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق
وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء السموات
وملء ارضيه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى
رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره
به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي كل سنة وشهر وجمعة وليل
ونهار وساعة من الساعات ونسيم ونفس من الانفاس من الابد الى الابد
ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اولاه ولا ينفد اخراه الباب
الرابع في ادعية ماثورة عن رسول الله صلعم واصحابه محذوفة الاسانيد منتخبة
من جملة ما جمعه ابو طالب المكي رضه وابن خزيمة وابن المنذر رضي الله عنهم يستحب
للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعاء كما سيأتي في كتاب الاوراد فان
كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين لرسول الله صلعم فيما دعا به فقل في مفتتح
دعواتك اعقاب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رضيت بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ثلاث مرات اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت
اعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه اللهم اني اسألك العفو والعافية
في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واقل
عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي

ومن تحتي

ومن تحتي واعوذ بك ان اغتال من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك
ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم انت
ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي
فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثلاث مرات وقل اللهم عافني في بدني
وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلاث مرات وقل اللهم
اني اسألك الرضاء بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى
وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان
اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم
اني اسألك (الثبات صح) في الامر والعزيمة على الرشد واسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك
واسألك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسألك
من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم
وانت علام الغيوب اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما
اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل غيب شهيد اللهم
اني اسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع ومرافقة نبيك
في اعلى جنة الخلد اللهم اني اسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات
وحب المساكين اسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقرب الى
حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني
اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحيوة
خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسألك خشيتك في الغيب والشهادة
وكلمة العدل في الرضاء والغضب والقصد في الغنا والفقر ولذة النظر الى
وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا
بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به

بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به الجنة ومن اليقين ما تهون به علينا
مصايب الدنيا اللهم املا وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرحا واسكن في
نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا بخدمتك واجعلك احب الينا ممن سواك
واجعلنا اخشى لك ممن سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا واوسطه
فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة وآخره مكرمة الحمد لله
الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم
كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته و
تصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذرياته وبارك
على محمد وآله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد
اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الامي الرسول الامين واعطه المقام
المحمود يوم الدين اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك
الصالحين استعملنا بمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك فينا واصرفنا بحسن اختيارك لنا
نسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي تب علي انك انت
التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك انت الغفار وبعلمك بي ارفق
بي انك انت الرحمن وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك انت الملك الجبار
سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك
انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي
اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه اللهم قنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا
تقبله مني اسالك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة
اللهم يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا
ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين
انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا

تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من
لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم
فآمنا الى قوله انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا
الى آخر السورة ربنا اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر
للمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز
عما تعلم انك انت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله
وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل
انواع الاستعاذة المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني
اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان ارد الى ارذل العمر
واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك
من طمع يهدي الى طبع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم اني اعوذ بك
من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع
ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن ومن الهرم ومن ارذل
العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا
نسالك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسالك عزايم مغفرتك
وموجبات رحمتك والسلامة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والفوز
بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغم
والغرق والهرم واعوذ بك من ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك من
ان اموت طالب الدنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم اعلم
اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء اللهم اني اعوذ
بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم اني

اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة
الدجال اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري ومن شر لساني وقلبي وشر منيتي
اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادي يتحول اللهم اني
اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر و
الكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والريا واعوذ بك من الصمم والبكم
والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك ومن
تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار
وفتنة الدجال وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر
فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والمأثم اللهم اني
اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلوة لا تنفع ودعوة لا يستجاب واعوذ
بك من شر الغم وضيق الصدر اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو
وشماتة الاعداء **الباب الخامس** في الادعية المأثورة عند كل حادث من
الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان فاجب للمؤذن كما ذكرناه وكذا
تذكر الدعوات في دخول الخلاء والوضوء وهي مشهورة فاذا خرجت الى
المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا وفي
بصري نورا وخلفي نورا وامامي نورا ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا واذا
خرجت من المنزل لحاجة فقل بسم الله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او اذل او اذل
او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا
بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على
محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك
اليمنى في الدخول واذا رايت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك
واذا رايت من ينشد الضالة في المسجد فقل لا رد الله عليك امر به رسول الله صلعم
واذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي

الآخر

الى آخر الدعاء واذكر في الصلوة واركانها جميع التسبيحات المشهورة فاذا فرغت
من الصلوة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام
وتدعو بالادعية التي تقدم ذكرها فاذا قمت من المجلس واردت دعاء
يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك
واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير
بسم الله اللهم اني اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك
من شرها ومن شر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة
فاسدة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني
بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب
فلك الحمد اسألك من خيره ومن خير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع
له واذا رايت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا انت
ولا يذهب بالسيئات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله واذا رايت الهلال
فقل اللهم اهله بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله و
تقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم اني اسألك خير هذا الشهر وخير
القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر وتكبر قبله ثلثا واذا هبت الريح فقل اللهم
اني اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بك من شرها
وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا بلغك وفات احد فقل انا لله وانا
اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في
عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده
ويقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ويقول عند الخسران
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون ويقول عند ابتداء الامر ربنا

آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري و
يقول عند النظر الى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك
الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا واذا سمعت صوت الرعد
فقل سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته واذا رايت الصواعق فقل
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد
بحمده الآية واذا امطرت المطر فقل اللهم اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني
من الشيطان واذا خفت قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم
واذا غزوت فقل اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل واذا طنت اذنك
فصل على محمد صلعم وقل ذكر الله تعالى من ذكرني واذا رايت استجابة دعائك فقل
الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا ابطأت فقل الحمد لله على كل حال
واذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم عند استقبال ليلك وادبار نهارك واصوات
دعاتك وحضور صلواتك اسالك ان تغفر لي واذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك
وابن عبدك وابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك اسالك بكل اسم
سميت به نفسك وانزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم
الغيب عندك ان تجعل القران ربيع قلبي ونور صدري وجلاء احزاني وغمي
وذهاب همي وحزني قال صلعم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله
همه وابدل مكانه فرحا فقيل يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بل ينبغي لمن سمعها ان
يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك او جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلعم
فانه كان اذا اشتكى احد قرحا او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال
بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا ليشفى به سقيمنا باذن ربنا واذا وجدت وجعا
في جسدك فضع يدك على الذي تالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات اعوذ
بالله وقدرته من شر ما اجد واحاذر واذا اصابه كرب فليقل لا اله الا الله العلي
الحكيم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض

ورب العرش الكريم فاذا اردت النوم فتوضأ اولا ثم توسد على يمينك
مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلثين وسبحه ثلاثا وثلثين واحمده ثلاثا
وثلاثين ثم قل اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
واعوذ بك منك اللهم لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما
اثنيت على نفسك اللهم باسمك احيى واموت اللهم رب السموات والارض ورب
كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التورية والانجيل والفرقان اعوذ بك
من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها انت الاول فليس قبلك
شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت
الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انك
خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان امتها فاغفر
لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسالك العافية باسمك ربي وضعت
جنبي وباسمك ارفعه فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم
اسلمت نفسي اليك وفوضت امري اليك والجأت ظهري اليك رغبة
ورهبة اليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت
وبنبيك الذي ارسلت ويكون هذا آخر دعائك فقد امر رسول الله صلعم بذلك
ولتقل قبل ذلك اللهم ايقظني في احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال
اليك تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا اسالك فتعطيني واستغفرك
فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل
الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة
لله والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة
الاخلاص ودين نبينا محمد صلعم وملة ابينا ابرهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين
اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيى وبك نموت واليك النشور اللهم انا نسالك
ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره

الى مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه
ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا
اسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء الله
لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله
لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلعم نبيا ربنا
عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا امسى قال ذلك الا انه يقول
امسينا ويقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما ذرأ و
برأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط
مستقيم واذا نظرت في المرآة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم
صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين واذا اشتريت خادما او غلاما
او دابة فخذ بناصيته وقل اللهم اني اسألك خيره وخير ما جبل عليه واذا هنيت
بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير واذا قضيت الدين
فقل للمقضي له بارك الله تع فيك لك في اهلك ومالك اذ قال عم انما جزاء السلف
الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية
السفر والصلوة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلوة والطهارة **فان قلت**
فما فايدة الدعاء والقضاء لا مرد له **فاعلم** ان من القضاء رد البلاء بالدعاء
فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم و
الماء سبب لخروج النبات وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تع ان لا
يحمل السلاح وان لا يسقى الارض ولا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت
بصيرته ثم في الدعاء من الفايدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي حضور القلب مع
الله تع فهو منتهى العبادات قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والغالب
على الخلق ان قلوبهم لا تنصرف الى ذكر الله تع الا عند المام حاجة او ارهاق
ملمة والانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء

والدعاء

والدعاء يرد القلب الى الله تع بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو اشرف
العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء عليهم السلام ثم الامثل فالامثل
لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله تع ويمنع نسيانه فان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى فهذا ما ذكرناه من الاذكار والدعوات والله تع الموفق
للخيرات

كتاب ترتيب الاوراد

وهو الكتاب العاشر من ربع العبادات
اما بعد فان الله جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها
منزلا فيتزودوا منها تحرزا من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان
العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم
المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر مسافة السفر فسنوه
مراحله وشهوره فراسخه واياه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته
واوقاته رؤس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز
بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من
الله تع مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم نعوذ بالله
من ذلك فالغافل عن نفس من انفاسه حتى تنقضي في غير طاعة تقربه الى
الله تع زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا
الخطر العظيم شمر الموفقون عن ساق الجد ودعوا بالكلية ملاذ النفس و
اغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظايف الاوراد حرصا
على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار فصار من مهمات
علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات
التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين **الباب
الاول** في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها في الليل والنهار **الباب الثاني**
في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به **الباب الاول** في فضيلة الاوراد
وترتيبها واحكامها فضيلة الاوراد وبيان المواظبة عليها وهي الطريق

الى الله تع علم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله تعالى وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله تع وعارفا بالله تع وان المحبة والانس لا تحصل الا بدوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله تع وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظايف الاذكار والافكار والنفس بجبلتها لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال وان الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن لتتوفر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم مواظبتها والنفس بطبعها مايلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطرا من اوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الاخر الى العبادات ترجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها للطبع اذ الظاهر والباطن يتساعد على امور الدنيا فاما الرد الى العبادات فتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وظهوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته ومن اراد ان ترجح كفة حسناته فليستوعب الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره خطر ولكن الرجاء غير منقطع فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله تع لرسول الله صلعم واقتبسه بنور الايمان فقد قال الله تع لاقرب عباده اليه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تع واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تع وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ثم انظر بماذا وصف الفائزين من عباده وقال تع امن هو قانت اناء الليل الاية وقال تع تتجافى جنوبهم

عن المضاجع الاية وقال عز وجل الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال كانوا قليلا من الليل ما يهجعون الى غير ذلك فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله تع مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد ولذلك قال رسول الله صلعم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تع قال الله تع والشمس والقمر بحسبان ولا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحساب مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل ليعرف مقادير الاوقات ويشتغل فيها بالطاعات والتجارة لدار الاخرة يدلك قوله تع وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف احدهما الاخر ليتدارك في احدهما ما فات في الاخر وقال تع وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربك وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة **بيان اعداد الاوراد** وترتيبها اعلم ان اوراد النهار سبعة فيما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين وقت العصر الى غروب الشمس وردان والليل ينقسم باربعة اوراد وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الفجر فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به **الورد الاول** من طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه اقسام الله تع به اذ قال الله تع والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال تع فالق الاصباح واظهاره القدرة بقبض الظل فيه اذ قال تع ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وقال تع قل اعوذ برب الفلق وارشاده للناس الى التسبيح فيه بقوله تع فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس الى غير ذلك من الايات **واما ترتيبه** فليأخذ من وقت انتباهه

من النوم فاذا انتبه ينبغي ان يبدا بذكر الله تع فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
واليه النشور الى آخر الادعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ في كتاب
الدعوات ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لامر الله تع
واستعانة على عبادته من غير قصد رياء ورعونة ثم يتوجه الى بيت الخلاء ان كان
به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها في الطهارة
عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن
والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا آحاد العبادات لكن نذكر
في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي
الصبح في منزله كذلك يفعل رسول الله صلعم ثم يقرأ الدعاء الذي ذكرناه في كتاب
الدعوات بعد ركعتي الصبح في بيته وهو اللهم اني اسالك رحمة تهدي بها قلبي الى
آخره ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد و لا
يسعى بل يمشي بسكينة ووقار ولا يشبك بين اصابعه ثم يدخل المسجد ويقدم
رجله اليمنى في الدخول ويدعو بالدعاء الماثور لدخول المسجد ثم يطلب الصف الاول
ان وجد متسعا ولا يتخطى الرقاب ولا يزاحم كما سبق في كتاب الجمعة فان لم يكن
صلى ركعتي الفجر في منزله صلاهما واشتغل بالدعاء الذي ذكرناه بعدهما وان
كان قد صلاهما صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للصلوة والاحب التغليس بالجماعة
فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلوة عامة وفي
الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل قال صلى الله عليه وسلم في صلوة الصبح من
توضأ ثم توجه الى المسجد ليصلي فيه الصلوة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة
بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة
وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل الف الف حسنة ومن صلى العتمة فله
مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف رض دخول المسجد قبل
طلوع الفجر قال ابو هريرة رض في ذلك كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد

سنّ

[14] الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة
لله والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص
ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين
اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيى وبك نموت واليك النشور اللهم انا نسالك
ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى
مسلم فانك قلت وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه
ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا
اسالك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما شاء
الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله
ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ه ه
12 الدعاء عند الدخول في بيت الخلاء بسم الله اعوذ بالله من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ه
16 الدعاء بعد الخروج من بيت الخلاء الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني ه
اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي و
ترد بها الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي
وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا
صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة
اللهم اني اسالك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء
والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزل بك حاجتي وان ضعف
رايي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك يا قاضي الامور ويا شافي
الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور

ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي او امنيتي
من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب
اليك فيه واسألك يا رب اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين
حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك
من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله
وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد اسألك
الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين
بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز و
قال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا
له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي
احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي و
نورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي و
نورا في عظامي ونورا بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن
شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا
واجعل لي نورا ه

الدعاء للخروج الى المسجد

٣ اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا وفي بصري
نورا وخلفي نورا وامامي نورا ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا ه

الدعاء لدخول المسجد

١٨ اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك

هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله عم ثم يشتغل بالاستغفار
والتسبيح الى ان تقام الصلوة فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي
الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الظاهرة والباطنة في الصلوة والقدوة
ويقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما سنرتبه قال صلعم لان اقعد في مجلس
اذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع
رقاب [illegible] يصلي ركعتين بعد طلوع الشمس وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى
روى الحسن رض ان رسول الله صلعم كان فيما يذكر من رحمة ربه تعالى يقول انه قال
يا ابن آدم اذكرني بعد صلوة الفجر ساعة وبعد صلوة العصر ساعة اكفك ما بينهما
فاذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته
الى الطلوع اربعة انواع ادعية واذكار يكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر
اما الادعية فكما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام
وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان
يفتتح به رسول الله صلعم وهو سبحان ربي الاعلى العلي الوهاب لا اله الا الله و
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل
شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله
ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبتدي بالادعية
التي اوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الادعية فيدعو بجميعها
ان قدر عليه او يحفظ من جملتها ما يراها اوفق بحاله وارق لقلبه واخف
على لسانه واما الاذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لا نطول
بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلاث مرات او سبع مرات واكثرها
مائة او سبعون واوسطها عشر مرات فليكرر بقدر فراغه وسعة وقته و
فضل

الاكثر اكثر والاوسط الاقصد ان يكررها عشر مرات فهو اجدر بان يدوم
عليه وخير الامور اد ومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها
فقليلها مع المداومة افضل واشد تأثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل
الدائم قطرات ماء يتقاطر على الارض على التوالي فتحدث منه حفرة ولو
وقع على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة
متباعدة الاوقات فلا يبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشر الاولى
قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي
لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله الثالثة قوله سبوح قدوس رب
الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله
الذي لا اله الا هو الحي القيوم واسأله التوبة السادسة قوله اللهم لا مانع لما
اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا اله الا الله
الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض و
لا في السماء وهو السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد العاشرة
قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون فهذه الكلمات العشر اذا كرر كل واحدة عشر
مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان
لكل واحدة من هذه الكلمات فضل على حياله وللقلب لكل واحدة تنبيه وتلذذ
وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة فاما القراءة فيستحب له جملة
من الآيات ورد اخبار في فضلها وهو ان يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة
البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين و
قوله تع لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة وقوله تع لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقوله تع وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية

وفى

٢ آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه و
رسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك
المصير • لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم
٣ الكافرين ۝ ۝ شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله
٤ الا هو العزيز الحكيم ۝ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير • تولج الليل في النهار
وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء
٥ بغير حساب ۝ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم • فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
٦ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين
رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا • هو الذي ارسل
رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في
وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ
فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
٧ مغفرة واجرا عظيما ۝ ۝ ۝ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ۝

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤ سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَ
الْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْعَرْشِ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا
وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَ
١٧ إِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ه ه ١٧ هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ۝ هُوَ اللّٰهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝
هُوَ اللّٰهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَ
الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ه

وخمس آيات ١٤ من اول الحديد وثلثا ١٧ من آخر سورة الحشر وآن قراء المسبعات
العشر التي اهداها الخضر عم الى ابرهيم التيمي رض ووصاه ان يقولها غدوة وعشية
فقد استكمل الفضل **فضيلة** جملة الادعية المذكورة روى عن كرز بن وبره
وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من الشام فاهدى الي هدية وقال
يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه
الهدية فقال اعطانيها ابرهيم التيمي قلت اولم تسأل ابرهيم من اعطاه قال بلى
قال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتمجيد فجاءني رجل
فسلم علي وجلس عن يميني فلم ار في زمني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا
ولا اشد بياضا واطيب ريحا فقلت يا عبد الله من انت ومن اين جئت
فقال انا الخضر فقلت في اي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في
الله وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ما هي قال هي ان تقرأ
قبل طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الحمد لله وقل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وقل هو الله احد وقل يا ايها
الكافرون وآية الكرسي كل واحد سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد
لله سبعا وتصلي على النبي صلعم وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات سبعا
وتستغفر لنفسك سبعا ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا
وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولاي
ما نحن له اهل انك غفور رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع غدوة وعشية
فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية فقال اعطانيها محمد صلعم
فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلعم فاسأله عن ثوابه
فذكر ابرهيم التيمي انه رأى في منامه كان الملائكة عليهم السلام جاءته فاحتملته
حتى ادخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف امورا عظيمة قال فسألت الملائكة
فقلت لمن هذا كله قالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمارها

والابدال قوم من الصالحين
لا تخلو الدنيا منهم اذا مات
واحد بدل الله مكانه آخر
صحاح

فناء الدار ما امتد من جوانبها والجمع افنية صحاح

اللهم اغفر لي ولوالدي و لجميع المؤمنين والمؤمنات

وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلعم ومعه سبعون نبياً وسبعون صفاً
من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علي واخذ بيدي
فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق
الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال
وهو من جنود الله تع في الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله ولم
ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيا مما اعطيته فقال والذي بعثني
بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكباير
التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه
سيئة الى سنة والذي بعثني بالحق نبياً ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيداً ولا
يتركه الا من خلقه الله شقياً فكان ابرهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم
يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان اضاف اليه
شيا مما انتهى اليه ورده من القرآن واقتصر عليه فحسن فان القرآن جامع لفضل
الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وادبه في كتاب التلاوة
واما الافكار فليكن ذلك احد وظايفه وسياتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته
في كتاب التفكر من ربع كتاب المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين احدهما
ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب
وظايف يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة
له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه
النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملة المسلمين والفن الثاني
ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله تع وتواتر الائه الظاهرة
والباطنة ليزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته ليزيد معرفته
بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور
شعب كثيرة يتسع الفكر فيها على بعض الخلق دون بعض وانما يستقصي ذلك

في كتاب الفكر فالفكر اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله سبحانه وتعالى
وزيادة امرين احدهما زيادة المعرفة والثاني زيادة المحبة ولا تحب القلب
الا من اعتقد تعظيمه ولا ينكشف عظمة الله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته
فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا
يورث الانس وهو نوع من المحبة والمواظبون على ذكر الله تع بالقلب واللسان
الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان التقليدي ليس معهم من محاسن
صفات الله الا امور اجملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون
هم الذين شاهدوا ذلك الجمال والجلال بعين البصيرة الباطنة التي هي
اقوى من البصر الظاهر الا ان احداً ما احاط بكنه جلاله وجماله فان ذلك
غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب
ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها الذي استحق ان
يسمى نورا وكاد ان يظن الواصل اليه انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون
حجابا قال صلى الله عليه وسلم ان لله تع سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل من ادرك بصره منها وتلك الحجب ايضا مرتبة وتلك الانوار
متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الاول اصغرها
ثم ما يليه وعليه اوّل بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابرهيم عم في
ترقيه وقال لما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر رأى كوكبا اي وصل الى
حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة
فان آحاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية لا يليق بالاجسام بل يدركون
ذلك باوايل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل والحجب المسماة انوارا
ما اريد به الضوء المحسوس بالبصر بل اريد به ما اريد بقوله تع الله نور السموات
والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الاية فلنتجاوز هذه المعاني فانها
خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقايقها الا الكشف التابع للفكر

الصافى وقلّ من يفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيدهم فى علوم
المعاملة وذلك ايضا مما تعزّ فايدته ويعظم نفعه فهذه الوظايف الاربع اعنى
الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغى ان يكون وظيفة المريد بعد صلوة الفجر
بل فى كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلوة فليس بعد الصلوة وظيفة سوى
هذه الاربع ويقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه ومجنّته والصوم هو الجنة التى تضيق
مجارى الشيطان المعادى الصارف عن سبل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة
سوى ركعتى الفجر وفرض الصبح الى الطلوع كان رسول الله صلعم واصحابه يشتغلون
فى هذا الوقت بالاذكار وهو الاولى الا ان يغلبه النوم قبل الفرض ولم
يندفع الا بالصلوة فلو صلى كذلك فلا بأس به الورد الثانى ما بين طلوع الشمس الى
ضحوة النهار واعنى بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال وهو الربع وفى
هذا الربع من النهار وظيفتان زايدتان احديهما صلوة الضحى وقد ذكرناها فى
كتاب الاولى ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا ارتفعت الشمس قيد نصف
رمح ويصلى اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام بحر الشمس
فوقت الركعتين هو الذى اراد الله تع بقوله يسبحن بالعشى والاشراق فانه وقت
اشراق الشمس ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى اقسم الله به فقال والضحى
والليل اذا سجى واذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلوة فهذا الوقت افضل
لصلوة الضحى الوظيفة الثانية فى هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التى جرت بها العادة
بكرة من عيادة المريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم
وما يجرى مجراه من قضاء حاجة مسلم وغيرها فان لم يكن شى من ذلك عاد الى
الوظايف الاربع التى قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات
المتطوع بها الورد الثالث من ضحوة النهار الى الزوال ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع
كمنزلة العصر بين الزوال والمغرب الا ان الضحى لم يفترض لانه وقت انكباب الناس
على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة فى هذا الوقت الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش

وحضور

وحضور السوق فان كان تاجرا ينبغى ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب
صناعة فينصح ويشفق ولا ينسى ذكر الله فى جميع اشغاله ويقتصر على الكسب بقدر
حاجته ليومه واذا حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود للآخرة
او يشتغل بالقيلولة وهى سنة يستعين بها على قيام الليل وان كان لا يقوم
بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم
احب له وكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائى بعبادته فكيف
بالغافل الفاسق فالنوم على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغى
ان يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل
دخول وقت الصلوة فان ذلك من فضايل الاعمال فان لم ينم ولم يشتغل
بالكسب واشتغل بالصلوة والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس
عن الله سبحانه وتع والقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير
بان يزكيه الله ويصطفيه وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت
الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى الورد الرابع ما بين الزوال
الى الفراغ من صلوة الظهر وراتبته وهذا اقصر اوراد النهار وافضلها
اذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن
الاذان فهو وقت الاظهار الذى اراده الله تع بقوله وحين تظهرون وليصلى
فى هذا الوقت اربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة هذه الصلوة وحدها
من بين ساير صلوات النهار هكذا قاله بعض العلماء ومذهب الشافعى رضه انه يصلى
مثنى مثنى كساير النوافل وليطول هذه الركعات اذ فيها تفتح ابواب السماء
وليقرأ فيها سورة البقرة او سورتين من المائتين او اربعا من المثانى فهذه ساعة
يستجاب فيها الدعاء ثم يصلى الظهر بجماعة بعد اربع ركعات طويلة او قصيرة ثم
ليصل بعد الظهر ركعتين ثم اربعا ويستحب فى هذه النافلة آية الكرسى وآخر البقرة
والآيات الاخر ليكون جامعا بين الذكر والدعاء والقراءة وغيرها الورد الخامس

مابعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشغولا بالذكر والصلوة ويكون
في انتظار الصلوة هكذا كانت سنة السلف رض وان كان بيته اجمع لهمه فالبيت
افضل في حقه واحياء هذا الورد وهو وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث
في الفضل وفي هذا الورد يكره النوم لمن نام قبل الزوال والحد في النوم ان الليل
والنهار اربع وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار
جميعا ان استوفى هذا القدر من الليل فلا معنى للنوم بالنهار فالاعتدال هذا
والنقصان ربما يفضي الى اضطراب البدن الا ان تتعود السهر تدريجا وهذا
الورد هو احد الاصال المذكورة في قوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال **الورد السادس**
اذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به في قوله تعالى والعصر
وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي احد التفسيرين هو المراد بالاصال وليس في
هذا الورد صلوة غير اربع ركعات بين الاذان والاقامة ثم يصلي الفرض ويشتغل
بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى ان تصفر الشمس والافضل فيه قراءة
القرآن بتدبر وتفهم **الورد السابع** اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض
دخل هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب
وهو المراد بقوله تعالى وحين تمسون فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار فاذا
سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك كما سبق ثم يجيب المؤذن
ويشتغل بصلوة الفريضة وبالغروب قد انتهى اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ
العبد احواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فهل يساوي يومه امسه فيكون
مغبونا او كان شرا منه فيكون ملعونا فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره
مترفها عن التجشم كانت يساره فليشكر الله تعالى على توفيقه وان يكن الاخرى فالليل
خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريط فان الحسنات يذهبن السيئات
وليحضر في قلبه ان نهار العمر آخر وانه عند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار
فليس العمر الا اياما معدودة وينقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها **بيان اوراد**

الليل وهي خمس **الاول** اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشائين
وآخر هذا الورد غيبوبة الشفق وهي صلوة الاوابين وترتيب هذا الورد
ان يصلي بعد المغرب ركعتين يقرأ فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام وشغل ثم يصلي اربعا يطيلها ثم يصلي
ما تيسر له الى غيبوبة الشفق **الورد الثاني** يدخل بدخول وقت العشاء الى حد نوم
الناس وهو الى استحكام الظلام وهو المراد بقوله وما وسق وترتيب هذا الورد
بمراعاة ثلاثة امور **الاول** ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربع قبل
الفرض احياء لما بين الاذانين وست بعد الفرض ركعتان ثم اربع يقرأ فيهما
من الآيات المخصوصة كآية الكرسي وآمن الرسول واول الحديد وغيرها **الثاني**
ان يصلي ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر والاكياس يأخذون اوقاتهم من اول
الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم ثم يقرأ في هذه الصلوة قدر ثلثمائة
آية من السور المخصوصة التي كان صلعم يكثر قراءتها مثل سورة لقمان ويس وسورة
الدخان وتبارك الملك والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او
بعضها قبل النوم **الثالث** الوتر ان لم يكن له عادة القيام ولمن يتردد في الاستيقاظ
بلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه
عند النوم كان صلى الله عليه وسلم يصليهما ويقرأ فيهما اذا زلزلت الارض
والهيكم وفي رواية قل يا ايها الكافرون فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة
واحدة وكان له ان يوتر في آخر صلوته وصار ما مضى شفعا بهما ثم يستحب
بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح الى
آخر الورد **الورد الثالث** النوم ولا بأس ان يعد ذلك من الاوراد فانه اذا
روعيت آدابه احتسب عبادة اذ قد نقل انه اذا نام العبد على طهارة ذاكرا لله
يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه وذكر
الله تعالى دعا له الملك واستغفر له وفيه اخبار كثيرة **وآداب النوم** عشرة **الاول**

الطهارة والسواك قال صلعم اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت
رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات
اضغاث احلام والمراد من الطهارة طهارة الظاهر والباطن معا الثاني ان يعد
عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ وكلما تنبه استاك
لان ذلك فعله بعض السلف رض وان لم تتيسر له الطهارة فيستحب له مسح الاعضاء
بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر
في آلاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل الثالث ان لا يبيت من له وصية
الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يامن من القبض في النوم فان من مات
بغير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيامة يتزاور الاموات و
يتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية
وذلك مستحب خوفا من موت الفجاءة وموت الفجاءة تخفيف الا لمن ليس مستعدا
للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم الرابع ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع
المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يعزم على معصية ان استيقظ الخامس ان
لا يتنعم بتمهيد الفراش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه كان اهل الصفة لا يجعلون
بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد فمن لا يسمح نفسه
بذلك فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا
قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة
وكلامهم ضرورة ولذلك وصفهم الله تعالى بقوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وان غلبه النوم على الصلوة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل
ما يقول السابع ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال
المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة
والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام على جنب بان يكون وجهه اليها مع قبالة
بدنه اذا نام على الشق الايمن الثامن الدعاء عند النوم فيقول باسمك وضعت

جنبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا
من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه
ابدا ويُنذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة
تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
من آياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من امرنا رشدا ه

افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين
نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه
فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما
كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ه

جنبى وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات المأثورة التى اوردناها فى كتاب
الدعوات ويستحب ان يقرا الآيات المخصوصة مثل آية الكرسى وآخر البقرة
وغيرها ويقرا قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الى قوله لقوم يعقلون فقيل
من قرا عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرا من سورة الاعراف
هذه الآية ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض وآخر بنى اسرائيل قل ادعوا
الله الى آخر الآيتين فانه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له ويقرا
المعوذتين وينفث بهما فى يديه ويمسح بهما وجهه وساير جسده كذلك روى
من فعل رسول الله صلعم وليقرا عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه
الآى للاستيقاظ لقيام الليل وكان على رض يقول ما ارى ان رجلا مستكملا
عقله ينام قبل ان يقرا الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين
مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع الكلمات الاربع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا
من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه
ابدا ويندر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة
تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا
من آياتنا عجبا اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من امرنا رشدا ٥

جنبي وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب
الدعوات ويستحب ان يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة
وغيرها ويقرأ قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الى قوله لقوم يعقلون فقيل
من قرأ عند المنام حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الاعراف
هذه الآية ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وآخر بني اسرائيل قل ادعوا
الله الى آخر الآيتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له ويقرأ
المعوذتين وينفث بهما في يديه ويمسح بهما وجهه وساير جسده كذلك روى
من فعل رسول الله صلعم وليقرأ عشرا من اول الكهف وعشرا من آخرها وهذه
الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي رض يقول ما ارى ان رجلا مستكملا
عقله ينام قبل ان يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين
مرة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع الكلمات الاربع
مائة مرة التاسع ان يتذكر عند النوم ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث
وكما ان المتيقظ ينكشف له مشاهدات لا يناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث
يرى ما لم يخطر قط بباله ولا يشاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت
مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة قالت عائشة رض كان رسول الله صلعم
آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت في
ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء
ومليكه الدعاء الى آخره كما ذكرنا في كتاب الدعوات وحق العبد ان يفتش عند
نومه عن قلبه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله وحب لقائه او حب
الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه العاشر
الدعاء عند التنبه وليقل في يقظاته مهما تنبه ما كان يقول رسول الله صلعم لا اله
الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار
وليجتهد ان يكون آخر ما على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه عند

التيقظ ذكر الله فهو علامة الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما يستحب هذه الاذكار لينجر القلب الى ذكر الله تع فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخرها اوردناه من ادعية التيقظ **الورد الرابع**

يدخل بمضى النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد واسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار وبه اقسم الله تع فقال والليل اذا سجى اى اذا سكن وسكونه وهدوه فى هذا الوقت فلا يبقى عين الا نائمة سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم سئل رسول الله صلعم اى الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود عم الهى احب ان اتعبد لك فاى وقت افضل فاوحى الله اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فان من قام اوله نام آخره ومن قام آخره لم تقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلونى واخلو بك وارفع الى حوائجك وسئل رسول الله صلعم اى الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعنى الباقى وفى آخر الليل وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن وغير ذلك من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوءا كما سبق ثم توجه الى مصلاه ويقوم مستقبل القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يسبح عشرا ويحمد عشرا ويهلل عشرا ويقول الله اكبر ذو الملك والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلعم فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت قوام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلعم حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت

والك

واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكيها انت وليها ومولاها اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا انت واصرف عنى سيئها لا يصرف سيئها الا انت اسألك مسئلة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل ولا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رؤفا رحيما يا خير المسؤلين واكرم المعطين قالت عايشة رض كان عليه السلام اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبرئيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم يفتتح الصلوة ويصلى ركعتين خفيفتين ثم يصلى مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن صلى الوتر ويستحب ان يفصل بين الصلوتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه فى الصلوة وقد صح فى صلوة رسول الله صلعم انه صلى ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج الى ثلاث عشرة ركعة سئلت عايشة رض اكان يجهر رسول الله فى قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال عم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة **الورد الخامس** السدس الاخر من آخر الليل وهو وقت السحر قال الله تع وبالاسحار هم يستغفرون وهو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار والوظيفة فى هذين الوردين الصلوة وفيه يستحب السحور فاذا طلع الفجر انقضى اوراد الليل ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلى ركعتى الفجر وهو المراد بقوله تع وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى آخره ثم يقول انا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به الملائكة واولو العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة فهى لى عند الله وديعة واسئله حفظها حتى يتوفانى عليها اللهم احطط عنى بها وزرا واجعل لى بها عندك ذخرا

واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد
للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمع مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة
وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة وفي الخبر من جمع بين هذه الاربعة
في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الاخر كان له
اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او
بصلة او بكسرة خبز لقوله عم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله
صلعم اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عايشة رضا الى سايل عنبة واحدة
فاخذها ونظر من كان عندها بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل
ذر كثيرة وكانوا لا يستحبون رد السايل اذ كان من اخلاق رسول الله صلعم
وذلك ما سأله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن
آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلثمائة وستون
مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة
وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل
ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك **بيان اختلاف الاوراد**
باختلاف الاحوال اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة
احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما
موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره **الاول** العابد وهو المتجرد للعبادة الذي
لا شغل له اصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما ذكرناه نعم لا
يبعد ان يختلف وظايفه بان يستغرق اكثر الاوقات اما في الصلوة او في
القراءة او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنا عشر الف
تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة
الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل من اورادهم من الصلوة مائة ركعة في
اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر وردهم القرآن وكان يختم الواحد منهم في اليوم

مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكر في
آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف في كل يوم
سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم
والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون في كل اسبوع ركعتان فهو
مائتان وثمانون ركعة **فان قلت** فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات
من هذه الاوراد **فاعلم** ان قراءة القرآن قائما في الصلوة مع التدبر يجمع الجميع و
لكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود
الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر المريد
الى قلبه فما يراه اشد تاثيرا فيه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا في قلبه
واينما وجد القلب عنده وفتح له خير فليواظب عليه **الثاني** العالم الذي ينتفع الناس
بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه الاوراد يخالف ترتيب العابد
فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة فان امكنه استغراق
الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات وكيف لا وفي العلم المواظبة
على ذكر الله تع وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسئلة
واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح به عبادة عمره ولو لم يتعلم لكان سعيه ضايعا
وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم
في الدنيا او العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة دون العلم الذي يزيد الرغبة
في المال والجاه واولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات
في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار
والاوراد التي ذكرناها في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة في الافادة
والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر
فيتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر
وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى

العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها الا في وقت اكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة
خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرا بين يديه
من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار
والتسبيح فيكون ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني
في عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده الثالث الى العصر في عمل اليد والعين بالمطالعة
والكتبة وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع وعند الاصفرار يعود الى ذكر
اللسان ولا يخلو جزء من النهار عن عمله بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما
بالليل فاحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رضه اذ كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء ثلث للمطالعة
وثلث للصلوة وثلث للنوم وهذا يتيسر في ليالي الشتاء فاما الصيف فربما
لا يحتمل ذلك الثالث المتعلم والاشتغال بالتعلم اولى من الاشتغال بالذكر
والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد لكن يشتغل بالاستفادة حيث
يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف وان لم
يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس
الذكر والعلم والوعظ افضل من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها قال كعب
الاحبار لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي امارة
امارته وكل ذي سوق سوقه الرابع المحترف الذي يحتاج الى الكسب لعياله فليس له
ان يضيع عياله ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة
حضور السوق والاشتغال بالكسب ينبغي ان لا ينسى الله في صناعته بل يواظب
على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن ان يجمع مع العمل وما لا
يتيسر مع العمل فهو الصلوة الا ان يكون ناظورا ثم مهما فرغ عن كفايته ينبغي ان
يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته
فهو افضل من ساير الاوراد والكسب بهذه النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله
ثم تحصل به فايدة الغير فيتضاعف به الاجر الخامس الوالي مثل الامام او القاضي

اوالمتو

او المتولي لينظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين على وفق الشرع
وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس
نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة في الليل كما كان عمر رضه يفعله
اذ قال ما لي وللنوم لو نمت بالنهار لضيعت المسلمين ولو نمت بالليل لضيعت
نفسي فقد فهمت مما ذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية امران احدهما
العلم والآخر الرفق بالمسلمين السادس الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي
اصبح وهمومه هم واحد فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره
ولا ينظر في شيء الا ويرى الله فيه فمن انتهت رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر
الى تنويع الاوراد بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع
الله في كل حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم لائح
الا كان لهم فيه عبرة وفكرة فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فهؤلاء يصلح جميع احوالهم
ان تكون سببا لازديادهم فلا يتميز عبادة عن عبادة وهذه منتهى درجات
الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا
طويلا فلا ينبغي ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك ويدعيه لنفسه ويفتر عن وظايف
عباداته فذلك علامته ان لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية فيتقي
ترتيب الاوراد على الكافة كما ذكرناه وجميع ذلك طرق الى الله تعالى وقال تعالى
قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فكلهم مهتدون وبعضهم
اهدى والاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد
منه تغيير صفات الباطن وآحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وانما
يترتب الاثر على المجموع واذا لم يعقب العمل الواحد اثرا محسوسا ولم يردف بثان
وثالث على القرب انمحى اثر الاول قال رسول الله صلعم احب الاعمال الى الله تعالى ادومها
وان قل وقال رسول الله صلعم من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله
والله اعلم الباب الثاني في الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها

وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشائين وكيفية قسمة الليل فضيلة احياء ما بين
العشائين قال صلعم فيما روته عايشة رض ان افضل الصلوة عند الله صلوة المغرب
لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلوة النهار من صلى المغرب
وصلى بعدها ركعتين بنى الله قصرين في الجنة لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها
اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة او قالت اربعين سنة وقال صلعم من ركع عشر
ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر رض اذن تكثر قصورنا
يا رسول الله فقال رسول الله صلعم الله اكبر وافضل واطيب وعن انس بن مالك رض
قال قال رسول الله صلعم من صلى المغرب في جماعة ينبغي ان يصلي بعدها ركعتين ولا
يتكلم بشيء فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب
وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد الى قوله
لآيات لقوم يعقلون وقل هو الله احد خمسة عشر مرة ثم يركع ويسجد واذا قام
من الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله هم
فيها خالدون وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في السموات الى آخرها
وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر
وعلى الجملة ما ورد في فضل احياء ما بين العشائين كثير وكان ابن مسعود رض
يصلي في هذا الوقت ويقول هو ساعة الغفلة وكان انس رض يواظب عليها ويقول
هو ناشئة الليل ويقول فيه نزل قوله تع تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية قال احمد
الحواري قلت لابي سليمان الداراني اصوم النهار واتعشى بين المغرب والعشاء
احب اليك او افطر بالنهار واحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر
قال فافطر وصل بينهما فضيلة قيام الليل اما من الآيات قوله تع ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الآية وقوله تع ان ناشئة الليل هي
اشد وطأ واقوم قيلا مع آيات كثيرة وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما
العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا اني اشق على امتي لفرضتهما

يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما
رزقناهم ينفقون

بسم الله الرحمن الرحيم
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و
يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما
انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ومن
الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله و
الذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في
الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل
الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في
الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده
حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر
بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها

وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ اللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ ۝
٣ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ
بِهِ اللّٰهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ آمَنَ
الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ
رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا
مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا
كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا
وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝

عليهم وقال عم عليكم بقيام الليل فانه من دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل
قربة الى الله تعالى وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم
وقد ورد في فضيلة قيام الليل اخبار كثيرة قال الفضيل رضا اني لاستقبل الليل
من اوله فيهولني طوله فافتتح القرآن فاصبح وما قضيت نهمتي وقال المغيرة
حبيب رمقت ليلة مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء وقام الى مصلاه فقبض
على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار الهي قد علمت
ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك فلم
يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقام ليلة يردد هذه الآية ام حسب الذين اجترحوا
السيئات الآية وقيل ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه على الارض ثلثين
سنة وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانا احب الي من ان ارى وسادة
لانها تدعو الى النوم واعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام
بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهر فاربعة امور الاول ان لا يكثر الاكل
فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة
كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا
فتتحسروا عند الموت كثيرا الثاني ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيى بها
الجوارح فان ذلك ايضا مجلبة للنوم الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة
للاستعانة على القيام بالليل الرابع ان يجتنب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي
القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت
معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك
وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت اتاك نعي بعض اهلك
فقال اشد فقلت وجع يولمك فقال اشد فقلت فما ذاك قال بابي مغلق وستري
مسبل ولم اقرأ حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته وهذا لان الخير
يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير قال

بعض العلماء اذا اصبحت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اى شئ تفطر فان العبد
ليأكل الاكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حاله الاول قال بعض السجانين
بتنور بقيت سجانا نيفا وثلثين سنة اسئل عن كل مأخوذ بالليل انه هل صلى العشاء
فى جماعة وكانوا يقولون لا واما الميسرات الباطنة فاربعة الاول سلامة
القلب عن حقد المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير
الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر فى صلاته الا فى مهماته وفى مثل
ذلك يقال مصراع وانت اذا استيقظت ايضا فنايم الثانى خوف غالب يلزم
القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر فى اهوال الاخرة ودركات جهنم طار نومه
الثالث ان يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والاخبار حتى يستحكم
به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان
كما حكى ان بعض الصالحين رجع من غزوته وامرأته كانت تنتظر فراشه تلك الليلة فدخل
المسجد ولم يزل يصلى حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت
الصبح قال والله انى كنت اتفكر فى حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل
فقمت طول الليل شوقا اليها الرابع وهو اشرف البواعث اليها وهو الحب لله
تع وقوة الايمان بانه فى قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه
مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تع خطاب معه فاذا احب
الله احب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجات فتحمله لذة المناجاة للحبيب على طول
القيام ولا ينبغى ان يستبعد هذه اللذات فان المحب لشخص بسبب جماله او لملك بسبب
انعامه انه يتلذذ بالخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله فان قلت ان الجميل
يتلذذ بالنظر اليه وان الله لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان
فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر وكان ينعم باظهار
حبه عليه وذكره بلسانه بحيث يسمعه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده ويتلذذ
بعرض احواله عليه ورفع سريرته اليه وتضرعه بين يديه وسؤاله منه ورجائه انعامه

هذا من حيث النظر الى العقل واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل فى تلذذهم
بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال المحبوب قيل لبعضهم كيف
الليل عليك قال ساعة انا فيها بين حالتين افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا
طلع ما تم فرحى به قط وقال فضيل بن عياض رح اذا غربت الشمس فرحت بالظلام
لخلوتى بربى واذا طلع الفجر لدخول الناس على وقد حكى عن المشايخ والمجتهدين
حكايات كثيرة تخرج عن الحد والحصر وفى الخبر الصحيح عن رسول الله صلعم انه قال من الليل
ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه وذلك
كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهى مبهمة فى جميع الليل كليلة القدر فى شهر
رمضان وكساعة يوم الجمعة وهى ساعة النفحات المذكورة بيان طرق القسمة
لاجزاء الليل اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب المرتبة الاولى احياء
كل الليل وهذا شأن الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تع وتلذذوا بمناجاته
وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم ولم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى
النهار وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء
حكى ابو طالب المكى ان ذلك حكى على سبيل الاشتهار عن اربعين من التابعين وكان
فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان
وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه
اليمنيان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وابو سليمان الدارانى وعلى بن بكار
الشاميان وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العباديان وحبيب ابو محمد وابو
جابر السلمانى الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمى ويزيد الرقاشى
وحبيب بن ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم فى الشهر
تسعين ختمة وما لم يفهم رجع وقرأه مرة اخرى وايضا من اهل المدينة ابو حازم
ومحمد بن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم المرتبة الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا يحصر
عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل

حتى تقع قيامه في جوف الليل فهو الافضل المرتبة الثالثة ان يقوم ثلث الليل فينبغى
ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لانه
يذهب النعاس بالغداة قالت عايشة رض كان رسول الله صلعم اذا اوتر من آخر
الليل فان كان له حاجة الى اهله دنى منهن والا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه
بلال فيؤذنه للصلوة فقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير
قيام داود ع م المرتبة الرابعة ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون
في النصف الاخير وقيل السدس الاخير منه المرتبة الخامسة ان لا يراعى التقدير فان
ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه
ويوقظه وربما يضطرب في ليالى الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم
فاذا انتبه قام واذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له بالليل نومتان و
قومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها وكان هذا من اخلاق
رسول الله صلعم وهو طريقة ابن عمر رض واولى العزم من الصحابة وجماعة من التابعين
فاما قيام رسول الله صلعم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان
يقوم نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه كما ذكر في الموضعين في سورة
المزمل المرتبة السادسة وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين
او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبلا للقبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء
فيكتب في جملة قوام الليل وقد جاء في الخبر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه
طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما رآه ايسر عليه وحيث يتعذر القيام عليه في وسط
الليل فلا ينبغى ان يهمل احياء ما بين العشائين والورد الذى بعد العشاء ثم يقوم
قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نايما ويقوم بطرفى الليل وهذه هي المرتبة
السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فترتب هذه المراتب بحسب طول الوقت
واما في المرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجرى امرهما في التقدم
والتاخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة

ولا الخامسة دون الرابعة بيان الليالى والايام الفاضلة اعلم ان الليالى المخصوصة
بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغى ان
يغفل المريد فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن
المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضايل الاوقات لم ينجح فستة من هذه
الليالى في شهر رمضان وهي ست وتار العشر الاخير منه ففيها اطلب ليلة القدر
وليلة سبعة عشر من شهر رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
فيه كانت وقعة بدر واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشورا
واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج
وفيه صلوة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات
مائة سنة فمن صلى فيها اثنى عشر ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة
ق والقرآن المجيد يتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلى
على النبى مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه واخراه ويصبح صايما
فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية فاما ليلة النصف من شعبان
ففيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركون ذلك
كما اوردناه في صلوة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيد قال صلعم من احيا
ليلتى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب واما الايام الفاضلة فهي تسعة
عشر يستحب مواظبة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبع وعشرين
من رجب وله شرف عظيم قال صلعم من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله
له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبرئيل عم على محمد صلعم بالرسالة
ويوم سبعة عشر من رمضان ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما
العيدين والايام المعلومات وهي عشر من ذى الحجة والايام المعدودات وهي
ايام التشريق روى انس رض عن رسول الله صلعم اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام

واذا اسلم شهر رمضان سلمت السنه وقال بعض العلماء من اخذ مهناه من الايام
الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الآخرة واراد به العيدين والجمعة ويوم عرفة ويوم
عاشورا ومن فواضل الايام في الاسبوع الخميس والاثنين يرفع فيهما الاعمال
الى الله تعالى وقد ذكرنا فضايل الاشهر والايام للصايم في كتاب الصوم فلا حاجة
الى الاعادة والله اعلم **كتاب آداب الاكل** بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
رب العالمين والصلوة على النبي محمد وآله اجمعين اما بعد فان مقصود ذوي
الالباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ولا طريق للوصول الى اللقاء الا بالعلم
والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن
الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرار الاوقات ليستعين
على العلم والعمل فلا ينبغي للعاقل ان يترك نفسه مهملا يسترسل في الاكل استرسال
البهايم في المرعى فان ما هو ذريعة الى الدين ينبغي ان تظهر انوار الدين عليه
دايما وانوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها حتى يتزن بميزان
الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة
للاجر وان كان فيها اوفى حظا للنفس قال النبي صلعم ان الرجل ليوجر حتى في
اللقمة يرفعها الى فيه والى في امرأته وانما ذلك اذا رفعها بالدين وللدين مراعيا
فيه آدابه ووظايفه وها نحن نرشد الى وظايف الدين في الاكل فرايضها
وسننها ومروّاتها وهياتها في اربعة ابواب وفصل في آخرها **الباب الاول**
فيما لا بد للاكل من مراعاته وان انفرد بالاكل **الباب الثاني** فيما يزيد من الاداب بسبب
الاجتماع على الاكل **الباب الثالث** فيما يخص تقديم الطعام الى الاخوان الزايرين
الباب الرابع فيما يخص الدعوة والضيافة واسبابها **الباب الاول** فيما لا بد للمنفرد
منه وهو ثلاثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه **القسم الاول**
في الاداب التي تقدم على الاكل وهي سبعة **الاول** ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في
نفسه طيبا في جهة مكسبه ولم يكتسب بسبب مكروه في الشرع **الثاني** غسل اليد قال صلعم الوضوء

قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم **الثالث** ان توضع الطعام على السفرة الموضوعة
على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلعم من رفعه على المائدة **الرابع** ان يحسن
الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله صلعم ربما جثا
للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى
الخامس ان ينوي باكله ان يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعا في الاكل
ولا يقصد التلذذ بالاكل ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل دون الشبع **السادس**
ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب
الزيادة وانتظار الادم **السابع** ان يجتهد في تكثير الايدي على الطعام ولو
من اهله وولده **القسم الثاني** في آداب حالة الاكل وهو ان يبدأ باسم الله
في اوله وبالحمد في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو احسن ويجهر به ليذكر
غيره ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها فلا يمد
اليد الى الاخرى وان لا يذم مأكولا وان يأكل مما يليه الا الفاكهة وان لا
يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام ولا يقطع اللحم بالسكين فقد نهى عنه
وقال انهشوه نهشا ولا يمسح يده بالخبز ولا يضع عليه الا ما يؤكل به ولا يمسح
يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه ولا ينفخ في الطعام الحار حتى يبرد ويأكل من التمر
وترا ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمعه في كفه بل يضعه من فيه على
ظهر كفه ثم يلقيه وهكذا كل ما له عجم وثفل وان لا يكثر الشرب في اثناء الطعام الا
اذا غص بلقمة او صدق عطشه **واما الشرب** فآدابه ان يأخذ الكوز بيمينه
ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا ولا يشرب قايما ولا مضطجعا ويراعي
اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب وبعد الشرب يقول
الحمد لله واذا ادير الكوز او غيره فيدار يمنة **القسم الثالث** ما يستحب بعد الطعام
وهو ان يمسك قبل الشبع ويلعق اصابعه ثم يغسلها ويلتقط فتيت الخبز
والطعام ويتخلل ولا يبتلع ما يخرج من بين اسنانه بالخلال الا ما يجتمع من اصول اسنانه

فانه يحمده بلسانه ويبتلعه ويشكر الله تعالى وهما اكل حلالا قال الحمد لله الذى بنعمته تتم
الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيبا فاستعملنا صالحا وان اكل شبهة فليقل
الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك وان اكل لبنا اللهم بارك لنا
فيما رزقتنا وزدنا منه ويقول فى غيره اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا
خيرا منه وان اكل طعام الغير فليدع له وان افطر عند قوم فليقل افطر عندكم الصائمون
واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة ويستحب عقيب الطعام ان يقول الحمد
لله الذى اطعمنا وسقانا وكفانا حمدا كثيرا اللهم اطعمتنا طيبا فاجعله عونا لنا
على طاعتك **الباب الثالث** فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة فى الاكل وهى ستة **فالاول**
ان لا يبتدئ الطعام ومعه من يستحق التقديم **الثانى** ان لا يسكتوا على الطعام فان ذلك
من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف وحكاية الصالحين **الثالث** ان يرفق برفيقه
فى القصعة فلا يقصد ان ياكل زيادة على ما ياكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا
لرضا رفيقه وان قصد الايثار فهو اولى **الرابع** ان لا يحوج رفيقه الى ان يقول له كل
الخامس ان غسل اليد فى الطست لا باس به وله ان يتنخم فيه ان كان وحده وان كان
معه غيره فلا ينبغى ان يفعل ذلك ولا باس ان يجتمعوا على غسل الايدى فى الطست
حالة واحدة فهو اقرب الى التواضع ولا ينبغى ان يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء
فى الطست وفى الطست سبعة آداب ان لا يبزق فيه وان يقدم فيه المتبوع
وعليه ان يقبل الاكرام وان يدار يمنة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما
وان يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق وليصب صاحب المنزل بنفسه على ضيفه
السادس ان لا ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون وليغض بصره ولا
يمسك قبل اخوانه وان كان قليل الاكل تعلل بالاكل وتانى وقليلا قليلا الى ان
يستوفوا **السابع** ان لا يفعل ما يستقذره غيره ولا ينفض يده فى القصعة ولا
يقدم اليها راسه عند وضع اللقمة فى فيه ولا يغمس اللقمة الدسمة فى الخل ولا الخل فى
الدسومة فقد يكرهه غيره واللقمة التى قطعها باسنانه لا يغمس فى المرقة والخل ولا يتكلم بما

يذكر المستقذرات والله اعلم **الباب الثالث** فى آداب تقديم الطعام الى الاخوان
وله فضل كثير قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلى على احدكم ما دامت
مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وقال النبى صلعم من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه
حتى يرويه بعده الله من النار سبعة خنادق واما آدابه فى الدخول فليس من
السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل وقت الاكل واذا لم يتربص
واتفق ان صادفهم على الطعام فان قيل له كل نظر فان علم انهم يقولونه عن محبة ليساعد
فليساعد وان كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغى له ان ياكل بل يتعلل فاما اذا كان
جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه فلا باس به فان دخل فلم يجد صاحب الدار وكان
واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه فله ان ياكل بغير اذنه وكان محمد بن
واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن فياكلون ما يجدون بغير اذن فكان الحسن يدخل
ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وجاء قوم الى منزل سفيان الثورى فلم
يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة وجعلوا ياكلون ودخل الثورى فجعل
يقول ذكرتمونى اخلاق السلف واما آداب التقديم فترك التكلف اولا
وتقديم ما حضر وان حضر ما هو محتاج اليه لقوته ولم يسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغى
ان يقدمه **الادب الثانى** وهو للزائر ان لا يقترح ولا يتحكم لشئ بعينه فربما يشق
على المزور احضاره فان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما عليه فان علم
انه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح قال ابو بكر الكتانى دخلت
على السرى فجاء بفتيت واخذ يجعل نصفه فى القدح فقلت ايش هذا الذى
تفعل انا اشربه كله فى مرة فضحك وقال هذا افضل لك من حجة **الباب الرابع**
فى آداب الضيافة ومظان الآداب فيها ستة الدعوة اولا ثم الاجابة ثم الحضور
ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها فضيلة الضيافة وقال
صلعم لا خير فيمن لا يضيف وكان ابرهيم الخليل عم اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او
ميلين يلتمس من يتغذى معه وكان يكنى ابا الضيفان والاخبار الواردة فى

فصل الضيافة والاطعام للحظى فلنذكر آدابها اما الدعوة فينبغي للداعي ان يقصد بدعوته الاتقياء دون الفساق وينبغي ان لا يهمل اقاربه في ضيافته فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم وينبغي ان يراعي الترتيب في اصدقائه ومعارفه فان في التخصيص بالبعض ايحاشا للباقين وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان وادخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغي ان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة اما الاجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع وللاجابة خمسة آداب الاول ان لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه الثاني انه لا يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي الثالث ان لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فان كان يسر اخاه فليفطر فان ذلك افضل من صوم التطوع وان لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة والموضع والبساط المفروش غير حلال او رأى منكرا من فرش ديباج او اناء فضة او سماع شيء من المزامير وغير ذلك من الملاهي والمنكرات وكل ذلك مما يمنع وكذلك اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او طالبا للمباهاة والفخر الخامس ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بان ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلعم وينوي اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله عم من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله وينوي صيانة نفسه عن ان يساء به الظن في امتناعه بان يحمل على تكبر او سوء خلق وينوي الحذر من معصية الله لقوله عم من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها والنية انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا واما الحضور فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ احسن الاماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل اذا اشار

اليه

اليه صاحب الدار بموضع لم يخالفه البتة ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة حجرة النساء وسترهم ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره واذا دخل ضيفا للمبيت فليعرفه صاحب الدار عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك والشافعي رض وقال مالك غسل اليد قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى تكرمته وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل ينتظر ان يدخل من يأكل معه فاذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر والا انكر بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال الذهب والفضة والتصوير على الحيطان وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة المكاشفات الوجوه وقيل اذا اكترى بيتا فيه صورة او رأى في الحمام صورة فله ان يحكها وان لم يقدر خرج واما النظر الى تزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم واما احضار الطعام فله آداب خمسة الاول تعجيل الطعام وذلك من اكرام الضيف الثاني ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت فذلك اوفق في الطب ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات الثالث ان يقدم من الالوان الطفها حتى يستوفي منه من يريد ولا يكثر الاكل بعده ومن سنة المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي وان لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه الرابع ان لا يبادر الى رفع الخوان بل يمكنهم من الاستيفاء حتى ترفع الايدي عنها الخامس ان يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية نقص في المروة والزيادة عليه تصنع ومراياة وينبغي ان يعزل اولا نصيب اهل البيت حتى لا يكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه وما بقي من الاطعمة فليس للضيفان اخذه الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض فاما الانصراف فله آداب ثلاثة الاول ان يخرج مع الضيف الى باب الدار فهو سنة الثاني ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق الثالث ان لا يخرج الا برضاء

صاحب المنزل واذنه **فصل** يجمع آدابا ومناهي شرعية وطبية الاول حكي عن
ابرهيم بن النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة واسند هذا الى رسول الله صلعم وقد
نقل على ضده عن ابن عمر رض انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلعم ونحن نمشي
ونشرب ونحن قيام **الثاني** قال علي رض من ابتدا غداءه بالملح اذهب الله عنه سبعين
نوعا من البلاء ومن اكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل
يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد
طعام العرب ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء
ولم يستشف النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن
والسواك يذهب البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان
النساء وليخفف الرداء وهو الدين **الثالث** قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة
آخذها ولا اعدوها قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا
تاكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من الفاكهة الا
نضيجها ولا تاكلن طعاما الا اجدت مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب
عليه فاذا شربت فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط والبول واذا اكلت بالنهار
فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة **الرابع** في الخبر قطع العروق
مسقمة وترك العشاء مهرمة قال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك
فما هي قال اكل لباب البر وصغار المعز وادهن بخام بنفسج والبس الكتان **الخامس** الحمية
تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض **السادس** يستحب ان يحمل طعام الى اهل البيت فذلك
سنة **السابع** ان حضر طعام ظالم فان اكره فليقلل وحكي عن ذي النون المصري انه
حبس فلم ياكل اياما في السجن وكانت له اخت في الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما
على يد السجان فامتنع ولم ياكل فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني
على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع **الثامن** حكي عن فتح الموصلي
رح انه دخل على بشر الحافي زائرا فاخرج بشر درهما ودفعه الى خادمه وقال اشتر به

طعاما

طعاما جيدا وادما طيبا قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي عم
لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت
تمرا جيدا فقدمته اليه فاكل واخذ الباقي فقال بشر اتدرون لم قلت اشتر طعاما
طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر اتدرون لم لم يقل الحافي كل لانه ليس
للضيف ان يقول لصاحب الدار كل اتدرون لم حمل ما بقي لانه اذا صح التوكل لم
يضر الحمل **التاسع** قال الشافعي رض الاكل على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت
وباصبعين من الكبر وبثلاث اصابع من السنة وباربع وخمس من الشره واربع
يقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان واربع
يوهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء البارد على الريق وكثرة
اكل الحموضة واربع تقوي البصر الجلوس حيال القبلة والكحل عند النوم والنظر الى
الخضرة وتنظيف الملبس واربع يوهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب
والنظر الى فرج المرأة والقعود في استدبار القبلة واربع يزيد في الجماع اكل
العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الجرجير والنوم على اربعة انحاء النوم على
القفاء وهو نوم الانبياء عليهم السلام ونوم على اليمين وهو نوم العلماء ونوم
على الشمال وهو نوم الملوك لينهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين
واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة العلماء والصالحين
واربع من العبادة ان لا تخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد
وكثرة قراءة القرآن وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل
بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم لم يبادر الاكل كيف لا يموت وقال
لم ار شيئا انفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب **كتاب آداب النكاح** وهو الكتاب
الثاني من ربع العادات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله
اجمعين اما بعد فان النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وسبب للتكثير الذي به
مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين فما احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وآدابه

ويشرح مقاصده وآدابه ويفصل فصوله وابوابه والقدر المهم من احكامه ينكشف في
ثلثة ابواب الباب الاول في الترغيب فيه وعنه الباب الثاني في الآداب المرعية في العقد والمتعاقدين
الباب الثالث في آداب المعيشة بعد العقد الى الفراق الباب الاول في الترغيب في النكاح
والترغيب عنه اعلم ان العلماء اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه
افضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة
الله مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال وقال آخرون الافضل تركه
في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكتساب محظورة ولا ينكشف
الحق فيه الا بان نقدم اولا ما ورد من الاخبار والاثار في الترغيب فيه وعنه ثم
نشرح فوايد النكاح وغوايله حتى يتضح فيه فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوايله
او لم يسلم الترغيب في النكاح اما من الآيات قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا
امر وقال تعالى فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهذا منع من العضل ونهى عنه ومن
الاخبار قوله صلعم النكاح سنتي فمن احب فطرتي فليستن بسنتي وقال عم تناكحوا
تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة حتى بالسقط واما ما جاء في الترغيب عن
النكاح فقد قال عم يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه
وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل السوء التي يذهب
فيها دينه فيهلك وقال ايضا عم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا
اهل له ولا ولد وقال الحسن اذا اراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال واما الترغيب عنه في
النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط وانما ينكشف الغطاء عنه بحصر آفات
النكاح وفوايده وفيه فوايد حصول الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة
ومجاهدة النفس بالقيام بهن الفايدة الاولى الولد والمقصود بقاء النسل وان
لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في
اخراج البذر وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة الى اقتناص
الولد بسبب الوقاع وفي التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه الاول موافقة

محبة

محبة الله تعالى بالسعي في تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان والثاني طلب محبة رسول الله
صلعم في تكثير من به مباهاته والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده
والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله فان قلت ان بقاء
النفس والنسل محبوب يوهم ان فناءها مكروه عند الله تعالى وهو فرق بين
الحيوة والموت بالاضافة الى ارادة الله تعالى ومعلوم ان الكل بمشية الله فمن اين
يتميز عنده موتهم عن حيوتهم فاعلم ان هذه كلمة حق اريد بها باطل فان ما ذكرناه
لا ينافي اضافة الكاينات كلها الى ارادة الله تعالى خيرها وشرها ولكن المحبة والكراهة
يتضادان وكلاهما يضادان الارادة فالمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة
والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة مرضية الفايدة الثانية التحصن عن
الشيطان وكسر التوقان ودفع غوايل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج
والنكاح غايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر بحفظ الفرج
فاما حفظ القلب عن الوساوس والفكر فلا يدخل تحت اختياره فلا تزال النفس
تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان في اكثر الاوقات يوسوس اليه
وقد يعرض له ذلك في اثناء الصلوة حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما
لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيا منه والله تعالى مطلع على قلبه والقلب في
حق الله كاللسان في حق الخلق وراس الامر للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه
الفايدة الثالثة ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب و
تقوية له على العبادة فانها عن الحق نفور فلو كلفت المداومة بالاكراه على
ما يخالفها جمحت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات نشطت
الفايدة الرابعة تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس
والفرش وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن
له شهوة لتعذر ان ينفاد له شخص يقوم بجميع مصالحه ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة
الصالحة المصلحة للمنزل وتهيئة اسبابه عون على الدين الفايدة الخامسة

مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن
والسعي في اصلاحهن والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد
وكل هذه اعمال عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية وفضل الرعاية عظيم وانما
يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فالصبر على ذلك رياضة النفس
وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه لا يترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا ينكشف
بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه
المحركات واعتياد الصبر عليها ليعتدل اخلاقه والصبر على العيال مع انه رياضة
ومجاهدة للقيام بحقوقهم عبادة في نفسها فهو ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع
بها الا احد رجلين اما رجل قصده المجاهدة وتهذيب الاخلاق لكونه في بداية
الطريق فلا يبعد ان يرى هذا طريقا في المجاهدة ويرتاض به واما رجل
من العابدين ليس له سير في الباطن وحركة بالفكر والقلب وانما عمله عمل الجوارح
بصلوة او حج او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم
افضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره واما الرجل
المهذب الاخلاق اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم
والمكاشفات فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فهذه فوايد النكاح في
الدين التي بها يحكم له بالفضيلة اما آفات النكاح فثلث الاولى وهي
اقويها العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما في هذه الاوقات
مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا للتوسع في الطلب من الحرام وفيه
هلاكه وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك الآفة الثانية القصور عن
القيام بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وفي هذا
ايضا خطر لانه راع ومسؤل عن رعيته قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما
ان يضيع من يقوت الآفة الثالثة ان يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله
وجاذبا الى طلب الدنيا وتدبير حسن المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره

لهم

لهم وكلما يشغل عن الله من اهل ومال وولد فهو مشؤم على صاحبه فهذه مجامع الآفات
والفوايد فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مطلقا قصور
عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل تتخذ هذه الفوايد معيارا او تعرض المريد عليها
نفسه فان انتفت في حقه الآفات ان كان له مال حلال يكفيه فيما يحتاج اليه ولا
يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة فلا يتمارى
في ان النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد فان انتفت الفوايد
واجتمعت الآفات فالعزوبة افضل له اما اذا كان للنفس توقان الى النكاح
نظر فان لم يقو لجام التقوى في راسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح افضل
له لانه مردد بين ان يقتحم الزنا او يكون كسبه حراما وهو اهون الشرين وان
كان يثق بنفسه ان لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك غض البصر عن الحرام فترك
النكاح له اولى وان كان يقدر على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار
الشاغلة للقلب فالاولى ترك النكاح لان الظاهر ان عمل القلب الى العفو اقرب
هكذا ينبغي ان توزن هذه الآفات ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل
عليه شيء فان قلت فمن امن الآفات فالافضل له التخلي لعبادة الله ام النكاح
فاقول يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله تعالى من حيث انه عقد
ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح ايضا افضل
لان الليل وساير اوقات النهار يتسع للتخلي للعبادة والمواظبة على العبادة
من غير استراحة غير ممكن فان فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له
وقت سوى اوقات المكتوبة والنوم والاكل وقضاء الحاجة فان كان
الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بصلوة النافلة او الحج او ما يجري مجراه
من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل وان كان عبادته بالعلم والفكر وسير
الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل فان قلت فلم ترك
عيسى عم النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر

رسول الله صلعم من الازواج فاعلم ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر و من
قويت منيته وعلت همته فلا يشغل عن الله تعالى شاغل و رسول الله صلعم اخذ بالقوة
وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة متخلياً لعبادة
الله تعالى وكان قضاء الوطر في النكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة
في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعاً لهم عن التدبير حتى يشتغلوا في الظاهر
بقضاء الحاجة وقلوبهم مستغرقة بهمتهم فكان رسول الله صلعم لعلو درجته لا يمنعه
امر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى وكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش
امرأته ومتى يسلّم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد ان يغيّر السواقي ما لا يغير
البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى عم فاخذ بالحزم لا بالقوة
واحتاط لنفسه ولعل كانت حالة تؤثر فيه الاشتغال بالاهل او يتعذر معها طلب
الحلال او لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي لعبادة الله تعالى فآثر التخلي للعبادة
وهو اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طيب المكسب واخلاق النساء
وما على الناكح من غوائل النكاح ومهما كانت الاحوال منقسمة حتى يكون النكاح
في بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل افعال الانبياء عليهم السلام
على الافضل في كل حال والسلام على نبينا خير الانام الباب الثالث فيما يراعى حالة العقد من
احوال المرأة وشروط العقد اما العقد فاركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل
اربعة الاول اذن الولي فان لم يكن فالسلطان الثاني رضاء المرأة ان كانت
ثيبا بالغة او كانت بكرا بالغة ولكن زوجها غير الاب والجد الثالث حضور شاهدين
ظاهرين بالعدالة فان كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة الرابع ايجاب وقبول
متصل به بلفظ الانكاح والتزويج او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين
ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج او الولي او وكيلهما واما آدابه
فتقديم الخطبة لا في حالة عدة المرأة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ هو
منهي عنه ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالايجاب والقبول ومن آدابه
ان

ان يلقي امر الزوج الى سمع المرأة وان كانت بكرا فلذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح
ومن الادب احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على شاهدين ومن ادبه ان
ينوي بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وساير الفوايد التي ذكرناها
ويستحب ان يعقد في المسجد في شهر شوال فان عايشة رض تزوجها رسول الله صلعم
في شهر شوال واما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان احدهما الحل والثاني حصول
المقاصد والموانع تسعة عشر الاول ان يكون منكوحة للغير والثاني ان
يكون معتدة عن الغير الثالث ان يكون مرتدة عن الدين الرابع ان يكون
مجوسية الخامس ان يكون وثنية او زنديقية لا تنسب الى نبي وكتاب
ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل نكاحهن السادس ان يكون كتابية
قد دانت بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلعم ومع ذلك فليست
من نسب بني اسرائيل فاذا عدمت كلتا الصفتين لم يحل نكاحها وان عدمت
النسب فقط ففيه خلاف السابع ان يكون رقيقة والناكح حر قادر على طول حرة
او غير خائف عن العنت الثامن ان يكون كلها او بعضها مملوكا للناكح
ملك يمين التاسع ان يكون قريبة للزوج بان يكون من اصوله وهن الامهات
والجدات وفصوله وهن الاولاد والاحفاد او فصول اول اصوله و
هن الاخوة واولادهم او من اول فصوله من كل اصل بعده اصل كالعمات
والخالات دون اولادهن العاشر ان يكون محرمة بالرضاع ويحرم
من الرضاع ما يحرم من النسب من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم
خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم الحادي عشر المحرمة بالمصاهرة
وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او حفدتها من قبل او وطئهن بالشبهة
في عقد او وطئ امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فمجرد العقد
على المرأة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها الا بالوطئ الثاني عشر ان يكون
المنكوحة خامسة اي يكون تحت الناكح اربعة سواها الثالث عشر ان يكون

تحت الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون النكاح جامعا بينهما وكل شخصين
بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا والآخر انثى لم يجز النكاح فلا يجوز ان
يجمع بينهما الرابع عشر ان يكون هذا الناكح قد طلقها ثلثا فلا تحل له ما لم
يطأها زوج آخر في نكاح صحيح الخامس عشر ان يكون الناكح قد لاعن عنها
فانها تحرم عليه ابدا السادس عشر ان يكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج
كذلك فلا ينعقد النكاح الا بعد تمام التحليل السابع عشر ان يكون ثيبا صغيرة
فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ الثامن عشر ان يكون من ازواج النبي عم
ممن توفي عنها او دخل بها التاسع عشر ان يكون يتيمة فلا يصح نكاحها
الا بعد البلوغ واما الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المراة
ليدوم العقد ويتوفر مقاصده فهي ثمانية الدين والخلق والحسن وخفة
المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا يكون قرابة قريبة وشرح
هذه الخصال مذكور في الاحياء وتركنا ذكرها اختصارا وهذه هي
الخصال المرعية في النساء ويجب على الولي ايضا ان يراعي خصال الزوج
وينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر
عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها ولا يزوجها من ظالم او فاسق
او مبتدع او شارب خمر لئلا يكون جانيا على دينه ومتعرضا لسخط الله تعالى

الباب الثالث في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما
على الزوج وفيما على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال و
الآداب في اثني عشر امرا في الوليمة وهي مستحبة والمعاشرة والدعابة
والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب بالنشوز
والوقاع والولادة والمفارقة الادب الاول الوليمة وهي مستحبة قال انس
راى رسول الله صلعم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا قال
تزوجت امراة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة

الادب الثاني حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن
الادب الثالث ان يزيد على احتمال الاذى المداعبة وهي التي تطيب قلوب النساء
وقد كان رسول الله صلعم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال
والاخلاق الرابع ان لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع
هواها الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال
في ذلك ومهما راى منكرا مخالفا للشرع يزجرها قال الحسن والله ما اصبح رجل
يطيع امراته فيما تهوى الا اكبه الله في النار الخامس الاعتدال في الغيرة وهو ان لا يتغافل
عن مبادي الامور التي تخشى غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتجسس
البواطن وقد نهى رسول الله صلعم ان يتتبع عورات النساء السادس
الاعتدال في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان
ان يسرف بل يقتصد قال الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا السابع
ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب و
يعلم زوجته ذلك وما ينقض منها في الحيض وما لا ينقض فانه امر بان يقيها
النار وعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويخوفها بالله تعالى اذا تساهلت
في امر الدين ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما يحتاج اليه الثامن
اذا كان له نسوة ينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى
سفر واراد استصحاب واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول
الله صلعم فان ظلم امراة بليلتها قضى لها فان القضاء واجب عليه ومهما
وهبت ليلتها واحدة منهن لصاحبتها ورضي الزوج ثبت الحق التاسع
في النشوز مهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبيهما جميعا
او من الرجل فلا تتسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على اصلاحها فلا بد
من حكمين احدهما من اهله والآخر من اهلها لينظرا بينهما ويصلحا امرهما اما
اذا كان من المراة خاصة فالرجال قوامون على النساء فله ان يؤدبها

الاقتصاد التوسط بين طرفي الافراط والتفريط

قوله اقرع اي يلقي القرعة بينهم

ويحملها على الطاعة قهرا وكذا اذا كانت تاركة للصلوة فله ان يحملها على الصلوة
ولكن ينبغي ان يتدرج في تاديبها العاشر في آداب الجماع ويستحب ان يبتدا
باسم الله تع ويقرا قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم
اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبي واذا قرب
من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا
فجعله نسبا وصهرا ثم ينحرف عن القبلة اكراما لها وليغط نفسه واهله ويكره
له الجماع ثلث ليال ليلة اول الشهر وآخره والنصف منه ولا ينبغي ان ياتيها
في الحيض ولا بعد انقطاعه قبل الغسل وله ان يواكل الحايض وليس عليه
اجتنابها ومن الادب ان لا يعزل بل يسرح الماء الى محل الحرث وان
عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على اربعة مذاهب فمن مبيح
مطلقا ومن محرم بكل حال ومن قايل يحل برضاها ومن قايل يبيح في المملوكة
دون الحرة الحادي عشر آداب الولادة وهي اربعة الاول ان لا يكثر فرحه
بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري ان الخير له في ايهما وروى ابو هريرة
رضه ان النبي صلعم قال من كانت له ثلث بنات او اخوات وصبر على لاوائهن
وضرائهن وسرائهن ادخله الله الجنة بفضله ورحمته اياهن فقال رجل و
اثنتان يا رسول الله قال واثنتان فقال رجل او واحدة فقال او
واحدة الادب الثاني ان يوذن في اذن المولود روي عن النبي عم انه اذن
في اذن الحسين حين ولدته فاطمة رضه وفي خبر آخر يوذن في اذنه
اليمنى ويقيم في اذنه اليسرى والختان في اليوم السابع ورد فيه خبر
ويستحب ان يلقن الصبي اول انطلاق لسانه لا اله الا الله الادب الثالث
ان يسميه باسم حسن فذلك حق الولد قال النبي صلعم انكم تدعون يوم القيامة
باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم وينبغي ان يسمي السقط وان لم يعلم
اذكر هو ام انثى فيسمي بما يجمع ذلك كحمزة وعمارة وطلحة وعنبسة الرابع العقيقة

عن

عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة وقد ورد عق كل واحد منهما بشاة ومن
السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة فقد ورد فيه خبر الادب
الخامس ان يحنكه بتمرة او حلاوة الثاني عشر في الطلاق وليعلم انه مباح
ولكنه ابغض المباحات الى الله تع ثم ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور
الاول ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وان الطلاق في الحيض والطهر
الذي جامع فيه حرام لما فيه من تطويل العدة عليها الثاني ان يقتصر على طلقة
واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود
الثالث ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف وتطييب قلبها بهدية
لما فجعها به من اذى الطلاق القسم الثالث من هذا الباب النظر في حقوق
الزوج عليها والقول الشافي فيه ان النكاح نوع رق وهي رقيقة له
فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها مما لا معصية فيه وحقوق
الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والتستر والاخر
ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه اذا كان حراما ومن
الواجبات عليها ان لا يفرط في ماله بل تحفظ عليه والقول الجامع في اداب
المراة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمنزلها لا يكثر
صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال توجب
الدخول تحفظ بعلها في غيبته وحضرته وتطلب مسرته في جميع امورها ولا
تخونه في نفسها وماله ولا يتشوف الى صديق بعلها في حاجاتها متهمة صلاح
شانها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها اذا استاذن صديق لبعلها
على الباب وليس البعل حاضرا لم يستفهمه ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها
وبعلها وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله تع ومقدمة حقه على حق
نفسها واذا مات عنها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر وتجتنب
الطيب والزينة في هذه المدة ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى آخر العدة

وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا لضرورة ومن آدابها ان تقوم بكل
خدمة في الدار تقدر عليها والله اعلم كتاب آداب الكسب والمعاش وهو ثالث كتاب
ربع العادات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد سيد
المرسلين وامام المتقين اما بعد فان رب الارباب ومسبب الاسباب جعل الآخرة
دار الثواب والعقاب والدنيا دار التشمر والاكتساب وليس التشمر للاكتساب في الدنيا
مقصورا على المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد والناس ثلثة
رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو
من الفائزين والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو
من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد
لآداب الشريعة ونحن نورد ابواب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات
وسببها وشرحها في خمسة ابواب الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه الباب الثاني
في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات الباب الثالث في بيان العدل في المعاملات الباب الرابع
في بيان الاحسان فيه الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه الباب الاول في فضل الكسب
والحث عليه اما من الكتاب فقوله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون
فجعلها نعمة فطلب الشكر عليها وفي الخبر عن النبي عم التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة
مع الصديقين والشهداء روي ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة
حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا
عمرو فانه بلغني ان من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة فان قلت
فقد قال صلعم ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان
سبح بحمد ربك وكن من الساجدين الآية الجواب ان وجه الجمع بين هذه الاخبار بتفصيل
الاحوال فنقول لسنا نقول التجارة افضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة اما
ان يطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة
على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا للتصرف الى الخيرات والصدقات

فهي

فهي مذمومة لانه اقبال على الدنيا فان كان مع ذلك خاسئا فهو ظلم وفسق فاما
اذا طلب بها الكفاية لنفسه واولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة
تعففا عن السؤال افضل وان كان لا يحتاج وكان يعطي من غير سؤال فالكسب افضل
لانه انما يعطي لانه سائل بلسان حاله فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل من الاشتغال
بالعبادات البدنية وترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن
او عالم يشتغل بتربية علم الظاهر او رجل مشتغل بمصالح المسلمين فهؤلاء اذا كانوا
يكفون من الاموال المعدة للمصالح او الاوقاف المسبلة على العلماء والفقراء فاقبالهم
على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب وهؤلاء الاربع حالتان اخريان احديهما ان
يكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق به عليهم من غير حاجة الى سؤال
فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة الناس على الخيرات الثانية الحاجة
الى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويناها في السؤال وذمه
تدل على ان التعفف عن السؤال اولى فهذه فضيلة الكسب ولكن العقد الذي فيه الاكتساب
جامعا لاربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين ونحن نعقد في كل
واحد بابا ونبتدئ بذكر اسباب الصحة الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربوا والسلم
والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي
مدار المكاسب وتحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب والمكتسب يحتاج الى علم الكسب ليقف
على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه من الفروع المشكلة ويقع على سبب
اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسأل وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة
لا ينفك المكاسب عنها فلنشرح شروطها العقد الاول البيع وله ثلثة اركان الركن الاول
العاقد ينبغي للتاجر ان لا يعامل اربعة الصبي والمجنون والاعمى والعبد الا ان يكون
ماذونا واما الكافر فيجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع
منه السلاح ان كان من اهل الحرب الركن الثاني المعقود عليه وهو المال المقصود نقله
من احد المتعاقدين فيعتبر فيه ستة شروط الاول ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيعه

ولا بأس ببيع الدهن الطاهر الذي نجس بوقوع نجاسة فانه يجوز الانتفاع به في غير
الاكل ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية في حال الحياة الثاني
ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات والفارة والحية ويجوز بيع الهرة والنحل والفهد
والاسد ويجوز بيع الفيل والببغا والطاوس والطيور المليحة وان كانت لا تؤكل فان
التفرج باصواتها والنظر اليها غرض مقصود ولا يجوز بيع المزامير وبيع الصور المصنوعة
من الطين للحيوانات واما الثياب والاطباق والستور فيصح بيعها وان كان عليها صورة
الحيوانات والثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او ماذونا من جهة المالك فلا يجوز
ان يشترى من غير المالك انتظارا لاذن المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استيناف العقد
فلا ينبغى ان يشترى من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الولد
مال الوالد اعتمادا على انه لو عرف رضى به الرابع ان يكون المعقود عليه مقدورا على
تسليمه شرعا وحسا فلا يجوز بيع الآبق والسمك في الماء وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على
ظهور الحيوان واللبن في الضرع الخامس ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف اما
العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل والوزن والنظر اليه واما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية
السادس ان يكون المبيع مقبوضا وكل ما اشتراه وباعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض
المنقول بالنقل والعقار بالتخلية الركن الثالث لفظ العقد ولا بد من جريان ايجاب وقبول
متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريحا او كناية فلو قال اعطيتك هذا بذاك
فقال قبلت جاز مهما قصد به البيع فانه قد يحتمل الاعارة فاما اذا كان في ثوبين او دابتين
فالنية ترفع الاحتمال والصريح اقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل فلا ينبغى ان يقرن
بالبيع شرطا على خلاف مقتضى العقد ومهما لم يجر بينهما الا المعاطاة بالفعل دون التلفظ
باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي رضه اصلا وينعقد عند ابي حنيفة رحه ان كانت في
المحقرات وضبط المحقرات عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز الناس المحقرات
في المعاطاة فهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات ثلث اما
فتح باب المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس فهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه

الاحتمال الثاني ان يسد الباب كما قاله الشافعي رضه وفيه اشكال من وجهين احدهما انه يشبه
ان يكون في المحقرات معتادا في زمان الصحابة رضه فلو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول
مع البقال والخباز وغيرهما لثقل عليهم فعله ولنقل عنهم ذلك نقلا منتشرا والثاني ان
الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشترى الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان
البايع قد تملكه بالمعاطاة فاي فايدة في تلفظه بالعقد اذا كان الامر كذلك الاحتمال
الثالث ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال ابو حنيفة رحه وعند ذلك يعسر الضبط
في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن شريح الى تخريج
قول الشافعي رضه على وفقه وهو اقرب الاحتمالات الى الاعتدالات فلا باس
لو ملنا اليه لمسيس الحاجة ولعموم ذلك بين الخلق في الاعصار السالفة وحق الورع
المتدين ان لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ولا ينبغى ان يمتنع بان
البايع قد تملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بايجاب وقبول
وان كان حاضرا عند شرائه او اقر البايع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فان قيل ان امكن
هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حضر في ضيافة او على مائدة وهو يعلم ان اصحابها يبيعون
بالمعاطاة او سمع منهم ذلك هل يجب عليه الامتناع من الاكل ام لا فاقول يجب عليه الامتناع
من الشراء اذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات
واما الاكل فلا يجب الامتناع منه فانا ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك
فلا ينبغى ان لا نجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة اوسع وامر نقل الملك اضيق
فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البايع اذن في الاكل يعلم ذلك بقرينة الحال
كاذن الحمامي في دخول الحمام العقد الثاني عقد الربوا وقد شدد الامر فيه ويجب الاحتراز
منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين وعلى المتعاملين على الاطعمة اذ لا ربوا الا في
نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل اما الفضل فليحترز منه في ثلثة
امور في بيع المكسور بالصحيح فلا يجوز المعاملة فيهما الا مع المماثلة وفي بيع الجيد بالردي
فلا ينبغى ان يشترى رديا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديا بجيد فوقه في الوزن

اعنى اذا باع الذهب بالذهب والفضه بالفضه فان اختلف الجنسان فلا حرج فى الفضل الثالث
فى المركبات من الذهب والفضة فالدنانير المخلوطة من الذهب والفضه ان كان مقدار الذهب
مجهولاً لم تصح المعاملة عليه اصلاً الا اذا كان ذلك نقداً جارياً فى البلد فانا نرخص
بالمعاملة عليه اذا لم نقابل بالنقد وكذلك الدراهم المغشوشة بالنحاس ان لم تكن رائجة فى
البلد لم تصح المعاملة عليه لان المقصود منه النقرة وهى مجهولة وان كان نقداً رائجاً فى البلد
رخصنا فى المعاملة لاجل الحاجة وكذلك كل حلى مركب من ذهب وفضه فلا يجوز شراؤه لا
بالذهب ولا بالفضه بل ينبغى ان يشترى بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوماً الا اذا
كان مموهاً بالذهب تمويهاً لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز
بيعها بمثلها من النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفى ان يشترى قلادة فيها خرز وذهب بذهب
ولا ان يبيعه بالفضه ان كان فيها فضه ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه
ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض
فى المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى او لم يختلف وان اتحد الجنس فعليهم التقابض
ومراعاة المماثلة والمعتاد فى هذا معاملة القصاب بان يسلم اليه الغنم ويشترى به اللحم
نقداً او نسيئة وهو حرام ومعاملة الخباز والعصار يسلم اليه الجوز وغيره ليؤخذ منه
الادهان والحنطة ليأخذ منه الخبز كان ذلك حراماً وكذا اللبان يعطى اللبن ليأخذ منه
الجبن والسمن فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقداً وبجنسه الا نقداً ومماثلاً وكل ما يتخذ من
الشئ فلا يجوز ان يباع به متفاضلاً ومماثلاً كالحنطة بالدقيق والخبز والعنب بالدبس
والخل فان المماثلة لا تفيد فيه اذا لم يكن الطعام فى حال كمال الادخار فلا يباع الرطب
بالرطب والعنب بالعنب متماثلاً ومتفاضلاً الثالث السلم وليراع التاجر فيه عشر شروط
الاول ان يكون رأس المال معلوماً على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى
قيمة رأس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافاً فى كر حنطة لم يصح فى احد القولين الثانى
ان يسلم رأس المال فى مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم الثالث
ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن

والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين وما اشبهها ولا يجوز فى المعجونات
والمركبات وما يختلف اجزاؤه كالقسى المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال
المختلفة اجزاؤها وجلود الحيوانات ويجوز السلم فى الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف
قدر الملح والماء يعفى عنه الرابع ان يستقصى وصف هذه الامور القابلة للوصف
حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة الا ذكره فان ذلك هو القائم مقام الرؤية
فى البيع الخامس ان يجعل الاجل معلوماً ان كان مؤجلاً فلا يؤجل الى الحصاد ولا الى
ادراك الثمار بل الاشهر والايام فان الادراك قد يتقدم ويتأخر السادس ان يكون
المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالباً فلا ينبغى ان يسلم
فى العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا ساير الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء
المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله ان يمهله ان شاء او يفسخ ويرجع الى رأس المال السابع
ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف فيه الغرض كيلا يثير ذلك نزاعاً الثامن ان لا يعلقه
بعين فيقول من حنطة هذا الزرع او ثمرة هذا البستان فان ذلك يبطل كونه ديناً نعم
لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع ان لا يسلم فى شئ نفيس عزيز
الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية حسناء معها ولدها او غير ذلك مما
لا يقدر عليه غالباً العاشر ان لا يسلم فى طعام مهما كان رأس المال طعاماً سواء كان
من جنسه او لم يكن ولا يسلم فى نقد اذا كان رأس المال نقداً العقد الرابع الاجارة
وله ركنان الاجرة والمنفعة فاما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه فى البيع
والاجرة كالثمن فينبغى ان يكون معلوماً وموصوفاً بكل ما شرطناه فى البيع ان كان
عيناً وان كان ديناً فينبغى ان يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن امور
جرت العادة بها فهو كراء الدار بعمارتها ولو قدر دراهم وشرط على المكترى ان
يصرف الى العمارة لم يجز لان عمله فى الصرف الى العمارة مجهول ومنها استيجار السلاخ
على ان يأخذ الجلد بعد السلخ واستيجار الطحان بالنخالة او بعض الدقيق فهو باطل وكذلك
كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ومنها ان يقدر

في اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر اشهر الاجارة
كانت المدة مجهولة فلم تنعقد الاجارة الركن الثاني المنفعة المقصودة بالاجارة
وهي العمل وحده ان كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير
فيجوز الاستيجار عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول
شرحها وانما نشير الى ما تعم به البلوى فليراع في العمل المستأجر عليه امور خمسة الاول
ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استأجر طعامه ليزين به الدكان
واشجاره ليجفف عليها الثياب او دراهمه ليزين بها الدكان لم يجز ولهذا لو استأجر
بياعا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما يأخذه البياعون عوضا عن
جاههم وترويج السلع فهو حرام وانما يحل لهم اذا تعبوا اما بكثرة التردد واما
بكثرة الكلام في تأليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطئوا
عليه الباعة فهو ظلم الثاني ان لا يتضمن الاجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز اجارة
الكرم لارتفاعه واجارة المواشي للبنها واجارة البساتين لثمارها ويجوز استيجار
المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن الثالث ان يكون العمل مقدورا
على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استيجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه وما يحرم فعله
بالشرع كتعليم السحر واستيجار الحائض على كنس المسجد واستيجار المصور على صور الحيوانات
فكل ذلك باطل الرابع ان لا يكون العمل واجبا على الاجير او لا يكون بحيث لا تجري النيابة
فيه عن المستأجر فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد ولا على ساير العبادات التي لا نيابة
فيها اذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز على الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن
الموتى وفي اخذ الاجرة على امامة صلوة التراويح وعلى الاذان خلاف الخامس
ان يكون المنفعة والعمل معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعيين السورة
ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة
في العادة فلا يجوز اهماله وتفصيل ذلك يطول العقد الخامس القراض وليراع فيه ثلثة
اركان الركن الاول راس المال وشرطه ان يكون نقدا معلوما مسلما الى العامل فلا يجوز

القراض

القراض على الفلوس ولا على العروض فان التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من
الدراهم لان قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لانه تضييق
طريق التجارة الركن الثاني الربح وليكن معلوما بالجزئية بان شرط له الثلث او
النصف او ما شاء ولو قال على ان لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز فلا يجوز
تقديره بمقدار معين بل بمقدار شايع الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان يكون
تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت ولو شرط بالمال ان يشتري ماشية ليأخذ
نسلها فيتقاسمان النسل او حنطة ليخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح وليس على
العامل ان يسافر بمال القراض دون اذن المالك فان فعل صحت تصرفاته و
لكنه ضمنه الاعيان والاثمان جميعا لانه عدوانه بالنقل يتعدى الى ثمن المنقول
وان سافر بالاذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال في مال القراض ومهما تجرد
في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض واذا رجع فعليه ان يرد بقايا
آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما العقد السادس الشركة وهي اربعة
انواع ثلثة منها باطلة الاول شركة المفاوضة وهو ان يقولا تفاوضنا لنشترك
في كل ما لنا وعلينا وما لاهما متميز الثاني شركة الابدان وهو ان يتشارطا
الاشتراك في اجرة العمل الثالث شركة الوجوه وهو ان يكون لاحدهما شوكة وقول مقبول
فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل وانما الصحيح الرابعة المسماة شركة العنان
وهو ان يخلطا مالاهما بحيث يتعذر التمييز الا بقسمة ويأذن كل واحد منهما صاحبه
في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يغير ذلك
بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح
يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض وهذا القدر
من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدري واما معاملة
القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنه المكتسب وغير المكتسب والخلل فيه من ثلثة
وجوه من اهمال شروط البيع او اهمال شروط السلم او الاقتصار على المعاطاة اذ

العادة جارية بكتبة الخطوط على هؤلاء بالحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة
ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما نرى القضاء بإباحته للحاجة ويحمل تسليمهم
على إباحة التناول فيحل أكله ولكن يجب الضمان بأكله ويلزم قيمته يوم الإتلاف
فيجتمع في الذمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار فينبغي أن يلتمس منهم الإبراء
المطلق حتى لا يبقى عهدة أن تطرق إليه تفاوت في التقويم والله أعلم **الباب الثالث**
في بيان العدل والاجتناب عن الظلم في المعاملة اعلم أن المعاملة قد تجري على
وجه يحكم المفتي بصحتها ولكنها يشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى ونعني
بالظلم ما يستضر به الغير وهو ينقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص المعامل **القسم
الأول** فيما يعم ضرره وهو أنواع **الأول** الاحتكار فبائع الطعام يدخر الطعام
ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم قال رسول الله صلعم من احتكر
الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره وفي رواية
أخرى برئ من الله وبرئ من رسوله وبرئ الله منه وقيل فكأنما قتل نفسا
واعلم أن النهي مطلق ويتعلق النظر في الوقت والجنس أما الجنس فيطرد النهي
في أجناس الأقوات أما ما ليس بقوت كالأدوية والعقاقير وغيرها فلا
يتعدى النهي إليه وأما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه فهو في محل النظر
فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والجبن والزيت وما يجري مجراه
وأما الوقت فيحتمل أيضا طرد النهي في جميع الأوقات ويحتمل أن يخصص بوقت
قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرر وإذا كان الزمان
زمان قحط وكان في ادخار السمن والعسل وأمثالها إضرار فينبغي أن يقضى بتحريمه
ويعول في نفي التحريم وإثباته على الضرار وإذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الأقوات
عن كراهية **النوع الثاني** ترويج الزيف من الدراهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ
يستضر به المعامل إن لم يعرف وإن عرف فيروجه على غيره فلا يزال يتردد ويعم
الضرر ويكون وزر الكل راجعا إليه قال بعضهم إنفاق درهم من ذلك أشد

من سرقة

من سرقة مائة درهم لأن السرقة معصية واحدة تمت وانقطعت وإنفاق الزيف
بدعة أظهرها في الدين فيكون عليه وزرها بعد موته إلى أن يبقى ذلك الدرهم
وليعلم في الزيف خمسة أمور **الأول** أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بئر
بحيث لا تمتد إليه يد **الثاني** أنه يجب على التاجر تعلم علم النقد لئلا يسلم إلى مسلم زيفا
وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره **الثالث** أنه إن سلم وعرف المعامل أنه زيف
لم يخرج عن الإثم لأنه ليس يأخذه إلا ليروجه على غيره ولا يخبره **الرابع** أنه إن أخذ
الزيف ليعمل بقوله صلعم رحم الله سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة
هذا الدعاء إن عزم على طرحه في البئر **الخامس** أن الزيف نعني به ما لا نقرة فيه
أصلا بل هو مموه أو ما لا ذهب فيه من الدنانير أما ما فيه نقرة فإن كان
مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وقد رأينا
الرخصة فيه إذا كان نقد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم فإن كان
حاله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر به معامله ولا يعامل به إلا
من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه
تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذ الخمر وذلك محظور وإعانة
على الشر وسلوك طريق الحق بأمثال هذه التجارة أشد من المواظبة على نوافل
العبادات والتخلي لها **القسم الثاني** ما يخص ضرره المعامل وكل ما يستضر به المعامل فهو
ظلم وإنما العدل أن لا يضر بأخيه المسلم والضابط الكلي فيه أن لا يحب له إلا ما يحب
لنفسه هذه جملته وأما تفصيله ففي أربعة أمور أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها
وأن لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا وأن لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع
عنه وهذه الأمور الأربعة التي ذكرناها ذكرت وشرحت وأوردنا ما فيها من
الفضيلة والثواب في كتاب الإحياء أسقطناها للاختصار والله أعلم **الباب الرابع**
في الإحسان في المعاملة وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعا فالعدل سبب النجاة
فقط وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا

برأس ماله وكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين ان يقتصر على العدل واجتناب
الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال الله تعالى واحسن كما احسن الله اليك واعني بالاحسان
فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب
العدل وترك الظلم وينال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور **الاول** في المغابنة فينبغي
ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة وان بذل المشتري زيادة على الربح
المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجته في الحال فينبغي ان يمتنع عن قبوله فذلك من
الاحسان وقد ورد في بيان ذلك من القدماء حكايات كثيرة روي عن محمد بن
المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع غلامه في غيبته شقة
من الخماسيات بعشرة فلما علم بذلك لم يزل يطلب الاعرابي حتى وجده فقال له ان الغلام
غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال قد رضيت فقال وان رضيت فانا
لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلاث خصال اما ان تأخذ شقة من
العشريات واما ان نرد عليك خمسة واما ان ترد شقتنا وتأخذ دراهمك فقال اعطني
خمسة فاعطاه فانصرف الاعرابي وهو يقول لا اله الا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي
اذا قحطنا **الثاني** في احتمال الغبن فالمشتري ان اشترى طعاما من ضعيف او شيئا من فقير
فلا بأس ان يحتمل الغبن ويتساهل فيكون به محسنا وداخلا في قوله عم رحم الله سهل البيع
وسهل الشراء فاما اذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال
الغبن ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد وكان الحسن والحسين رض وغيرهما
من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الكثير ولا يبالي قال ان الواهب
يعطي فضله واما المغبون يغبن عقله **الثالث** في استيفاء الثمن وساير الديون والاحسان
فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتأخير ومرة بالمساهلة في
طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب اليه قال النبي صلعم رحم الله سهل البيع وسهل الشراء سهل
القضاء سهل الاقتضاء فليغتنم دعاء رسول الله صلعم وقال عم اسمح يسمح لكم وقال صلعم
من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وقال عم من اقرض دينا الى اجل فله بكل

يوم صدقة الى اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله كل يوم مثل ذلك الدين صدقة
فكل من باع في الحال شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهق الى طلبه فهو في معنى القرض
الرابع في توفية الدين ومن الاحسان فيه حسن القضاء وذلك بان يمشي الى صاحب
الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه ويتقاضاه قال صلعم خيركم احسنكم قضاء وقال عم من اذان
دينا وهو ينوي اداءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وليسلم الاجود مما
شرط عليه واحسن ان امكنه **الخامس** ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر
بالبيع فلا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه قال النبي عم من اقال نادما
صفقته اقال الله عثرته يوم القيمة **السادس** ان يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسية
وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم يظهر لهم ميسرة فقد كان في السلف رض
من يقرض الفقير الشيء ويقول له خذ ما تريد فان تيسر لك فاقض والا فانت في حل منه
وسعة فمن قام بهذا فهو مهتدي لهذه السنة ولذلك قيل اذا اثني على الرجل جيرانه في الحضر
واصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد شاهد عند عمر رض
فقال ائتني بمن يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذي
تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم
الاخلاق فقال لا فقال فعاملته في الدينار والدرهم الذي يستبين به ورع
الرجل فقال لا قال اظنك رأيته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورا ويرفعه
قال نعم اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك **الباب الخامس** في
شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده
فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما يناله في
الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالآخرة والعاقل ينبغي ان يشفق على نفسه وشفقته
على نفسه بحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه واما يتم شفقة التاجر على دينه
بمراعاة سبعة امور **الاول** حسن النية في ابتداء التجارة فلينو به الاستعفاف عن السؤال
وكف الطمع عن الناس استغناء عنهم واستعانة بما يكتسبه على الدين بكفاية العيال ليكون

من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لساير الخلق ما يحب لنفسه ولينو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع طريق العدل والاحسان فاذا احضر هذه العقايد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وان خسر في الدنيا ربح في الآخرة **الثاني** ان يقصد القيام في صنعته او تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت لبطلت المعايش فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وخياطة الخياط القباء من الابريسم وصياغة الصايغ مراكب الذهب او خواتم الذهب للرجال كل ذلك من المعاصي والاجرة المأخوذة على بعض ما ذكرناه حرام **الثالث** ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة واسواق الآخرة المساجد وكان عمر رضه يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون اول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة **الرابع** ان لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله تع في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل فذكر الله تع في السوق بين الغافلين افضل قال عم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وكالحي بين الاموات او في لفظ آخر كشجرة خضراء بين الهشيم **الخامس** ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بان يكون اول داخل وآخر خارج وبان يركب البحر في التجارة فهما مكروهان وفي الخبر لا يركب البحر الا لحج او لعمرة او غزو **السادس** ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواقع الشبهات ومظان الريب لا ينظر الى الفتاوي بل يستفتي قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه سلعة رابه امرها سال عنها حتى يعرف والا اكل الشبهة واما الواجب ان ينظر التاجر الى من يعامله فكل منسوب الى ظلم او خيانة او سرقة او ربا فلا يعامله وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل اصحابهم واعوانهم **السابع** ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فانه يراقب ويحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب في كل قوله وفعله قال بعضهم رايت بعض التجار في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال نشر على خمسين الف صحيفة وقلت اهذه كلها ذنوب

فقال هذه معاملات الناس عدد من كنت عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من اول المعاملة الى آخرها فهذا ما على المكتسب في معاملته من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين وان اضاف اليه الاحسان كان من المقربين وان راعى مع ذلك وظايف الدين كما ذكرناه في الباب الخامس كان من الصديقين والله اعلم

كتاب الحلال والحرام

اما بعد فقد قال عم طلب الحلال فريضة على كل مسلم وهذه الفريضة من بين ساير الفرايض اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات وما عداه فقد اخبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذ تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اصلا ولم يتركوا بين الاموال فرقا وفصلا وهيهات هيهات والحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات ولا تزال هذه الثلاث مفترقات كيف ما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في سبعة ابواب **الباب الاول** في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام **الباب الثاني** في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام **الباب الثالث** في البحث والسؤال والاهمال ومظانها في الحلال والحرام **الباب الرابع** في كيفية خروج التايب من المظالم المالية **الباب الخامس** في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم **الباب السادس** في الدخول على السلاطين ومخالطتهم **الباب السابع** في مسائل متفرقة

الباب الاول في الحلال والحرام وفيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه قال الله تع ولا تاكلوا اموالكم

انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الآية والآيات الواردة
في الحلال والحرام لا تحصى وقال رسول الله صلعم طلب الحلال فريضة على كل مسلم وقال عم
من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلوته ما دام عليه منه
شيء وقال عم كل لحم نبت من الحرام فالنار اولى به وقال عم درهم من ربا اشد عند
الله من ثلثين زنية وقد روي ان الصديق رض شرب لبنا من كسب عبده ثم سأله فقال
تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء حتى ظن ان نفسه ستخرج
ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وقال سفيان الثوري
من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهره الا الماء
والذنب لا يكفره الا الحلال وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال
فلم يأكله فسأله عنه فقال نحن لا نأكل الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا
ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة ولو اكلنا ما تأكلون ثلاثة ايام لما رجعنا
الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل اني اصوم
الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من اللبن التي
رأيتني شربتها احب الي من ثلثين ختمة في ثلثمائة ركعة من اعمالك وكانت شربة
لبن من ظبية وحشية واعلم ان تفصيل الحلال والحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني
المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حله ولا يأكل من غيره
فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله ونحن
الآن نشير الى مجامعه في سياق تقسيم وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في
جهة اكتسابه القسم الاول الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان
الاعيان المأكولة على وجه الارض لا تعدو ثلثة اقسام فانها اما ان يكون من المعادن
كالملح والطين او من النبات فاما المعادن فهو ما يظهر من الارض وجميع ما يخرج
منها فلا يحرم اكله الا من حيث انه يضر بالاكل اذ في بعضها ما يجري مجرى السم وفائدة قولنا انها
لا تحرم مع انها لا تؤكل انه لو وقع شيء منها في مرقة او طعام لم يحرم به واما النبات

فلا يحرم

فلا يحرم منه الا ما يزيل العقل او يزيل الحيوة او الصحة واما الحيوانات فتنقسم الى ما يؤكل
والى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الاطعمة والنظر يطول في تفصيله لا سيما في الطيور
الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكلها فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا وذلك
مذكور في كتاب الصيد والذبائح وما لم يذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام فلا
يحل الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح
والجبن فاما اذا انفردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل
ما ليس له نفس سائلة ولا سبب في تحريمها الا الاستقذار والحيوانات المأكولة اذا
ذبحت فلا يحل جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضى بنجاسته
فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته القسم الثاني ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه وفيه
يتسع النظر فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره فالذي
بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا يكون من مالك كنيل المعادن
او يكون من مالك والذي يؤخذ من مالك فاما ان يؤخذ قهرا او يؤخذ تراضيا
والمأخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ
كزكوات الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم والمأخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض
كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من
هذا السياق ستة اقسام الاول ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات
والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار فهذا حلال بشرط ان لا يكون المأخوذ
مختصا بذي حرمة من الآدميين الثاني المأخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة
وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها
بالعدل الثالث ما يؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه ذلك فيؤخذ دون رضاه
وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على
القدر المستحق واستوفاه من يملك الاستيفاء من قاض او مستحق الرابع ما يؤخذ تراضيا
بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرائط ما تعبد الشرع به من التمليك والتملك في جميع

المعاوضات الخامس ما يؤخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال اذا روعي شروط المعقود عليه والمتعاقدين والعقد السادس ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من وجوه الحلال بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا واخراج الحقوق الواجبة عليه وهذه مجامع مداخل الحلال اوما نا الى جملتها ليعلم المريد درجات الحلال والحرام اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث والحلال كله طيب ولكن بعضه اطيب فنقول الورع عن الحرام على اربع درجات ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتثبت اسم العصيان وهذا الورع من كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء الثانية ورع الصالحين وهو ما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي يرخص في التناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة وهو ورع الصالحين الثالث ما لا تحرمه المفتي ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو ورع المتقين الرابعة ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدي الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله وهو ورع الصديقين والحرام الذي ذكرناه في الدرجة الاولى فهو ايضا على درجات في الخبث فالمأخوذ بعقد فاسد حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده بل المأخوذ ظلما من فقير او صالح او يتيم اخبث واغلظ من المأخوذ من غني او فاسق اما الدرجة الاولى وهو ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل من المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام بفقد شرط من الشروط في الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه الى الفسق اما الدرجة الثانية فكل شبهة لا يجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في كتاب الشبهات ومنها ما يكره اجتنابها والورع منه ورع الموسوسين كمن يمتنع عن الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه اما الدرجة الثالثة فيشهد لها قوله صلعم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس وقال عمر رض كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع في الحرام ومن ذلك ان عمر رض لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان يشير عليه بشفاعة

في باطل فيطيعها فهذا من ترك ما لا باس به فاكثر المباحات داعية الى المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة الى طلب مثله حتى كره احمد تجصيص الحيطان وتجصيص المسجد وتزيينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في المباحات الى غيرها واذا اعتودت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة وهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة اما الدرجة الرابعة وهي ورع الصديقين فالحلال المطلق عندهم كل ما لا يتقدم في اسبابه معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر بل يتناول لله تعالى وللتقوي على عبادته وهؤلاء الذين يرون كل ما ليس لله حراما الباب الثاني في مراتب الشبهات وتمييزها عن الحلال والحرام قال رسول الله صلعم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهذا الحديث نص في اثبات الاقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس فان ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فالحلال المطلق هو الذي انحل عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن اسبابه ما يتطرق اليه تحريم او كراهية كماء المطر اذا اخذه الانسان في ملكه او في ارض مباحة والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا شك فيها كالشدة في الخمر او بسبب منهي كالظلم والربا وغيره والاحتمالات التي تقع في النفوس من غير دلالة عليه او قرينة يستدل بها كمن يستغير دارا فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول لعله مات فصار الحق للوارث فهو وسواس اذ الشبهة المحظورة ما نشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز لا يكون شكا بغير سبب فهذا يلحق بالحلال المطلق ويلحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وامكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل

انه مات وقد انتقل الملك الى فاكله فاقدامه عليه اقدام على حرام محض لانه احتمال لا مستند
له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات فالشبهة ما اشتبه علينا امره بان
تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين ومثارات الشبهة
خمسة المثار الاول الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك لا يخلو اما ان يكون متعادلا
او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمال كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك
وان غلب احد الاحتمالين غلبة تصدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا
الا بامثلة وشواهد فالقسمة على اربعة اقسام القسم الاول ان لا يكون الحل معلوما من قبل
ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة تحرم الاقدام عليها مثاله ان يرمى الى صيد فيجرح
ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدرى انه مات بالغرق او بالجرح فهذا حرام
لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين ولا
يترك اليقين بالشك كما في الاحداث والنجاسات وركعات الصلوات وعلى هذا
ينزل قوله صلعم لعدي بن حاتم لا تاكله فلعله قتله غير كلبك القسم الثاني ان يعرف الحل ويشك
في المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما اذا نكح رجلان امرأتين وطار طاير فقال احدهما
ان كان هذا غرابا فامرأتي طالق وقال الآخر ان لم يكن غرابا فامرأتي طالق والتبس
الطاير فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما
وتطليقهما حتى تحلا لساير الازواج القسم الثالث ان يكون الاصل التحريم ولكن طرأ ما اوجب
تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه فالغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى
سبب معتبر شرعا فالذي نختاره فيه انه يحل وان اجتنابه من الورع ومثاله ان يرمى الى صيد
فيغيب عنه ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه ولكن يحتمل انه مات بسقطة او بسبب اخر
وان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول واختلف قول الشافعي رح
في هذا القسم والمختار انه حلال القسم الرابع ان يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان
محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا رفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم اذ بان لنا ان الاستصحاب
ضعيف فلا يبقى له حكم مع غالب الظن ومثاله ان يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الانائين

بالاعتماد

بالاعتماد على علامة بعينها يوجب غلبة الظن فيوجب تحريم شربه كما اوجب منع الوضوء
به هذا في غلبة ظن استند الى علامة متعلقة بعين الشيء فاما غلبة الظن لا من جهة
علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رح في ان اصل الحل هل يزال به
المثار الثاني للشبهة شك منشاؤه الاختلاط وذلك بان يختلط الحلال بالحرام فيشتبه الامر
فلا يتميز والخلط لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد
محصور فان اختلط المحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة
كاختلاط المايعات او يكون اختلاط استبهام مع تميز الاعيان كاختلاط الاعبد
والدور والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما ان يكون مما يقصد عينه كالعروض
او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم ستة اقسام القسم الاول ان يستبهم العين
بعدد محصور كما لو اختلطت ميتة بذكية الثاني حرام محصور بحلال غير محصور كما لو
اختلطت عشر رواضع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له
ان ينكح من شاء منهن وكذلك من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك
الشراء وكذلك كان يعرف ان في الناس من يربى في الدراهم والدنانير وما ترك رسول
الله صلعم ولا الناس الدراهم بالكلية الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال
في زماننا هذا والذي يأخذ الاحكام من الصور فلا يظن ان نسبة غير المحصور الى
غير المحصور كنسبة المحصور الى المحصور وقد حكمنا ثمة بالتحريم فلنحكم ههنا والذي
نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيئا بعينه احتمل انه
حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن
في العين علامة فتركه ورع واخذه حلال ومن العلامات ان يأخذ من يد سلطان
ظالم وبقية الاقسام الستة مذكورة مشروحة في كتب الفقه فلا نحتاج الى ذكرها
لئلا يطول هذا المختصر المثار الثالث للشبهة ان يتصل بالسبب المحلل معصية اما في قرائنه
واما في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب
فساد العقد وابطال السبب المحلل مثال المعصية في القرائن البيع في وقت النداء

يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوب وامثال ذلك كل نهي ورد في العقود ولم يدل
على فساد العقد فهو مكروه ثم اعلم ان هذه الكراهة لها ثلاث درجات الاولى
منها تقرب من الحرام والورع منه مهم والاخيرة تنتهي الى نوع من المبالغة يكاد
يلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازلة الى الطرفين واما مثال اللواحق
فهو كل تصرف يفضي في سياقه الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام
من المعروف بالفجور بالغلمان وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ
منه والاقيس ان ذلك صحيح والمأخوذ حلال ولكنه مكروه والرجل عاص بعقده
وترك هذا من الورع المهم واما المقدمات فلتطرق المعصية اليها ايضا ثلاث
درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل من
شاة علفت بعلف مغصوب او رعيت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا
لبقائها وربما يكون الباقي من لحمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم
وان لم يكن واجبا والرتبة الوسطى الامتناع من الشرب من حوض اتخذه الظلمة او من
مصانع السلاطين في الطرق واعلى منه ورع ذي النون المصري رض اذ امتنع من
اكل طعام حلال من يد السجان والثالثة قريبة من الوسواس وهي ان يمتنع من حلال
وصل على يد من عصى بالزنا والقذف وهذا بخلاف من ياكل الحرام واما المعصية
في العوض فله ايضا درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ان يشتري شيئا
في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام فينظر فان سلم البائع اليه الطعام قبل قبض
الثمن بطيبة قلب فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام
فكانه لم يقض الثمن وكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب
ذلك حراما وان قضى الثمن من الحرام وابراه البائع مع العلم بانه حرام فقد برئت
ذمته ولم يبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها الى البائع وان ابراه
على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة وان لم يسلم اليه بطيبة قلب ولكن اخذه فاكله
حرام سواء اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده ولو اشترى سلطان مثلا

ثوبا

ثوبا او ارضا في الذمة وقبضه برضاء البائع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او
غيره صلة او خلعة وهو شاك في انه سيقضي ثمنه من الحرام او الحلال فهذا اخف اذا
وقع الشك في تطرق المعصية الى الثمن المثار الرابع الاختلاف في الادلة فان ذلك
كالاختلاف في السبب لان الدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة والسبب سبب في حق
المعرفة وما لم يثبت في معرفة العبد فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في
علم الله تعالى وهي اما ان يكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامات الدالة او لتعارض
التشابه القسم الاول ان يتعارض ادلة الشرع مثل تعارض العمومين في القرآن او
السنة او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك و
يرجع فيه الى الاستصحاب او الاصل المعلوم قبله ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب
الحظر وجب الاخذ به ولكن الورع تركه والله اعلم الباب الثالث في البحث والسؤال و
الهجوم والاهمال ومظانها اعلم ان من قدم اليك طعاما او هدية او اردت
ان تشتري منه او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسال وتقول هذا مما لا اتحقق
حله فلا آخذه بل افتش عنه فليس لك ايضا ان تترك البحث فتاخذ كل ما لا تتيقن تحريمه
بل السؤال واجب مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله والقول
الشافي فيه ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة ومثارها اما امر
يتعلق بالمال او بصاحب المال المثار الاول احوال المالك وله بالاضافة الى معرفتك
ثلاثة احوال ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة
الحالة الاولى ان يكون مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده
وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف والتجارة والعلم
وغيرها من العلامات واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت رجلا
خبازا او قصابا او غيرهما ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا ولا ما يدل
على نفيه فهذا مجهول لا تدري حاله ولا تقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن
اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان وقد عرفت بما سبق ان الورع

ترك ما لا تدري فهذا شرط الورع وانما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول المجهول
ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه شيئا
فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على اخذه
وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذا وسوسة وسوء
ظن بهذا المسلم وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من
غير تفتيش بل يحسن الظن به بل ان كان يتورع ولا يدخل جوفه الا ما يدري من اين
هو فهو حسن فليتلطف في الترك فان كان لا بد له من اكله فليأكل بغير سؤال اذ السؤال
ايذاء وهتك ستر وهو حرام وهو غير مؤاخذ بما لا يدري اذا لم يكن ثمة علامة
توجب الاجتناب فطريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع
الاكل واحسان الظن هذا هو المألوف من الصحابة رض ومن زاد عليهم في الورع
فهو ضال مبتدع **الحالة الثانية** ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت ريبة فلنذكر
صورته ثم حكمه اما الصورة وهو ان يدل على تحريم ما في يده دلالة اما من خلقته
او من زيه وثيابه او من فعله وقوله فهذه مواضع الريبة فاذا اراد ان يشتري
من مثل هذا شيئا او يجيبه الى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه الا هذه
العلامات فالاقدام جائز والترك من الورع **الحالة الثالثة** ان يكون الحال معلوما
بنوع خبرة بحيث يوجب ذلك ظنا في حل المال وتحرجه مثل ان يعرف صلاح الرجل
وديانته في الظاهر وجوز ان يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا
يجوز فاما اذا علم بالخبرة انه جندي او مغن او مرب استغنى عن الاستدلال عليه
في الهيئة والشكل فههنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل اولى **المثار
الثاني** ما يستند الشك فيه الى سبب في المال لا في حال المالك وذلك بان يختلط الحرام
بالحلال كما اذا طرح في سوق احمال من طعام غصب واشتراها اهل السوق فليس
يجب على من يشتري في تلك السوق ان يسأل عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما
في ايديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس

بواجب ولا يتسع مقصود هذا الكتاب الا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات
فلنفرضها **مسألة** شخص معين خالط ماله الحرام مثل ان يباع على دكانه بياع الطعام
المغصوب ومثل ان يكون القاضي او الرئيس او الفقيه الذي له ادرار على سلطان
ظالم وله ايضا مال من تجارة او دهقنة او تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربي
ايضا فان كان الاكثر من ماله حراما لا يجوز الاكل من ضيافته ولا قبول هدية
الا بعد التفتيش فان ظهر ان المأخوذ من وجه حلال فذاك والا ترك وان كان الحرام
اقل والمأخوذ مشتبه فهذا في محل النظر لانه على رتبة بين الرتبتين فلا شك في ان
الهجوم عليه بعيد من الورع جدا **مسألة** اذا حضر طعام انسان علم انه دخل في يده
حرام ولا يدري انه بقي الآن ام لا فله الاكل ولا يلزمه التفتيش ولكن التفتيش من
الورع **مسألة** اذا كان في يد المتولي لسبيل الخيرات والاوقاف او الوصايا
مال ان يستحق هو احد منها ولا يستحق الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة فهل له ان
يأخذ ما يسلمه اليه صاحب الوقف فان كان تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وكان
المتولي ظاهر العدالة فله ان يأخذ بغير بحث واذا كان المتولي ممن عرف انه يخلط و
لا يبالي كيف يفعل او كانت الصفة خفية فعليه السؤال **مسألة** لا ضبط للسؤال بل ينظر
الى الريبة المقتضية له وهي اما وجوبا واما ورعا وغايته انقطاع الريبة فلو كانت
التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد طريق الكسب الحلال فان قال اشتريت انقطع بسؤال
واحد وان قال من شاتي وقع الشك في الشاة وان اسندها الى الوراثة وحال المورث
مجهول انقطع السؤال وان علم ان جميع ماله حرام ظهر التحريم **مسألة** حيث جعلنا السؤال من
الورع فليس له ان يسأل صاحب الطعام والمال اذا لم يأمن غضبه وانما يجب السؤال اذا
تحقق ان اكثر ماله حرام فعند ذلك لا يبالي بغضبه لانه ظالم نعم له ان يسأل وكيله او غلامه
او تلميذه او من هو تحت رعايته لانهم لا يغضبون ولانه يعلمهم طريق الحلال ولو كان
له صديق او اخ وهو يأمن غضبه فلا ينبغي له ان يسأله لاجل الورع خاصة ولو رابه
منه شيء فلا يسأله بل يظن به انه يطعمه من الطيب وان لم يطمئن قلبه فليحترز متلطفا ولا

يحكم بتركه بالسؤال مسئلة له ان يشتري في البلدة دارا وان علم انها تشتمل على دور
مغصوبة لان ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع فان كان في
سكة عشر دور احدها مغصوبة او وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنه ومن
دخل بلدة وفيها رباطات خص بوقفها ارباب المذاهب وهو على مذهب واحد من
جملة تلك المذاهب فليس له ان يسكن اتباعا وياكل من وقفها بغير سؤال حيث يجب السؤال
فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز ان يترجح في القلب قول
احدهما ويجوز الترجيح بالكثرة او بالخبرة والمعرفة سئل عن جماعة من سكان خانقاه
للصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم الطعام اليهم وقف على ذلك المسكن ووقف
آخر على جهة اخرى غير هؤلاء وهو يخلط وينفق الكل على هؤلاء فاكل طعامه حلال
او حرام او شبهة فقلت هذا يلتفت الى سبعة اصول الاول ان الذي يقدم اليهم في
الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة فليس في هذا الا شبهة الخلاف
الثاني ان ينظر ان الخادم يشتريه بعين المال الحرام او في الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام
فهو حرام وان لم يعرف فالغالب انه يشتريه في الذمة ويجوز الاخذ بالغالب الثالث
ان اشترى ممن اكثر ماله حرام لم يجز وان كان اقل ماله ففيه نظر قد سبق واذا لم يعرف
جاز له الاخذ بانه يشتريه ممن ماله حلال او ممن لا يدري المشتري حاله بيقين كالمجهول وقد
سبق جواز الشراء من المجهول الرابع ان يشتريه لنفسه او للقوم ولكن يكون ذلك بالنية
او صريح اللفظ فيدخل في ملكه وهذا الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة الاصل الخامس ان الخادم
يقدم الطعام اليهم ولا يمكن ان يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فانه لا يرضى بذلك
انما يقدم اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولكن طمع الخادم
في ان ياخذ ثوابا من الوقف ليقضي به دينه من القصاب والخباز فهذا ليس فيه شبهة السادس
ان العوض الذي يلزم فيه خلاف وقد ذكرنا حكمه من قبل وانه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي
الشبهة السابع انه يقضي دين القصاب والخباز من ارتفاع الوقفين فان وفى ما اخذ
من جهتهم بقيمة ما اطعمهم فقد صح الاداء وان قصر عنه ورضي القصاب والخباز باي ثمن كان

واما

واما او حلالا فهذا خلل يرجع الى ثمن الطعام ايضا فليلتفت الى ما قدمناه من
الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من حرام الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم
المالية اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه ووظيفة
اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما النظر الاول في كيفية التمييز والاخراج اعلم ان
كل من تاب وفي ماله حرام معلوم العين فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا
مختلطا فلا يخلو اما ان يكون في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود
والادهان واما ان يكون في اعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدور فان
كان في المتماثلات او كان شائعا في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم انه كذب في بعضها
في المرابحة وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه او فعل ذلك في
الحبوب او الدراهم او الدنانير فلا يخلو اما ان يكون معلوم القدر او مجهوله فان كان
معلوم القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وان
اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين والآخر الاخذ بغالب الظن فان اراد الورع
فطريق التحري ان لا يستبقي الا القدر الذي يتيقن انه حلال وان اراد الاخذ بالظن
فطريقه مثل ان يكون في يده مال التجارة فسد بعضها فيتيقن ان النصف حلال وان
الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن فهذا طريق التحري في كل
مال وهو ان يقطع القدر المتيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان
غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع اخراجه وان شك فيه
جاز الامساك والورع اخراجه فهذا الورع اوكد لانه صار مشكوكا فيه فكان امساكه
اعتمادا على انه في يده فيكون الحل اغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد تيقن اختلاط
الحرام ويحتمل ان يقال الاصل التحريم فلا ياخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس احد
الجانبين باولى من الآخر وليس يتبين لي في الحال ترجيح وهو من المشكلات فان قيل
هب انه اخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في
يده فكيف يقدم عليه فلو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلطت ميتة بتسع مذكيات

وهى العشر فله ان يطرح واحدة اى واحدة كانت ويأخذ الباقى ويستحله ولكن
يقال الحل المتيقن فيها استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال انها الحرام
فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا ان المال يحل باخراج البدل لتطرق المعاوضة
اليه واما الميتة فلا يتطرق المعاوضة اليها فلينكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالوضع
فى درهم معين اشتبه بدراهم اخر فمن له درهمان احدهما حرام وقد اشتبه عينه وقد سئل
احمد بن حنبل رض عن هذا فقال يدع الكل حتى تتبين وهذا ورع ونقول انه يخرج واحدا
فليتوقف فى درهم له مالك معين حاضر فنقول اذا رد احد الدرهمين عليه ورضى رجل
له الدرهم الآخر لانه لا يخلوا اما ان يكون الموجود فى علم الله تع هو المأخوذ وقد
حصل المقصود وان كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم فى يد صاحب فالاحتياط
ان تبايعا باللفظ وان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة ولنرسم
مسايل فى هذا الفن ليتضح الكلام مسئلة اذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب
ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهى لجميع الورثة فان النصف الذى له لا يتميز حتى يقال
هو المردود مسئلة اذا وقع فى يده مال اخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار
وقد حصل منه ارتفاع فينبغى ان يجب اجر مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له
منفعة او حصل منه زيادة فلا يصح توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب فكل زيادة
حصلت منه وتقدير اجرة العبد والثياب وامثال ذلك مما لا يعتاد اجارتها مما
يعسر ولا يدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين وطريق الورع الاخذ بالاقصى مسئلة
من ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه امن حلال ام حرام ولم يكن
ثمه علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما وشك فى قدره اخرج
مقدار الحرام بالتحرى النظر الثانى فى المصرف اذا اخرج الحرام فله ثلثة احوال اما ان يكون
له مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غايبا فينتظر حضوره او الايصال
اليه فان كانت له زيادة ومنفعة فليجمع فوايده الى وقت حضوره واما ان يكون
لمالك معين وقع اليأس عن الوقوف على عينه ولا يدرى هل مات عن وارث ام لا

وربما

وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فان بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على
جميعهم وهذا ينبغى ان يتصدق به واما ان يكون من مال الفئ والاموال المرصدة
لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات وامثال
هذه الامور الذى يشترك فى الانتفاع بها جميع المسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة
اما التصدق فينبغى ان يتولاه القاضى فليسلم اليه ان وجد قاضيا متدينا وان كان
القاضى مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا فان عجز
عن ذلك فليتول ذلك بنفسه مسئلة اذا وقع فى يده مال من يد سلطان قال قوم يرد
الى السلطان فهو اعلم بما تولاه فيقلده وهو خير من ان يتصدق به والمختار انه
اذا علم من السلطان انه لا يرده الى مالكه فيتصدق به عن المالك فهو خير للمالك وان
كان له مالك معين فالرد الى السلطان تضييع واعانة للسلطان الظالم فيرده الى
صاحبه واذا وقع فى يده من ميراث ولم يتعد هو بالاخذ من السلطان فانه شبيه
باللقطة التى آيس من معرفة صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك
ولكن له ان يتملكه مسئلة الذى حصل فى يده مال لا مالك له وجوزنا له ان يأخذ قدر
حاجته ففى قدر حاجته نظر فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله والاولى
ان يتصدق بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تع فى الحلال مسئلة
اذا كان فى يده حلال وحرام او شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له
عيال فليخص نفسه بالحلال لان الحجة عليه اوكد فى نفسه منهم مسئلة الحرام الذى فى يده
لو تصدق على الفقراء فعليه ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر
وما انفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسع والتضييق مسئلة اذا كان
الحرام او الشبهة فى يد ابويه فليمتنع من مواكلتهما وان كانا يسخطان فلا يوافقهما
على الحرام المحض بل ينهيهما وان كان شبهة وكان امتناعه للورع فليتلطف فى
الامتناع فان لم يقدر على الامتناع فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة ويطيل
المضغ ولا يتوسع فان ذلك غرور والاخ والاخت قريب من ذلك لان حقهما

ايضا مؤكد وكذلك اذا البسته امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل
ليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي فيه الا عند حضورها فيصلي
صلوة المضطر وعند تعارض اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقايق مسئلة
من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس اما اذا كان
مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط
الحج الا بالفقر مسئلة من في يده حرام امسكه للحاجة فاراد ان يتطوع بالحج فان كان
ماشيا فلا بأس به لانه سيأكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى
وان كان يحتاج الى المركوب فلا يجوز الاخذ بمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز
اشتراء المركوب في البلدة مسئلة من خرج للحج الواجب بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون
قوته من الطيب فان لم يقدر ففي وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم
عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله تعالى في وقت مطعمه وملبسه حرام فان لم يقدر فليلازم
قلبه الحزن والغم فعساه ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه الباب الخامس
في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم اعلم ان من اخذ مالا من
سلطان فلا بد له من النظر في ثلثة امور في مدخل ذلك الى يد السلطان من اين هو
وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه اذا اضيف الى
حاله وشركائه في الاستحقاق النظر الاول في جهات الدخل للسلطان وكل ما يحل
للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان ماخوذ من الكفار وهو الغنيمة
الماخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية و
اموال المصالحة وهو الذي تؤخذ بالشروط والمعاقدة القسم الثاني الماخوذ من المسلمين
ولا يحل منه الا قسمان المواريث وساير الاموال الضايعة التي لا يتعين لها مالك
والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليس تؤخذ في هذا الزمان وما عدا ذلك
من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام فاذا
كتب لفقيه او غيره ادرارا او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما

ان

ان يكتب على الجزية او على المواريث او على الاوقاف او على ملك احياه السلطان
او على ملك اشتراه او على عامل خراج المسلمين او على بياع من جملة التجار او على
الخزانة فالاول هو الجزية واربعة اخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب
على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط
في القدر فهو حلال بشرط ان لا يكون الجزية الا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة
على دينار او على اربعة دنانير فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل
ما هو في محل الاجتهاد ويشترط ان يكون الذمي الذي يؤخذ منه مكتسبا من وجه
لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا صبيا ولا امرأة اذ لا
جزية عليهما فهذه امور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من يصرف
اليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك الثاني المواريث والاموال الضايعة
فهي للمصالح والنظر في الذي خلفه هل كان ماله كله حراما او اكثره وقد سبق حكمه
الثالث الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الميراث مع زيادة امر وهو
شرط الواقف حتى يكون الماخوذ موافقا له في جميع شرايطه الرابع ما احياه السلطان
وهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء واي قدر شاء واما
النظر في ان الغالب هل احياه باكراه الاجراء او باداء اجرتهم من حرام وهذا
يورث شبهة وقد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالاعواض الخامس ما اشتراه
السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو ملكه فله ان يتصرف
فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد
سبق تفصيله السادس ان يكتب على عامل خراج المسلمين او من يجمع اموال الغنيمة
والمصادرة وهو الحرام السحت الذي لا شبهة فيه وهو اكثر الادرارات في
هذا الزمان الا ما على اراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رضه على مصالح المسلمين
السابع ان يكتب على بياع يعامل السلطان فان كان لا يعامل غيرهم فماله كمال خزانة
السلطان وسيأخذ بدله من الحرام فالخلل يتطرق الى العوض وقد سبق حكم الثمن

الحرام الثامن ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم
يعرف للسلطان دخل الا من الحرام فهو سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل
على مال حلال ومال حرام واحتمل ان يكون ما يسلم اليه بعينه من الحلال احتمالا قريبا
له وقع في النفس واحتمل ان يكون من الحرام وهو الاغلب لان اغلب اموال السلاطين
حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز وقد اختلف الناس في
هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذه وقال آخرون لا يحل ان ياخذ
ما لم يتحقق انه حلال فلا يحل شبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمنا ذكره
وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام
فهو موضع توقفنا فيه كما سبق وقد احتج من جوز اخذ مال السلطان اذا كان
فيها حرام وحلال مهما لم يتحقق ان عين المأخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة
رضي الله عنهم انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو
سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد الله وجابر وانس و
المسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد ومن عبد الملك
واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابرهيم
والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هارون الرشيد الف دينار في دفعة واحدة
واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال علي رض خذ ما اعطاك السلطان فانما
يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك العطاء منهم تورعا مخافة
على دينه ان يحمل على ما لا يحل ويحتمل ان الورع حملهم على رد عطاياهم فان كان
يتطرق الى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلاث احتمالات متفاوتة
في الدرجة بتفاوتهم في الورع فان الورع في حق السلاطين اربع درجات الدرجة
الاولى ان لا ياخذ من مالهم اصلا شيئا كما فعله الورعون منهم الدرجة الثانية ان
ياخذ مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذ من جهة حلال فاشتمال
يد السلطان على حرام آخر لا يضر الدرجة الثالثة ان ياخذ ويتصدق به على الفقراء

اويفرقه

او يفرقه على المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه الدرجة الرابعة
ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستنفق ولكن ياخذ من سلطان اكثر ماله حلال
وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن
اكثر مالهم حراما وهذا انما جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الاكثر فاذا فهمت هذه
الدرجات تحققت ان ادرارات الظلمة في زماننا لا تجري مجراه وانما تفارقه
من وجهين قاطعين احدهما ان اموال السلاطين في عصرنا حرام كلها او اكثرها لما
احدثوا من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف
الظلم الثاني ان الظلمة في العصر الاول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين
كانوا مستشعرين من ظلمهم متشوقين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين
على قبول عطاياهم وهم كانوا ياخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين
في اغراضهم ولا يحبون بعطائهم بل يطيلون اللسان فيهم فاما الآن فلا تسمح نفوس
السلاطين بعطية الا لمن طمعوا في استخدامهم والاستعانة بهم على اغراضهم فاذا لا
يجوز ان يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه الى هذه المعاني فكيف
بما يعلم انه حرام او يشك فيه النظر الثاني من هذا الكتاب في القدر المأخوذ وصفة
الاخذ ولنفرض المال من اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث فان
ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او خمس فيء او خمس غنيمة
وما كان من ملك السلطان مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما شاء لمن شاء
واما النظر في الاموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا الى من فيه مصلحة
عامة او محتاج اليه عاجز عن الكسب فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم
يتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت
المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة
حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم ويدخل فيه العمال والاجناد
الذين يحرسون المملكة بالسيوف والطبيب وان كان لا يرتبط بعلمه امر ديني ولكن

يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم ادرار
من هذه الاموال ليتفرغ لمعالجة المسلمين وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل
يجوز ان يعطوا مع الغنى وكل من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة يتعلق
بها مصالح الدين او الدنيا واخذ من السلطان خلعة او ادرارا على التركات
او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ودخوله عليهم وثنائه
لهم الى غير ذلك كما سنبينه ان شاء الله تعالى **الباب السادس** فيما يحل من مخالطة السلاطين
الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم اعلم ان لك مع الامراء و
العمال الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية
وهي دونها ان يدخلوا عليك الثالثة وهي الاسلم ان تعتزل ولا تراهم ولا يرونك
اما الحالة الاولى وهو الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تشديدات
تواردت بها الاخبار والآثار اما الاخبار فلما وصف رسول الله صلعم الامراء
الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم
فهو منهم وقال ابو ذر رض لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم
شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه ونحن نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه
المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان متعرض لان يعصي الله تع اما بفعله
واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الوجوه اما الفعل
فالدخول اليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة والدخول فيها بغير اذن المالك
حرام فان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او
مظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان
فرض كل ذلك حلالا فلا يعصي بالدخول ولا بالسلام عليه ولكن ان سجد او ركع او قام
بين يديه كان مكرما للظالم بسبب ولايته والتواضع للظالم معصية فان ترك الداخل
جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم اذ غالب اموالهم حرام
فاما السكوت فهو انه يرى في مجلسهم من الفرش الحرير والملبوس عليهم وعلى غلمانهم

قال م

واواني

واواني الفضة وكل من رأى سيئة وسكت عنها فهو شريك في تلك السيئة وما يسمع من
كلامهم مما هو فحش وكذب وايذاء فالسكوت على جميع ذلك حرام فيجب عليه الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله واما القول فهو ان يدعو للظالم او
يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك رأسه او باستبشار
في وجهه او يظهر له الحب والموالاة فكل ذلك غير جائز قال صلى الله عليه وسلم من دعا
لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان اثنى عليه بما ليس فيه فيكون كاذبا
منافقا ومكرما للظالم **الحالة الثانية** ان يدخل عليك سلطان ظالم زائرا فجواب السلام
لا بد منه واما القيام له والاكرام فلا يحرم مقابلة له على اكرامه والاولى ان لا يقوم
له ان كان معه في خلوة وان كان في جمع فمراعاة حشمة ارباب الولايات فيما بين
الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فسادا في
الرعية ولا يناله اذى فترك القيام اولى **الحالة الثالثة** ان يعتزل عنهم فلا يراهم
ولا يرونه وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب
بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم فاذا خطر
بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم انما بيني وبين الملوك يوم واحد واما امس فلا يجدون
لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون في اليوم **فان قلت** لقد
كان علماء السلف يدخلون على السلاطين **فاقول** نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد
حكي عن هشام بن عبد الملك انه قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من
الصحابة او التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم
يسلم بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت
يا هشام فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله تع لا يمكن
ذلك فقال يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد
غيظا وغضبا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم بامرة المؤمنين
ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما خلع نعلي

بحاشيه بساطك فاني اخلعه بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا
يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امرأته من شهوة او ولده برحمة واما
قولك لم تسلم بامرة المؤمنين فليس كل الناس راض بامرتك فكرهت ان اكذب واما
قولك لم لا تكنني فان الله تع سمى اولياءه وقال يا داود ويا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال
تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين عليا كرم الله وجهه
يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام
فقال هشام عظني قال سمعت امير المؤمنين عليا رضه ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب
كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب فهكذا كان دخول اهل العلم على
السلاطين اعني علماء الآخرة فاما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم
فيدلونهم على الرخص فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ
لم يكن قصدهم الا اكتساب الجاه عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر ان
قصدي بالدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وانما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وعلامة
الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من اقرانه ووقع موقع القبول
ينبغي ان يفرح به على كفاية هذا المهم الثاني ان يزعم اني اقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة
وهذا ايضا مظنة الغرور ومعيار ما تقدم ذكره واذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم
في الاحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة اموالهم مسائل مسئلة اذا بعث
اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين فلا يحل اخذه وان لم
يكن كان حكمه انه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك ان تاخذ وتتولى التفرقة ولا
تعصي باخذه ان امنت ثلث غوايل الاولى ان يظن السلطان بسبب اخذك ان ماله
طيب حلال ولولاه لكنت لا تمد اليد اليه الثانية ان ينظر اليك غيرك من العلماء والجهال
فيقتدون بك في الاخذ ثم لا يفرقون فهذا اعظم من الاول الثالثة ان يتحرك قلبك الى
حبه بتخصيصه اياك بما انفذه اليك فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل قال النبي صلعم

اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي فان كنت في القوة بحيث لا تزداد حبا بذلك
فلا باس بالاخذ مسئلة فان قال قايل اذا جاز اخذ ماله وتفرقته فهل يجوز ان يسرق
ماله او يخفي وديعته وينكر ويفرق على الناس فنقول ذلك غير جايز لانه ربما يكون له
مالك معين وهو على عزم ان يرده عليه وليس هذا كما اذا بعثه اليك فان العاقل لا
يظن به ان يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على انه لا يعرف مالكه ولا يجوز سرقة
ماله لانه يحتمل ان يكون ملكه بشراء في ذمته ولا يجوز انكار وديعته ويجب الحد
على سارق مالهم الا اذا ادعى السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط بالدعوى
مسئلة المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضا فهو حرام فان ادى
الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلمه اليهم فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج
منهم وهو يعلم انهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف في الصحة وان
امكن ان يلبسها نساؤهم فهو شبهة مكروهة وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما في
وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او جباية اموالهم واما بيع الدراهم والدنانير منهم
وما يجري مجراه فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم وهذه الكراهة جارية في الاهداء
اليهم وفي العمل لهم من غير اجرة حتى تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة والترسل والحساب
واما تعليم القرآن فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة مسئلة الاسواق التي بنوها بالمال
الحرام يحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي
لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه مسئلة معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام
كمعاملتهم اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام ويكثرون جمعها ويغرون
الخلق بزيهم فانهم على زي العلماء واما الخدم والحشم فاكثر اموالهم من الغصب الصريح
ولا يقع في ايديهم مال مصلحة حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بما لهم قال طاوس
لا اشهد عندهم وان تحققت لاني اخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة انما
فسدت الرعية بفساد الملوك خوفا من انكارهم وقد قال سفيان لا تخالط السلطان
ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة

بعضهم شركآء بعض وامتنع سفيان من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال
حتى اعلم ما يكتبه فكل من حوا اليهم من خدمهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله جميعا فمن عرفهم
يجب عليه الاجتناب منهم ومن لم يعرف فعلامته القبآء وطول الشوارب وساير الهيئات
المشهورة فمن رأى على تلك الهيئة يجب اجتنابه لانهم تزيا بزيهم ومساواة الزي تدل
على مساواة القلب ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه
باهل الصلاح واما الصالح فليس له ان يلبس باهل الفساد مسئلة المواضع التي بناها
الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط فيها اما
القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن واما المسجد فان
بنى على ارض مغصوبة او خشب مغصوب من مسجد آخر او مالك معين فلا يجوز دخوله
اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل خلف الامام خارج المسجد وان كان
من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد فان لم يجد غيره
فلا يترك الجمعة والجماعة به فانه يحتمل ان يكون من ملك الذي بناه واما البواري التي
فرشوها فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد ان ارصدت لمصلحة
عامة جاز افتراشها ولكن الورع العدول عنها فانها محل شبهة واما السقاية
فحكمها ما ذكرناه فليس من الورع الوضوء والشرب منها الا اذا كان يخشى فوات
الصلوة فيتوضا وكذا مصانع طريق مكة واما الرباطات والمدارس فان كانت
رقبة الارض مغصوبة او الآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة
في الدخول فيها وان التبس المالك فالورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخولها وهذه
الابنية ان صدرت من خدم السلاطين فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف الاموال
الضايعة الى المصالح مسئلة الارض المغصوبة اذا جعلت شارعا لم يجز ان يتخطى عليها
وان لم يكن لها مالك معين جاز والورع العدول ان امكن فان كان الشارع مباحا
وفوقه ساباط جاز العبور ويجوز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه
الى السقف وان انتفع به في دفع حر الشمس او المطر او غيره فهو حرام الباب السابع

في مسايل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتاوى مسئلة سئل عن خادم
الصوفية يخرج الى السوق ويجمع طعاما او نقدا ويشتري به طعاما فمن الذي يحل له ان
ياكل منه وهل يختص بالصوفية ام لا فقلت اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه
واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة اما الحل فلان ما
يعطى خادم الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى لا الصوفية فهو كالرجل
المعيل يعطى بسبب عياله لانه متكفل لهم وما ياخذه يقع ملكا له لا للعيال وله ان يطعم
غير العيال مسئلة سئل عن مال اوصى للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف اليه فقلت
التصوف امر باطن لا يطلع عليه فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول
عليها وينبغي ان يلاحظ فيها خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وان لا
يكون مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقاهات ثم
بعض هذه الصفات مما يوجب زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق
يمنع هذا الاستحقاق فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصى به
للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغاير واما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق
كالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته او داره والاجير الذي يخدم
باجرة ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة واما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما
يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب فذلك لا يمنع
الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته اياهم مع بقية الصفات واما الوعظ والتدريس
فلا ينافيان اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر
مسئلة ما وقف على رباط الصوفية فالامر فيه اوسع مما اوصى به للصوفية لان معنى
الوقف الصرف الى مصالحهم فلغير الصوفي ان ياكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او
مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح وللقوال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك
الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم وما اوصى به للصوفية لا يجوز ان يصرف الى قوال
الصوفية بخلاف الوقف ولا يجوز لمن ليس صوفيا ان يسكن معهم على الدوام ويأكل وان

رضوا به واما الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول عليهم اما اذا لم يكن على زيهم
واخلاقهم فله منعه من النزول عليهم وان رضوا بنزوله فيحل له الاكل معهم بطريق التبعية
مسئلة سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا
ولا يخلو من غرض وقد حرم احدهما فقلت باذل المال لا يبذله قط الا لغرض ولكن
الغرض اما آجل كالثواب واما عاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين
واما تقرب الى قلب المهدى اليه بطلب محبته اما للمحبة فى عينها واما للتوصل بالمحبة
الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة من هذا اربعة الاول ما غرضه الثواب الآخرة
وذلك اما ان يكون لكون المصروف اليه محتاجا او عالما او صالحا فى نفسه متدينا
فما علم الاخذ انه يعطى لحاجة لا يحل له اخذه ان لم يكن محتاجا وان كان يعطيه لشرف نسبه
لا يحل له ان علم انه كاذب فى دعوى النسب وما يعطى لعلمه فلا يحل ان ياخذ الا ان يكون فى
العلم كما يعتقده المعطى وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان ياخذه ان كان فاسقا
فى الباطن لو علمه المعطى لما اعطاه والمتورعون وكلوا فى الشراء من لا يعرف انه وكيلهم حتى
لا يسامحوا فى البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين القسم الثانى ما يقصد به فى العاجل
غرض معين كالفقير يهدى الى الغنى طمعا فى خلعته فهذه هبة بشرط ثواب ولا يخفى حكمها
الثالث ان يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى سلطان يهدى الى من له مكانة
عنده فهذه هبة بشرط ثواب فينظر فى ذلك العمل الذى هو الثواب فان كان كالسعى
فى تنجز ادرار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان واجبا كدفع ظلم متعين
على كل من يقدر عليه او شهادة معينة فيحرم ما ياخذه وهى الرشوة التى لا شك فى
تحريمها وان كان مباحا وكان فيه تعب بحيث لو عرف جاز الاستيجار عليه فما ياخذه
حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة وان كان مقصوده تحصيل كلمة لا تعب فيها
ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه يفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان او كوضعه
قصته بين يدى السلطان فقط حرام لانه عوض عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب
العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد يتفرد بالعلم بنبت

يقلع

يقلع البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض فلا يجوز اخذ العوض عليه اما الصيقل
الذى يزيل اعوجاج السيف بدقة واحدة تزيد فى قيمة السيف فلا باس باخذ الاجرة
عليه الرابع ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن طلبا
لتاكيد الصحبة وتوددا الى القلوب فذلك مندوب اليه فى الشرع قال صلعم تهادوا
تحابوا الخامس ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا للمحبة بل للتوصل بجاهه
الى اغراض له وكان لولا جاهه لكان لا يهدى اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر
فيه اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة للرشوة ولكنها هدية فى ظاهرها وان كان
جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او غيره من الاعمال السلطانية
حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى اليه فهذه رشوة
عرضت فى معرض الهدية ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له كان رسول الله
صلعم يقبل الهدية فقال كانت له هدية ولنا رشوة اى كان يتقرب اليه لنبوته
ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك كله ما روى ابو حميد الساعدى ان رسول
الله صلعم بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء الى رسول الله صلعم امسك بعض
ما معه فقال هذا ما لكم وهذا لى هدية فقال صلعم الا جلست فى بيت ابيك و
بيت امك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال ما لى استعمل الرجل منكم
فيقول هذا لكم وهذه هدية لى الا جلس فى بيت ابيه وامه ليهدى له والذى
نفسى بيده لا ياخذ احد منكم شيئا بغير حقه الا اتى الله بحمله فلا ياتين احدكم
يوم القيمة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رايت
بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت فاذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضى
والوالى ينبغى ان يقدر نفسه فى بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل وهو
فى بيت امه يجوز له ان ياخذه فى ولايته وما يعلم انه يعطى لولايته حرم اخذه
وما اشكل عليه فى اصدقائه هل كانوا يعطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه
والله اعلم بالصواب كتاب آداب الصحبة والاخوة والمعاشرة وهو الكتاب الخامس

من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين اما بعد فان التحاب في الله تع والاخوة
في دينه من افضل القربات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله
وفيها حقوق براعاتها تصفو الاخوة عن شوايب الكدورات ونزغات الشيطان
وبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله تع زلفى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلثة ابواب
الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة في الله تع وفي شروطها ودرجاتها الباب الثاني
في حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك و
كيفية المعاشرة وفوايدها الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة اعلم ان الالفة
ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق وحسن الخلق يوجب التحاب والتوافق
وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن
الخلق لا يخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله نبيه صلعم اذ قال وانك لعلى خلق عظيم
وقال عم اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله تع وحسن الخلق ولا يخفى ان ثمرة الخلق الحسن الالفة
ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على نفس الالفة سيما اذا كان الرابطة
هي التقوى والدين من الآيات والاخبار والآثار ما فيه كفاية قال الله تع مظهرا عظيم
منته على الخلق بنعمة الالفة لو انفقت ما في الارض جميعا الآية وقال عم ان اقربكم مني
مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون قال ابو ادريس
الخولاني لمعاذ بن جبل رض اني احبك في الله تع فقال ابشر ثم ابشر فاني سمعت النبي صلعم يقول
ينصب لطايفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع
الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون هم اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فقيل من هولاء يا رسول الله قال هم المتحابون في الله تع ورواه ابو هريرة وقال فيه
ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء
يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون
في الله والمتزاورون في الله ويروى ان الله تع اوحى الى عيسى عم لو انك عبدتني بعبادة اهل
السموات والارض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال عيسى عم تحببوا

الى الله ببغض اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضاء الله بسخطهم قالوا يا
روح الله من نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم
في الآخرة عمله ويروى ان الله تع اوحى الى موسى عم هل عملت لي عملا قط فقال الهي صليت
لك وصمت وتصدقت فقال ان الصلوة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكوة
نور فاي عمل عملت لي قال موسى عم الهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت في
قط وهل عاديت لي عدوا قط فعلم موسى عم ان افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله
وقال ابن مسعود رض لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم
القيمة مع من يحب بيان معنى الاخوة في الله تع وتمييزها عن الاخوة في الدنيا اعلم ان
الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم
الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع في المكتب او المدرسة او في السوق
والى ما ينشأ بالاختيار والقصد وهو الذي نريد بيانه اذ الاخوة في الدين واقعة
في هذا القسم اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة
والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا احبه والذي يحب اما ان
يحبه لذاته واما ان يحبه للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا
على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى
فهذه اربعة اقسام اما القسم الاول فهو حبك الانسان لذاته وهو ممكن وهو ان يكون في ذاته
محبوبا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته لاستحسانك له ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هي الصورة
الظاهرة اعني حسن الخلقة واما ان يكون هي الصورة الباطنة وهو كمال العقل وحسن الاخلاق
وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل ايتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد يستحكم المودة بين
الشخصين من غير ملاحة في صورة وحسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة
فان شبه الشيء ينجذب اليه والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع
عليها قال النبي صلعم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف والحق في هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد الايتلاف عند التناسب والتناسب

الطباع والاخلاق ظاهرا وباطنا امر مفهوم واما الاسباب التي اوجبت تلك المناسبة
فليس في قوة البشر الاطلاع عليها بل بمجرد المجالسة والمناسبة في الطباع الباطنة قال صلعم
لو ان مومنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومومن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا
دخل الى مجلس فيه مائة مومن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه ويدخل في هذا القسم الحب
للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة في عينها وان
قدر فقد اصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والازهار والانوار والى الماء و
الخضرة من غير غرض سوى عينها القسم الثاني ان يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة
الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوب لذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض
فيهما اذ لا يطعم ولا يلبس ولكنهما وسيلة الى المحبوب القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره و
ذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الدنيا بل لحظوظه في الآخرة فهذا ايضا ظاهر لا غموض
فيه وذلك كمن يحب استاده وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده
من العمل والعلم الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لانه
يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم في ملكوت السماء
ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة في تحصيل هذا الكمال فهو محب في الله بل الذي يتصدق
باموال الله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فهو من جملة
المحبين في الله بل نزيد على هذا فنقول من نكح امراة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان و
يصون بها دينه او ليولد له ولد صالح يدعو له واحب زوجته لانها آلة في هذه المقاصد
الدينية فهو محب في الله تع بل نقول كل من اشتهر بحب الله وحب رضاه وحب لقاه في الدار الآخرة
فاذا احب غيره كان محبا في الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبة لما هو محبوب عنده
وهو رضاء الله تع القسم الرابع ان يحب لله وفي الله لا لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى
امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها وهذا القسم ايضا ممكن فان
من آثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل ما يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد كما
حكي عن كثير من المحبين المجنون اشعاره في هذا المعنى حتى قال العامري شعر امر على جدار ديار ليلى

اقبل

اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا
فمن يحب شخصا يحب كل من ينسب اليه حتى قال بقية بن الوليد ان المومن اذا احب المومن
احب كلبه فكذلك حب الله اذا قوي وغلب على قلبه حتى انتهى الى حد الاشتهار فيتعدى
الى كل موجود سواه فان كل موجود سواه اثر من آثار قدرته ومن احب انسانا
احب خطه وصنعته ولذلك كان صلعم اذا اتي بباكورة مسح بها عينيه وقال انه قريب
العهد بربنا وجميع افعاله وكيف ما اتفقت محبة الله فاذا قويت تعدت الى كل متعلق
به ضربا من التعلق حتى يتعدى الى ما هو في نفسه مولم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس
بالالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة قال بعضهم وما لجرح
اذا ارضاكم الم بيان البغض في الله اعلم ان من يحب في الله لا بد وان يبغض في الله فانك
اذا احببت انسانا لانه مطيع لله فلا بد ان عصاه ان تبغضه لانه عاص لله وهذا
واضح في حق من لم يظهر لك الا طاعته تقدر على ان تحبه او لم تظهر الا فسقه فتقدر على
ان تبغضه وانما المشكل اذا اختلط الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف اجمع بين البغض
والمحبة وهما متناقضان فاقول ذلك غير متناقض في حق الله عز وجل كما لا يتناقض في
الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها وتكره بعضها فانك
تحبه من وجه وتبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين ومن له ولد ذكي
خدوم ولكنه فاسق فانه تحبه من وجه وتبغضه من وجه وكذلك ينبغي ان يكون حالك
بالاضافة الى من عليه الفجور وغلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة بان
تعطي كل صفة حظها من البغض والحب والاقبال والاعراض فان قلت فبماذا يمكن اظهار
البغض فاقول اما في القول فبكف اللسان عن مكالمته مرة والتغليظ في القول
اخرى واما في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة وبالسعي في اساءته اخرى واما
ما يجري مجرى الهفوة التي تعلم انه متندم عليها فالاولى فيها الاغماض واما ما
يصر عليه من صغيرة وكبيرة فان كان ممن تاكدت بينك وبينه مودة فله حكم آخر
سيأتي ذكره وان لم يكن بينك وبينه ذلك فلا بد من اظهار البغض كما ذكرنا من قبل

وان قدرت ان ترده من المعصية الى الطاعة بالنصح والتلطف به فذلك حسن وقد
اختلف طرق السلف في اظهار البغض مع اهل المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض على
الظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله تع بمعصية متعدية منه الى غيره فاما من عصى الله في
نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة
بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم قلت اظهار البغض والعداوة
بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك في انه مندوب اليه والعصاة والفساق على مراتب
مختلفة فهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا فاعلم ان المخالف لامر الله سبحانه لا يخلو اما
ان يكون مخالفا في عقده او في عمله والمخالف في العقد اما مبتدع او كافر والمبتدع
اما داع الى بدعة او ساكت اما لعجزه او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلثة
الاول الكفر والكافر اذا كان محاربا فهو مستحق للقتل والارقاق اما الذمي فانه
لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه وبترك المفاتحة بالسلام واذا قال السلام عليك
قلت وعليك والاولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته والجاؤه الى اضيق
الطرق وترك الانبساط معه قال الله تع لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله الآية وقال لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
وقال صلعم المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما الثاني المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان
كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي وان كان مما لا يكفر بها فامره بينه
وبين الله اخف من الكافر لا محالة ولكن الامر بالانكار عليه اشد منه على الكافر لان شر
الكافر غير متعد الى المسلمين لانهم لا يلتفتون الى قوله اما المبتدع الذي يدعو الى البدعة
ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فاظهار بغضه والانقطاع عنه وتنفير
الناس عنه اشد قال صلعم من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا وايمانا ومن اهان
صاحب بدعة آمنه الله تع يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه ولقيه ببشر فقد استخف
بما انزل الله على محمد صلعم الثالث المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء
به فامره اهون فالاولى ان لا تفاتح بالتغليظ بل يتلطف به في النصح فان قلوب العوام

سريعة التقلب فان لم ينفع النصح فالاعراض عنه اولى واما العاصي بفعله فلا يخلو اما ان
يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم وشهادة الزور والنميمة وامثالها فالاعراض
عن هؤلاء اولى لان معصيتهم شديدة من حيث ايذاء الخلق وهم ينقسمون الى ظالم
بالربوا وظالم بالاموال وبالاعراض والثاني من يتأذى بنفسه ويؤذي غيره كصاحب
الماخور وكل من يهيئ اسباب الفساد ويسهل طرقها على الخلق فهو قريب من
الاول وحكمه حكمه والثالث الفاسق في نفسه بشرب الخمر او ترك واجب او معاطاة
محظور فالامر فيه اخف ولكنه ان صودف وقت مباشرته يجب منعه ولو بالضرب
وبعد فراغه يجب نصحه وهذا يختلف بالنيات اذ في الرفق والرحمة تواضع وفي
العنف زجر والمستفتي فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى
ضده والصحيح ان ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال انما الاعمال بالنيات
بيان الصفات المشروطة فيمن يختار صحبته اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال صلى الله عليه
وسلم المرء على دين خليله ويطلب من الصحبة فوايد دينية ودنياوية واما الدنياوية
فكالانتفاع بالمال والجاه ومجرد الانس بالمجاورة واما الدينية فيجتمع فيها اغراض
مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن
ايذاء من يشوش القلب ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في
طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات ومنها التبرك بمجرد الدعاء او انتظار
الشفاعة في الآخرة ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة وكرهوا العزلة و
الانفراد فهذه فوايد تستدعي كل فايدة شروطا لا تحصل الا بها اما على الجملة فينبغي
ان يكون لمن يؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع
ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق والى
القطيعة والوحشة ترجع عاقبتها وان طالت قال علي رض شعر فلا تصحب اخا الجهل واياك واياه
فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه * يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه
وللشيء على الشيء مقاييس واشباه * وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري ونعني بالعاقل
الذي يفهم الامور على ما هي عليه اما بنفسه واما اذا فهم علم وأما حسن الخلق ولابد منه
اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ما هي عليه ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او بخل او جبن
اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته فلا خير في صحبته وأما الفاسق
المصر على فسقه فلا فايدة في صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا
تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا الآية واتبع هواه وكان امره فرطا
وقال الله تعالى واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق وأما المبتدع
ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شومها اليه والمبتدع مستحق للهجرة والمقاطعة
وفي وصية عمر رض عليك باخوان الصدق تعش في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة
في البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يقلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك
الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تطلعه على
سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في
وصيته لابنه لما حضرته الوفاة وقال يا بني ان عرضت لك الى صحبة حاجة فاصحب من
اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك
بالخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته
اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق
قولك واذا حاولتما امرا امرك وان تنازعتما آثرك فكانه جمع في هذا حقوق الصحبة
واشترط ان يكون الصاحب قايما بجميعها قال ابن اكثم قال المامون فاين هذا فقيل له اتدري لما
اوصا بذلك قال لا قال انه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم
سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوايب ويؤثرك بالرغايب وينشر محاسنك ويطوي مساويك
فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة الا بالانكار
من قلوبكم كيلا تحبط اعمالكم فالسلامة في الانقطاع عنهم قال الله تعالى واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما معناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا ما اردنا

ان

ان نذكر من صفات الاخوة وشروطها وفوايدها وجملتها ما قال بشر رضا الاخوة
ثلث اخ لآخرتكم واخ لدنياكم واخ لتانسوا به وقيل الاخوان ثلاثة احدهم كالغذاء لا تستغنى
عنه والآخر كالدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثل الداء لا
يحتاج اليه قط ولكن قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع فاذا لم تجد رفيقا يؤاخيه
ويستفيد منه فالوحدة اولى به واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لسرقة الطبع
منه والله اعلم الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين
كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يوجب الوفاء بها وكذا عقد
الاخوة فلاخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو و
بالدعاء والاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعها ثمانية
جمل الحق الاول في المال قال رسول الله صلعم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احديهما
الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد وكذا
الاخوان انما يتم اخوتهما اذا توافقا في مقصد واحد وهما من وجه كالشخص الواحد
وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في الحال والمآل والاستيثار
والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلاث مراتب ادناها ان تنزله منزلة عبدك و
خادمك فتقوم بحاجته من فضل مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة على
حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال الثانية ان تنزله منزلة نفسك وتشاركه
في مالك ومنزلك قال الحسن كان احدهم يشق ازاره لاخيه باثنين الثالثة وهي العليا ان
تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومن تمام
هذه الرتبة الايثار بالنفس فان لم تصادف في نفسك رتبة من هذه الرتب مع اخيك
فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد في الباطن وانما بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في
العقل والدين قال ميمون بن مهران رض من رضي من الاخوان بترك الافضال
فليواخ اهل القبور وجاء رجل الى ابي هريرة رض وقال اني اريد ان اواخيك
في الله وقال اتدري ما حق الاخاء قال عرفني قال لا يكون احق بدينارك ودرهمك

منى فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد فقال فاذهب عني وروى ان رسول الله صلعم دخل
غيضة مع بعض اصحابه فاجتنا منها سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع
المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب
يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا يسئل عن صحبته هل اقام فيها حق الله ام ضاعه
الحق الثاني في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها وتقديمها على الحاجات
الخاصة وهذه ايضا لها درجات كما للمواسات بالمال فادناها القيام بالحاجة عند
السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة واظهار الفرح قال بعضهم اذا استقضيت اخاك
الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية لعله ان يكون قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرا
عليه هذه الآية والموتى يبعثهم الله الآية وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه و
ثم اليه يرجعون
اولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم وكان الواحد
منهم يتردد الى باب اخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان
يقوم بها من حيث لا يعرف اخوه وبهذا يظهر شفقة الاخوة وقال صلعم ما اصطحب
اثنان قط الا وكان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وقال الداراني رض اني لالقم
اخي اللقمة فاجد طعمها في حلقي ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ دونه بل
يتنغص عن فراق اخيه وقال الحسن رض اخواننا احب الينا من اهالينا واولادنا
لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالآخرة قال محمد بن جعفر
رض اني لاتسارع الى قضاء حوائج اعدائي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني فكيف
الاصدقاء الحق الثالث على اللسان بالسكوت مرة والنطق اخرى اما السكوت
فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضوره وغيبته ويسكت عن الرد عليه فيما
يتكلم به ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس والسؤال عن احواله واذا رآه في
طريق او في حاجة لا يسأله عن غرضه فربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان
يكذب فيه وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب
عليه النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت ولا يثني

الظن به فسوء الظن غيبة بالقلب قال النبي صلعم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث
وسوء الظن يدعو الى التجسس واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه وان لا
يفشي سره مما يكرهه قيل لبعض الادباء كيف حفظك للسر قال انا قبره وقد قيل صدور
الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه وكان سفيان
الثوري يقول اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن
اسرارك فان قال خيرا واكتم سرك فاصحبه وقال العباس لابنه عبد الله رض اني ارى هذا الرجل
يعني عمر رض يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا يغتابن
عنده احدا ولا يجربن عليك كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة
ومن ذلك السكوت عند المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال صلى الله عليه و
سلم من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في الجنة ومن تركه وهو محق بنى الله تع له
بيتا في اعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب والمماراة تشتمل على الايذاء والنسبة
الى الجهل واعلم ان قوام الاخاء بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة الحق الرابع
على اللسان بالنطق فان الاخوة كما يقتضي السكوت عن المكاره فيقتضي ايضا
النطق بالمحاب فعليه ان يتودد الى اخيه بلسانه ويتفقده في احواله التي يحب ان
يتفقده فيها كالسؤال عن عارض ان عرض له واظهار شغل القلب بسببه وكذا جملة
احواله التي يسر بها فينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته بالسرور بها قال عمر رض ثلاث
يصفين ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه
اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يؤثر هو الثناء عنده
فان الصحبة يقتضي حقوقا كثيرة ومن ذلك ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح
فان اخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك ان تشكر صنعه في حقك بل تشكره على نيته
وان لم يتم واعظم من ذلك الذب عنه في غيبته ونصرته عند من يتعرض له وذلك في حقه
معياران احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك ما الذي يجب ان يقوله
اخوك فيه والثاني ان تقدر انه من وراء ستر يسمع اليك فما كان يتحرك في قلبك من

النصرة بعيد منه فافعله ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته
الى المال فان علمته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وتخويفه بما يضره فى الدنيا والاخرة
وتنبيهه على عيوبه وتقبيح القبيح فى عينه وتحسين الحسن ولكن ينبغى ان يكون ذلك فى سر وما
كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان فى السر فهو شفقة ونصيحة والاحتراز عما يحصل به
عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما لم يعلمه فان ذلك عين الشفقة وهو استمالة القلوب
العقلاء فان من نبهك على فعل مذموم تعاطيته لتزكى نفسك عنها كان كمن نبهك على حية او
عقرب تحت ذيلك قد همت باهلاكك فان انكرت ذلك فما اشد حمقك والصفات الذميمة
عقارب وحيات وهى فى الاخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والارواح والمها اشد
مما يلدغ الظواهر والاجساد الحق الخامس العفو عن الزلات والهفوات وهفوة الصديق
لا تخلو اما ان يكون فى دينه بارتكاب معصية او فى حقك فى تقصيره فى الاخوة واما ان يكون فى
الدين من ارتكاب معصية والاصرار عليها فعليك بالتلطف فى نصحه بما يعيده الى الورع والصلاح
حاله فان لم يقدر وبقى مصرا فقد اختلف طرق الصحابة والتابعين فى استدامة حق مودته او
مقاطعته فذهب جماعة الى مهاجرته والاعراض عنه وجماعة قالوا لا تجوز مهاجرته بذنب يذنبه
فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا نقل عن ابى الدرداء انه قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض
عمله والا فهو اخى هذا كله فى زلته فى الدين واما زلته فى حقك مما يوجب الوحشة فلا خلاف فى
ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل
ينبغى ان يستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فقل لقلبك ما اقساك يعتذر اليك
اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغى ان لا
تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن قال الشافعى رض من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن
استرضى ولم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن
اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم يقبل وقال عم من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل عذره فعليه
مثل اثم صاحب المكس الحق السادس الدعاء للاخ فى حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه على التحقيق قال
صلعم اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك ويقال من بلغه موت اخيه فترحم عليه

واستغفر له كتب له كانه شهد جنازته وصلى عليه الحق السابع الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء
الثبات على الحب وادامته الى الموت وبعد الموت مع اولاده واصدقائه ولذلك روى
انه صلعم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان
كرم العهد من الايمان فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومن
الوفاء ان لا يتغير حاله فى التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه وعظم جاهه واوصى بعض السلف
ابنه يا بنى لا تصحب من الناس الا المؤمن ان افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه
لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك ومن اثار الصدق وتمام الوفاء ان يكون
شديد الجزع من المفارقة ومن الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه وان لا
يصادف عدو صديقه قال الشافعى رض اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى
عداوتك الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه
ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ولا يستمد منه
من جاه ولا مال ولا يكلفه التواضع والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركا
بدعائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله فى القيام بحقوقه وقيل لبعضهم من نصحب
فقال من يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال بعضهم صحبت
الناس خمسين سنة فما وقع بينى وبينهم خلاف لانى كنت معهم على نفسى ومن التخفيف
وترك التكلف ان لا يعترض عليه فى نوافل العبادات ان نام الليل كله لم يقل له قم و
ان صلى الليل كلها لم يقل له نم وكذلك الصوم والافطار ويستوى حالتاه عنده بلا مزيد
ولا نقصان ومن تمة الانبساط ان يشاور اخوانه فى كل ما يقصده ولا يخفى عنهم
شيئا من اسراره وان يقوم بمصالحهم وحقوقهم بجميع جوارحه من البصر واللسان واليد
والرجل والسمع ومن اداب العشرة والمجالسة مع اصناف الخلق ان تلقى صديقك و
عدوك بوجه الرضى من غير مذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر فى غير كبر وتواضع فى غير مذلة
وكن فى جميع امورك فى اوساطها ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات واذا جلست
فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وادخال اصبعك فى انفك

وكثرة بصاقك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلوة
ولا تحدث عن اعجابك بولدك واهلك ولا بشعرك وتصنيفك وساير ما يخصك ولا تشجع احدا
على الظلم ولا تعلم اهلك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان راوه قليلا هنت عندهم وان
كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر
وتحفظ من جهلك وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث
على ركبتيك واذا سكن غيظك فتكلم واياك ان تمازح لبيبا وغير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه
يجترئ عليك ومن بلي في مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبي صلعم من جلس في مجلس
يكثر فيه لغطه فليذكر الله عند قيامه وقال النبي صلعم من جلس في مجلس يكثر فيه لغطه فقال قبل
ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك
الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك **الباب الثالث** في حق المسلم والرحم والجوار وكيفية المعاشرة
مع من يدلي بهذه الاسباب اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تعذر عيش الانسان
وحده الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن بد من تعلم ادب المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته اداب
والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته والرابطة اما القرابة وهي اخصها او اخوة الاسلام
وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر او الدرس واما الصداقة والاخوة ولكل واحدة من
هذه الرابطة درجات فنحن الان نريد ان نذكر حق الاخوة في الاسلام وحق الوالدين وحق
الجوار وحق الملك اعني ملك اليمين فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب اداب النكاح
حقوق المسلم هو ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض
ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا
غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ورد جميع ذلك في اثار واخبار روى
انس عن رسول الله صلعم انه قال اربع من حق المسلم عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان
تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم **ومنها** ان يتواضع لكل مسلم فلا يتكبر عليه والله لا يحب كل مختال
فخور **ومنها** ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال النبي
صلعم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن احمد من نم اليك نم عنك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر

غيرك بخبرك **ومنها** ان لا يزيد في الهجرة فوق ثلاثة ايام مهما غضب عليه قال ابو ايوب
الانصاري قال صلعم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض
صاحبه وخيرهما الذي يبدا بالسلام **ومنها** ان يحسن الى كل من قدر منهم ما استطاع
لا يميز بين الاهل وغير الاهل قال رسول الله صلعم اصنع المعروف الى اهله فان لم تصب اهله
فانت اهله **ومنها** ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه يستاذن ثلثا فان لم يؤذن له
انصرف قال رسول الله صلعم الاستيذان ثلاث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون
والثالثة ياذنون او يردون **ومنها** ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال رسول الله
صلعم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا **ومنها** ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفي قال
صلعم العدة دين **ومنها** ان ينصف الناس من نفسه ولا ياتي اليهم الا بما يحب ان يؤتى
اليه **ومنها** ان يوقر من يدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم وكذلك
كل من له عليه حق قديم فليلزمه **ومنها** ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه
سبيلا **ومنها** ان يستر عورات المسلمين **ومنها** ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس
عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة **ومنها** ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من
عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر **ومنها** ان يبدا كل مسلم بالسلام قبل الكلام
ويصافحه عند السلام ويصافح اخاه المسلم عند لقائه قال رسول الله صلعم ان المسلمين اذا التقيا
فتصافحا تحاتت ذنوبهما وقال عم اذا امر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان
له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم بالسلام والانحناء عند السلام منهي عنه قال انس رض
قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قال فيقبل بعضنا قال لا قال فيصافح قال
نعم والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر والاخذ بالركاب في توقير
العلماء ورد به الاثر والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال انس
رض ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلعم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلموا
من كراهته لذلك واذا دعا اخاه فاوسع له فليأته وان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان
يراه فيجلس فيه ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف بل يجلس وراء الصف **ومنها**

ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر عليه ويرد عنه قال رسول
الله صلعم ما من امرء انتصر مسلما فى موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله فى
موطن يحب فيه نصرته ومنها تشميت العاطس ومنها اذا ابتلى بذى شر فينبغى ان يجامله
ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى
بالخلق الحسن فى الظاهر ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى
الايتام كان النبى عم يقول اللهم احينى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين ومنها
النصيحة لكل مسلم والجهد فى ادخال السرور على قلبه قال صلعم من قضى حاجة لاخيه كانما
خدم الله عمره وقال عم خصلتان ليس فوقهما من الشر شئ الشرك بالله والضر لعباد الله
وخصلتان ليس فوقهما شئ من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله وقال معروف الكرخى
رضه من قال اللهم اصلح امة محمد اللهم ارحم امة احمد اللهم فرج عن امة محمد كل يوم ثلث
مرات كتبه الله من الابدال وادب العابد خفة الجلسة وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء
بالعافية وادبه عند الاستيذان ان لا يقابل الباب ويدق برفق واذا قيل من لا يقول
انا ولا يقول اى غلام ولكن يحمد الله ويسبح قال رسول الله صلعم من عاد مريضا فى مخارف
الجنة حتى اذا قام وكل الله تع سبعين الف ملك يصلون عليه وجملة آداب المريض حسن الصبر
وقلة الشكوى والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء ومنها
ان يشيع جنائزهم قال صلعم من شيع جنازة فله قيراط من الاجر وان وقف حتى دفن
فله قيراطان والقيراط مثل احد وآداب المعزى اظهار الحزن وقلة الحديث وترك
التبسم وآداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع والتفكر فى الموت والاستعداد له والجملة
الجامعة فى ذلك ان لا يستصغر منهم احدا حيا كان او ميتا وان كان فاسقا فلعله يختم
له بالصلاح ولا ينظر اليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم ولا يبذل لهم دينه لينال من دنياهم
ولا يعاديهم بحيث يظهر العداوة فيطول الامر عليه فى المعاداة ويذهب دينه ودنياه فيهم
الا اذا رأى منكرا فى الدين فيعادى افعالهم القبيحة وينظر اليهم بعين الرحمة واذا سأل
اخا حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقضها فلا تعاتبه فيصير عدوا ولا تشتغل

بوعظ من لا يرى فيه مخايل القبول فلا يسمع منه ويعاديه واذا بلغه عنهم غيبة او رأى
منهم شرا فيكل امرهم الى الله تع ولا يشتغل قلبه بالمكافاة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله
ويكون فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم ناطقا بحقهم صامتا عن باطلهم ويحذر صحبة اكثر
الناس وصحبة اكثرهم فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق ظاهرهم ثياب وباطنهم
ذئاب وهذه جملة آداب المعاشرة مع اصناف الخلق حقوق الجوار وهو يقتضى حقا وراء
ما يقتضيه اخوة الاسلام وزيادة اذ قال النبى صلعم الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له
حقان وجار له ثلاث حقوق فالجار الذى له ثلاث حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله
حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار و
حق الاسلام واما الذى له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد
الجوار وقد ورد فى حق الجوار اخبار كثيرة قال صلعم ما زال جبرئيل عم يوصينى بالجار حتى
ظننت انه سيورثه واعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى بل احتمال الاذى ولا يكفى احتمال
الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره
الغنى يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دونى وشكى
بعضهم كثرة الفار فى داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت
الهر فيهرب الى دور الجيران فاكون قد اجبت لهم ما لا احب لنفسى وجملة حقوق الجوار
ان يبدأ بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده فى المرض و
يعزيه فى المصيبة ويقوم معه فى العزاء ويظهر المشاركة فى السرور معه ويصفح عن زلاته
ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ولا فى مصب الماء
فى ميزابه ولا مطرح التراب من فنائه ويستر ما ينكشف له من عوراته واذا نابته نائبة
يعينه فى فراغ قلبه ويغض بصره عن حرمه ويتلطف لولده فى كلمته هذا الى جملة الحقوق
التى ذكرناها للمسلمين عامة حقوق الاقارب والرحم قال رسول الله صلعم يقول الله تع انا
الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال
عم ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافى ولكن الواصل الذى اذا انقطعت رحمه

واشتني مسكينا

وصلها وقالت اسماء بنت ابى بكر رض قدمت علىّ امى فقلت يا رسول الله ان امى قدمت
علىّ وهى مشركة افاصلها قال نعم وفى رواية افاعطيها قال نعم صليها **حقوق الوالدين**
والولد اعلم انه لا يخفى اذا تاكد حق القرابة والرحم واخصها الولادة فيتضاعف تاكد
الحق فيها قال صلعم بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل
الله وقال عم من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى مثل ذلك
وان كان واحدا فواحد وقال صلعم على احدا اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه
اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما
شئ ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار وان امسى مثل ذلك وان
كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وانما بر الولد سال رجل رسول الله
صلعم فقال من ابر فقال بر والديك فقال ليس لى والدان فقال بر ولدك كما ان لوالديك
عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال عم من حق الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه
وقد وردت اخبار كثيرة دالة على تاكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف بما
ذكرناه فى حق الاخوة فان هذه الرابطة اكد من حق الاخوة بل يزيد ههنا امران احدهما
ان اكثر العلماء على ان طاعة الابوين واجبة فى الشبهات وان لم تجب فى الحرام المحض حتى
اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما فى الطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع
ورضاء الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر فى مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة
الى الحج الذى هو فرض الاسلام نفل لانه على التراخى والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت
تطلب علم الفرض من الصلوة والصوم ولم يكن فى بلدك من يعلمك فيجوز ان تخرج لطلبه
اما اذا كان نفلا فلا يجوز الا باذنهما هاجر رسول الله صلعم من اليمن واراد الجهاد فقال
عم هل ابواك باليمن قال نعم قال هل اذنا لك قال لا فقال عم فارجع الى ابويك
فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى به الله بعد
التوحيد وقال عم لاخ الك والدة قال نعم فالزمها فان الجنة تحت قدميها وقال
عم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال عم اذا استصعبت على

الولد على

رجل الى

احدكم دابته او ساء خلق زوجته او احد من اهل بيته فليوذن فى اذنه **حقوق المملوك**
اعلم ان ملك النكاح سبقت حقوقه فى آداب النكاح فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضى
حقوقا فى العشرة ولا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما اوصى رسول الله صلعم
ان قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تكسون ولا
تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا
خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم قال ابو هريرة رض قال رسول الله
صلعم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل فليناوله لقمة
حقوق المملوك ان يشركه فى طعامه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه
بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفواته وجناياته
فى معاصيه وجنايته على حق الله تع وتقصيره فى طاعته مع ان قدرة الله تع فوق
قدرته وقيل يا رسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت رسول الله صلعم ثم قال اعف
عنه كل يوم سبعين مرة هذا آخر كتاب الصحبة **كتاب العزلة** بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد
فان للناس اختلافا كثيرا فى العزلة والمخالطة وتفضيل احدهما على الآخر مع ان كل واحدة
منهما لا ينفك عن غوايل تنفر عنها وفوايد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد
الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه فى كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة
والمواخات يكاد يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف
الغطاء عن الحق فيه مهم ويحصل ذلك برسم بابين **الباب الاول** فى نقل المذاهب والحجج فيه **الباب
الثانى** فى كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوايد والغوايل **الباب الاول** فى نقل المذاهب والاقاويل
وذكر حجج الفريقين فيه اما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين
رضى الله عنهم فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثورى وابرهيم بن
ادهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة
المرعشى وبشر الحافى وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف و
الاخوان للتألف والتحبب الى المومنين والاستعانة بهم فى الدين تعاونا على البر والتقوى

وقال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وشريح وشريك بن عيينة
وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة والماثور عن العلماء من الكلمات تنقسم الى كلمات
مطلقة تدل على الميل الى احد الرأيين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الآن
مطلقات تلك الكلمات لتبيين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض
للغوائل والفوائد فقد روي عن عمر رضه انه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين
العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله
صاحبا ودع الناس جانبا وقال الحسن بن علي رض كلمات احفظهن من التورية قنع ابن آدم
فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا
فتمتع طويلا وكان مالك بن انس رض يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم
فترك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل عذر له وكان
سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد رضه لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا ياتيان المدينة
للجمعة وغيرها حتى ماتا بالعقيق وقيل للفضيل بن عياض ان عليا ابنك يقول وددت
اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل يا ويح علي لا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني
وقال ابن عباس رض افضل المجالس مجالس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى فهذا ما ذكرناه من
اقاويل المائلين الى العزلة ذكر حجج المائلين الى المخالطة ووجه ضعفها احتج هؤلاء بقوله
ولا تكونوا كالذين تفرقوا وبقوله تع والف بين قلوبكم امتن على الناس بالسبب المؤلف
وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في اصول الشريعة والمراد
بالالفة نزع الغوائل من الصدور والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلعم المؤمن الف
مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف وهذا ضعيف فانه اشارة الى مذمة سوء الخلق الذي
يمتنع بسببه المؤالفة ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي ان خالط الف والف ولكنه ترك
المخالطة اشتغالا بنفسه واحتجوا بما روي عن معاذ بن جبل رض قال ان الشيطان ذيب الانسان
كذيب الغنم ياخذ القاصية والنافية والشاذة اياكم والشعاب عليكم بالعامة والجماعة
والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسياتي ان ذلك منهي عنه الا لضرورة ذكر

حجج المائلين الى تفضيل العزلة اما الآيات التي وردت في القرآن في تفضيل العزلة
كقوله تع واعتزلكم وما تدعون من دون الله وفي حق موسى عم وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون
وفي حق اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم الآية وكذلك اعتزال نبينا عم قريشا لما آذوه
ودخل الشعب وامر اصحابه بالاعتزال والهجرة الى ارض الحبشة وهؤلاء الانبياء عليهم السلام
كلهم واصحاب الكهف انما اعتزلوا عن الكفار واما النظر في العزلة من المؤمنين فاحتجوا
بقوله صلعم لعبد الله بن عامر الجهني اذ قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك
عليك دينك وابك على خطيئتك روي انه قيل لرسول الله صلعم اي الناس افضل فقال مؤمن
مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد
ربه ويدع الناس من شره فاما قوله لعبد الله بن عامر لا يمكن تنزيله الا على من عرف
حاله فان لزوم البيت اليق به فانه لم يامر جميع الصحابة بذلك فاذ قد ورد في الاخبار
ما يدل على المخالطة والعزلة ولا شفاء فيهما من احد الجانبين فلا بد من كشف الغطاء
بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها الباب الثاني
في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضيلتها اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي
اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فكذلك
القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوائد العزلة وهي تنقسم الى فوائد دينية ودنياوية والدينية
تنقسم الى تمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم
والى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة من المعاصي ومسارقة الطبع
من الاخلاق الردية من الجلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى تمكن من التحصيل بالخلوة
كتمكن المحترف في خلوته والى تخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر الى زهرة الدنيا
واقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروته والتاذي بسوء
خلق الجليس في غيبته او محاسدته او مرائه او سوء ظنه والتاذي بثقله او تشوه خلقته
والى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد الفائدة الاولى الفراغ للعبادة
والفكر والاستيناس بمناجاة الله سبحانه وتع عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف

وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا

امر الله تع في امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغاً
ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يمكن احد من الخلوة الا
بالتمسك بكتاب الله تع والمتمسكون بكتاب الله تع هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله تع والذاكرون
الله تع عاشوا بذكر الله تع وماتوا بذكر الله تع ولقوا الله بذكر الله تع ولا شك في ان هؤلاء
يمنعهم المخالطة عن الذكر والفكر فالعزلة اولى بهم وكذلك كان النبي صلعم في ابتداء امره يتبتل
في جبل حراء حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله تع وكان ببدنه مع الخلق
وبقلبه مع الله تع حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر رضه خليله فاخبر صلعم عن استغراق همه بالله
تعالى فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تع ولن
يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان
يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد ان ينتهي درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن
الجنيد رضه انه قال انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما يتيسر
للمستغرقين بحب الله تع استغراقا لا يبقى فيهم لغيره متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب
الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه بمحبوبه وامر
الآخرة اعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة بالعزلة فمن تيسر
له دوام الفكر الانس بالله اذ بدوام الفكر الحقيقي في معرفة الله تع فالتجرد له افضل من كل ما
يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات ان يموت الانسان محبا ولا محبة الا بالانس الحاصل
بدوام الذكر وفراغ القلب شرط فيه ولا فراغ مع المخالطة وقد ورد في فوائد العزلة آثار
كثيرة من المشايخ والسلف الصالح قال عبد الواحد بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش
في الآخرة قيل له فكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال مالك بن
دينار من لم يأنس بمحادثة الله تع عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي بصره وضيع عمره
وقال اويس القرني رضه ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيأنس بغيره الفائدة الثانية التخلص
بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا في المخالطة مثل الغيبة والرياء وغير
ذلك من المعاصي كالسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع للاخلاق الردية

التي

التي يوجبها الحرص على الدنيا واقل ما يجب في المخالطة اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا
يخلو عن كذب اما في الاصل او في الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال وان
خالط متعادين ولم يلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صار بغيضا اليهما وان جاملهما
دخل في قوله عم ان من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه كان
الفضيل جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ فقال له ما جاء بك قال المؤانسة
يا ابا علي فقال هي والله بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لي واتزين لك وتكذب لي
واكذب لك اما ان تقوم عني او اقوم عنك وكان السلف لا يتلاقون ويحترزون
في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين لا عن احوال
الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه
فقال حاتم السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وقيل لاويس القرني كيف اصبحت
قال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي فقد كان سؤالهم
عن امور الدين واحوال القلب في معاملة الله تع واذا سألوا عن امور الدنيا فعن اهتمام و
عزم على القيام بما ظهر لهم من الحاجة قال بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو
حكم احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه وارى الآن اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى
عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم الى صاحبه في حبة من ماله لمنعه فهل هذا الا مجرد
الرياء والنفاق فكانوا يحترزون عن الرياء والتكلف في القول وربما يخلو القلب عن
الصفاء والالسنة تنطلق بالسؤال وكل ذلك مذمومات وبعضها محظورة وفي العزلة
الخلاص منها فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه وتشمروا
لايذائه فيذهب دينهم ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم فكيف وان الطبع يسرق
من اخلاق الناس واعمالهم وهو داء دفين قل ما يتنبه له العقلاء فضلا من الغافلين
ومهما طالت مشاهدة الكبائر من غيره استحقر الصغاير من نفسه وكذلك النظر الى
المطيعين والعصاة يظهر تأثيره في الطبع فمن نظر الى احوال الصحابة والتابعين في العبادة
يرى نفسه بعين الاستصغار وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلعم عند ذكر الصالحين

تنزل الرحمة لان مبداء الرحمة فعل الخير ومبداء فعل الخير الرغبة ومبداء الرغبة ذكر احوال
الصالحين ويفهم منه ان عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان سماع اخبارهم يهوّن امر المعاصي
على القلب ومن نظر الى احوال اهل الزمان واعراضهم عن الله تع استعظم امر نفسه بادنى رغبة في
الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك وكذلك من نظر الى معاملات الناس واعراضهم
عن الله تع يسقط وقع الشيء عن قلبه بسبب تكرره ومشاهدته واكثر الناس اذا رأوا مسلما افطر
في نهار رمضان استبعدوه استبعادا ايكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون
من يخرج الصلوات عن اوقاتها فلا ينفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع ان صلاة واحدة
يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له الا
ان الصلوة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب فان وجدت
جليسا يذكرك الله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت
طبعك ونظرت في حال من تريد مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او
التقرب اليه بالخلطة واياك ان تحكم مطلقا على العزلة او الخلطة بان احدهما اولى الفايدة الثالثة
السلامة من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها
وقل ما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبد الله بن عمرو بن
العاص رض لما ذكر رسول الله صلعم الفتن وصفتها قال اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت
اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت فما تأمرني فقال الزم بيتك وامسك عليك
لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وقال ابن مسعود
رض ذكر رسول الله صلعم الفتنة وايام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه قلت
فبم تأمرني قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قلت ارأيت ان دخل علي داري قال فادخل
بيتك قلت ان دخل علي بيتي قال ادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله
حتى تموت الفايدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن
والتهمة ومرة بالاقتراحات التي يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة او الكذب ومهما
يرون منك من الاعمال والاقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه يتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها

لوقت

لوقت يظهر منه فرصة الشر فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك وكان
بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال ان سمع مني لم ينم علي
وان تفلت في وجهه احتمل وان عربدت معه لم يغضب فسمع الرشيد منه فقال زهدني
في الندماء وكان بعضهم لزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من
الوحدة ولا اوعظ من القبر ولا جليسا امتع من الدفتر الفايدة الخامسة ان ينقطع
طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فاما انقطاع طمع الناس ففيه فوائد فان
رضاء الناس غاية لا تدرك واشتغال المرء بصلاح نفسه اولى واما انقطاع طمعك عنهم فهو
ايضا فايدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وقوي طمعه ولا
يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتأذى به ومهما اعتزل لم يشاهده واذا لم يشاهد
لم يشتهه ولم يطمع ولذلك قال الله تع ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الآية
وقال صلعم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا
نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا
احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست الفقراء واسترحت فالذي هو في
بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن الفايدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى و
مقاساة خلقهم واخلاقهم فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش لم عمشت عينيك
قال من النظر الى الثقلاء وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة
فغشي علي وقال الشافعي رض ما جالست ثقيلا الا وجدت الجانب الذي يليه من بدني
كانه اثقل من الجانب الآخر والانسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتابه و
يقدح فيه وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم آفات العزلة
واعلم ان المقاصد الدينية والدنياوية انما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك
الا بالمخالطة وكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواتها من آفات العزلة
فانظر الى فوايد المخالطة والدواعي اليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب
والتأدب والاستيناس والايناس واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال ونيل

الثواب والنيل في القيام بالحقوق فلنفصل ذلك فانها من فوايد المخالطة وهي سبعة الفايدة الاولى
التعليم والتعلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخالطة فالمحتاج
الى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل
قبل العلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته بنوم او فكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات
بالاوراد يستوعبها فلا ينفك في اعماله بالبدن والقلب عن انواع من الغرور وتبطل عمله
من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها
وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة الشيطان وهو يرى نفسه من العباد
فالعلم هو اصل الدين ولا خير في عزلة العوام والجهال واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية
المتعلم والمعلم وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لا يرى
مستفيدا يطلب فايدة لدينه فان وجد طالب لله تع ومتقرب بالعلم الى الله سبحانه وتع
فاكبر الكباير الاعتزال عنه وهذا اعز جدا الفايدة الثانية النفع والانتفاع اما الانتفاع
بالناس فبالكسب والمعاملة وذلك لا يتاتى الا بالمخالطة والمضطر اليه محتاج الى ترك العزلة
فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب فان كان معه
مال لو اكتفى به قانعا لاقنعه فالعزلة افضل له الا ان يكون غرضه الكسب للصدقة فان اكتسب من وجهه
وتصدق فهو افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال
بالتحقق في معرفة الله سبحانه وتع ولا من الاقبال بكنه الهمة على العبادة والتجرد لذكر الله تع عن
كشف وبصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله او
ببدنه بقضاء حوايج الناس ففيه ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليه مع القيام
بحدود الشرع فهو افضل له من العزلة ان كان لا يشتغل في عزلته الا بالنوافل والاعمال
البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره
البتة الفايدة الثالثة التاديب والتادب ونعني به الارتياض بمقاسات الناس والمجاهدة
في تحمل اذاهم كسرا للنفس وهي من الفوايد التي تستفاد بالمخالطة فهو افضل من العزلة في
حق من لم تتهذب بعد اخلاقه وان كانت نيته في ذلك كسر الرعونة وتهذيب الاخلاق

وان كانت نيته في ذلك التكبر بالاستتباع والتوسل الى جمع المال والاستظهار بكثرة
الاتباع فالعزلة خير له ولو الى القبر واما التاديب فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال
شيخ المتصوفة معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم وحاله حال المعلم وحكمه حكمه
ويتطرق اليه من دقايق الآفات والرياء ما يتطرق الى من ينشر العلم الفايدة الرابعة
الاستيناس والايناس وهو غرض من يحضر الولايم والدعوات ومواضع المعاشرة
والانس وهذا راجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من
لا يجوز مؤانسته وعلى وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستانس
بمشاهدة احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد
يتعلق بحظ النفس ويستحب اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط
في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت ولذلك قال النبي عم ان الله لا يمل حتى
تملوا والاستيناس في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض
الاشخاص فليتفقد فيه احوال القلب واحوال الجليس اولا ثم ليجالس وليحرص ان يكون حديثه
عند اللقاء في امور الدين وحكاية احوال القلب وقصوره عن الثبات على الحق ففي
ذلك مجال رحب ولو عمر اعمارا طويلة لا ينقطع شكواه فان الراضي عن نفسه مغرور قطعا
الفايدة الخامسة نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنايز وعيادة المرضى وحضور
العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منها وحضور الجماعة في ساير الصلوات ايضا لا رخصة
في تركها الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك
لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه
ادخال السرور على قلب مسلم واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه
في المصايب او يهنوه على النعم فانهم ينالون به ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء
واذن لهم في الزيارة ونالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمكين سببا فيه فينبغي ان
يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد
ترجح المخالطة وقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك بن انس وغيره ترك اجابة الدعوات

وعيادة المريض والجنايز فلا يخرجون الا للجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار
والحاز الى قلل الجبال للعبادة وفرارا من الشواغل الفايدة السادسة من المخالطة التواضع
في الدين فانه من افضل المقامات ولا تقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في
اختياره العزلة فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر ومانعه من المحافل ان لا يوقر ولا
يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وقد يعتزل خيفة من ان يظهر مقابحه لو خالطهم
فلا يعتقد فيه الزهد فيتخذ من البيت سترا على مقابحه وعلامة هولاء انهم يحبون ان يزاروا
ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم وتقبيلهم يده على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه
هو الذي بغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما حكينا عن الفضيل
حيث قال وهل جئتني الا لان تتزين لي واتزين لك وعن حاتم الاصم اذ قال للامير
الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا عن نفسه بذكر الله تع فاعتزاله
عن الناس بسبب شدة اشتغاله بالناس وجملة الامر ان العزلة لا يستحب الا للمستغرق الاوقات
بربه ذكرا او فكرا او عبادة خالصة وعلما بحيث انه لو خالط الناس ضاعت اوقاته
وتشوشت عليه عباداته فهذه غوايل خفية ينبغي ان يتقى فانها مهلكات في صور منجيات
والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا تحط من منصب من
هو كبير في علمه او دينه اذ كان علي رض يحمل التمر والملح في ثوبه وبيده وابو هريرة وحذيفة
وابن مسعود رض كانوا يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق على اكتافهم الوجه الثاني
ان الذي يشتغل نفسه بطلب رضى الناس عنه وتحسين اعتقادهم مغرور لانه لو عرف حق
المعرفة علم ان الخلق لا يغني عنه من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله وان من طلب رضى
الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضا الناس لا تنال ولذلك قال
ليونس بن عبد الاعلى رض والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل
فانظر ما يصلحك فافعله ونظر سهل رح الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا وكذا فقال
يا استاد لا اقدر عليه لاجل الناس فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا
الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه

وان احدا لا يقدر ان يضره وينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه
الفايدة السابعة التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم ولا خير في
عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم
ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه
واخلاقه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب وساير
الاخلاق الذميمة انما تنفجر منه جنايته اذا حرك وعن هذا كان السالكون بطريق الاخرة
يجربون انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره او حزمة
حطب على راسه في الاسواق ليجربها نفسه فان غوايل النفس ومكايد الشيطان خفية
قل من يتفطن لها فان الجهل بمعرفة هذه الصفات يحبط العمل الكثير وبالعلم بها
يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل قال النبي عم فضل العالم على
العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلثة اوجه
الاول ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ يتعدى فايدته والعمل لا يتعدى والثالث
ان يراد به العلم بالله تع وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال
صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لينبعث لمعرفته ومحبته فالعلم والعمل بالعلم مراد
لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تع
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالحمال
الرافع له فالمرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الفن فلنرجع
الى المقصود فنقول اذا عرفت فوايد العزلة وغوايلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا
نفيا واثباتا خطاء بل ينبغي ان ينظر الى الشخص الذي يريد الخلاء والى حاله والى الباعث
على مخالطته والى الفايت بسبب مخالطته من هذه المذكورة ويقاس الفايت بالحاصل
فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي رض هو فصل الخطاب اذ قال
الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن
بين المنقبض والمنبسط ولذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك

بالاحوال وبملاحظة العوايد والآفات فيتبين ان الافضل هذا هو الحق الصراح وكل
ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها فلا يجوز ان
يحكم بها على غيره المخالف له في الحال فان الحق واحد ابدًا والقاصر عن الحق كثير لا ينحصر و
لذلك لا ترى واحدًا يثبت لصاحبه قدمًا في التصرف بل كل واحد يدعي انه الواصل الى
الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال فلا يشتغلون الا بانفسهم فهذا
ما اردنا ان نذكره في فضيلة العزلة والمخالطة **قلت** فمن آثر العزلة ورآها
افضل له فما آدابه في العزلة **فنقول** ينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس
اولًا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيًا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام
بحقوق المسلمين ثالثًا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعًا فهذه آداب نيته ثم
ليكن في خلوته مواظبًا على العلم والعمل والذكر والفكر وليمنع الناس عن ان يكثروا
زيارته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعما الناس مشغولون به فان كل ذلك
ينغرس في القلب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد وان تنبت
وتتفرع عروقها واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس والاخبار ينابيع الوساوس
وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك
الخلطة وليكن له اهل صالح او جليس صالح يكون مستأنسه ولا يتم له الصبر في العزلة
الا بقطع الطمع عن الدنيا ويستعين على ذلك بقصر الامل وليكن كثير الذكر للموت
ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من لم يحصل في قلبه من
ذكر الله سبحانه ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت فان من
انس بذكر الله سبحانه ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس و
المعرفة بل يبقى حيًا بمعرفته وانسه فرحًا بفضل الله سبحانه عليه كما قال تع في الشهداء
وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الآية وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد
مهما ادركه الموت والمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلعم
والجهاد الاكبر جهاد النفس كما قال الصحابة رض رجعنا من جهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر

أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الاكبر. وهذا آخر كتاب العزلة، والحمد لله وحده. **كتاب آداب السفر** وهو الكتاب السابع من
ربع العادات. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه محمد وآله اجمعين
اما بعد فان السفر وسيلة الى الخلاص عن مهروب او الوصول الى مطلوب والسفر
سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن الى الصحاري والفلوات وسفر بسير القلب عن
اسفل السافلين الى ملكوت السموات واشرف السفرين سفر الباطن فان الجامد على ما تلقفه
بالتقليد لازم درجة القصور ومستبدل بمتسع فضاء عرضه السموات والارض ظلمة
السجن وضيق الحبس ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام. الا ان
هذا السفر لما كان في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير فاقتضى غموض السبيل و
فقد الدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه
فانقطعت فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الانس في الملكوت والآفاق
واليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق فمن يسر له هذا السفر لم يزل في
سيره متنزها في جنة عرضها السموات والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو
السفر الذي لا يضيق فيه المناهل ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل يزيد بكثرة المسافرين
غنايمه دائمة وثمراته متزايدة الا اذا بدا للمسافر فترة في سفره فيحرم فوائده وينقطع
عنه ثمراته فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم
ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان فربما سافر
بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنمًا تجارة الدنيا وذخيرة الآخرة فان
كان مطلبه العلم والدين والكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي طريق الآخرة وكان
عليه في سفره شروط وآداب ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشيطان وان واظب
عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة فلا بد وان نذكر آداب السفر وفوائده
وشروطه في بابين **الباب الاول** في فوائد السفر من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية
السفر وفائدته وفيه فصلان **الفصل الاول** في فوائد السفر وفضله ونيته **الفصل الثاني** في
آداب المسافر **الباب الثاني** فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

الباب الاول في فوايد السفر من اول النهوض الى آخر الرجوع الفصل الاول في فوايد السفر
وفضيلته ونيته اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوايد وآفات والفوايد الباعثة
على السفر لا يخلو من هرب او طلب فان المسافر اما ان يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان
له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية
كالخوف والفتنة والخصومة او غلاء السعر واما امر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلدة بجاه
ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد لله فيوثر الغربة والخمول او كمن يدعى الى بدعة قهرا
او الى ولاية عمل لا يحل مباشرته فيطلب الفرار منه واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال
والجاه او ديني والديني اما علم او عمل والعلم اما علم من العلوم الدينية واما علم باخلاقه
وصفاته على سبيل التجربة واما علم بآيات الارض وعجايبها كسفر ذي القرنين وتطوافه
في نواحي الارض والعمل اما عبادة واما زيارة فالعبادة هو الحج والجهاد والزيارة
ايضا من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس وقد يقصد بها
العلماء والاولياء وهم اما موتى فيزار قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من
النظر الى احوالهم الرغبة في الاقتداء بهم وهذه اقسام الاسفار ويخرج من هذه القسمة اقسام
الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب او نفل وذلك العلم اما علم بامور دينه او باخلاقه في
نفسه او آيات الله في ارضه فاما فضيلة السفر في طلب العلم فقد قال رسول الله صلعم من سلك
طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق
الآخرة لا يمكن سلوكه الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبايث صفاته
لا يقدر على تطهير القلب منها واما آيات الله في ارضه ففي مشاهدتها فوايد للمستبصر من عجايب
الجبال والبراري والبحار وانواع النبات وما من شيء منها الا وهو شاهد لله بالوحدانية
ويسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد وما اريد بالسمع السمع الظاهر وانما
اريد به السمع الباطن وما من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله
بالوحدانية هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى
فضاء سمع الباطن ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس يقولون افتحوا اعينكم حتى

تبصروا وانا اقول غضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين صحيح الا ان الاول خبر عن المنزل
الاول والثاني خبر عن المنزل الذي لا يتخطاه الا المخاطر بنفسه ولو قدر كل عاجز على مثل هذا
السير لما كان سليمان عم مختصا بفهم منطق الطير وموسى عم بسماع كلام الله تع الذي يجب تقدسه
عن مشابهة الحروف والاصوات ومن يسافر ليستقري هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة
بالخطوط الالهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ
قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فما له والتردد انما غنيته في ملكوت
السموات فالشمس والقمر والنجوم مسخرات وهي الى ابصار ذوي البصاير مسافرات
فمن الغرايب ان يدأب في الطواف بآحاد المساجد من امرت الكعبة ان تطوف به ومن
الغرايب ان يطوف في اكناف الارض من يطوف به اقطار السموات ثم ما دام المسافر
مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة فهو بعد في المنزل الاول معتكف على باب
الوطن لم يخرج بعد الى متسع الفضاء والمسافر الى هذا العالم مخاطر بنفسه فربما ياخذ التوفيق
بيده ورشده الى سواء السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون ولكن السالكون
بنور التوفيق فازوا بالنعيم المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واذا عظم المطلوب
قل المساعد وكما ان ملك الدنيا يعظم بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه فكذلك هذا الملك ثم
الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان واذا كانت النفوس
كبارا تعبت في مرادها الاجسام وما اودع الله تع العز والملك في الدين والدنيا الا في
متن الخطر شعر يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة النفس اللئيم فهذا حكم السفر
الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الارض ولنرجع الى الغرض الذي كنا
نقصده ولنبين القسم الثاني وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد او لحج وقد ذكرنا فضل
ذلك وآدابه واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور
الانبياء والصحابة والتابعين وساير العلماء والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في
حيوته يتبرك بزيارته بعد وفاته ولم يمنع من هذا قوله عم لا تشد الرحال الا الى ثلث
مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة

بهذه المساجد وبيت المقدس له فضل كبير وقد سأل سليمان عم ربه عز وجل ان
من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلوة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج
منه وان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله تع ذلك وبالجملة زيارة الاحياء
اولى من زيارة الاموات لطلب الدعاء وبركة النظر الى وجوههم والرغبة في الاقتداء
بهم والتخلق باخلاقهم وآدابهم القسم الثالث ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين
وذلك ايضا حسن ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق فان ذلك يشوش
فراغ القلب فقد نجا المخفون والمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن
لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فان الدين لا يتم الا بقلب فارغ ولا يتم ذلك الا بالعزلة
وقطع العلائق التي له بدّ عنها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما
يطمئن به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ووجود الاسباب والعلائق وعدمها فلا يصده
شيء عن ذكر الله تع وذلك مما يعز وجوده جدا وانما يسعد بهذه القوة الانبياء والاولياء
والوصول اليها بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل القسم الرابع السفر
هربا مما يقدح في البدن كالطاعون او في المال كغلاء السعر وما يجري مجراه ولا حرج
في ذلك وربما يجب الفرار في بعض المواضع ويستحب في بعض المواضع بحسب وجوب ما يترتب
عليه من الفوائد ويستثنى الطاعون فلا يفر منه فهذه اقسام الاسفار وقد خرج منه
ان السفر ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون
والمحمود ينقسم الى الواجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم والى مندوب اليه
كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم واما المباح فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف
عن السؤال ورعاية ستر المروة عن الاهل والعيال والتصدق بما يفضل من مبلغ الحاجة
فصار هذا المباح بهذه النية من اعمال الآخرة قال بعض السلف ان الله تع قد وكل بالمسافرين
ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته وقال عم الاعمال بالنيات
وهذا عام في الواجبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن
كونها محظورة واما النظر في ان السفر هو الافضل او الاقامة فيضاهي النظر في ان

الافضل

الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فان السفر نوع مخالطة
مع زيادة التعب وتفرق الهم في حق الاكثرين والافضل ما هو الاعون على الدين
ونهاية ثمرة الدين تحصيل معرفة الله تع وتحصيل ذلك بدوام الذكر والفكر وفي
السفر لا يمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي المعينة على العمل
بالمتعلم في الانتهاء واما السياحة في الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب الا
في حق الاقوياء فلا ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب علم او مشاهدة شيخ يقتدى به
في سيرته فان اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الذكر والفكر او العمل فالسكون اولى
واكثر متصوفة هذه الاعصار لما خلت بواطنهم عن الافكار ودقايق الاعمال
ولم يحصل لهم انس بالله تع وبذكره في الخلوة فكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين
قد الفوا البطالة واستثقلوا العمل فاستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسهلوا
البطالة والكدية ولم يكن لهم نية في ترددهم الى البقاع فلبسوا المرقعات واتخذوا
من الخانقاهات متنزهات وربما تلقفوا الفاظا مزخرفة من الطامات فينظرون
الى انفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم
وفي آداب ظاهرة في سيرهم فيظنون بانفسهم خيرا ويحسبون ان المشاركة في
الظواهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فما اغزر حماقة من لم يميز بين الشحم والورم
فهؤلاء بغضاء الله وان الله يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة الا الشباب
والفراغ الا من سافر لحج وعمرة في غير رياء ولا سمعة او سافر لمشاهدة شيخ يقتدى
به ان كان يوجد في هذا الزمان من هو اهل الاقتداء فهذا سفر محمود واعلم ان
التصوف عبارة عن تجرد القلب لله تع وحاصله يرجع الى عمل القلب والجوارح فمهما
فسد العملان فات الاصل وفي اسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث انه اتعاب للنفس
بلا فائدة وقد يقال انه مباح ولكن الصواب عندنا ان نحكم بالاباحة فان حظوظهم التنوع
عن كرب البطالة وهذه الحظوظ وان كانت خسيسة فلا بأس باتعاب حيوان خسيس لحظ
خسيس وهم كالبهائم المترددات في الصحاري فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس

وقفت
شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم بالسؤال على اسم التصوف والاكل من الاوقاف التي
على الصوفية لان الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات اخر ومن احوال
هؤلاء اكلهم اموال السلاطين واكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور
صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وكذلك من نظر الى ظواهرهم ولم يعرف
بواطنهم واعطاهم من ماله على سبيل التقرب الى الله تع حرم عليهم الاخذ وكان ما
ياكلونه سحتا كالاخذ باظهار نسب رسول الله صلعم على سبيل الدعوى ومن زعم انه
علوي وهو كاذب فاعطاه مسلم مالا لاجل اهل بيت رسول الله صلعم فاخذه عليه حرام
ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة ان لا ياكل الا من كسبه ليامن من هذه الغائلة ولا
ياكل الا من مال من يعلم قطعا انه لو انكشف له عورات باطنه لم يعنه ذلك من مواساته
وان احتاج الى اخذ مال غيره فليصرح له وليقل ان كنت تعطيني لما تعتقد من
الدين فلست مستحقا له فان اعطاه مع ذلك فلياخذه ولكن هيهنا مكيدة للنفس
فليتفطن لها وهو انه قد يقول ذلك على طريق انه لا يرى نفسه من الصالحين فيكون
صورته في الكلام صورة القدح وباطنه وروحه هو المدح فكم من ذام نفسه وهو
لها مادح بعين ذمه فهذا هو القول في اقسام السفر ونية المسافر وفضيلته والله اعلم
بالصواب **الفصل الثاني** في آداب المسافر من اول نهوضه الى آخر رجوعه وهي احدى
عشر ادبا الاول ان يبدأ برد المظالم وقضاء الدين واعداد النفقة لمن يلزمه
نفقته ورد الودائع ولا بد في السفر من طيب الكلام واطعام الطعام واظهار
مكارم الاخلاق ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في
السفر فلا تشكوا في صلاحه **الثاني** ان يختار رفيقا وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين
فيذكره اذا نسي ويعينه ويساعده اذا تذكر وقد نهى عم عن ان يسافر الرجل
وحده وليؤمروا احدهم وينبغي ان يكون احسنهم اخلاقا وعلى الامير ان ينظر في مصالح
اصحابه ويجعل نفسه وقاية لهم **الثالث** ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء
وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله عم وكان عم اذا ودع رجلا قال زودك

الله

الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت وهذا للمقيم المودع وفي
خبر آخر استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك **الرابع** ان يصلي قبل السفر
صلوة الاستخارة كما وصفناه في كتاب الصلوة ووقت الخروج يصلي لاجل
السفر قال صلعم ما استخلف عبد في اهله من خليفة احب الى الله تع من اربع ركعات
يصليهن في بيته اذا شد عليه ثياب سفره يقرا فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله
احد ثم يقول اللهم اني اتقرب اليك بهن فاخلفني بهن في اهلي ومالي والتشييع و
الوداع سنة قال رسول الله صلعم لان اشيع مجاهدا في سبيل الله فاكنفه على رحله
غدوة او روحة احب الي من الدنيا وما فيها وينبغي اذا استودع الله تع ما خلفه
ان يستودع الجميع ولا يخصص **الخامس** اذا حصل باب الدار فليدع بالدعاء الذي
وصفناه في كتاب الحج واوله بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب
اعوذ بك ان اضل او اضل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا مشى قال
اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي
وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك و
جل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما
توجهت وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه ومهما اشرف المنزل فليقل
اللهم يا رب السموات وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين
وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير
هذا المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر
شرارهم واذا نزل فليصل ركعتين وليدع وليقل اعوذ بكلمات الله التي لا
يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق **السادس** ان يرحل من المنزل بكرة روى
جابر ان النبي عم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك فبكر وقال اللهم بارك لامتي في
بكورها يوم خميسها وفي خبر آخر في بكورها يوم السبت وفي آخر سبتها وخميسها
السابع ان لا ينزل حتى يحمى النهار فهي السنة ويكون اكثر سيره في الليل قال صلعم

عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما اشرف على المنزل
فليدع بالدعاء الذي ذكرناه قبل هذا وليقل اذا جن عليه الليل يا ارض ربي وربك
الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد
واسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل و
النهار وهو السميع العليم ومهما علا نشزا من الارض فليقل اللهم لك الشرف على كل شرف
ولك الحمد على كل حال واذا اهبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره فليقل سبحان الملك
القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت الثامن ان يحتاط
بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة ويكون بالليل متحفظا عند النوم والمستحب ان
الرفقاء في الحراسة ومهما قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرا اية الكرسي وشهد
الله وسورة الاخلاص والمعوذتين وليدع بهذا الدعاء وهو بسم الله ما شاء الله
لا حول ولا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله لا ياتي بالخيرات الا الله ما شاء الله
لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون
الله ملجا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت
بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام
وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا
قلوب عبادك وامائك برافة ورحمة انك ارحم الراحمين التاسع ان يرفق بالدابة
ان كان راكبا ولا يحملها ما لا يطيق ولا يضرب وجهها ولا ينام عليها قال صلعم
لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية العاشر
ينبغي ان يستصحب ستة اشياء قالت عايشة رض كان رسول الله صلعم اذا سافر حمل معه
خمسة اشياء المرآة والمكحلة والمدرى والسواك والمشط وفي رواية اخرى
عنه ستة المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقد زاد الصوفية
الركوة والحبل وبعضهم ذكر الابرة والخيط الحادي عشر في اداب الرجوع من
السفر كان صلعم اذا قفل من غزوة او حج او غيره يكبر على كل شرف من الارض

ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده
ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده واذا اشرف على مدينة فليقل اللهم اجعل
لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم
بغتة ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا وقد ورد النهي عنه وكان رسول الله صلعم اذا قدم دخل
المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت فاذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر
علينا حوبا وينبغي ان يحمل لاهل بيته ولاقاربه تحفة من مطعوم وغيره على قدر امكانه
فهو سنة وقد روي انه ان لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا فهذه جملة من الاداب الظاهرة
واما الاداب الباطنة ففي الفصل الاول بيان جملة منها وجملته ان لا يسافر الا اذا
كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى النقصان فليقف ولينصرف
ولا ينبغي ان يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلد
ان يرى شيوخها وان يستفيد من كل واحد ادبا او كلمة لينتفع بها لا ليحكي ويظهر
لقي المشايخ ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يامره الشيخ المقصود
بذلك ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة
اخ لا يزيد على ثلثة ايام فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد
زيارة شيخ ولا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة وكما يدخل البلد فلا يشتغل بشيء سوى
زيارة الشيخ فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستاذن الى ان يخرج فاذا
خرج تقدم بادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يساله فان ساله اجاب بقدر السؤال ولا يسال
عن مسئلة ما لم يستاذن اولا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسخيائهم ولا
اصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين ولا
يظهر حاجة الا بقدر الضرورة ومع من يقدر على ازالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة
القرآن بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك ثم ليرجع فان تبرمت نفسه بالسفر او بالاقامة
فليخالفها واذا تيسر له خدمة قوم صالحين فلا يسافر تبرما بالخدمة ومهما وجد نفسه في نقصان

فليعلم ان سفره معلول مدخول ولكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في الغربة
ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلا واما آجلا الباب الثاني
فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات اعلم ان المسافر يحتاج
في اول سفره ان يتزود لدنياه ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج
اليه من النفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى
متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على
الجوع ولا القوة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية وليس معنى التوكل التباعد
عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو ونزح الماء من البئر ولوجب ان
يصبر حتى يسخر الله ملكا او شخصا آخر حتى يصب الماء في فيه فاذا كان حفظ الدلو والحبل
لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب فحمل عين المشروب والمطعوم حيث لا ينتظر له
وجود اولى واما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج اليه في طهارته وصومه وصلواته
وعباداته فلا بد له ان يتزود منه اذ السفر تارة يخفف عليه امورا فيحتاج الى معرفة
القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه امورا كان مستغنيا
عنها في الحضر كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه في البلد يكتفي بغيره من محاريب
المساجد واذان المؤذنين وفي السفر يحتاج الى ان يعرف بنفسه وما يفتقر الى تعلمه
ينقسم الى قسمين القسم الاول العلم برخص السفر والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح
الخف والتيمم الرخصة الاولى المسح على الخفين وكل من لبس الخف على طهارة فله ان يمسح
على خفيه من وقت حدثه ثلثة ايام ولياليهن ان كان مسافرا ويوما وليلة ان كان
مقيما لكن بخمسة شرائط الاول ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة الثاني ان يكون الخف قويا
يمكن المشي عليه وان لم يكن منعلا الثالث ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان
تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز له المسح الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان
نزع فالاولى له استيناف الوضوء وان اقتصر على غسل القدمين جاز الخامس ان يمسح على
الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل واقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف فاذا مسح ثلثة

اصابع خرج من شبهة الخلاف ولو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج واحدث
في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال
من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجل
فاما اذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لمن يريد لبس الخف ان
ينكسه ثم ينفض ما فيه حذرا من شيء يكون فيه فيؤذيه قال رسول الله صلعم من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما الرخصة الثانية التيمم والتراب بدل عن
الماء عند التعذر وذلك بان يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة
ان استغاث وان كان الماء قريبا وهو يحتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لفقد
الماء بين يديه فله التيمم وكذا ان احتاج اليه لعطش احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه
التسليم اما بثمن او بغير ثمن وان علم انه سيجد الماء في آخر الوقت فالاولى ان يصلي
بالتيمم في اوله ومهما وهب له الماء لزمه قبوله وان وهب له ثمنه لم يلزمه قبوله وان بيع
بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع باكثر من ذلك لم يلزمه وان نسي في رحله لزمه اعادة
الصلوة ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلوة لزمه الوضوء ومهما طلب ولم يجد
فليقصد صعيدا طيبا عليه تراب يثور منه غبار فليضرب بكفيه عليه بعد ضم اصابعه
ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم ويفرج الاصابع ويمسح بهما
يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جمع ساعديه ضرب ضربة اخرى فاذا
صلى به فريضة فله ان يتنفل ما شاء بذلك التيمم فان اراد الجمع بين الصلوتين فعليه ان يعيد التيمم
للصلوة الثانية ولا يتيمم لصلوة قبل دخول وقتها فان فعل فعليه اعادة التيمم ولينو
عند مسح الوجه استباحة الصلوة الرخصة الثالثة في الصلوة المفروضة القصر فله ان يقتصر
في كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلثة الاول
ان يؤديها في وقتها فلو صارت قضاء فالاظهر لزوم الاتمام الثاني ان ينوي القصر
فان نوى الاتمام لزمه الاتمام الثالث ان لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم وان فعل
لزمه الاتمام ولا يصير مسافرا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجوز خرابها

الا ان يجاوز

وبساتينها ولو نسي شيئاً فرجع لاخذه لم يترخص ان كان ذلك الموضع وطنه ما لم يجاوز
العمران بعد الرجوع منه وان لم يكن وطنه فله الترخص وان شك في ان امامه مقيم او مسافر
لزمه الاتمام واما نهاية السفر فباحد امور ثلاثة الاول الى عمران البلدة الذي
عزم على الاقامة بها الثاني العزم على الاقامة ثلاثة ايام فصاعدا اما في بلد او صحراء
الثالث صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع واحد ثلثة ايام سوى يوم
الدخول لم يكن له الترخص وان زادت اقامته على ثلاثة ايام وكان له شغل وهو يتوقع
كل يوم ان يتنجز ولكن كان يتعوق ويتأخر فله ان يترخص وان طالت المدة على اقيس
القولين الرخصة الرابعة الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما فذلك ايضا جايز في كل سفر
طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر فلينو الجمع قبل
الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ولا يفرق بينهما باكثر من
الاقامة وتجديد التيمم ان كان متيمماً فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع عند التحرم
بصلوة العصر جاز عند المزني ثم اذا فرغ من الصلوتين فينبغي ان يجمع بين سنن الصلوتين
فاما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما
راكبا او مقيما وان اراد ان يقيم الاربعة المسنونة قبل الظهر والاربعة المسنونة قبل
العصر فيجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر وهي الركعتان اللتان هما بعد الفرض ولا
ينبغي ان يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح وان اخر
الظهر الى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت
المكروه وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر اذا قدم واخر فبعد الفراغ من
الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج الوقت
فليعزم على ادائها مع العصر فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن هذه النية اما بنية الترك
او بنية التاخير عن وقت العصر وذلك حرام وان لم يتذكر الظهر حتى خرج وقتها
اما لنومه او لشغل فله ان يؤديها مع العصر ولا يكون عاصيا وعذر المطر يجوز فيه
الجمع كعذر السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر ولو نوى الاقامة بعد ان صلى العصر

فادرك

فادرك وقت العصر في الحضر فعليه اداء العصر الرخصة الخامسة في التنفل راكبا كان رسول
الله صلعم يصلي على راحلته اينما توجهت به واوتر صلعم على الراحلة وليس على المتنفل الراكب
في السجود والركوع الا الايماء وينبغي ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه وان كان في مرقد
فليتمم الركوع والسجود فانه قادر عليه واما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلوة
ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلوته اما مستقبلا
للقبلة او متوجها في صوب الطريق ليكون له جهة يثبت فيها ولو صرف دابته عن الطريق
قصدا بطلت صلوته الا اذا صرفها الى القبلة فان صرف ناسيا وقصر الوقت لم تبطل فان
طال ففيه خلاف وان جمحت الدابة وانحرفت لم تبطل صلوته وليس عليه في ذلك سجود سهو بخلاف
ما لو صرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء الرخصة السادسة التنفل للماشي جائز في السفر
ويومي بالركوع والسجود ولا يجلس للتشهد ولكن ينبغي ان يتحرم بالصلوة مستقبلا القبلة لان الانحراف
في لحظة لا عسر فيها ولا ينبغي ان يمشي في نجاسة رطبة عمدا فان فعل بطلت صلوته بخلاف
ما لو وطئ دابة الراكب نجاسة وليس عليه ان يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسة التي
لا تخلو الطرق عنها غالبا وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان يصلي الفريضة راكبا
وماشيا الرخصة السابعة الفطر وهو في الصوم فللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم
سافر فعليه اتمام ذلك اليوم وان اصبح مسافرا صايما ثم اقام فعليه الاتمام وان قام مفطرا
فليس عليه الامساك بقية النهار والصوم افضل من الفطر والقصر افضل من الاتمام فلا يحل
اذا للمسافر وان ينشئ السفر ما لم يتعلم ما يحتاج اليه من علم التيمم وساير الرخص ان اراد الترخص
القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة والاوقات وذلك ايضا واجب
في الحضر والسفر ولكن في الحضر ما يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن
يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت والمسافر قد يشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه
الوقت فلا بد له من العلم بادلة القبلة والمواقيت اما ادلة القبلة فهي ثلاثة اقسام
ارضية كالاستدلال بالجبال والقرى والانهار ورب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه
على يمين المستقبل او شماله او وراءه او قدامه فليتعلم ذلك وليفهمه او هوائية كالاستدلال

بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها فان الرياح قد تدل في بعض المواضع فليفهم
ذلك وسماويه وهي ايضا تنقسم الى نهارية وليلية اما النهارية فالشمس فلا بد ان يراعي قبل
الخروج من البلدان الشمس عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين او على العين اليمنى او اليسرى
او تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا عرفت الزوال
بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعي موقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين
الوقتين يحتاج الى القبلة بالضرورة واما القبلة وقت المغرب فانما تدرك بموضع الغروب وهو
ان يحفظ ان الشمس تغرب عن يمين المستقبل او هو مايل الى وجهه او قفاه وبالشفق ايضا
تعرف القبلة للعشاء الاخرة وبمشرق الشمس لصلوة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات
الخمس ولكن تختلف ذلك بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانت محصورة
في جهتين فلا بد من تعلم ذلك ايضا ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فعليه
ان يراعي موقع القطب وذلك اما ان يكون على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن من قفاه
او منكبه الايسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما وراءها فيقع في
مقابلة المستقبل فليتعلم ذلك وما عرفه في بلاده فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال
السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع الشمس والقطب والمشارق والمغارب واذا
انتهى سفره الى بلاد فليسال اهل البصيرة او يراعي هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع
البلد فان بان له انه اخطأ من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات الاربع فينبغي ان يقضي
وان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء ولا بد
اولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة ومعنى مقابلة العين ان يقف موقفا لو خرج
خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان

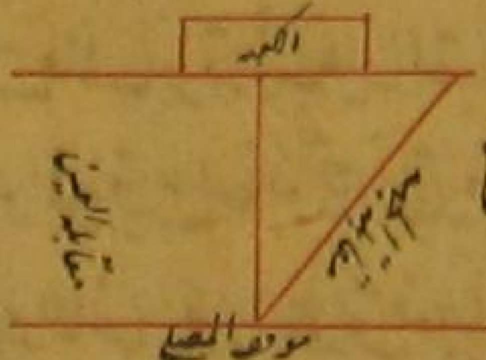

وهذه صورته والخط الخارج من موقف المصلي قدر
انه بين عينيه واما مقابلة الجهة فيجوز فيها ان يتصل طرف
الخط الخارج من بين العينين الى الكعبة من غير ان يتساوى
الزاويتان عن جنبتي الخط بل لا يتساوي الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي

واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة الى ساير النقط من يمينها او شمالها كانت احدى
الزاويتين اضيق فيخرج عن مقابلة العين ولا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتب عليه
مقابلة الجهة ولو قدرت الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة
لا بعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما خارجين من العينين فيلتقي طرفاهما في
داخل الراس بين العينين على زاوية قائمة فما يقع بين الخطين فهو داخل في الجهة ويتزايد
بطول الخطين بالبعد عن الكعبة عظمها الله تع وهذه صورته

فاذا فهم معنى الجهة والعين فاقول الذي يصح عندنا في
الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة يمكن
رؤيتها وان كان يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال الجهة فاما
طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل
عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة رض والقياس قال الله تع وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره اي نحوه وقال رسول الله صلعم لاهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة
والمغرب يقع على يمين اهل المدينة والشرق على يسارهم فجعل صلعم جميع ما يقع بينهما قبلة و
الكعبة لا يفي بما بين المشرق والمغرب وانما يفي جهتها واهل مسجد قبا لما قيل لهم وهم في
الصلوة قد حولت القبلة الى الكعبة فاستداروا من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم ويكفي
هذا القدر من الادلة واما حصر جهات العالم في اربعة فدليله قوله صلعم في ادب
قضاء الحاجة لا تستقبلوا القبلة بها ولا تستدبروا ولكن شرقوا او غربوا وليس للانسان
الا قدام وخلف ويمين وشمال فالجهات بالاضافة اليه اربعة والشرع لا يبتني الا على
هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب الجهة وتلك تسهل امر الاجتهاد فيها وتعلم ادلة القبلة
فاذا القدر الذي لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب والزوال وموقع
الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب فان تعلم هذه الادلة واستبهم عليه الامر
بغيم مظلم او ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على
حاله ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطأ والاعمى ليس له الا التقليد ممن يوثق بدينه

وبصيرته ان كان مقلده مجتهداً في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة فله الاعتماد على قول
كل عدل يخبره في حضر او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر الا في قافلة ليس فيها من يعرف
ادلة القبلة حيث يحتاج الى الاستدلال **واما معرفة** الاوقات للصلوات الخمس فلا بد منها
فوقت الظهر يدخل بالزوال وكل شخص يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب
ثم ينقص الى وقت الزوال ثم ياخذ في الزيادة في جهة المشرق فليقم المسافر في موضع او لينصب
عوداً او ليعلم على راس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد
وقت الصلوة وطريقه ان ينظر في البلد وقت اذان المؤذن المعتمد عليه ظل قامته
فاذا كانت مثلا ثلاثة اقدام بقدمه فمهما صار كذلك في السفر واخذ في الزيادة صلى
فاذا زاد عليه ستة اقدام ونصف دخل وقت العصر اذ ظل كل شخص بقدمه ستة اقدام ونصف
ثم ظل الزوال يزيد كل يوم ان كان سفره من اول الصيف وان كان من اول الشتاء
فينقص كل يوم واحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف
الظل به في كل وقت فان عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان
في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر يمكنه ان يعرف الوقت بالشمس بان يقف بين
عينيه مثلا ان كان كذلك في البلد **واما** وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد
يحجب الجبال المغرب عنه فينبغي ان ينظر الى جانب المشرق فمهما ظهر سواد في الافق مرتفع
من الارض قيد رمح فقد دخل وقت المغرب **واما** العشاء فبغيبوبة الحمرة فان كانت محجوبة
عنه بالجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها **واما** الصبح فيبدو في الاول مستطيلا
لا حكم له الى ان ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين فهو اول الوقت
قال النبي صلعم ليس الصبح هكذا وجمع كفيه وانما الصبح هكذا ووضع احدى سبابتيه على الاخرى
وفتحهما واشار به الى انه معترض اذا شك في الصبح فينبغي ان يترك الصايم السحور ولا يصلي
صلوة الصبح حتى ينقضي هذا الشك فاذا تحقق صلى ولا اعتماد الا على العيان ولا اعتماد
في العيان الا على ان يصير ضوء الصبح منتشرا في العرض حتى تبدو مبادي الصفرة وكانها
مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد يبادر بالصلوة قبل الرحيل

حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان وطن نفسه على تاخير الصلوة الى ان
يتيقن وسمح بفوات فضيلة اول الوقت وتجشم كلفة النزول وكلفة تاخير النوم الى
اليقين استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل اوايل الاوقات لا اوساطها اخر
كتاب آداب السفر والحمد لله رب العالمين **كتاب السماع والوجد** وهو الكتاب الثامن
من ربع العادات اما بعد فان القلوب والسراير خزاين الاسرار ومعادن الجواهر
وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر ولا سبيل الى استثارة
خفاياها الا بقداح السماع ولا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع والنغمات
الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها ومساويها فلا يظهر من القلب عند
التحريك الا ما يحويه كما لا يترشح الاناء الا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار
ناطق فلا يصل روح السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب
بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت في السماع والوجد ما كان كامنا فيها من الفوايد
والآفات فلنذكر ما يستحب فيه من الآداب وما يتطرق اليه من خلاف العلماء في انه
من المحظورات او المباحات ونحن نوضح ذلك في بابين **الباب الاول** في اباحة السماع **الباب**
الثاني في آدابه وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب
الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه بيان اقاويل
العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع
حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فيسمى الاضطراب
واما موزونة فيسمى التصفيق والرقص فنبدا بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه
الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي
ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا يستدل بها على انهم راوا
تحريمه وقد حكي عن الشافعي رض انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة
ليشتغلوا به عن القرآن واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية
فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب ساير اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده

وكذلك ابو حنيفة وساير اهل الكوفة سفيان الثوري وحماد وابرهيم الشعبي وغيرهم وهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري وقال الشافعي رض صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المراة التي ليست بمحرم لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او كانت من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة ونقل ابو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي باحسان قيل للحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد والسري وذو النون يسمعون فقال كيف انكر السماع وقد اجازه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانا انكر اللهو واللعب في السماع وحكى عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة وقال ابن ابي داود حدثني ابي عن احمد بن حنبل انه كره السماع فقال له ابن مجاهد رض ايش تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت شعر اهو حرام فقال ابن ابي داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطوله وقصر منه الممدود ومد المقصور يحرم عليه قال لا فهذا ما نقلته من الاقاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الاقاويل فيبقى متحيرا او مايلا الى بعض الاقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره بيان الدليل على اباحة السماع اعلم ان قول القايل السماع حرام معناه ان الله تع يعاقب عليه وهذا الامر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص والقياس على المنصوص واعني بالنص ما اظهره رسول الله صلعم بقوله او فعله وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وافعاله واذا لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كساير المباحات ثم نقول قد دل القياس والنص جميعا على اباحته اما القياس فهو ان الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت موزون طيب المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم

الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وساير الحيوانات اما سماع الصوت الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس اما القياس فانه يرجع الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ كصوت العنادل والمزامير ومكروهة كنهيق الحمار وغيره ولذة هذه الحاسة كلذة ساير الحواس واما النص فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن الحديث وفي الحديث ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت وفي الحديث في معرض المدح لداود عم انه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه في تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته عم وكان يحمل من مجلسه اربع مائة جنازة وما يقرب منها في الاوقات ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القرآن للزمه ان يحرم سماع صوت العندليب لانه ليس من القرآن فاذا جاز سماع صوت لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن الدرجة الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء الحسن وكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب فسماع هذه الاصوات مستبعد ان يحرم لكونه طيبا او موزونا فلا ذاهب الى تحريم صوت العندليب وساير الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا فرق بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس على صوت العندليب الاصوات الخارجة عن ساير الاجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه او من القضيب والطبل والدف وغيره ولا يستثنى من هذا الا الملاهي والمزامير والاوتار اذ ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمه من قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة لانها مقدمة الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسوأتين وما من حرام الا وله حريم يطوف به وحكم الحرمة ينسحب على

حرمه ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهي طبل مستطيل
دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان
مثل طبل الحج وبهذا المعنى حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والرباب
والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين
الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون
سوى ما يعتاده اهل الشرب بقي على اصل الاباحة قياسا على صوت الطيور الدرجة الثالثة
الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك
لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام
فاذا لم يحرم الآحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه من المحظور
حرم نظمه ونثره وحرم التصويت به وما كان منه حكمة ومن كلام حسن فلا يحرم انشاده
وكان النبي صلعم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلعم
وعن انس ان النبي صلعم كان يحدى له في السفر ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة
العرب في زمان رسول الله صلعم وما هي الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة
ولم ينقل عن احد من الصحابة انكاره الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث انه يحرك القلب
ويهيج لما هو الغالب عليه فاقول لله تع سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح
حتى انها لتؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم
ومنها ما يضحك ويطرب ومنها ما يستخرج من الاعضاء حركات على وزنها باليد
والرجل والرأس فلا ينبغي ان يظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل هو جار في الاوتار
وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي وهو في مهده فانه قد
يسكنه الصوت الطيب ويصرف نفسه عما يبكيه الى الاصغاء اليه والجمل مع بلادة
طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة لقوة نشاطه في سماعه
ويستقصر المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يولهه فترى الجمال اذا طالت
عليها البوادي واعتراها الاعياء تحت المحامل اذا سمعت مبادي الحداء تمد اعناقها

وتصغي

وتصغي الى الحادي وتسرع في سيرها وربما يتلف نفسها في شدة السير وثقل الحمل
وهي لا تشعر به وقد حكى ابو بكر بن محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي قال
كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافني رجل منهم فادخلني
خباءه فرأيت في الخباء عبدا اسود مقيدا ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي
البيت ورأيت جملا قد نحل كانه ينزع روحه فقال الغلام انت ضيف ولك حق فتشفع
في حقي الى مولاي فانه مكرم لضيفه فعساه يحل القيد عني قال فلما احضروا الطعام
امتنعت وقلت لا آكل ما لم اشفع في هذا العبد فقال ان هذا الغلام قد افقرني
واهلك جميع مالي فقلت ما ذا فعل فقال ان له صوتا طيبا وكنت اعيش من
ظهور هذه الجمال فحملها احمالا ثقالا وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة
ايام بليلة في ليلة من طيب نغمته فلما حطت احمالها ماتت كلها الا هذا الجمل
الواحد ولكن انت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك قال فاحببت ان اسمع صوته فلما
اصبحنا امره ان يحدو ويستقي الماء من البئر الذي هناك فلما رفع صوته هام ذلك
الجمل وقطع حباله ووقعت انا على وجهي فما اظن اني قد سمعت صوتا اطيب منه
فاذن تأثير السماع في القلوب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص ومهما كان النظر
في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه مطلقا باباحة وتحريم بل
يختلف ذلك بالاحوال والاشخاص فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة يعتاد في
مواضع لاغراض مخصوصة وهي سبعة مواضع الاول غناء الحجيج فانهم يدورون في
البلاد بالطبل والشاهين والغناء وذلك مباح لانها اشعار نظمت في وصف
الكعبة والمقام والحطيم وزمزم الثاني ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو
وذلك ايضا مباح الثالث الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء وذلك
ايضا مباح الرابع اصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهييج الحزن والبكاء وهي
قسمان محمود ومذموم اما المذموم فالحزن على ما فات والحزن على الاموات
فانه تسخط لقضاء الله واما الحزن المحمود فهو حزن الانسان على تقصيره في امر

دينه وبكاؤه على خطاياه وعليه بكاء آدم عم ولذلك كان نياحة داود عم
محمودة وقد كان يحزن ويحزن ويبكي ويبكي وكان يفعل ذلك بالفاظ والحانه و
كل ما يفضي الى المحمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت ان ينشد
على المنبر بالحانه الاشعار المرققة للقلب ليتوصل بذلك الى ان يبكي ويبكي الخامس السماع
في اوقات السرور وهو مباح اذا كان السرور مباحا ويدل على هذا من النقل
انشاد النساء بالدف والالحان على السطوح عند قدوم رسول الله صلعم المدينة شعر
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا ما دعا لله داع * فهذا
سرور محمود بقدومه فاظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات ايضا محمود
وقد نقل عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا في سرور اصابهم ويدل على هذا ما روي
في الصحيحين عن عايشة رض قالت رايت النبي عم يسترني بردائه وانا انظر
الى الحبشة يلعبون في المسجد حتى اكون انا الذي اسامه وفي رواية اخرى قامني
وراءه وخدي على خده ويقول دونكم يا بني ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قال
نعم قال فاذهبي وفي صحيح مسلم وضعت راسي على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا
الذي انصرفت فهذا الحديث وغيره من الاحاديث في هذا المعنى كلها في الصحيحين وهو
نص صريح في ان الغناء واللعب ليس بحرام وفيها دلالة على انواع من الرخص الاول
اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب الثاني فعل ذلك في المسجد والثالث
التماسه منهم بقوله عم دونكم يا بني ارفدة الرابع وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك
لموافقة عايشة رض الخامس الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين اللتين
كانتا تغنيان بالدف ومنعه لابي بكر رض عن الانكار وتعليله بانه يوم عيد وهو
صلعم يتغشى بثوبه والسادس قوله صلعم ابتداء لعايشة رض اتشتهين ان تنظري
ولم يكن ذلك عن اضطرار الى مساعدة الاهل خوفا من غضب او وحشة السابع الرخصة
في الغناء والضرب بالدف وفيه بيان ان المزمور المحرم غير ذلك الثامن ان رسول
الله صلعم كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع فيدل على ان صوت النساء غير

محرم

محرم تحريم صوت المزامير بل انما يحرم عند خوف الفتنة فهذه المقاييس والنصوص
تدل على اباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب في
اوقات السرور قياسا على يوم العيد وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة
والختان والقدوم من السفر وساير اسباب الفرح التي يجوز شرعا وكذا زيارة
الاخوان ولقاؤهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام او كلام وهو ايضا مظنة السماع
السادس سماع العشاق تحريكا للشوق وتهييجا للعشق فان كان في مشاهدة المعشوق
فالغرض تاكيد اللذة وان كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق وهذا حلال اذا كان
المشتاق اليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته او سريته فيصغي الى غنائها ليتضاعف
لذة البصر بالمشاهدة والاذن بالسماع فهذا النوع تمتع من جملة مباحات الدنيا فاذا
باع الجارية او طلق امراته حرم عليه ذلك واما من يميل في نفسه صورة صبي او
امراه لا تحل النظر اليها عند السماع فيحرم عليه السماع واكثر العشاق والسفهاء
من الشبان في هيجان الشهوة لا ينفكون عن اضمار شيء من ذلك فذلك محرم في حقهم
لما فيهم من الداء الدفين لا لامر يرجع الى نفس السماع السابع سماع من احب الله تع وعشقه
واشتاق الى لقائه فلا ينظر في شيء الا راه فيه ولا يقرع سمعه قارع الا سمعه منه او فيه
فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومورث زناد قلبه ومستخرج منه احوالا من المكاشفات
لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك
الاحوال بلسان الصوفية وجدا ماخوذا من الوجود والمصادفة اي يصادف من نفسه
احوالا لم يكن يصادفها قبل السماع ثم يكون لتلك الاحوال اسباب لروادف وتوابع
لها يحرق القلب بنيرانها وينقيه من الكدورات كما ينقي النار الجواهر المعروضة
عليها من الخبث ثم يتبع الصفاء الحاصل مشاهدات ومكاشفات وهي غاية
مطلب المحبين لله تع ونهاية القربات كلها والمفضي اليها من جملة القربات لا من جملة
المعاصي والمحظورات وحصول هذه الاحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تع في مناسبة
النغمات الموزونة للارواح وتسخير الارواح لها وتاثرها بها شوقا وفرحا وحزنا

وانبساطاً وانقباضاً ومعرفة السبب في تأثر الارواح بالاصوات من دقايق علوم
المكاشفات والبليد الجامد المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده
وتغير لونه واضطراب حاله تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنين من لذة المباشرة
والصبي من لذة الرياسة وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تع ومعرفة جلاله ولكل ذلك
سبب واحد وهو ان اللذة نوع ادراك والادراك يستدعي مدركاً ويستدعي قوة مدركة
ومن لم يكمل قوى ادراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة المطعوم من فقد الذوق
ولذة الالحان من فقد السمع ولذة المعقولات من فقد العقل وكذلك ذوق السماع
بالقلب بعد وصول الصوت الى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن فقدها عدم لا محالة
لذته فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على
القطع اباحته في بعض المواضع والندب اليه في بعض المواضع واعلم ان من عرف الله
تع احبه لا محالة وكلما تأكدت معرفته تأكدت محبته ولا معنى للعشق الا تأكد المحبة
وافراطها ولذلك قالت العرب ان محمداً قد عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء
وكل جميل محبوب ولكن الجمال ان كان بتناسب الخلقة ادرك بحاسة البصر وان كان بالجلال
والعظمة وحسن الصفات الى غير ذلك من الصفات الباطنة ادرك بالقلب وكيف لا يعشق
من لا خير ولا جمال في العالم الا وهو حسنة من حسناته واثر من كرمه وكيف لا يتأكد عند
العارف حبه حتى يجاوز حداً يكون اطلاق اسم العشق عليه ظلماً في حقه لقصوره عن
الانباء عن فرط محبته نعم الناقص الشبيه بالبهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق الا طلب الوصال
الذي هو قضاء شهوة الوقاع فمثل هذا الحمار ينبغي ان لا يستعمل معه لفظ العشق
والشوق والوصال والانس بل يجنب هذه الالفاظ كما يجنب البهيمة الزعفران والريحان
ويخصص بالحشيش فان الالفاظ انما يجوز اطلاقها في حق الله تع اذا لم يكن موهمة معنى
يجب تقديس الله تع عنه والايهام يختلف باختلاف الافهام فليتنبه لهذه الدقيقة في امثال
هذه الالفاظ فان قلت فهل له حالة يحرم فيها فاقول انه يحرم بخمس عوارض العارض الاول
ان يكون المسمع امرأة لا يحل النظر اليها ويخشى الفتنة في سماعها وفي معناها الصبي الذي

يخشى فتنته وهذا حرام لما فيه خوف الفتنة العارض الثاني في الآلة بان يكون من شعار
اهل الشرب والمخنثين وهي المزامير والاوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاث انواع وما
عدا ذلك يبقى على اصل الاباحة العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه
شيء من الخناء والفحش والهجو للصحابة او الكذب على الله تع او على رسوله عم فسماع
ذلك حرام بالحان وغير الحان والمستمع شريك القايل وكذلك ما فيه وصف امرأة
بعينها فانه لا يجوز واما هجاء الكفار واهل البدع فجايز فاما التشبيب وهو
الذي فيه التشبيب بوصف الخدود والاصداغ وحسن القد والقامة وساير اوصاف
النساء فهذا فيه نظر والصحيح انه لا يحرم نظمه وانشاده وعلى المستمع ان لا ينزله
على امرأة معينة وان نزله على من يحل له من زوجته او جاريته لا يحرم وان نزله
على اجنبية فهو العاصي بالتنزيل واحالة الفكر فيه ومن هذا لفظاً الا ويمكن تنزيله على
معاني بطريق الاستعارة فالذي يغلب على قلبه حب الله تع يتذكر بظلمة الصدغ سواد
الكفر وبنضارة الخد نور الايمان وبذكر الوصال لقاء الله تع وبذكر الفراق الحجاب
عن الله تع وبذكر الرقيب المشوش عوايق الدنيا وآفاتها المشوشة لدوام الانس
بالله تع وتسبق هذه المعاني على قلب من يكون مستهتراً بذكر الله كما روي عن بعض
الشيوخ انه مر في السوق فسمع واحداً يقول الخيار عشرة بحبة فغلبه الوجد فسئل
فقال اذا كان خيار الناس عشرة بحبة فما قيمة شرارهم واجتاز آخر في السوق فسمع
انساناً يقول يا سعتر بري فغلب عليه الوجد فقيل على ماذا كان وجدك فقال سمعته
كأنه يقول اسع تر بري حتى ان العجمي قد يغلب عليه الوجد على الابيات المنظومة بلغة
العرب فان بعض حروفها يوازن حروف العجمية فيفهم منه معان اخر وانشد واحد
مصراع وما زارني في النوم الا خياله فتواجد عليه اعجمي فسئل عنه فقال انه يقول
ما زاريم فان لفظ زاريم يدل في العجمية على المشرف على الهلاك فتوهم انه يقول
كلنا مشرفون على الهلاك فالذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي ان يحترز عن السماع
باي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله تع فلا تضره الالفاظ ولا يمنعه عن فهم

المعاني اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة وليس من شرط تخيله ان يوافق مراد الشاعر ولغته

العارض الرابع

المستمع وهو ان يكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة اغلب عليه من غيرها فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين او لم يغلب فانه اذا سمع الصدغ والخد والوصال والفراق تتحرك فيه الشهوة فينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فيشتعل فيه نار الشهوة فيقوى حزب الشيطان فيكون السماع مقويا لجنود الشيطان في حق مثل هذا الشخص

العارض الخامس

ان يكون الشخص من عوام الخلق فلم يغلب عليه حب الله تع فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه الشهوة ليكون في حقه محظورا ولكن يسمع في حقه كساير انواع اللذات فاما اذا اشتغل به في اكثر اوقاته فيعد سفيها وترد شهادته ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فانه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة

بيان حجة

القايلين بتحريم السماع والجواب عنه احتجوا بقوله تع ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال ابن مسعود رض والحسن البصري ان لهو الحديث هو الغناء وروت عايشة رض ان الله تع حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها فنقول اما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب فقد ذكرنا ان غناء الاجنبية للفساق ومن يخاف منه الفتنة حرام بدليل ما روي في الصحيح من غناء الجاريتين في بيت عايشة رض والتجويز في موضع واحد نص في الاباحة والمنع في الف موضع يحتمل التاويل ويحتمل التنزيه اما الفعل فلا تاويل له اذ ما حرم فعله انما يحل بعارض الاكراه فقط وما ابيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود واما شراء لهو الحديث بالدين استبدالا به ليضل عن سبيل الله فحرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين باشترائه ومضل عن سبيل الله وهو المراد في الآية ولو قرا القرآن ليضل به عن سبيل الله كان حراما وكل ما جاء من الخبر والاثر في المنع عن السماع لا يدل على تحريمه بدليل اباحة السماع في الاخبار التي ذكرناها بل يحمل على كراهته عند الاكثار منه فاللهو دواء القلب عند الملال ولكن لا ينبغي ان يستكثر من الدواء فاذن اللهو

على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة بل ليس الا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود المطلوب نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال بل الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب علم قطعا ان ترويحها بامثال هذه الامور دواء نافع لا غنى عنه

الباب الثاني

في آثار السماع وآدابه اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاث

المقام الاول

في الفهم وهو يختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال

احدها

ان يكون سماعه بمجرد الطبع وهذا مباح واخس رتب السماع والابل شريك فيه وكذلك ساير البهايم فلكل حيوان نوع يلتذ بالاصوات الطيبة

الثانية

ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معينا واما غير معين وهذا سماع الشبان وارباب الشهوة وهذه الحالة اخس من ان يتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها

الثالثة

ان ينزله على احوال نفسه في معاملته مع الله تع وتقلب احواله في التمكن مرة والتعذر اخرى وهذا سماع المريدين فان المريد مقصده معرفة الله تع والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر فاذا سمع ذكر عتاب او قبول او وصل او هجر او قرب او بعد او استبشار او وفاء بالعهد او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد ان يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه ويشتعل به نيرانه ويكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظ ففي ان يكون السامع قد احكم قانون العلم في معرفة الله تع ومعرفة صفاته والا خطر في السماع في حق الله تع ما يستحيل عليه فيكفر به ففي سماع المريد المبتدي خطر الا اذا لم ينزله الا على حاله لا يتعلق بوصف الله تع واعلم ان من ارباب الوجد من تغلب عليه حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تع في قسمة الاحوال الشريفة

على تفاوت في إبعاده لقلوب الجاحدين من غير جناية متقدمة وإمداد الموفقين
من غير وسيلة سابقة فإن خطر ببالك لم اختلفت هذه الأحوال نوديت لا يسأل
عما يفعل وهم يسألون فلعمري تأدب اللسان مما يقدر عليه الأكثرون وأما تأدب السر
فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع رأساً
برأس فإن الخطر بالسماع بالشهوة معصية والخطأ فيها كفر ومن كانت محبة الله تعالى غالبة
على قلبه وهو مستهتر بذكره فإذا سمع شيئاً أمكن حمله على ما يليق بالله تعالى وبصفاته ويكون
مشوقاً إلى لقاء الله تعالى فيحمله عليه وإن كان لا يصل فهمه إلى معرفة جلال الله فينزله على نفسه
في معاملته إذ لا يدع شهوة من شهواته في جهة وجهه معلول وإن كان عالي الرتبة
بالإضافة إلى الغافلين ومن أراد الله به خيراً بصّره بعيوب نفسه وبعضهم في حالة
السماع ينظر في مبادي أحواله فيرتضيها وينظر في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا
الغرور فيها فيسمع البيت في حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر وما من
بيت إلا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه واعلم أن الفهم
قد يختلف بأحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب في الفهم و
الآخر مخطئ أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين متضادين ولكنه بالإضافة إلى
أحوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام رضه أنه سمع رجلاً يقول سبحان جبار السماء
إن المحب لفي عناء فقال صدقت وسمعه رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوي البصائر
أصابا جميعاً وهو الحق فالتصديق كلام محب غير متمكن من المراد بل مصدود ومتعب
بالصد والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ بما يقاسيه بسبب فرط حبه أو كلام محب غير
مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر لخطر الصد في المآل وذلك باستيلاء الرجاء
وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم **الحالة الرابعة** سماع من جاوز
الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها
ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة
اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عم حتى بهتن وسقط إحساسهن

وعن

وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بأنه فني عن نفسه ومن فني عن نفسه فهو عن غيره
أفنى كالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حالة استغراقه إلى رؤيته وإلى عينه التي بها رؤيته
وإلى قلبه الذي به لذته فإنه لا خبر للمتلذذ إلا عن المتلذذ به فقط ومثل هذه الحالة قد تطرأ
في حق المخلوقين وتطرأ أيضاً في حق الخالق ولكنه في الغالب يكون كالبرق الخاطف
الذي لا يدوم وإن دام لم تطقه القوة البشرية كما روي عن أبي الحسين النوري رحمه
الله أنه سمع هذا البيت **شعر** ما زلت أنزل في ودادك منزلاً ❊ تتحير الألباب عند نزوله ❊
فقام وتواجد وهام على وجهه فوقع في أجمة قصب قد قطعت وبقيت أصولها مثل
السيوف فصار يعدو فيها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت
قدماه وعاش بعده أياماً ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد
وهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية فيه نوع
قصور وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله فيسمع بالله ولله وفي الله ومن الله
وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال ومثاله المرآة المجلوة
إذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها ومثالها أيضاً الزجاجة فإنها
تحكي لون قرارها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ويعرب عن
هذه الحقيقة في القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر ❊ رق الزجاج ورقت الخمر ❊
فتشابها فتشاكل الأمر ❊ فكأنما خمر ولا قدح ❊ وكأنما قدح ولا خمر ❊ وهذا
من مقامات علوم المكاشفات منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال
أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو
تدرعها بها أو حلولها فيها وهو غلط محض يضاهي غلط من حكم على المرآة بصورة
الحمرة إذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها وإذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة
فلنرجع إلى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات **المقام الثاني** بعد الفهم
والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد أعني الصوفية وغيرهم من الناظرين
في وجه مناسبة السماع للأرواح فلننقل من أقوالهم ألفاظاً ثم لنكشف عن الحق فيه

فقد قال ذو النون المصري في السماع انه وارد حق جاء يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى
اليه بنفسه تزندق وكانه عبر عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند
ورود السماع اذ سمى السماع واردا حقا وقال ابو الحسن الدراج مخبرا عما وجده في السماع
والوجد عبارة عما يوجد عند السماع قال جال بي السماع في ميادين البهاء فاوجدني
وجود الحق عند العطاء فسقاني بكاس الصفاء فادركت به منازل الرضاء فاخرجني
الى رياض النزهة والصفاء وقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق
على اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا
من النفس وناجوها ودعوا مناجات الظواهر وقال آخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم
فالسماع يطرق القلب الى العالم الروحاني والاقاويل المتفرقة في السماع والوجد كثيرة فلنشتغل
بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد جديد
بعد ورود السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو من قسمين فانها اما ان ترجع الى
مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى معارف واحوال
ليست من العلوم بل هي كالشوق والحزن والخوف والقلق والسرور والقبض والبسط وهذه
الاحوال يهيجها السماع او يقويها فان ضعف بحيث لم تؤثر في تحريك الظاهر وتسكينه حتى
يتحرك على خلاف عادته او يطرق ويسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم
وجدا وان ظهر على الظاهر يسمى وجدا اما ضعيفا او قويا بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط
جوارحه فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد
وقصوره عن التحريك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد الاعرابي رح حيث قال في الوجد
انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف لما
لم يكن مكشوفا قبله فان الكشف يحصل باسباب منها تغير الاحوال ومشاهدتها وادراكها فان
ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء القلب
ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان يقصر عنه قبل
قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله فبواسطة هذه الاسباب تظهر قوة

فتكون

فتكون سببا للاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت بل القلب اذا صفا ربما يمثل له الحق
في صورة مشاهدة او في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان
في اليقظة وبالرؤيا اذا كان في المنام وذلك جزء من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج
عن علم المعاملة وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب يشاهد ايضا صورة الخضر
عم فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة يتمثل الملائكة للانبياء
اما على حقيقة صورتها واما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة وبمثل هذه الاحوال
من الصفاء يقع الاطلاع على ضماير القلوب كما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة
المؤمن فانه ينظر بنور الله فاذن قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات
واعلم انه ينقسم كل واحد منها الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه
اصلا وكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد
يتفكر الانسان في شيء فيؤثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه فان
في النفس احوالا غريبة فان الاحوال المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما تحصل عند
السماع عن غناء مفهوم واما الاوتار وساير النغمات التي ليست مفهومة فتؤثر
في النفس تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجايب تلك الآثار وقد يعبر عنه بالشوق ولكن
شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهذا عجيب وفي نفس الآدمي مناسبة مع العالم الاعلى
واللذات التي وعدت في سدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لا يتخيل من هذه
الامور الا الصفات والاسماء فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا
قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه
قلبه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق
الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام حقايقها ولا يمكن المتصف بها ان
يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكن واعلم ايضا ان الوجد
ينقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف منه مذموم وهو
الذي يقصد به الرياء وغيره من المقاصد السقيمة ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعاء

الاحوال الشريفة واجتل بها بالحيلة فان للكسب مدخل في جلب الاحوال ولذلك امر رسول الله صلعم
من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف
مباديها ثم يتحقق اواخرها فان كل من يتعلم القرآن يقرأه اولا بالتكلف ثم يصير له
ديدنا حتى يقرؤه مع الغفلة فكذلك تحصيل حب الله تع والشوق الى لقائه الى غير
ذلك من الاحوال الشريفة انما يحصل بالمواظبة على ذكره والتفكر في الائه ونعمائه
وصفاته وعظمته تكلفا ومجالسة المتصفين بهذه الصفات والدعاء والتضرع الى الله
تع في ان يرزقه تلك الحالة وبان ييسر له اسبابها ومن اسبابها السماع والصحبة مع المحبين
والمشتاقين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدل على تحصيل
الحب وغيره من الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلعم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من
احبك وحب من يقربني الى حبك فقد فزع الى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام
الوجد الى مكاشفات والى احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن
وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع فان قلت فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم على القرآن
وهو كلام الله تع ويظهر على الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله
تع ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن اولى به من الغناء فنقول الوجد الحق
ما ينشأ من فرط حب الله تع والشوق الى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن ايضا وانما الذي
لا يهيج بالقرآن حب الخلق والعشق للمخلوق ويدل على ذلك قول الله تع الا بذكر الله تطمئن
القلوب وقوله تع مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم الآية فكل ما يوجد عقيب السماع
بسبب السماع في النفس فهو وجد والطمانينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك
وجد والخشوع والوجل من قبيل الاحوال وان لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد
يصير سببا للمكاشفات ومن الدليل ايضا ما روي ان ابن مسعود رض قرأ على رسول
الله صلعم سورة النساء فلما انتهى الى قوله تع فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية
فقال حسبك فكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي رواية انه قرئ عنده عم ان لدينا
انكالا وجحيما وطعاما الآية فصعق وسمع عمر رض رجلا يقول ان عذاب ربك لواقع

حاله من دافع فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فحمل الى بيته مريضا فبقي في ذلك شهرا وكثير
من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم صعق عند سماع القرآن ومنهم من بكى ومنهم من
غشي عليه ومنهم من مات من غشيته وكذلك كثير من المشايخ تغيرت احوالهم عند سماع
القرآن من البكاء والحزن والغشي واضطراب الاوصال وبالجملة لا يخلو صاحب
القلب عن وجد عند سماع القرآن وان كان القرآن لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل
الذي ينعق بما لا يسمع الآية بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها فان قلت
ان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء وكان ينبغي
ان يكون اجتماعهم في حلق القراء لا في حلق المغنيين فاعلم ان الغناء اشد تهييجا
للوجد من اوجه الاول ان جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا يصلح لفهمه
وتنزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن او شوق فمن اين يناسب قوله
تع يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وكذلك جميع الايات التي هي
في بيان احكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لما في القلب ما
يناسبه والابيات انما نظمها الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم
الحال الى تكلف نعم من استولى عليه حالة غالبة قاهرة لم يبق فيه متسع لغيرها ومعه
تيقظ وذكاء يتفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ فقد يحصل وجده على كل
مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تع يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت المحوج
الى الوصية وان كل انسان لا بد وان يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك
احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع او يسمع ذكر كلمة الله تع
في قوله تع يوصيكم الله فيدهشه مجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر له رحمة الله تع
على عباده وشفقته بان تولى قسمة مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم ومماتهم
فيقول اذا نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك في انه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء
ويورث ذلك استبشارا وسرورا وامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه
وصفان احدهما غالبة مستغرقة والاخرى تفطن بليغ للتنبه بالامور القريبة

على المعاني البعيدة الوجه الثاني ان القرآن محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب
وكل ما سمع اولا عظم اثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان يحضر وجده على بيت واحد
على الدوام في اوقات متقاربة في الزمان في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك وان ابدل ببيت
آخر تجدد له اثر وان كان مورداً عن ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة
الى الاول يحرك النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القارئ على ان يقرأ قرآنا غريبا
في كل وقت ودعوة لان القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه والى ما ذكرنا اشار الصديق
رض حيث رأى الاعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون فقال هكذا كنا ثم قست
القلوب ولا تظنن ان قلب الصديق رض كان اقسى من قلوب الاجلاف من العرب وانه كان
اخلى من حب الله وحب كلامه ولكن التكرر على قلبه اقتضى التمرن عليه ولهذا نهى عمر رض ان
يمنع الناس من كثرة الطواف بالبيت الوجه الثالث ان لوزن الكلام بذوق الشعر تاثيرا
في النفس وليس الصوت الموزون كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن
في الشعر دون الآيات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده او لحن فيه او مال
عن حد تلك الطريقة في اللحن اضطرب قلب المستمع وبطل وجده ونفر طبعه لعدم المناسبة
فالوزن اذا مؤثر فلذلك طاب الشعر الوجه الرابع ان الشعر الموزون يختلف تاثيره
في النفس بالالحان التي تسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور
وقصر الممدود وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن الا التلاوة كما
انزل واذا رتل القرآن كما نزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل
بالتاثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار وسائر الاصوات التي لا تفهم الوجه الخامس
ان الالحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات واصوات اخر موزونة خارج الحلق
كالضرب بالقضيب والدف وغيره ويجب ان يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لان صورتها
عند عامة الخلق صورة اللهو والقرآن جد كله عند كافة الخلق ولذلك لا يجوز الضرب
بالدف مع القرآن ليلة العرس وقد امر رسول الله صلعم بضرب الدف في العرس الوجه السادس
ان المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره وليس كل

كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارئ فربما يقرأ آية لا يوافق حالهم والقرآن
شفاء للناس كلهم على اختلاف الاحوال فآية الرحمة شفاء الخائف وآية العذاب شفاء المغرور
فلا يؤمن ان لا يوافق المقروء الحال فتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهية كلام الله تع من حيث
لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك واجب اذ لا يجد الخلاص عنه الا بتنزيله على وفق
حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله الا على ما اراده الله تع وقول الشاعر يجوز تنزيله على غير
مراد الشاعر فهذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ الى سماع الغناء من القرآن والقلوب
المحترقة في حب الله تع يهيج منها البيت الغريب ما لا يهيج تلاوة القرآن وقد ذكرنا حكم المقام
الاول في فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب
فلنذكر اثر الوجد الذي يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره
المقام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا وما يحمد من آثار الوجد وما يذم
فاما الآداب فهو خمس جمل الاول مراعاة الزمان والمكان والاخوان فمراعاة الزمان
ان يراعي فراغ القلب من جميع الصوارف من الوضوء والطهارة والصلوة وجميع الاشغال
واما المكان فينبغي ان يكون موضعا خاليا نظيفا لا يكون فيه سبب يشغل القلب واما الاخوان
فان لا يحضر غير الجنس من منكر السماع متقشف عن لطائف القلوب مستثقلا في المجلس يشغل القلب به
وكذا اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراقبته او متكلف متواجد من اهل التصوف
يرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب كل ذلك مشوشات الثاني وهو نظر الحاضرين ان الشيخ
اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم وان سمع فليشغلهم بشغل
فالمريد يستضر بالسماع لانه ما صفا وقته بعد وفيه بقية من الحظوظ والالتفات الى الشهوات
والصفات البشرية فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فينقطع عليه طريقه ومن انكسرت
شهوته منهم وانفتحت بصيرته ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف اسماء الله تع وصفاته وما يجوز
عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله سبحانه على ما لا يجوز فيكون
ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر اعظم من نفع السماع فالسماع مزلة القدم عن نظر الى وجوه
المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراقبة قلبه بما يفتح الله له من رحمته

في سره بل يكون ساكن الظاهر مجبورا عن التنحنح والتثاوب متماسكا عن التصفيق والرقص وساير الحركات على وجه التصنع والتكلف والمرايات فان غلبه الوجد حركه بغير اختيار فهو فيه معذور ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوه وسكونه ولا ينبغي ان يستديمه حياء من ان يقال انقطع على القرب وجده ولا تظن ان الذي يضرب بنفسه على الارض اتم وجدا من الساكنين بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد رض يتحرك بالسماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة الآية اشار الى ان القلب مضطرب جايل في الملكوت والجوارح هادية في الظاهر ساكنة كما حكى عن سهل رح انه قال حالي قبل الصلاة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله تع في كل حال وكذلك يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دايما وعطشه متصلا لا يوثر السماع في زيادته الرابع ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص او تباكى فهو مباح ان لم يقصد المرايات واما تمزيق الثوب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار ولا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس ساعة اضطر من باطنه الى ان يختار التنفس وكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فان قلت فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعا صغارا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة فاعلم ان ذلك مباح اذا مزق قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعا لانه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن الا بالقطع قطعا صغارا وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصودة فهو مباح فلكل مالك ان يقطع كرباسه مائة قطعة ويسلمها الى مائة مسكين ولكن ينبغي ان يكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع بها في الرقاع الادب الخامس

موافقة القوم اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام باختيار من غير اظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة وذلك من آداب الصحبة وكذلك ان جرت عادة طايفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة ولكل قوم رسم فلا بد من مخالقة الناس باخلاقهم اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة وتطييب القلب بالمساعدة وقول القائل ان ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كلما يحكم باباحته منقولا عن الصحابة وانما المحذور بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل النهي عن شيء من هذا والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كانت الصحابة لا يقومون لرسول الله صلعم في بعض الاحوال كما رواه انس ولكن اذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به باسا في البلاد التي جرت بها العادة باكرام الداخل بالقيام فان القصد منه الاحترام والاكرام وكذلك ساير انواع المساعدة اذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فيستحب مساعدتهم الا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التاويل ومن الادب ان لا يقوم للرقص ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم وقد خرج من جملة التفصيل السابق ان السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مستحبا وقد يكون مكروها اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليه شهوة الدنيا ولا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة واما المكروه فلمن لم ينزله على صور المخلوقين ولكن يتخذه عادة في اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ له الا التلذذ بالصوت واما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تع ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة والله اعلم

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو الكتاب التاسع من ربع العادات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد خير خلقه اجمعين اما بعد فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي بعث الله له النبيين اجمعين ولو طوي بساطه واهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة

مع القوم

وشاعت الجهالة وانتشر الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد وقد كان الذى خفنا ان يكون فانا لله وانا اليه راجعون اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهايم وعز على بسيط الارض مؤمن صادق لا تأخذه فى الله لومة لايم فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة اما متكفلا بعملها او متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة ناهضا باعبائها ومتشمرا فى احيائها كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة افضى الزمان الى اماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نشرح علمه فى اربعة ابواب الباب الاول فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفضيلته الباب الثانى فى اركانه وشروطه الباب الثالث فى مجاريه وبيان المنكرات المألوفة فى العادات الباب الرابع فى امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر الباب الاول فى وجوب الامر بالمعروف وفضيلته والمذمة فى اهماله ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارات العقول السليمة اليه الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية ففى الآية بيان الايجاب فان قوله ولتكن منكم امة امر وظاهر الامر الوجوب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ قال وأولئك هم المفلحون وقد وردت آيات كثيرة يدل على الامر بالمعروف والتشديد فى الامر والتهديد للتاركين للامر بالمعروف قال النبى صلعم لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم عن اعين الاشرار فلا يخافونهم وقال النبى صلعم ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه وكذلك وردت اخبار كثيرة تدل على تقديم تارك الامر بالمعروف اللعن وعلى من حضر فلا يجوز مشاهدة المنكر عند حاجة اعتذارا بانه عاجز عنها ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات فى الاسواق

والمجامع

الى احيائها

مجلس الامر المنكر ولم ينكر

والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضى لزوم الهجرة ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ما ساح السواح وخلوا دورهم واولادهم الا بمثل ما نزل بنا حين راوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس وراوا انه لا يقبل ممن تكلم وراوا الفتن ولم يامنوا ان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فراوا ان مجاورة السباع واكل البقول خير من مجاورة هؤلاء فى نعيمهم وسئل حذيفة رض عن ميت الاحياء فقال الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال على رض اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس وجعل اعلاه اسفله وقد اقتصرنا من الآيات والاخبار والآثار على هذا القدر واينه الباب الثانى فى اركان الامر بالمعروف وشروطه اعلم ان الركن فى الحسبة التى هى عبارة شاملة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب الركن الاول المحتسب وله شروط وهو ان يكون مكلفا مسلما قادرا اما الشرط الاول وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه لان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به شرط الوجوب فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعى الا العقل حتى ان الصبى المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر واذا فعل ذلك نال ثوابها فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلاة والامامة واما الشرط الثانى وهو الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذا نصرة الدين فكيف يكون من اهله من هو جاحد لاصل الدين واما الشرط الثالث وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب فربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله واستدلوا بقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم واما الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط فى الاحتساب ان يكون متعاطيه معصوما عن المعاصى كلها فان شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب اذ لا عصمة للصحابة فضلا عمن دونهم وان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغاير حتى يجوز للابس الحرير منع من الزنا وشرب الخمر فنقول وهل لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا

فيه ان يكون معصوما

الاجماع اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر ولم يمنعوا من الغزو
لا في عهد رسول الله صلعم ولا بعده الشرط الرابع كونه ماذونا من جهة الامام والوالي
فقد اشترط قوم هذا الشرط وما اثبتوا للآحاد الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد
فان الآيات والاخبار التي رويناها تدل على ان من رأى منكرا فسكت عنه عصى اينما
رآه وكيف ما رآه على العموم فيجب على جميع المسلمين الامر بالمعروف فيكفي فيه مجرد الدين
وشرح القول فيه هذا ان الحسبة لها خمس مراتب اولها التعريف والثاني الوعظ بالكلام
اللطيف والثالث السب والتعنيف ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل
يا احمق ألا تخاف من الله وما يجري مجراه والرابع القهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي
اراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب المنديل المغصوب منه ورده الى صاحبه
الخامس التخويف والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب حتى يمتنع منه كالمواظب على الغيبة
والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج
الى استعانة وجمع اعوان ويجر الى القتال وساير المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن
الامام الا المرتبة الخامسة اما التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام وقد اشتهر
من الصلحاء والزهاد انكارهم على الخلفاء والولاة وجميع الفساق وما منعهم احد
عن ذلك وما احتاجوا الى الاستيذان من الامام ولا من الولاة فان قيل افتثبت ولاية
الحسبة للولد على الوالد والعبد على السيد والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاد
والرعية على السلطان مطلقا كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على
الزوجة والاستاد على التلميذ والسلطان على الرعية او بينهما فرق قلنا الذي نراه
انه يثبت اصل الولاية ولكن بينهما فرق ولنفرض في الولد مع الوالد فنقول قد بينا
للحسبة خمس مراتب وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف
وليس له الحسبة بالسب والتعنيف ولا بالتهديد ولا مباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخريان
وهل له الحسبة بالرتبة الرابعة حيث تؤدي الى اذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر
وهو بان يكسر مثلا عوده ويرد الى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او

اواخذه عن ادرار رزق من ضريبة المسلمين او يبطل الصور المنقوشة على حيطانه
او يكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس يتعلق بذات الاب بخلاف
الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به الا ان فعل الولد حق وسخط الاب منشؤه
حب الباطل والحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك فيلزمه ان يفعل ذلك ولا
يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا
وسخطه عليه قريبا كاراقة الخمر لمن لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا
والسخط شديدا كما لو كانت له آنية بلور او زجاج على صورة حيوان وفي كسرها
خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره
وهذا كله مجال النظر فان قيل من اين قلتم ليس له التعنيف والضرب والامر بالمعروف
ورد في الكتاب والسنة عاما من غير تخصيص فنقول قد ورد في حق الاب على الخصوص
ما يوجب الاستثناء عن العموم اذ لا خلاف ان الجلاد ليس له ان يقتل اباه في الزنا
ولا ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص
ولم يكن له ان يؤذيه في مقابلته وقد ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع فاذا
لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هي منع
عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى وهذا الترتيب ايضا ينبغي ان يجري في العبد والزوجة
مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وان كان ملك اليمين آكد من ملك
النكاح ولكن في الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المرأة بالسجود لبعلها وهذا يدل على
تأكد الحق ايضا واما الرعية مع السلطان فالامر فيه اشد من الوالد فليس لهم معه الا
التعريف والنصح فاما المرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث ان الهجوم على اخذ الاموال من
خزانته وكسر الخمور في بيته يكاد يفضي الى خرق هيبته وذلك محذور ورد النهي عنه كما
ورد النهي عن السكوت على المنكر وقد تعارض فيه ايضا محذوران والامر فيه موكول
الى الاجتهاد ومنشؤه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم
عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاد فالامر فيهما اخف لان المحترم هو

الاستاذ والمعيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه
الذي تعلمه منه **الشرط الخامس** كونه قادرا فلا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من
احب الله تع يكره معاصيه وينكرها واعلم انه لا يقف سقوط الوجوب على العجز وكذلك
اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم
افادة الانكار امتناعا والاخر خوف مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين اربعة احوال
احدها ان يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه ويضرب اذا تكلم فلا يجب عليه الحسبة بل
ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر حتى لا يشاهده فيعتزل في
بيته ولا يخرج الا لحاجة مهمة ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة الا اذا كان يحمل على مساعدة
السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة ان قدر عليها **الثاني** ان ينتفي المعنيان بان يعلم
ان المنكر يترك بقوله ولا يقدر له على مكروه فيجب **الثالث** ان يعلم انه لا يفيد ولكنه لا يخاف
مكروها فلا يجب الحسبة لعدم فايدتها ولكن يستحب لاظهار شعار الاسلام **الرابع** عكس هذا
وهو ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر ان يرمي زجاجة الفاسق
بحجر فيكسرها ويريق الخمر ويضرب العود الذي في يده فيكسره ويتعطل عليه هذا المنكر ولكنه
يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويجوز للمحتسب بل يستحب
ان يعرض نفسه للضرب والقتل اذا كان لحسبته تاثير في دفع المنكر او في كسر جاه الفاسق
فاما اذا راى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح وقد علم انه لو انكر
عليه لشرب القدح وضرب عنقه فهذا مما لا ارى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك وانما المفهوم
ان يوثر في الدين اثرا ويفديه بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له
بل ينبغي ان يكون حراما وانما يستحب اذا قدر على ابطال المنكر او ظهر بفعله فايدة وذلك
بشرط ان يقتصر المكروه عليه فان علم انه يضرب معه غيره من اصحابه واقاربه او رفقائه
فلا يجوز له الحسبة وغلبة الظن في هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض
الظن والعلم فيرجح العلم اليقيني على الظن ونفرق بين العلم والظن في موضع آخر وهو انه يسقط
وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل ان يفيد

وهو

وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه
متوقع وعمومات الامر بالمعروف يقتضي الوجوب بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق
التخصيص ما اذا علم قطعا انه لا فايدة فيه فان غلب على الظن انه يصاب لم يجب وان غلب انه
لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة فان شك فيه
من غير رجحان فهذا محل النظر **فان قيل** فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة
وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه بالغيبة وغيرها **قلنا** هذا ايضا نظر غامض
وصورته منتشرة ولكنا نجتهد في حصر اقسامه **فنقول** المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق
في الدنيا ترجع الى اربعة اما في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في
المال فالثروة واما في قلوب الناس فقيام الجاه فاذن المطلوب العلم والصحة والثروة
والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس لان ذلك وسيلة الى الاغراض وكل واحد من هذه
الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه والمختصين به ويكره في هذه الاربعة امران
احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر امتناع ما هو منتظر مفقود اعني اندفاع ما
يتوقع وجوده فلا ضرر الا في فوات حاصل او تعوق منتظر فان المنتظر عبارة
عن الممكن حصوله فهو كالحاصل فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر
وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصا في ترك الامر بالمعروف اصلا ولنذكر مثاله في المطالب
الاربعة اما العلم فمثاله ترك الحسبة على من يختص باستاذه خوفا من ان يقبح حاله عنده
فيمتنع من تعلمه واما الصحة فترك الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه وهو لابس حرير
مثلا خوفا من ان يتاخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة واما المال فتركه الحسبة على
السلطان واصحابه وعلى من يواسيه خيفة من ان يقطع اداراره في المستقبل ويترك
مواساته واما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل
خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع
منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات وتسميتها ضررا
مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شيء الا ما تحقق اليه

الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجاً
الى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في تأخيره شدة العناء
وطول المرض واعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول الى التيمم
فاذا انتهى الى هذا الحد لم يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما في العلم فمثل ان يكون
جاهلاً بمهمات دينه ولم يجد الا معلماً واحداً وعلم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه
طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعاً له او مستمعاً لقوله فان الصبر على الجهل بمهمات الدين
محذور والسكوت على المنكر محذور فلا يبعد ان يرجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش
المنكر وشدة الحاجة الى العلم واما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس قوي النفس في
التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع نفقته وافتقر الى تحصيل ما
حرام او مات جوعاً واما الجاه فهو ان يؤذيه شرير ولا يجد سبيلاً الى دفع شره الا
بجاه يكتسبه من سلطان ولا يتوصل اليه الا بواسطة من يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو
احتسب عليه لم يكن له واسطة ووسيلة فيمتنع حصول الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير
فهذه كلها اذا قويت وظهرت لم يبعد استثناؤها ولكن الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى
يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى
والطبع فان رجح بموجب الدين يسمى سكوته مداراة فان رجح بموجب الهوى يسمى سكوته
مداهنة وهو امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق فان الناقد بصير فحق كل متدين
ان يراقب قلبه ويعلم اطلاع الله تعالى عليه وتجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما
بظلام للعبيد واما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز
السكوت في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر
احد على سلب العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والثروة والمال وهذا احد
اسباب شرف العلم واما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب فكل من علم انه لو امر
بالمعروف ونهى عن المنكر انه يضرب ضرباً مولماً يتأذى به لم يلزمه الحسبة وان كان
يستحب له ذلك كما سبق واذا فهم هذا في الضرب فهو في الجرح والقتل اظهر واما الثروة فهو

ان

ان يعلم بان داره تنهب وتخرب بيته وتسلب ثيابه وهذا ايضاً يسقط عنه الوجوب
ويبقى الاستحباب اذ لا بأس ان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حد
في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيفة في الضرب وحد في الكثرة يتيقن
اعتبارهما ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين الاجتهاد و
ترجيح جانب الدين ما امكن واما الجاه فبان يضرب ضرباً غير مولم او يسب على
ملأ او يطرح منديله في رقبته ويدار في البلد او يسود وجهه ويطاف به وكل
ذلك من غير ضرب مولم ولكنه قادح في الجاه ومولم للقلب وهذا له درجات فالصواب
فالصواب ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط المروة كالطوف به في السوق وفي
البلد حاسراً حافياً فهذا يرخص في السكوت لان المروة مأمور بحفظها في الشرع
الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة كالخروج في ثياب فاخرة والركوب
للخيول فلو علم انه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد مثلها او كلف
المشي راجلاً وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس المواظبة على حفظها
محمودة وحفظ المروة محمود فلا ينبغي ان يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا العذر وفي
معنى هذا ما لو خاف ان يتعرض له باللسان اما في حضوره بالتجهيل والتحميق والنسبة
الى الرياء والنفاق واما في غيبته بانواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه
الا زوال فضلات الجاه الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو انكر لم يسكت
المغتاب ولكن اضافه اليه وادخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانها سبب زيادة
المعصية وان علم انه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لان غيبته
ايضاً معصية في حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه
على سبيل الايثار ولقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت
عنها ولا يقابل ذلك الا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروة قد ظهر في
الشرع خطرها فاما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا
خطر له فاما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق اولاده واقاربه فهو في

حقه دونه لان تأذيه بأمر نفسه اشد من تأذيه بأمر غيره ولكن من وجه الدين هو فوقه
لان له ان يسامح بحقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فاذن ينبغي ان يمتنع
فاذا كان يؤدي الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنياء
فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على السلطان ولكن يقصد اقاربه بانتقام منه فاذا
كان الاذى يتعدى من حسبته الى اقاربه وجيرانه فليتركه نعم ان كان لا ينالهم اذى في
مال ونفس ولكن ينالهم بالسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر فيه بدرجات المنكر في
تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكاية القلب وقدحه في العرض واعلم
ان المعصية لها ثلاثة احوال احدها ان تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم حدا
وتعزيرا وهو الى الولاة لا الى الآحاد الثانية ان تكون راهنة وصاحبها مباشرا
لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه المعصية واجب بكل ما امكن
ما لم تؤد الى معصية افحش منها او مثلها وذلك يثبت للآحاد والرعية الثالثة ان يكون
المنكر متوقعا كالذي يستعد لكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر
الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم
على الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا
للسلطان الا اذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة وقد اقدم
على السبب المؤدي اليه ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك
كوقوف الاحداث على ابواب حمام النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فيجوز
للحسبة عليهم باقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف والضرب لانه في نفسه
معصية كما ان الخلوة معصية لانها مظنة وقوع المعصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الانسان
به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذن هو في التحقيق حسبة
على معصية راهنة لا على معصية منتظرة **الركن الثاني** للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر
موجود في الحال ظاهر للمحتسب من غير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط
فلنبحث عنها الاول كونه منكرا ونعني به ان يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا

عن

عن لفظ المعصية الى هذا لان المنكر اعم من المعصية اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب
الخمر فعليه ان يريق الخمر ويمنعه وكذا ان راى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان
يمنعه منه وهذا لا يسمى في حق المجنون معصية فلفظ المنكر ادل عليه وقد ادرجنا في عموم
هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة
بالاجنبية واتباع النظر للاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنه **الشرط الثاني**
ان يكون موجودا في الحال وهو احتراز عمن شرب الخمر فان ذلك ليس للآحاد واحتراز
عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله انه عازم على الشرب فلا حسبة عليه الا
بالوعظ فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة الظن بالمسلم
وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا
الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه **الشرط الثالث** ان يكون ظاهرا للمحتسب
بغير تجسس فكل من ستر معصيته في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس عليه وقصة
عمر وعبد الرحمن بن عوف رض في ذلك مشهورة ولذلك شاور عمر الصحابة رض على
المنبر وسالهم عن الامام اذا شاهد بنفسه المنكر فهل له اقامة الحد فاشار عليه علي
بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد **فان قلت** فما حد الظهور والاستتار **فاعلم**
ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف المعصية
الا ان يظهر ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت
بحيث جاوز حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك اذا
ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها اهل الشوارع
فهذا اظهار موجب للحسبة فاذن انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت او رائحة فاذا فاحت
روائح الخمر فان احتمل ان يكون من الخمور المحترمة فلا يقصد بالاراقة وان علم بقرينة
الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة
الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا راى فاسقا تحت ذيله شيء لم يجز ان
يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على ان الذي معه خمر ولا يجوز ان

يستدل باخفائه وان كانت الرايحة فايحة فهذا محل النظر والظاهر ان له الاحتساب
وكذلك العود ربما يعرف بشكله اذا كان ثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة
الرايحة وما ظهرت دلالته فهو مكشوف غير مستور وقد امرنا ان نستر ما ستره الله تع
وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء له درجات فتارة يبدو بحاسة السمع وتارة
بالشم وتارة بالبصر وتارة باللمس ولا يمكن تخصيص ذلك بحاسة البصر فاذا علم ان ما تحت
الثوب خمر فله ان يكسر وليس له ان يقول ادني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب
الامارات المعرفة فالامارة المعرفة ان حصلت واورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها
فاما طلب المعرفة فلا رخصة فيه اصلا الشرط الرابع ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل
ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكل الضب والضبع ومتروك
التسمية وغيرها ولا على الشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث
ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم ان
راى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر و
الاظهر ان له الحسبة والانكار لان على كل مقلد اتباع مقلده ويلزم على هذا امر اغمض
منه وهو انه يجوز للحنفي ان يعترض على الشافعي اذا نكح بغير ولي بان يقول له الفعل في نفسه
حق ولكن لا في حقك وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي اذا شاركه في اكل الضب وغيره
يقول اما ان تعتقد ان الشافعي اولى بالاتباع ثم تقدم عليه او تقدم عليه على خلاف
معتقدك وينجر هذا الى مسايل كثيرة والاحتمالات فيها متعارضة ولا يقطع بخطأ المخالف
فيها وقد ذهب ذاهبون فقالوا لا حسبة الا في الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما ولكن
الاشبه عندنا ان الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد واعلم ان المسايل تنقسم الى ما يتصور ان يقال
فيها كل مجتهد مصيب وهي احكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي يعترض على المجتهد
فيه اذ لا يعلم خطأه قطعا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا واحدا كمسئلة الرؤية
والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستواء عن الله تع فهذا مما يعلم خطأ المخطي
قطعا وهو جهل لا عبرة له فاذن البدع كلها ينبغي ان تحسم ابوابها وينكر على المبتدعين بدعهم

وينظر في ذلك الى البلد الذي ظهرت البدعة فيها فان كانت البدعة غريبة والناس كلهم
على السنة فلهم الحسبة بغير اذن السلطان وان انقسم اهل البلد الى اهل البدعة واهل
السنة فكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب الا بنصب
السلطان فاذا راى السلطان الراي الحق ونصره واذن لواحد ان يزجر المبتدعة
عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره والحسبة في البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات
ولكن ينبغي ان يراعي فيها هذا التفصيل كيلا ينجر الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان
مطلقا في منع كل من يصرح بان القرآن مخلوق الى غير ذلك من البدع تسلط الآحاد
على المنع منه الركن الثالث المحتسب عليه وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في
حقه منكرا واقل ما يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا نشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبي
لو شرب الخمر منع منه ولا كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني بمجنونة او
ياتي بهيمة وجب منعه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلوة والصوم
وغير ذلك ولسنا نلتفت الى التفاصيل بل غرضنا الاشارة الى الصفة التي بها
يتهيأ توجه اصل الانكار عليه لا الى ما به يتهيأ للتفاصيل والحسبة عبارة عن المنع عن
منكر لحق الله تع او صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر وعليه مسئلة المجنون والصبي ولا يعترض
عليه البهيمة اذا اكلت زرع انسان لان تسمية ذلك حسبة لا وجه له لانا لسنا نقصد
باخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ لو اكلت البهيمة ميتة او شربت خمرا لم
نمنعها منه بل نطعم كلاب الصيد الجيف ولكن مال المسلم اذا تعرض للضياع وقدرنا على
حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا والصبي والمجنون نمنعهما صيانة لهما وحرمة ثم ينظر
لا يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وفي غير
ذلك وسنتعرض لذكره في الباب الثالث ان شاء الله تع واما حفظ مال المسلم
فالقول الوجيز فيه انه مهما قدر انسان على حفظه عن الضياع من غير ان يناله تعب
في بدنه او خسران في ماله او نقصان في جاهه وجب عليه ذلك بل هو اقل درجات حقوقه وهو
اولى بالايجاب من رد السلام بل لا خلاف في ان مال المسلم اذا كان يضيع بظلم ظالم وكانت

عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى
ترك الشهادة ترك كل ضرر يقدر الدافع عليه فاما ان كان عليه تعب وضرر في مال
او جاه لم يلزمه ذلك لان حقه مرعي كحق غيره نعم الايثار مستحب وتحمل المصاعب لاجل
المسلمين قربة فاما ايجابها فلا فان كان يتعب باخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه
وان كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع وهو نايم فيلزمه ذلك فاما اذا كان فوات
المال بطريق هو معصية كالغصب او قتل عبد للغير فهذا يجب المنع منه وان كان فيه
تعب لان المقصود حق الشرع ودفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه في
دفع المعاصي كما يتعب نفسه في ترك المعاصي والطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهي
غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه ما ذكرناه من درجات
المحذورات التي يخافها المحتسب ومسئلة اللقطة يقرب من غرضنا والحق عندنا
فيها ان نقول ان كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من
يعرفها او يترك كما لو كانت في مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا
يلزمه الالتقاط وان كانت في مضيعة نظر فان كان عليه تعب في حفظها
كما لو كانت بهيمة ويحتاج الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك وان كان ذهبا
او ثوبا او شيئا لا ضرر فيه عليه الا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي ان يكون في
محل الوجوب فقائل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل الى الزامه
ذلك الا ان يتبرع فيلتزم طالبا للثواب وقائل يقول ان هذا القدر من التعب
مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلم وينزل هذا منزلة تعب الشاهد في
حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلدة اخرى الا ان يتبرع واذا كانت
دار القاضي في جواره لزمه وان كانت في الطرف الآخر من البلد واحوج اليه
في الهاجرة عند شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فان الضرر
الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا شك انه لا يبالي به و
طرف في الكثرة لا شك انه لا يلزم احتماله ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون

ابدا

ابدا في محل الشبهة لكن المتقي يتطرفه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذه نهاية الكشف عن هذا
الاصل الركن الرابع نفس الاحتساب وله درجات وآداب اما الدرجات فاولها
التعرف ثم التعريف ثم النهي بالوعظ والنصح ثم التعنيف ثم التغيير باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع
الضرب ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان وجمع الجنود اما الدرجة الاولى
وهو التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس فلا ينبغي
ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق ليشم رايحة الخمر
ولا ان يمس ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما جرى في
داره نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره
او بان في داره خمرا اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان
فان اخبره عبدان او عدل واحد وبالجملة كل من يقبل روايته دون شهادته ففي
الهجوم على داره بقولهم نظر واحتمال والاولى ان يمتنع لان له حقا في ان لا يتخطى
داره الا باذنه ولا يسقط حق المسلم الا بشاهدين الدرجة الثانية التعريف فان
المنكر قد يقدم عليه المقدم لجهله واذا عرف انه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا
يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذا ليس بصلوة فيجب تعريفه باللطف
لان في ضمن التعريف نسبة الى الجهل وقل ما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل لا سيما
بالشرع والطباع احرص على ستر العورة الحقيقية واذا كان التعريف كشفا للعورة
موذيا للقلب فلا بد وان يعالج بلطف الرفق فيقول له الانسان لا يولد عالما ولقد
كنا ايضا جاهلين بامور الصلوة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن اهل العلم و
شرط الصلوة الطمانينة في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف
من غير ايذاء فان ايذاء المسلم محذور كما ان تقريره على المنكر محذور واما اذا
وقف على خطأ في غير امر الدين فلا ينبغي ان يرده عليه فانه يستفيد منه علما ويصير
له عدوا الا اذا علم انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا الدرجة الثالثة النهي بالوعظ والنصح
والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه

ايضا كالذي يواظب على الشرب او على الظلم او على اغتياب المسلمين وما يجري مجراه
فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله تعالى ويورد عليه الاخبار الواردة بالوعيد في ذلك
ويحكى له سيرة السلف وعادة المتقين رضي الله عنهم وكل ذلك بشفقة من غير عنف وغضب بل
ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ المسلمون كنفس
واحدة وههنا آفة عظيمة مهلكة وهو ان العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم
وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التميز بالعلم واذلال
الغير بالنسبة الى الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح من المنكر الذي يعترض
عليه وفي هذا الاحكام على الغير لذتين للنفس احدهما من جهة دالة العلم والاخرى
من جهة دالة الاحكام والسلطنة وذلك يرجع الى الرياء والجاه فينبغي ان يمتحن
المحتسب نفسه بمعيار وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب
غيره احب اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة عليه ثقيلة وهو يود ان يكفى
بغيره فليحتسب فان باعثه الدين وان كان بضد ذلك فليتق الله وليحتسب اولا على نفسه

الدرجة الرابعة السب والتعنيف بالقول الغليظ وذلك بعد العجز عن المنع باللطف
وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابراهيم عليه السلام
أف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة
الى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله
يا فاسق يا احمق يا جاهل الا تخاف الله يا سوادي يا غبي وما يجري مجراه لان كل فاسق
احمق وجاهل ولذلك عصى الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد له
رسول الله صلعم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله ولهذه الرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم عليه الا عند الضرورة
والعجز عن اللطف والثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه
بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة لا تزجره فلا ينبغي
ان يطلقها بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لاجل المعصية فان

علم

علم انه لو تكلم ضرب ولو اكفهر واظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه
الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب وجهه ويظهر الانكار به الدرجة الخامسة التغيير باليد
وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الثوب الحرير ودفعه عن الجلوس على مال الغير
واخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله واخراجه عن المسجد اذا كان جنبا وما يجري
مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر
على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية يقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة
وفي هذه الدرجة ادبان احدهما ان لا يباشر بيده ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه
ذلك فاذا امكنه ان يكلفه المشي في الخروج عن الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي
ان ياخذه ويخرجه واذا قدر على ان يكلفه اراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز
ثوب الحرير فلا ينبغي ان يباشر بنفسه والثاني ان يقتصر في طريق التغيير على القدر
المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره بيده
ولا ان يمزق الثوب الحرير بل يحل دروزه ولا يحرق الملاهي والصليب الذي
اظهره النصارى بل يبطل صلاحها للفساد بالكسر بحيث يصير الحال يحتاج
اصلاحها الى تعب يساوي تعب الاستئناف ابتداء ويتوقى في اراقة الخمور كسر
الاواني ان وجد سبيلا اليه فان لم يقدر الا ان يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت
قيمة الظرف اذ صار حائلا بينه وبين الوصول الى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد
بدنه بالضرب والجرح لنتوصل الى اراقة الخمر فلا تزيد حرمة ملكه على حرمة نفسه ولو
كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ولو اشتغل باراقتها طال الزمان وادركه
الفساق ومنعوه فله كسرها وهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر الفساق ولكن
يضيع زمانه ويتعطل عليه اشغاله فله ان يكسرها وحيث كانت الاراقة متيسرة
بدون الكسر فكسر لزمه الضمان بل قول الولاة بان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا
وقد فعل ذلك في زمان رسول الله صلعم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت
الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا راى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة

جازله مثل ذلك واذا كان هذا منوطاً بنوع اجتهاد دقيق لم يجز ذلك لآحاد الرعية فان قلت
فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف اموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون
ويعصون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان ذلك لو ورد
الشرع به لم يكن خارجاً عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها الشرع وكسر ظروف
الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة والحكم يزول بزوال
العلة ويعود بعودها الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقولك دع عنك هذا
والا لاكسرن رأسك او لاضربن رقبتك او لآمرن بك وذلك ينبغي ان يقدم على تحقيق
الضرب ان امكن تقديمه والادب في هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه
كقوله لانهبن دارك او لاضربن ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ذلك
ان قاله عن عزم فهو حرام وان قاله من غير عزم فهو كذب نعم اذا تعرض لوعيده
بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم تقتضيه الحال وله ان يزيد في الوعيد
على ما هو في عزمه الباطن اذا علم ان ذلك مما يقمعه وليس ذلك من الكذب المحذور بل
المبالغة في مثل ذلك معتاد وهو في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين وتاليفه
بين الضرتين وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك
الشخص الدرجة السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح
وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع
والقاضي يرهق من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس وان اصر المحبوس وعلم القاضي
قدرته على اداء الحق وكونه معاندا فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج اذا احتاج
اليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فان احتاج الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع
المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك كما لو قبض فاسق مثلا على امرأة او على
مزمار وهو يضرب به وبينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له
خل عنها والا رميتك فان لم يخل عنها فله ان يرمي وينبغي ان لا يقصد المقتل بل الساق
والفخذ ويراعي فيه التدريج وكذلك سل السيف وكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن

الدرجة الثامنة ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان يشهرون السلاح وربما
يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدي ذلك الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا
فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد
الرعية بذلك وقال آخرون لا يحتاج الى اذن الامام فان كل من قدر على دفع
المنكر فله ان يدفع ذلك بيده وسلاحه ونفسه واعوانه على قانون القياس بيان
آداب المحتسب قد ذكرنا تفاصيل الادب في آحاد الدرجات فنذكر الآن جملها و
ومصادرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب العلم
والورع وحسن الخلق اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها
ليقتصر على حد الشرع فيه واما الورع ليردعه عن مخالفة معلومه فلا كل من علم عمل به
بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون شرعا ولكن يحمله عليه
غرض من الاغراض وليكون كلامه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب
فيورث ذلك جراءة عليه واما حسن الخلق ليتمكن من اللطف والرفق وهو اصل الباب
والعلم والورع لا يكفي فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه
ولا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الغضب وبه يصبر المحتسب على ما
اصابه في دين الله سبحانه والا فاذا اصيب عرضه بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن
دين الله تعالى واشتغل بنفسه فهذه الصفات الثلث بها تصير الحسبة من القربات وبها
يندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر وقد وردت واشتهرت اخبار وآثار
من السلف والمشايخ في الرفق في الحسبة والنصح واظهار الشفقة على المحتسب عليه قال
رسول الله صلعم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما
ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا
يدل على انه لا يشترط كونه فقيها مطلقا وقال الحسن اذا كنت ممن يأمر بالمعروف
فكن من آخذ الناس به والا هلكت قال ابن ابي عن عائشة رض ان الناس يأمرون
بالمعروف ويكون معروفهم منكرا عليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون

وهكذا كانت عادة اهل الدين فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب الباب الثالث
في المنكرات المالوفة في العادات نشير الى جمل منها ليستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في
حصرها واستقصائها فمن ذلك منكرات المساجد اعلم ان المنكرات تنقسم الى مكروهة
والى محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه
وليس بحرام واذا قلنا منكر محظور او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور فيكون السكوت
عليه مع القدرة محظورا فمما يشاهد في المساجد اساءة الصلوة ومن رأى مسيئا
في صلاته فسكت عنه فهو شريكه وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلوة من نجاسة على ثوبه
لا يراها او انحراف عن القبلة وكل ذلك يجب الحسبة فيها ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي
عنه وتلقين الصحيح والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان قادرا على التعلم فليمتنع عن القراءة
قبل التعلم فان لم يتعلم فهو عاص به وان كان لا يطاوعه لسانه فان كان اكثر ما يقرؤه
لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها ومنها تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم
مد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين او انفراد كل واحد
باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع اذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين
جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يستحب المنع منها وكذلك اذا
كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي ان يمنع منه فذلك مشوش للصوم
ومن المكروهات تكثير الاذان مرة بعد اخرى في مسجد واحد في اوقات متعاقبة ومنها
ان يكون الخطيب لابسا لثوب اسود يغلب عليه الابريسم او متقلدا السيف مذهب فهو فاسق
والانكار عليه واجب واما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب
الى الله البيض ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص
ان كان يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذلك الواعظ المبتدع يجب منعه
ولا يجوز حضور مجلسه ومهما كان كلامه مائلا الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي
وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وبعفو الله ورحمته وثوقا فهو منكر يجب منعه
لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك اليق بطباع الخلق ومهما كان

الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والحركات وقد حضر
مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه بل لا ينبغي ان لا يسلم الوعظ الا لمن ظاهره
الورع وسمته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين والا فلا يزداد الناس
به الا تماديا في الضلال ويجب ان يضرب بين النساء والرجال حائل يمنع من النظر
فان ذلك ايضا مظنة الفساد ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوة ومجالس
الذكر اذا خيفت الفتنة فقد منعتهن عائشة رض فقيل لها ان رسول الله صلعم
ما منعهن من الجماعة فقالت لو علم رسول الله صلعم ما احدثت النساء بعده لمنعهن
وقراءة القرآن بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القرآن
ويجاوز حد الترتيل منكر ومكروه شديد الكراهة ومنها الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية
والاطعمة والتعويذات ولقيام السؤال وانشادهم للاشعار وما يجري مجراه
فهذه منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطباء واهل
الشعبدة والتلبيسات والتعويذات فهذا حرام في المسجد وغير المسجد ويجب المنع منه
بل كل بيع فيه تلبيس وكذب واخفاء عيب عن المشتري فهو حرام ومنها ما هو مباح خارج
المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة فهذا في المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض
وهو ان يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلوتهم فان لم يكن شيء من
ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة فان
المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه ومنها دخول المجانين والصبيان
والسكارى في المسجد لئلا يشوشوا الصلوة على المصلين فان قيل ينبغي ان يضرب
السكران ويخرج من المسجد قلنا لا بل ينبغي ان يلزم القعود في المسجد ويدعى اليه
ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس للآحاد بل هو
للولاة وذلك عند اقراره او شهادة شاهدين فاما بمجرد الرائحة فلا نعم اذا كان
يمشي متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغيره فان اظهار الفاحشة فاحشة
والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا مخفيا لاثره

فلا يجوز ان يتجسس عليه فان الرايحة قد تفوح من غير شرب **منكرات الاسواق** من المنكرات
المعتادة في الاسواق الكذب في المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت بعشرة
واربح درهم وهو كاذب فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشتري بكذبه
فان سكت مراعاة لقلب البايع كان شريكا في الخيانة عاصيا وكذا اذا علم به شيا
من عيب يلزمه ان ينبه المشتري عليه وكذا التفاوت في الذراع والمكيال والميزان
يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه او بدفعه الى الوالي **ومنها** ترك الايجاب والقبول
ولكن ذلك في محال الاجتهاد وكذا ساير الربويات كلها وكذلك ساير التصرفات
الفاسدة **ومنها** بيع الملاهي وبيع اشكال الحيوانات المصورة لاجل الصبيان **ومنها**
بيع الاواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب
والحرير التي لا تصلح الا للرجال كل ذلك منكر محظور **ومنها** بيع الاطعمة والحبوب على
الطرق وهو منكر ان كان يؤدي الى تضييق الطريق واستضرار المارين وان لم يؤد
الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه **ومنها** سوق الدواب وعليها الشوك بحيث
يمزق ثياب الناس فذلك منكر وكذلك القصاب اذا كان يذبح في الطريق حذاء باب
الحانوت ويلوث الطريق بالدم فيمنع منه وفي ذلك تضييق واضرار بسبب ترشيش
النجاسة وكذلك ارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحايط في الطرق الضيقة
فان ذلك ينجس الثياب ولا يمنع منه في الطرق الواسعة وكذلك اذا كان له كلب عقور
على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة
التي يلبس على الناس ويزعم انها جديدة فيجب منعه وكذلك التلبيس بالرفو في الثوب
الخرق وكذلك جميع التلبيسات **منكرات الشوارع** من المنكر المعتاد في الشوارع وضع
الاسطوانات وبناء الدكاكين متصلا بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج
الاجنحة وكل ذلك منكر ان كان يؤدي الى تضييق الطرق واستضرار المارين وكذا
ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطرق فالمرعي هو الحاجة التي يراد الطرق
لاجلها دون ساير الحاجات وكذا تحميل الدواب احمالا لا تطيقه من الاحمال منكر يجب منع الملاك

منه **منكرات الحمام** منها الصورة التي على باب الحمام او داخل الحمام يجب ازالتها على كل من
يدخلها ان قدر وان لم يقدر فلا يجوز له الدخول الا لضرورة **ومنها** كشف العورات
والنظر اليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ ومن جملتها
ادخال اليد تحت الازار **ومنها** الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الاعجاز
والافخاذ فهذا مكروه **ومنها** غمس اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار
والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء على مذهب مالك فلا يجوز الانكار عليه
على المالكية فان اجتمع شافعي ومالكي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الفعل
الا بطريق الالتماس واللطف **ومنها** ان يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها
صخرة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر يجب ازالته فانه يفضي الى
السقطة وكذلك السدر والصابون المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك
فخرج فتعثر به انسان وانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر
الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي والوجه ايجاب الضمان على
تاركه في اليوم الاول وعلى الحمامي في اليوم الثاني **منكرات الضيافة** فمنها فرش الحرير
للرجال فهو حرام وتبخير البخور في مجمرة فضة او ذهب او الشرب منها او استعمال ماء الورد
من اواني فضة او ما رؤوسها من فضة **ومنها** اسدال الستور وعليها الصور **ومنها**
سماع الاوتار او سماع القينات **ومنها** اجتماع النساء على السطوح للنظر الى
الرجال مهما كان في الرجال شبان تخاف الفتنة فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره
ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج واما الصور على النمارق والزرابي المفروشة فليس
منكرا وكذا على الاطباق والقصاع الا الاواني المتخذة على شكل الصور فقد يكون رؤوس
المجامر على شكل طاير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة
من الفضة خلاف وقد خرج احمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام
حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب حراما فهي من اشد المنكرات فان
كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يحل حضور مجالس الشرب

مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حال مباشرته للفسق وانما النظر في مجالسته
بعده وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله
وكذلك اذا كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق ولا يجوز الجلوس معه
من غير ضرورة فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك
منكر ويجب اخراجه منه ان كان مميزا لعموم قوله عم هذان حرامان على ذكور امتي
اما الصبي الذي لا يتميز ففيه تردد والجنون في معناه والعلم عند الله تع ولا ارى
رخصة في تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فانه جرح مولم موجب للقصاص
فلا يجوز الا لحاجة مهمة وهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب والاستيجار
غير صحيح والاجرة المأخوذة عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا
ذلك الى الآن ومنها ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم ببدعته فيجوز الحضور لمن يقدر
على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز وان كان المبتدع لا يتكلم
ببدعته فيجوز الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض كما ذكرناه في باب البغض في
الله وان كان فيها مضحك بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالفحش والكذب
لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار وان كان بمزح بغير كذب فما يقل منه مباح
فاما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس فليس
من جملة المنكرات كقول الانسان طلبتك اليوم مائة مرة واعدت الكلام الف مرة
وما يجري مجراه مما يعلم انه ليس يقصد منه التحقيق اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب
رسول الله صلعم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر رض فاخذ بمنكبه و
دفعه عن رسول الله صلعم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم وروى ان معاوية رض حبس العطا فقام اليه ابو مسلم الخولاني رض فقال له
يا معاوية انه ليس من كدك ولا من كد ابيك ولا كد امك قال فغضب معاوية فنزل عن المنبر
وقال لهم مكانكم ثم خرج عليهم فقال ان ابا مسلم كلمني بكلام اغضبني واني سمعت رسول
الله صلعم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالما

فذلك لا يقدح في العدالة ولا يرد به الشهادة وسيأتي حد المزح المباح والكذب المباح
في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات ان شاء الله تع ومنها الاسراف في الطعام
والبناء فانه منكر وفي المال منكران احدهما الاضاعة والآخر الاسراف في الطعام
والبناء فانه منكر فالاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب و
تمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال
الى النائحة والمطرب والى انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت
كالمعدومة واما الاسراف فقد يطلق على صرف المال الى النائحة والمطرب
والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة
والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال فنقول من لم يملك الا مائة دينار مثلا
وله عيال واولاد ولا معيشة لهم ولا كسب فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب
منعه من ذلك قال الله تع ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فمن يسرف
هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده
وكان له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له
عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف
جميع ماله الى تزويق حيطانه بالنقوش وتزيين بنيانه فهو اسراف محرم وفعل
ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل
المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان نقش الباب والسقف لا
فائدة فيه الا مجرد الزينة وكذا الدور وكذلك القول في التجمل بالثياب و
الاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته وامثال
هذه المنكرات لا يمكن حصرها فقس بهذا منكرات الجامع ومجالس القضاة ودواوين
السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا
تخلو بقعة من منكر مكروه او محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب
جميع تفاصيل الشرع اصلا وفرعا فلنقتصر على هذا القدر المنكرات العامة

اعلم ان كل قاعد في بيته اينما كان فليس يخلو في هذا الزمان من منكر من حيث
التقاعد من ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون
بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب
والاكراد والتركمانية وساير اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد
ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ
من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل السواد
ومن العرب والاكراد وغيرهم وان يعلمهم دينهم وفرايض شرعهم ويستصحب مع
نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون شبهة فان قام بهذا
الامر واحد سقط الحرج عن الآخرين والا عم الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره
في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في التعلم وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه
ان يعرف غيره والا فهو شريك له في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما
بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم وكل من تعلم مسئلة واحدة من العلم فهو من اهل
العلم بها وكذلك كل من تيقن ان في السوق منكرا يجري على الدوام او في
وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود
في البيت فحق على كل مسلم ان يبدا بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرايض و
ترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهله واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منه الى جيرانه
ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى السواد المكتنف لبلده ثم الى اهل البوادي
من الاكراد والاعراب وغيرهم هكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط
عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام
يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى
اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن
تزجية الاوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقايق العلوم التي
هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو

اهم منه وبالله التوفيق

وهو اعلم

الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وان اولها التعريف وثانيها الوعظ وثالثها التخشين في القول ورابعها
المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجايز من جملة ذلك مع السلاطين
الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ واما المنع فليس ذلك لاحاد الرعية
مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذورات
اكثر واما التخشين في القول كقولك يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه
فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا
يخاف الا على نفسه فهو جايز مندوب اليه فلقد كان من عادة
السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك
المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة قال رسول الله
صلعم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه
في ذات الله فقتله على ذلك وقال رسول الله عم افضل الجهاد كلمة حق عند
سلطان جاير ووصف النبي عم عمر بن الخطاب فقال قرن من حديد لا تاخذه
في الله لومة لايم تركه قول الحق ما له من صديق ولما علم المتصلبون في الدين
ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جاير وان صاحب ذلك ان قتل فهو شهيد
كما وردت به الاخبار اقدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين
لانواع العذاب ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين
وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد اوردنا جملة
من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن
على حكايات يعرف بها وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم فمنها ما روي عن
انكار ابي بكر رضه على اكابر قريش حين قصدوا رسول الله بالسوء وذلك
ما روي عن عروة انه قال قلت لعبد الله بن عمرو ما اكثر ما رأيت قريشا نالت

من رسول الله صلعم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم
يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلعم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من
هذا الرجل سفه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا
وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا فبيناهم في ذلك اذ
طلع رسول الله صلعم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طايفا بالبيت
فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلعم
ثم مضى فلما مر بهم ثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه صلعم ثم مضى فمر
بهم الثالثة حتى وقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفس
محمد بيده لقد جئتكم بالذبح قال فاطرق القوم حتى ما منهم رجل الا كانما على
رأسه طاير واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه باحسن ما يجد
من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القسم راشدا فوالله ما كنت جهولا
قال فانصرف رسول الله صلعم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وانا
معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم منه حتى اذا بداكم بما
كنتم تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك اذ طلع رسول الله عم فوثبوا
اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به وهم يقولون له انت الذي يقول
كذا لما كان بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول صلى الله عليه وسلم
نعم انا الذي اقول ذلك قال فلقد رأيت منهم رجلا اخذ بمجامع ردائه قال
فقام ابو بكر رض دونه وهو يقول يا قوم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
قال ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رأيت قريشا بلغت منه
صلعم وفي رواية اخرى عن عبد الله
بن عمر قال بينا رسول
الله صلعم بفناء
الكعبة

صح

فاذا غضب احدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس من
كدابي ولا كدامي فهلموا الى عطائكم وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال كان
علينا ابو موسى الاشعري رض اميرا بالبصرة فكان اذا خطبنا فحمد الله واثنى عليه وصلى
على النبي عم انشأ يدعو لعمر قال فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن
صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر رض يشكوني اليه يقول ان ضبة بن محصن
العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر رض ان اشخصه الي قال فاشخصني اليه فقدمت فضربت
عليه الباب فخرج الي فقال من انت قلت انا ضبة بن محصن فقال لي لا مرحبا ولا اهلا قلت
اما الرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصي من مصري
بلا ذنب اذنبته ولا شيء اتيته قال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن اخبرك
انه كان اذا خطبنا فحمد الله تع واثنى عليه وصلى على النبي عم انشأ يدعو لك فغاظني
ذلك منه فقمت اليه فقلت اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك
يشكوني قال فاندفع عمر رض باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت
غافر لي ذنبي فيغفر الله لك قال فقلت غفر الله لك يا امير المومنين قال ثم اندفع باكيا
وهو يقول والله ليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك ان احدثك بليلته
ويومه قلت نعم قال اما الليلة فان رسول الله صلعم لما اراد الخروج من مكة هاربا
من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر رض فجعل يمشي مرة امامه ومرة يمشي خلفه ومرة عن
يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلعم ما اعرف هذا من افعالك قال يا رسول الله
اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن
يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلعم ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما
رأى ابو بكر رض انه حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله ثم
قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال
فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله وادخله وكان في الغار خرق فيه حيات وافاعي فالقمه
ابو بكر رض قدمه مخافة ان يخرج منه شيء الى رسول الله صلعم فيؤذيه فجعلت

دموع ابى بكر رض تنحدر على خديه من الم ما يجده ورسول الله صلعم يقول له يا ابا بكر لا تحزن
ان الله معنا فانزل الله سكينته اى الطمانينة لابى بكر رض فهذه ليلته واما يومه فلما
توفى رسول الله صلعم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلى ولا نزكى فاتيته لا آلوه
نصحا فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لى اجبار فى الجاهلية
خوار فى الاسلام فبماذا اتالفهم قبض رسول الله صلعم وارتفع الوحى فوالله لو منعونى
عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلعم لقاتلتهم عليه قال فقاتلتهم على ذلك فكان والله رشيد
الامر فهذا يومه ثم كتب الى ابى موسى رض يلومه ودخل عطا بن ابى رباح رض على عبد الملك بن
مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة عظمها الله تع
فى وقت حجه فى خلافته فلما بصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وجلس بين يديه فقال له
يا ابا محمد ما حاجتك قال يا امير المؤمنين اتق الله فى حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة
واتق الله فى اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله فى اهل
الثغور فانهم حصن الاسلام وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم واتق الله فيمن
على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض وقام عبد الملك
وقبض على يده وقال يا ابا محمد انما سالتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك فقال
ما لى الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف وروى ان الوليد بن عبد
الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل فادخله على ليحدثنى فخرج الحاجب فوقف
على الباب مدة فمر به عطا بن ابى رباح رض وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل الى امير المؤمنين
فانه امر بذلك فدخل عطا على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز رض فلما دنى عطاء
من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويلك امرتك
ان تدخل على رجلا يحدثنى ويسامرنى فادخلت على رجلا لم يرض ان يسمينى بالاسم
الذى اختاره الله لى فقال له حاجبه ما مر بى غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم اقبل
عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطاء ان قال له بلغنا ان فى جهنم واديا يقال له هبهب اعده
الله لكل امام جاير فى حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدى عتبة باب المجلس

فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه فقال عمر لعطاء قتلت امير المؤمنين
فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر ان الامر
جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رض انه قال مكثت سنة
اجد الم غمزته فى ذراعى وكان ابن ابى شميلة يوصف بالعقل والادب فدخل على
عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تكلم قال بم اتكلم وقد علمت ان كل
كلام تيكلم به المتكلم وبال عليه الا ما كان لله تع قال فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك
الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون فقال له يا امير المؤمنين ان الناس فى القيامة
لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله تع بسخط نفسه فبكى
عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عينى ما دمت حيا وروى
ان عمر بن هبيرة دعا بفقهاء اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل الشام
وقرائها فجعل يسالهم وكلم عامر الشعبى فجعل لا يساله عن شى الا وجد عنده فيه علما ثم
اقبل على الحسن البصرى فساله ثم قال هما هذان هذا رجل من اهل الكوفة يعنى الشعبى وهذا
رجل من اهل البصرة يعنى الحسن رض ثم امر الحاجب فاخرج الناس وخلا بالشعبى والحسن فاقبل على
الشعبى فقال يا ابا عمرو انى امين امير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مامور
على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمنى حقهم فانا احب حفظهم وتعهد مصالحهم مع النصيحة لهم
وقد يبلغنى عن العصابة من اهل الديار الامر فاجد عليهم فيه فاقبض طائفة من عطائهم فاضعها
فى المال ومن نيتى ان اردها عليهم فيبلغ امير المؤمنين انى قد قبضته على ذلك النحو فيكتب الى ان
لا ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذه وانما انا رجل مامور على الطاعة فهل على فى هذا تبعة وفى اشباهه
من الامور والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبى فقلت اصلح الله الامير انما السلطان والد يخطى
ويصيب قال فسر بقولى واعجب به وقال فلله الحمد ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد فقال
قد سمعت قول الامير يقول انه امين امير المؤمنين على العراق وعامله عليه وذكر قوله ولك
حق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة وانى سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشى
رض صاحب رسول الله صلعم يقول قال رسول الله صلعم من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة

حرم الله عليه الجنة وتقول اني انما قبضت من عطايا هم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وان
يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المؤمنين انى قبضتها على ذلك النحو فيكتب اليك ان لا ترده
ولا تستطيع رد امره وحق الله تع الزم من حق امير المؤمنين والله احق ان تطيع ولا طاعة
في معصية الله فاعرض كتاب امير المؤمنين على كتاب الله تع فان وجدته موافقا لكتاب الله
تع فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان
ياتيك رسول من رب العالمين يزعجك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع
دنياك وسلطانك خلف ظهرك وتقدم على ربك فيجزيك على عملك يا ابن هبيرة ان الله يمنعك
من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله تع وان امر الله تع فوق كل امر وانه لا طاعة في معصية
الله واني احذرك باسه الذي لا يرده عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك
ايها الشيخ واعرض عن ذكر امير المؤمنين فان امير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم
وصاحب الفضل وانما ولاه الله تع امر هذه الامة لعلمه به ولما يعلم من فضله ونيته
فقال الحسن رض يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وعصا بعصا والله
بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلق من ينصح لك في دنياك خير من ان تلقى رجلا يغرك
ويمنيك فقام ابن هبيرة قد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا ابا سعيد اغضبت
الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال
فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستحقرنا وجفينا وكان اهلا
لما ادي اليه وكنا اهلا ان يفعل بنا ذلك فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء
الا مثل الفرس العربي بين المقاريف وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عز
وجل وقلنا مقاربة لهم قال الشعبي وانا اعاهد الله عز وجل لا اشهد سلطانا
بعد هذا المجلس فاحابيه ودخل محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة فقال له ما تقول
في القدر قال جيرانك من اهل القبور فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر وعن الشافعي
عن محمد بن علي رض قال اني لحاضر مجلس امير المؤمنين ابي جعفر المنصور وفيه ابن ابي ذيب
وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فاتى الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيا من امر الحسن بن

زيد فقال الحسن يا امير المؤمنين سل عنهم ابن ابي ذيب قال فساله فقال ما تقول فيهم
يا ابن ابي ذيب فقال اشهد انهم اهل تحطم في اعراض الناس كثيرو الاذى فقال ابو جعفر
قد سمعتم فقال الغفاريون يا امير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال ما تقول
في الحسن بن زيد فقال اشهد انه يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك
ابن ابي ذيب وهو الشيخ الصالح فقال يا امير المؤمنين سله عن نفسك فقال ما تقول في
قال اعفني يا امير المؤمنين قال اسالك بالله الا اخبرتني قال تسالني بالله كانك لا تعرف
نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا المال من غير حقه وجعلته في غير
اهله واشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجاء ابو جعفر من موضعه حتى وضع يده في
قفا ابن ابي ذيب فقبض عليه ثم قال اما والله لولا اني جالس ههنا لاخذت فارس
والروم والديلم والترك بهذا المكان منك فقال ابن ابي ذيب يا امير المؤمنين قد
ولي ابو بكر وعمر رض فاخذا بالحق وقسما بالسوية واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا
آنافهم قال فخلا ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اعلم انك صادق
لقتلتك فقال والله يا امير المؤمنين اني لانصح لك من ابنك المهدي قال فبلغنا ان
ابن ابي ذيب لما خرج من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا ابا الحارث لقد
سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك ابنك المهدي فقال يغفر الله
لك يا ابا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد وعن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو رض
قال بعث الي ابو جعفر المنصور وانا بالساحل فاتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه
بالخلافة رد علي فاستجلسني ثم قال لي ما الذي ابطا بك عنا يا اوزاعي قال قلت
وما الذي تريد يا امير المؤمنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال قلت فانظر
يا امير المؤمنين ان لا تجهل شيا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا اسالك عنه وفيه
وجهت اليك واقدمتك له قال قلت ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح ابن الربيع صيحة
واهوى بيده الى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت
نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا امير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال

رسول الله صلعم ايما عبد جاءته موعظة في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها
يشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اثما ويزداد بها سخطا يا امير المومنين حدثني
مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلعم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه
الجنة يا امير المومنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب
امتكم لكم حتى ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيكم صلعم وقد كان بهم روفا رحيما مواسيا
لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق
وان تكون بالقسط له فيهم قايما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب ولا
تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم من سوء يا امير المومنين قد كنت
في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم
مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا بعثت وبعثوا يوم
في الصور ليس منهم احد الا ويشكو بلية ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المومنين
حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلعم جريدة يستاك بها
ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عم فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت
بها قلوب امتك وملات قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابشارهم وسفك
دماءهم وخرب ديارهم واجلاهم عن بلادهم وغشيهم الخوف منه يا امير المومنين
حدثني مكحول عن زياد بن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلعم دعا الى القصاص
من نفسه في خدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبريل عم فقال يا محمد ان الله
لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي عم الاعرابي فقال اقتص مني فقال
رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات
والارض التي يقول فيها رسول الله صلعم لقيد قوس احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها
يا امير المومنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى لك كما
لا يبقى لغيرك يا امير المومنين اتدري ما جاء في تاويل هذه الاية عن جدك ما لهذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف

بما عملته

بما عملته الايدي وحصدته الالسن يا امير المومنين بلغني ان عمر بن الخطاب رض قال
لو ماتت سخلة على شاطي الفرات ضيعة لخشيت ان اسال عنها فكيف بمن حرم
عدلك وهو على بساطك يا امير المومنين اتدري ما جاء في تاويل هذه الاية عن جدك
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله قال اذا قعد الخصمان بين يديك وكان لك في احدهما هوى فلا تتمنين في
نفسك ان يكون الحق له فيفلح على صاحبه فامحوك عن نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة
يا داود انما بعثت الى عبادي رعاة كرعاة الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة
ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلاء والماء يا امير المومنين انك بليت بامر لو عرض
على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنه واشفقن منه وقد بلغني ان عمر رض قال
اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب او بعيد
فلا تمهلني طرفة عين يا امير المومنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الانصاري
ان عمر رض استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فراه بعد ايام مقيما فقال له ما منعك
من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك
قال لانه بلغني ان رسول الله صلعم قال ما من وال يلي شيا من امور الناس الا اتي يوم
القيامة مغلولة يده الى عنقه فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل
كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيا
انخرق به ذلك الجسر فهوى به الى النار سبعين خريفا فقال عمر ممن سمعت هذا قال من
ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسالهما فقالا نعم سمعناه من رسول الله صلعم فقال عمر
واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر من سلت الله انفه والصق خده بالارض فاخذ
المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى ابكاني يا امير المومنين ان اشد الشدة القيام
لله بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله واعزه
ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي والسلام عليك ثم نهضت فقال
الى اين فقلت الى الاهل والوطن باذن امير المومنين ان شاء الله قال فقد

اذنت لك وشكرت لك نصيحتك قال محمد بن مصعب فامر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله
وقال انا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من الدنيا وعن ابي عمران الجوني لما ولي
هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار اليه وقد فتح بيوت الاموال فاقبل
يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك وكان مواخيا
لسفيان بن سعيد الثوري قديما فهجره سفيان فلم يزره فاشتاق هارون الى زيارته
ليخلو به ويحدثه فلم يزره فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتابا يقول بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله هارون الرشيد امير المؤمنين الى اخيه سفيان اما بعد يا اخي قد علمت ان الله
تع واخا بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم اني واخيتك مواخاة لم اصرم فيها حبلك
لم اقطع منها ودك واني منطو لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة
التي قلدنيها الله تع لاتيتك ولو حبوا لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما
بقي من اخواني واخوانك احد الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت
الاموال واعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت بها عيني واني استبطأتك
فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء في
فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل قال فلما كتب الكتاب
التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرف سفيان وخشونته فقال علي برجل من الباب فادخل
عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا وانطلق به الى الكوفة وسل
عن سفيان الثوري فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يكون في واحص
عليه دقيق امره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسال
عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فاقبلت الى المسجد فلما راني قام قايما ثم قال
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير قال عباد فوقعت
الكلمة في قلبي فلما راني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت الصلوة فربطت فرسي
بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤسهم كانهم لصوص قد ورد عليهم السلطان
وهم خايفون من العقوبة فسلمت فما رفع الي احد راسه فرد وعلي السلام برؤس الاصابع فبقيت قايما

ما منهم من احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان
المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب ارتعد وتباعد منه كانها
حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعباءته واخذ
يقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم فيقروه فاني استغفر الله
ان امس شيا مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه فحله كانه خايف من فم
حية تنهشه وقراه فاقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه و
اكتبوا الى الظالم في ظهره فقيل له يا ابا عبد الله انه خليفة لو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال
اكتبوا الى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وان كان اكتسبه من
حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب
فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن منذر الثوري الى
العبد المغرور بالامال هارون الذي قد سلب حلاوة الايمان اما بعد فاني قد كتبت
اليك اعرفك اني قد صرمت حبلك وقطعت ودك وقليت موضعك وانك جعلتني شاهدا عليك
باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته
بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته حتى كتبت الي تشهدني على نفسك اما اني قد شهدت عليك
انا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله
تع يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين من غير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة
قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك
حملة القران واهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون
ميزرك واعد للمسئلة جوابا وللبلاء تجفافا واعلم بانك سوف تقف بين يدي الحكم العدل
في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة القران ومجالسة الاخيار ورضيت
لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هارون جلست على السرير ولبست الحرير
واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم اجلست من اجنادك الظلمة
دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها

ويزنون ويجلدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق افلا كانت هذه الاحكام
عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على الناس فكيف بك يا هارون غدا اذا نادى المنادى
من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي الظلمة واعوان الظلمة فقدمت بين
يدي الله تعالى ويدك مغلولة الى عنقك لا يفكها الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت لهم
سائق وامام الى النار فكاني بك يا هارون قد اخذت بضيق الخناق ووردت المساق
وانت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء
وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد
نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية فاتق الله يا هارون في رعيتك واحفظ محمدا صلعم
في امته واحسن الخلافة عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى
غيرك كذا الدنيا تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من قدم زادا لنفسه ومنهم من خسر
دنياه وآخرته واني احسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فاياك ثم اياك ان تكتب
الي كتابا بعد هذا فلا اجيبك عنه والسلام قال فالقى الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا
مختوم فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت يا اهل
الكوفة فاجابوني فقلت يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فاقبلوا الي بالدنانير
والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال فاتيت
بذلك فنزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت البسه مع امير المؤمنين هارون واقبلت اقود
البرذون وعليه السلاح الذي كنت احمله حتى اتيت باب امير المؤمنين حافيا راجلا فهزأ بي
من كان على باب الخليفة ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه ورآني على تلك الحال قام وقعد
ثم قام وجعل يلطم راسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول انتفع الرسول وخاب
المرسل ما لي وللدنيا وملك يزول عني سريعا ثم القيت الكتاب اليه منشورا كما دفع
الي فاقبل هارون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه
يا امير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه
السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون اسكتوا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي

من

من اهلكتموه فان سفيان امة واحدة فاتركوا سفيان وشانه ثم لم يزل كتاب سفيان
الى جنب هارون يقرؤه عند كل صلوة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى
الله فيما يقدم عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق وعن
عبد الله بن مهران رض قال حج الرشيد فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب
البوق بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان
يؤذونه ويولعون به اذ اقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به
فلما جاء هارون نادى باعلا صوته يا امير المؤمنين يا امير المؤمنين فكشف هارون
السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا امير المؤمنين
حدثنا ايمن بن نابل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي عم منصرفا
من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك فتواضعك في سفرك هذا
خير لك من تكبرك وتجبرك قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا
بهلول زدنا يرحمك الله قال نعم يا امير المؤمنين رجل اتاه الله مالا وجمالا فانفق
من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تع من الابرار قال احسنت يا بهلول
فلك الجائزة قال اردد الجائزة على من اخذتها منه فلا حاجة لي فيها فقال يا بهلول ان
يكن عليك دين قضيناه فقال يا امير المؤمنين هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون
اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين لا يجوز فقال يا بهلول فنجري عليك ما
يقوتك او يقيمك قال فرفع بهلول راسه الى السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت
من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني قال فاسبل هارون السجاف ومضى وعن احمد المو[illegible]
قال كان ابو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج
اليه وكان اذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة يتطهر
للصلوة اذ رأى زورقا فيه ثلثون دنا مكتوب عليه بالقار لطف فقرأه وانكره
لانه لم يكن يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه
الدنان قال واي شيء عليك امض لشغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا ازداد تعطشا

الى معرفة فقال له احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان فقال الملاح انت والله صوفي
فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم قال احب
ان تعطيني ذلك المردي فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المردي حتى انظر ما يصنع
فلما صار المردي في يده صعد الى الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على آخرها
الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر فقبض على النوري فاشخصه الى
حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسين
فادخلت عليه وهو جالس على كرسي من حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من انت
قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة قال فاطرق الى الارض ساعة
ثم رفع راسه وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي
الى صرف مكروه عنك قال فاطرق متفكرا في كلامي ثم رفع راسه وقال كيف تخلص هذا الدن
الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة اخبر بها امير المؤمنين ان اذن فقال هات
خبرني فقلت يا امير المؤمنين اني لما اقدمت على الدنان بمطالبة الله تع لي بذلك وغمر قلبي
شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذا الحال
الى ان صرت الى هذا الدن فامتلأت نفسي كبرا اذ تجاسرت على مثلك فمنعت ولو اقدمت
عليه بالحال الاول وكان ملء الدنيا دنانا لكسرتها ولم ابال فقال المعتضد اذهب فقد
اطلقنا يدك غير ما احببت ان تغيره من المنكر قال فقلت يا امير المؤمنين الى الآن
كنت اغير عن الله تع وانا الآن اغير لشرطي فقال المعتضد وما حاجتك قلت يا امير
المؤمنين تامر باخراجي سالما فامر له بذلك فخرج الى البصرة وكان اكثر مقامه بها خوفا من
ان يسأل حاجة يسألها المعتضد ثم رجع الى بغداد وعن ابي العباس الهاشمي من ولد صالح
بن المامون قال دخلت على الحرث المحاسبي فقلت له يا ابا عبد الله هل حاسبت نفسك فقال
هذا كان مرة قلت له فاليوم قال اني اكتم حالي ولقد كنت قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى
حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي وجلس بين يدي فقلت له من انت فقال انا واحد من السياحين
اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك اجتهادا فاي شيء عملك قال فقلت له كتمان المصائب

واستجلاب

واستجلاب الفوائد فصاح وقال ما علمت ان احدا بين جنبي المشرق والمغرب هذه
صفته قال الحرث فاردت ان ازيد عليه فقلت له اما علمت ان اهل القلوب
يحملون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله تع كتمان ذلك عليهم فمن اين تعرفهم
قال فصاح صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم افاق فقد احدث في ثيابه
فعلمت ان له عقلة فاخرجت له ثوبا جديدا فقلت له هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل
واقض صلواتك فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له
اين تريد فقال لي قم فلم يزل يمشي حتى دخل على المامون امير المؤمنين فسلم عليه فقال
له يا ظالم وانا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من تقصيري فيك اما تتقي الله
فيما ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب فاقبل عليه المامون
وقال من انت قال انا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم اجد
لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحقهم قال فامر بضرب عنقه فاخرج وانا قاعد
على الباب وهو ملفوف في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فليأخذه قال الحرث
فاختبيت عنه فاخذه اقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في
مسجد في المقابر محزونا على الفتى وغلبتني عيناي فنمت فاذا هو بين وصائف
لم ار احسن منهن وهو يقول يا حارث انت والله من الكاتمين الذين يخفون احوالهم
ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك فنظرت الى جماعة ركبانا فقلت
من انتم قالوا احرك هذا الكلام له ولم يكن له في قلبه مما وصفت شيء فخرج للامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وان الله تع انزله معنا وغضب لعبده فهذه كانت سيرة العلماء
رض وعاداتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين
بل اتكلوا على فضل الله تع ان يحرسهم ورضوا بحكم الله تع ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا
لله تع النية اثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها فاما الآن فقد قيدت الاطماع السن
العلماء فسكتوا وان تكلموا لم ينجحوا ولو قصدوا الله تع وراعوا حق العلم افلحوا فان
فساد الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفسادهم باستيلاء حب

المال والجاه فمن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الجنة والله المستعان على كل حال والحمد لله رب العالمين

كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة

وهو الكتاب العاشر من ربع العادات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة على خير خلقه محمد وآله اجمعين اما بعد فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب هي مغارس الافعال ومنابعها وانوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذا الكتاب ثم رايت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد اتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرايت ان اقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلعم واخلاقه المأثورة عنه بالاسانيد فاسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة الاسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الايمان وتأكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي يشهد آحادها على القطع بانه اكرم خلق الله تع واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار ليكون ذلك معرفا مكارم الاخلاق والشيم ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الاخلاق والاحوال وساير معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر فيه اولا بيان تاديب الله تع اياه بالقرآن ثم بيان جملة من آدابه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان اخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان اخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان اغضائه عما كان يكرهه ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته

بيان تاديب الله تع حبيبه وصفيه محمدا

صلعم بالقرآن كان رسول الله صلعم كثير الضراعة والابتهال دايم السؤال من الله تع ان يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق وكان يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه وفاء بقوله تع ادعوني استجب لكم فانزل الله عليه القرآن وادبه به وكان خلقه القرآن قال سعد بن هشام دخلت على عايشة رض فسالتها عن اخلاق رسول الله صلعم فقالت اما تقرا القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلعم القرآن وانما ادبه بالقرآن بمثل قوله خذ العفو وامر بالعرف الآية وقوله تع ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وقوله واصبر على ما اصابك الآية وقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وقوله اجتنبوا كثيرا من الظن الآية ولما كسرت رباعيته يوم احد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تع ليس لك من الامر شيء تاديبا له على ذلك وامثال هذه التاديبات في القرآن لا تنحصر وهو المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقرآن وادب الخلق به ولذلك قال صلعم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق بما اوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما كمل الله تع خلقه اثنى عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم امتنانه ثم انظر الى عميم فضله كيف اعطى ثم اثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم ان رسول الله صلعم بين للخلق بقوله ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها وقال علي رض يا عجبا لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا لقد كان له ان يسارع الى مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل اسمعته من رسول الله صلعم قال نعم وما هو خير منه لما اتي بسبايا طي وقعت جارية في السبي فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني بنت سيد قومي فان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم

الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طي فقال النبي صلعم يا
جارية هذه صفة المومنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها
كان يحب مكارم الاخلاق وقال والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق وعن
معاذ بن جبل رض عن النبي صلعم ان الله حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال
ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء
السلام وعيادة المريض المسلم برا كان او فاجرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة
الداعي لدعوة الطعام والدعاء اليه والعفو عن الناس والاصلاح بينهم والجود والكرم
والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ عن جرايم الناس واذهب الاسلام اللهو
والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دجل والكذب والغيبة
والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام
وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة والمزح والفحش والحقد والحسد
والطيرة والبغي والعدوان والظلم قال انس فلم يدع رسول الله صلعم نصيحة جميلة الا وقد
دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا ولا شينا الا حذرناه ونهانا
عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وقال معاذ
اوصاني رسول الله صلعم فقال يا معاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث و
الوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين
الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه في القران
وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حليما او تكذب
صادقا او تطيع آثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك بتقوى الله
عند كل حجر وشجر ومدر وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية
فهكذا ادب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب بيان جملة
من محاسن اخلاقه التي جمعها بعض العلماء والفقهاء من الاخبار قال كان صلعم احلم
الناس وارفع الناس واعدل الناس واشجع الناس واعف الناس لم تمس قط يده يد

امرأة

امرأة لا يملك رقها او عصمة نكاحها او تكون ذات محرم منه وكان اسخى الناس
لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه ويأتيه الليل لم يأو
الى منزله حتى يبرأ منه الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط
من ايسر ما يجد من التمر والشعير ويضع ساير ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئا الا اعطاه
ثم يعود الى قوت عامه فيوثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته
شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن اشد
الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو
انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويأكلها ويكافي عليها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر
على اجابة الامة والمسكين يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك
بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة
الى انسان واحد يزيد في عدد من معه فأبى وقال انا لا استنصر بمشرك ووجد من فضلاء
اصحابه وخيارهم قتيلا من اليهود ولم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة
ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع
ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز
اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر اكله وان وجد خبز شعير اكله وان
وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا
اكله لا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز بر ثلاثة
ايام حتى لقي الله ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى
ويشهد الجنايز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم
في غير كبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من امور الدنيا ويلبس ما
وجده من المباح فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانية ومرة جبة صوف وغير ذلك
من المباحات وخاتم فضة يلبسه في خنصره الايمن والايسر يردف خلفه عبده او غيره
يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا وحافيا بلا رداء

ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى من اقصى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة الردية
ويجالس الفقرآء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتالف اهل
الشرف بالبر لهم يصل ذوى رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد
يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح
فلا ينكره ويسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو و
اهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يترفع عليهم في ماكل ولا ملبس لا يمضي له
وقت في غير عمل الله تعالى او فيما لا بد له من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر
مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء
مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو امي لا يقرا ولا
يكتب نشا في بلاد الجهل والصحارى في فقر وفي رعاية الغنم يتيما لا اب ولا ام
فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار الاولين والاخرين وما فيه
النجاة والفوز في الاخرة والغبطة والخلاص والصلاح في الدنيا ولزوم الواجب
وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره والتاسي به في فعله امين يا رب العالمين بيان
جملة اخرى من اخلاقه وادابه مما رواه ابو البختري قال ما شتم رسول الله صلعم احدا
من المؤمنين بشتيمة الا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن امراة قط ولا خادما بلعنة
وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا
وكان اذا سئل ان يدعو على احد مسلم او كافر عام او خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا
له وما ضرب بيده احدا قط الا ان يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع اليه
قط الا ان ينتهك حرمة الله تعالى وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه
اثم او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما كان ياتيه احد حر او عبد او امة الا
قام معه في حاجته قال انس والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته
ولا لامني احد من اهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر قالوا وما عاب
رسول الله صلعم مضطجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرشوا له اضطجع على الارض وقد وصفه

الله

الله تعالى في التورية قبل ان بعثه في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار
لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو
ويصفح مولده بمكة وملكه بالشام وهجرته بطيبة يأتزر على وسطه هو ومن معه
رعاة القرآن والعلم يتوضا على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل وكان من خلقه
من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ
احد بيده الا ولا يرسل يده حتى يرسلها الآخذ وكان اذا لقي احدا من اصحابه بداه
بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر
الله تعالى وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته واقبل عليه وقال الك حاجة
فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلوته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك
بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه كان حيث ما انتهى به
المجلس جلس وكان ما رؤي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد الا ان
يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم
من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه
وكان يوثر الداخل عليه بالوسادة التي يكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه
حتى يفعل وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس اليه
نصيبه من وجهه وتوجهه ومجلسه وسمعه وحديثه ولطف قوله وتواضعه لمجالسيه ومجلسه
مجلس حياء وتواضع وامانة قال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم
ويكني من لم يكن له كنية فكان يدعو بما كناه به وكان يكني ايضا النساء اللاتي لهن
الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان
ابعد الناس غضبا واسرعهم رضا وكان اراف الناس بالناس وخير الناس للناس
وانفع الناس للناس ولم يكن يرفع في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن

جبرئيل عم بيان كلامه وضحكه صلعم كان صلعم افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما وكان
يقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلعم وكان نزر الكلام
سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم قالت عايشة رضه
كان لا يسرد الكلام سردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا وايضا
كان اوجز الناس كلاما وبذلك اتاه جبرئيل عم وكان مع الايجاز يجمع كلما اراد
وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كلاما يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف
يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم
في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق ويعرض عمن تكلم
بغير جميل ويكني عما يضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا
يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض
فانه انزل على وجوه وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا
به وخلطا لنفسه بهم وربما ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء
به قالوا ولقد اتاه اعرابي وهو عليه السلام متغير ينكره اصحابه فاراد ان يسأله فقالوا
لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا ادعه حتى يتبسم
فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا
افترى لي بابي وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى اهلك هزلا ام اضرب
في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قال فضحك رسول الله صلعم حتى
بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين قالوا وكان من اكثر الناس
تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه وحي او يذكر الساعة او يخطب بخطبة عظة وكان
اذا سر ورضي فهو احسن الناس رضى وان وعظ وعظ بجد وان غضب فليس يغضب الا
لله ولم تقم لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها وكان اذا نزل به الامر فوض
الامر وتبرأ من الحول والقوة واستنزل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه
وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه واعذني من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى

منكر

منكرا واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضى نفسك من نفسي في عافية واهدني لما
اختلف فيه من الحق باذنك فانك تهدي الى صراط مستقيم بيان اخلاقه وآدابه في
الطعام كان رسول الله صلعم ياكل ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كان على ضفف
والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها
نعمة مشكورة تصل بها نعم الجنة وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه
كما يجلس المصلي الا ان الركبة فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد
آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة
وان الله لم يطعمنا نارا فابردوه وكان ياكل مما يليه وياكل باصابعه الثلاث
وربما استعان بالرابعة ولم يكن ياكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان
وجاءه عثمان رضه بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله فقال بابي انت
وامي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة
اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فياتي كما ترى قال صلعم ان
هذا لطعام طيب وكان ياكل الشعير غير منخول خبزا وكان ياكل القثاء بالرطب
وبالملح وكان احب الفواكه الرطبة اليه البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز وبالسكر
وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا واكل يوما رطبا كان في يمينه وكان
يحفظ النوى في يساره فمرت به شاة فاشار اليها بالنوى فجعلت تاكل
كفه اليسرى وياكل هو صلعم بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة وكان ربما اكل
العنب خرطا يرى زؤاله على لحيته كخرز اللؤلؤ وهو الماء الذي يقطر منه وكان
اكثر طعامه الماء والتمر وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام
اليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت
ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع
ويقول انها شجرة اخي يونس قالت عايشة رضه كان يقول يا عايشة اذا طبختم
قدرا فاكثروا فيه من الدباء فانه يشد قلب الحزين وكان ياكل لحم الطير الذي يصاد

وكان لا يبيعه ولا يصيده ويحب ان يصاد له ويؤتى به فياكله وكان اذا اكل
اللحم لم يطأطئ رأسه اليه فيرفعه الى فيه رفعا ثم ينتهشه انتهاشا وكان ياكل الخبز والسمن
وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الخل
ومن التمر العجوة ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر
وكان يحب من البقول الهندبا والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها
الرجلة وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول وكان لا ياكل من الشاة سبعا
الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحياء والدم ويكره ذلك وكان
لا ياكل الثوم والبصل والكراث وما ذم طعاما قط بل ان اعجبه اكله وان كرهه
تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمهما وكان
يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى تحمر
وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري
في اي الاصابع البركة فاذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت
فلك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل
يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها
ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعب عبا
وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه وكان
يدفع فضل سؤره الى من على يمينه فان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي عن
يمينه السنة ان تعطي فان احببت آثرته واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه
وقال شربتان في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال صلعم اما اني لا احرمه
ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا واحب التواضع فان من تواضع لله
رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه عليهم
ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل
بنفسه او يشرب **بيان آدابه واخلاقه في اللباس** كان صلعم يلبس من الثياب ما وجد

ازارا او رداء او قميصا او جبة وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض ويقول
البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو وكان له قباء
سندس يلبسه فيحسن خضرته على بياض لونه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق
ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار في الصلوة وغيرها وكانت له
ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما لبس الكساء وحده
وما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبيد وكان
له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره يعقد
طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد
ملتحفا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان رسول
الله صلعم ربما يصلي بالليل في الازار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية
على بعض نسائه فيصلي كذلك وقد كان له كساء اسود فوهبه فقالت ام سلمة بابي
انت وامي ما فعل ذلك الكساء الاسود فقال كسوته فقالت ما رايت شيئا قط كان
احسن من بياضك على سواده قال انس ربما رايته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين
طرفيها وكان يتختم وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشيء وكان يختم به على
الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير
عمامة وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن
العمامة فيشد العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من
علي فربما طلع علي فيها فيقول اتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبا لبسه من
قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في الناس
واذا نزع ثوبه اخرج من مياسره وكان له ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة وكان
اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه
لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا و
كان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه ذراع او نحوه

وكانت له عباءة تفرش له حيث ما ينتقل يثنى طاقتين تحته وكان ينام على الحصير ليس
تحته شئ غيره وكان من حلقة تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم دابته العقاب.
واسم سيفه الذى يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذم وآخر
يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبيعة سيفه محلاة بالفضة وكان يلبس
المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور
وكان اسم ناقته القصوآء وهى التى يقال لها العضباء، واسم بغلته الدلدل واسم
حماره يعفور واسم شاته التى يشرب لبنها عينه وكانت له مطهرة من فخار يتوضاء
فيها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على
رسول الله صلعم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا فى المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا
على وجوههم واجسادهم يبتغون بذلك البركة بيان عفوه مع القدرة كان رسول
الله صلعم احلم الناس وارغبهم فى العفو مع القدرة حتى انه اتى بقلادة من ذهب وفضة
فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية وقال يا محمد لئن امرك الله ان تعدل
فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدى فلما ولى قال ردوه على رويدا
وروى جابر رض ان رسول الله عم كان يقبض الخمس يوم حنين من فضة فى ثوب
بلال فقال له رجل يا نبى الله اعدل فقال رسول الله صلعم ويحك من يعدل اذا لم اعدل
فقد خبت اذا وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر رض فقال الا اضرب عنقه فانه
منافق فقال معاذ الله ان يتحدث الناس انى اقتل اصحابى وكان صلعم فى حرب ورأى
من المسلمين فجاءه حتى قام على رسول الله صلعم بالسيف فقال من يمنعك منى
فقال الله سبحانه وتع فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله صلعم السيف وقال
من يمنعك منى فقال كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله قال لا غير انى لا اقاتلك
ولا اكون معك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلا سبيله فاتى اصحابه وقال جئتكم من
عند خير الناس وروى انس ان يهودية اتت النبى صلعم بشاة مسمومة ليأكل منها فجئ بها
الى النبى صلعم فسألها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك

فقالوا افلا نقتلها قال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره جبرئيل عم بذلك حتى اذا
استخرجه فحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودى ولا اظهره عليه قط وقال
على رض بعثنى رسول الله صلعم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان فيها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ
فقلنا اخرجى الكتاب فقالت ما معى كتاب فقلنا لتخرجنه او لنقتلنك فاخرجته من عقاصها
فاتينا به النبى عم فاذا فيه من حاطب بن ابى بلتعة الى اناس من المشركين يخبرهم امرا
من امور رسول الله صلعم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل على انى كنت
امرأ ملصقا فى قومى وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فاحببت
اذ فاتنى ذلك منهم من النسب ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ولم افعل ذلك كفرا ولا
رضا بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا فقال رسول الله صلعم صدقكم فقال عمر رض
دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال صلعم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز
وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم وقد غفرت لكم وقسم رسول الله
عم قسمة فقال رجل من الانصار هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تع فذكر ذلك
للنبى عم فاحمر وجهه وقال رحم الله اخى موسى قد اوذى باكثر من هذا فصبر وكان
صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغنى احد منكم عن احد من اصحابى شيئا فانى احب ان اخرج
اليكم وانا سليم الصدر بيان اغضائه عما كان يكرهه كان رسول الله صلعم رقيق البشرة
لطيف الظاهر والباطن يعرف فى وجهه رضاه وغضبه وكان اذا اشتد وجده اكثر
من مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل
له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعنى الصفرة وبال
اعرابى فى المسجد بحضرته فهم به اصحابه فقال صلعم لا تزرموه اى لا تقطعوا عليه
البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشئ من القذر والبول والخلاء وفى
رواية قربوا ولا تنفروا وجاء اعرابى يطلب منه شيئا فاعطاه صلى الله عليه وسلم
ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابى لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه

فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل الى الاعرابي فزاده شيئا ثم قال
احسنت اليك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي عم انك
قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى
يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغدا او العشي جاء فقال النبي عم
ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي لذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك
الله سبحانه من اهل وعشيرة خيرا فقال صلعم ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت
له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب
الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها واعلم فتوجه اليها صاحب الناقة
بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه
دخل النار **بيان سخاوته وجوده** كان صلعم اجود الناس واسخاهم كان في شهر
رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا وكان علي رضه اذا وصف النبي عم قال كان
اجود الناس كفا واجرا الناس صدرا واصدق الناس لهجة واوفاهم ذمة والينهم
عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار
قبله ولا بعده مثله صلعم وما سئل شيئا قط على الاسلام الا اعطاه وان رجلا اتاه
فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء
من لا يخشى الفاقة وما سئل شيئا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها على
حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال
ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك
الله ما لم تقدر عليه فكره النبي عم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخش من ذي العرش
اقلالا فتبسم النبي عم وعرف السرور في وجهه ولما قفل من حنين جاءت الاعراب
يسألونه حتى اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه فوقف صلعم وقال اعطوني
ردائي لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا

كذابا

كذابا ولا جبانا **بيان شجاعته عم** كان صلعم انجد الناس واشجعهم قال علي رض لقد
رايتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي عم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس
يومئذ باسا وقال ايضا كنا اذا احمر الباس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله
صلعم فما كان احد اقرب منه الى العدو وقيل كان عم قليل الكلام قليل الحديث
فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس باسا وكان الشجاع هو الذي
يقرب منه في الحرب لقربه عم من العدو وقال عمران بن حصين رضه ما لقي رسول
الله صلعم كتيبة الا كان اول من يضرب وقالوا كان قوي البطش ولما غشيه المشركون
نزل عن البغلة يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فما روي يومئذ احد كان
اشد منه **بيان تواضعه عم** كان صلعم اشد الناس تواضعا في علو منصبه قال
ابن عامر رايته يرمي الجمرة على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان
يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع
الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع
اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على
الصبيان فيسلم عليهم واتي صلعم برجل فارعد من هيبته فقال هون عليك فلست
بملك انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا
بهم كانه احدهم فياتي الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسال عنه حتى طلبوا اليه
ان يجلس مجلسا يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين وكان يجلس عليه وقالت
عايشة رض كل جعلني الله فداك متكئا فانه اهون عليك فاصغى راسه حتى كاد
ان تصيب جبهته الارض ثم قال بل اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان
لا ياكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تع وكان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم
الا قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا في امر الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا
في طعام وشراب تحدث معهم وان تكلموا في امر الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا
لهم وكانوا يتناشدون الاشعار بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر

الجاهلية فيتبسّم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام **بيان صورته وخلقته**
كان من صفة رسول الله صلعم فى قامته انه لم يكن بالطويل البائن ولا القصير المتردد
بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك لم يكن يماشيه احد من الناس
ينسب الى الطول الا طاله رسول الله صلعم وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما
فاذا فارقاه نسبا الى الطول ونسب هو صلى الله عليه وسلم الى الربعة ويقول صلعم جعل
الخير كله فى الربعة واما لونه وكان ازهر اللون ولم يكن بالادم ولا الشديد البياض
والازهر هو الابيض الناصع الذى لا يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شى من الالوان
ونعته عمه ابو طالب فقال ٭ وابيض يستسقى الغمام بوجهه ٭ ثمال اليتامى عصمة للارامل ٭
ونعته بعضهم بانه مشرب بحمرة فقالوا انما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح
كالوجه والرقبة والازهر الصافى من الحمرة ما تحت الثياب وكان عرقه صلعم فى وجهه
كاللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر واما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط
ولا الجعد القطط كان اذا امشطه بالمشط يأتى كأنه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب
منكبيه واكثر الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من
بين غديرتين وربما جعل شعره على اذنيه فتبدو سوالفه تتلالا وكان شيبه فى الراس
واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك وكان صلعم احسن الناس وجها وانورهم لم
يصفه واصف الا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه فى وجهه لصفاء
بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه ابو بكر رض حيث يقول ٭ امين مصطفى للخير يدعو ٭
كضوء البدر زايله الظلام ٭ وكان صلعم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان
ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما
وكان فى عينيه تمزج من حمرة وكان اهدب الاشفار حتى يكاد يلتبس من كثرتها وكان
اقنى العرنين اى مستوى الانف وكان مفلج الاسنان اى متفرقها وكان اذا افترّ ضاحكا
افترّ عن مثل سنا البرق اذا تلالا وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم و
كان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفى لحيته و يا

شاربه

شاربه وكان من احسن عباد الله سبحانه عنقا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر وما
ظهر من عنقه للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب بذهب يتلالا فى بياض
الفضة وفى حمرة الذهب وكان صلعم عريض الصدر لا يعلو لحم بعض بدنه بعضا
كالمرايا فى استوائه وكالقمر فى بياضه موصول بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب
لم يكن فى صدره ولا فى بطنه شعر غيره وكان له عكن ثلاث يغطى الازار منها
واحدة وتظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين اشعرهما ضخم الكراديس وكان واسع
الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلى منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب
الى الصفرة حولها شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين
والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سايل الاطراف كان اصابعه قضبان
الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب او لم يمسها يصافح
المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع على راس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها
على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان معتدل الخلق
فى السمن بدن فى آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول
لم يضره السن واما مشيه صلعم فكان يمشى كانما يتقلع من صخر وينحدر من صبب يخطو
تكفئا ويمشى الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا وكان عم يقول انا اشبه
الناس بآدم عم وكان ابى ابرهيم عم اشبه الناس بى خلقا وخلقا وكان عم يقول
ان لى عند ربى عشرة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر و
انا العاقب الذى ليس بعده احد وانا الحاشر يحشر الله العباد على قدمى وانا رسول
الرحمة وانا رسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعا وانا قثم
قال البحترى القثم الجامع الكامل **بيان معجزاته** الدالة على صدقه عم اعلم ان من
شاهد احواله صلعم واصغى الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه وافعاله واحواله
وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتألفه اصناف
الخلق فى قوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجائب اجوبته فى مضايق الاسولة

وبدايع تدبراته فى مصالح الخلق ومحاسن اشاراته فى تفصيل ظاهر الشرع الذى يعجز
الفقهآء والفضلآء عن ادراك اوايل دقايقها فى طول اعمارهم لم يبق لمرتاب
وشك فى ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك الا
باستمداد من تاييد سماوى وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل
كانت شمايله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان الاعرابى القح كان يراه فيقول
ما هذا وجه كذاب وكان يشهد له بالصدق بمجرد شمايله فكيف من شاهد اخلاقه
ومارس احواله فى جميع مصادره وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه ليعرف
محاسن اخلاقه وليتنبه لصدقه صلعم وعلو منصبه ومكانته العظيمة عند الله تع اذ
آتاه الله تع جميع ذلك وهو رجل امى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر
قط فى طلب العلم ولم يزل بين اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا
فمن اين حصل له من محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا دون
غيره من العلوم فضلا من معرفته بالله تع وملايكته وكتبه وغير ذلك من خواص
النبوة لولا صريح الوحى ومن اين للبشر الاستقلال بذلك فلو لم يكن له الا هذه الامور
الظاهرة لكان فيها كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل فلنذكر
من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة اشارة الى
مجامعها من غير تطويل لحكاية التفصيل فقد خرق الله تع العادة على يده غير مرة
اذ شق له القمر بمكة لما سالته قريش آية واطعم النفر الكثير فى منزل جابر رضى الله عنه
وفى منزل ابى طلحة رض ايضا ويوم الخندق ومرة اطعم ثمانين من اربعة امداد
شعير وعناق وهو من اولاد المعز فوق العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من
اقراص شعير حملها انس رض بيده ومرة اهل الجيش من تمر يسير جاءت به بنت بشير
فى يدها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم ونبع الماء من بين اصابعه عم
فشرب اهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضؤا من قدح صغير ضاق ان يبسط عم
يده فيه واهراق وضوءه فى عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى فى بير الحديبية

فجا

فجاشتا بالماء فشرب من بئر تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من
بئر الحديبية الف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء وامر صلعم عمر رض ان يزود
اربع مائة راكب من تمر كان فى اجتماعه كربضة البعير وهو فى موضع بروكه فزودهم
كلهم منه وبقى بحسبه ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت اعينهم ونزل بذلك القرآن
الكريم فى قوله تع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وابطل الله تع بمبعثه الكهانة
فعدمت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذى كان يخطب اليه لما عمل له
المنبر حتى سمع جميع اصحابه رض مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن ودعى اليهود
الى تمنى الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا
عنه وهذه الآية مذكورة فى سورة يقراها فى جوامع اهل الاسلام من شرق الارض
الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التى فيها واخبر عم بالغيوب وانذر بان عثمان
رض يصيبه بلوى بعدها الجنة وبان عمارا تقتله الفية الباغية وان الحسن رض
يصلح الله تع به بين فيتين عظيمتين من المسلمين واخبر عم عن رجل قاتل فى سبيل
الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها اشياء لا تعرف
البتة بشئ من وجوه تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا بتكهن ولا بخط ولا بزجر البتة ولكن
باعلام الله تع له ووحيه اليه واتبعه سراقة بن جعشم فساخت رجلا فرسه فى الارض
واتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلقت قوايم الفرس وانذره بان سيوضع
فى ذراعيه سوارى كسرى فكان كذلك واخبر بقتل الاسود العنسى الكذاب ليلة قتله وهو
بصنعاء اليمن واخبر بمن قتله وخرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على
رؤسهم فلم يروه وشكى اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال لنفر من اصحابه رض
مجتمعين احدكم ضرسه فى النار مثل احد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل
مرتدا وقال لآخرين آخركم موتا فى النار فسقط آخرهم موتا فى نار فاحترق فيها
فمات ودعى شجرتين فاتتاه فاجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ودعى عم النصارى الى
المباهلة فامتنعوا واخبرهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا وآتاه

عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب فاتياه عازمين
على قتله عم فخيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد
بصاعقة احرقته واخبر عم انه سيقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا
لطيفا فكانت منيته واطعم السم فمات الذي اكله معه وعاش هو صلعم بعده اربع
سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر عم يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم
على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع واخبر عم بان طوائف
من امته يغزون في البحر فكان كذلك وزويت له الارض فرأى مشارقها ومغاربها
واخبر بان ملك امته سيبلغ ما زوي له منها فكان ذلك كما اخبر وبلغ ملكهم من اول
المشرق من بلاد الترك الى آخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا
في الجنوب ولا في الشمال كما اخبر عم سواء بسواء واخبر فاطمة رض انها اول اهله
لحوقا به فكان كذلك واخبر نساءه رض عنهن بان اطولهن يدا اسرعهن لحوقا به فكانت
زينب بنت جحش الاسدية رض اطولهن يدا بالصدقة واولهن لحوقا به ومسح ضرع
شاة حائل لا لبن لها فدرت فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود رض وفعل ذلك
مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه رض فسقطت فردها
عليه بيده فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي رض وهو ارمد يوم خيبر فصح
من وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه واصيبت رجل
بعض اصحابه رض فمسحها بيده فبرئت من حينها وقل زاد جيش كان معه عم فدعا
بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء
في العسكر الا ملي كله من ذلك وحكى الحكم بن العاص مشيته مستهزئا فقال عم فلتكن
كذلك فلم يزل يرتعش حتى مات من ارتعاشه وخطب صلعم امراة فقال ابوها ان بها برصا
امتناعا من خطبته واعتذارا ولم يكن بها برص فقال عم فلتكن كذلك فبرصت وهي
ام شبيب بن البرصاء الشاعر الى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلعم وانما اقتصرنا على
المستفيض ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم ان آحاد هذه الوقائع

لم ينقل

لم ينقل تواترا بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي رض وسخاوة
حاتم ومعلوم ان آحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علما ضروريا
ثم لا يتمارى في تواتر القرآن الكريم وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي
معجزة باقية سواه صلعم اذ تحدى بها رسول الله صلعم بلغاء الخلق وفصحاء العرب و
جزيرة العرب حينئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة صناعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم
وكان ينادي بين اظهرهم ان يأتوا بمثله او بعشر سور مثله او بسورة من مثله ان
شكوا وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله الآية وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل
ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا ان يقدحوا في جزالته
وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن و
عصرا بعد عصر وقد انقرض الى اليوم قريب من ستمائة سنة فلم يقدر احد على معارضته
فاعظم بغباوة من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في
معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان
ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما
اعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل الله تعالى ان يوفقنا
للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاحوال والاقوال بمنه وسعة جوده
انه سميع مجيب آخر كتاب اخلاق النبوة وبه تم ربع العادات وكنت شرطت في
اول الكتاب ان اقتصر في كل كتاب على آية وخبر واثر طلبا للايجاز فلما انتهيت
الى كتاب اخلاق النبوة رأيت ان انقله على وجهه من غير ان اسقط منه شيئا بل على
الترتيب الذي نظمه الامام حجة الاسلام رض تيمنا وتبركا بذكر افعال رسول الله صلعم
واقواله واخلاقه وسيرته ومعجزاته وخلقه وخلقه وحركاته وسكناته وقيامه و
قعوده واكله وشربه ليقتدي الطالب به في جميع احواله واحياء سنته فيستقيم
باطنه بمتابعته باعمال جوارحه ويحصل له حب الله تعالى بمتابعة رسول الله صلعم قال الله تعالى

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم لئلا يكون عمله متابعة
لهواه فتخسر تجارته ويحبط عمله فنسال الله تعالى ان يجعل تجارتنا رابحة وان يتغمدنا
برحمته انه ارحم الراحمين

كتاب عجايب القلب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام
على عباده الذين اصطفى اما بعد فان شرف الانسان وفضيلته باستعداده
لمعرفة الله التي هي في الدنيا جماله وكماله وفي الآخرة عدته وذخرته وانما استعد
للمعرفة بقلبه خاصة والقلب هو العالم بالله تعالى وهو العامل لله وهو الساعي الى الله
والمتقرب اليه وانما الجوارح اتباع وخدم يستخدمها استخدام الراعي للرعية والقلب هو
المقبول عند الله تعالى اذا سلم من غير الله تعالى وهو المحجوب عن الله تعالى اذا صار مستغرقا بغير
الله تعالى وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى
اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وباظلامه واستنارته تظهر محاسن
الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف
نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه
واذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بانفسهم وقلوبهم
وقد حيل بينهم وبينها ان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته
ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن ومن لم يعرف قلبه ليراقبه فهو ممن
قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين
واذ قد فرغنا من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو
العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات
وهو العلم الباطن فلا بد ان نقدم عليه كتابين كتاب في صفات القلب وكتاب في رياضة
القلب وتهذيب اخلاقه فنذكر من شرح عجايب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام
فان التصريح بعجايبه ما يكل عن دركه اكثر الافهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل

اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بها
واكثر الاغاليط منشاؤه الجهل بمعانيها واشتراكها بين مسميات مختلفة فنشرح

منها

منها ما يتعلق بغرضنا فالاول لفظ القلب فانه يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري
الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو موجود للبهايم ويرى بحاسة البصر
وبه يتعلق غرض الاطباء لا غرضنا بل هو موجود ايضا للميت والمعنى الثاني
لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة
الانسان وبيان تعلقها بهذا القلب الجسداني مما يخفى على اكثر الخلق والمقصود
انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وعلم المعاملة يفتقر
الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها فان ذلك من علوم المكاشفة
ولفظ الروح ايضا يطلق لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب وينتشر
بواسطة العروق الضوارب الى ساير اجزاء البدن وفيضانه يضاهي فيضان
نور السراج الذي يدار في زوايا البيت فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان
والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثاله حركة السراج
في جوانب البيت بتحريك محركه وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وبه يتعلق
غرض اطباء الابدان فاما اطباء الدين الذين يعالجون القلوب حتى تنساق الى
جوار رب العالمين فليس غرضهم شرح هذا الروح اصلا المعنى الثاني وهو اللطيفة
العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معنيي القلب وهو المراد بقوله
تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول
عن درك كنه حقيقته اللفظ الثالث النفس وهذا ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا
منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة وهذا الاستعمال
هو الغالب على الصوفية فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله
صلعم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هي اللطيفة التي ذكرناها وهي الانسان
بالحقيقة ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر
وزايلها الاضطراب بسبب الشهوات سميت النفس المطمئنة فاذا لم يتم سكونها ولكنها
صارت مدافعة للشهوات سميت النفس اللوامة فاذا اذعنت لطاعة الشهوات

والشيطان سميت النفس الامارة بالسوء فالنفس بالمعنى الاول مذموم غاية الذم
وبالمعنى الثاني محمودة لانها حقيقة الانسان العالمة بالله **اللفظ الرابع** العقل
وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما
قد يطلق ويراد به العلم بحقايق الامور ويكون عبارة عن صفة العلم الذي محله
القلب الثاني انه قد يطلق ويراد به محل الادراك فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة
فاكثر العلماء التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ فتراهم يقولون هذا خاطر العقل
وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وحيث ورد في الكتاب والسنة لفظ القلب
فالمراد به المعنى الذي يفقه من الانسان وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر للعلاقة
التي بينهما **بيان جنود القلب** وله جندان جند يرى بالابصار وجند يرى بالبصائر
اما جنده المشاهد بالعين فالحواس الظاهرة وهي خلقت مجبولة على طاعته وهو
متصرف فيها ويشبه هذا من وجه تسخر الملائكة لله تع فانهم لا يعصون الله ما امرهم
وكذلك الجوارح لا يعصون القلب الا ان الملائكة عالمون بطاعتهم والجوارح
لا خبر لها من انفسها وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى
المركب والزاد لسفره الى الله تع فانه لاجل ذلك خلق فمركبه البدن وزاده العلم
وهذه الاسباب توصله الى الزاد وتمكنه من التزود فافتقر الى تعهد البدن
وذلك يحصل بجندين ظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء وباطن وهو
الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب وظاهر وهو
اليد والرجل ويكمل ذلك بامور خارجة كالاسلحة وغيرها فالجنود الباطنة هي الشهوة
والغضب والادراك والمعرفة وغيرها وجملة جنود القلب يحصره ثلاثة اصناف صنف
باعث ومستحث الى جلب المنافع كالشهوة والى دفع المضار كالغضب وذلك هو
بالارادة الثاني المحرك للاعضاء الى التحصيل وهو القدرة والثالث هو المدرك
المتعرف للاشياء كالجواسيس وهو ادراك الظاهرة وله حواس باطنة وهي الذكر والفكر
والتخيل والحس المشترك والوهم **بيان امثلة القلب** مع جنوده اعلم ان جندي القلب وهما الشهوة

والغضب

والغضب قد ينقادان للمعاونة له على سلوك طريقه وقد يستعصيان عليه استعصاء
بغي وتمرد حتى ينقطع عن سفره الذي به سعادته وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة
والتفكر وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تع على الآخرين فان ترك الاستعانة
وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وذلك حال اكثر الخلق فان
عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم وكان ينبغي ان يكون الشهوة مسخرة لعقولهم
فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب ذلك الى فهمك بثلثة امثلة **المثال الاول** ان نقول
مثل قلب الانسان في بدنه كمثل وال في مدينته وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع
والعقل كالمشير الناصح والشهوة كالعبد السوء يجلب الطعام الى المدينة والغضب
كصاحب الشرطة والعبد الجالب للطعام كذاب مكار يتمثل بصورة الناصح وتحت
نصحه الشر الهايل وعادته منازعة المشير الناصح في كل تدبيره فان استشار الملك
بالمشير الناصح نجا وان استشار العبد السوء هلك فالصواب ان يؤدب الحمية الغضبية
فيسلطها على الشهوة حتى يردها الى طاعة الملك ويستعين باحديهما على الاخرى
تارة بان يقلل مرتبة الغضب بخلابة الشهوة وتارة يقمع الشهوة بتسلط الغضب عليها
المثال الثاني البدن كمدينة والعقل كملك مدبر والنفس والغضب كعدو وله وقواه المدركة
من الحواس الظاهرة والباطنة جنوده ينازعه فان جاهد عدوه فهزمه وقهره على
ما يحب حمد اثره وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء الله
تع والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلعم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر **المثال الثالث** العقل كفارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فاذا كان
الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما نجح وان كان بضد ذلك خسر
وهذه الاوصاف التي ذكرنا ما يشارك البهايم الآدمي ايضا فيها الا ان الآدمي
يتميز عنها بالعلم والارادة والعلم هو معرفة المصالح واستحالة المستحيلات وجواز
الجايزات والارادة هي التي تنبعث من باطن الآدمي عند رؤية المصلحة في شيء
وان كان فيه تعب وايلام وكذلك الصبي ينفك عنها في اول الفطرة وانما يحدث فيه

شيا فشيا الى حين البلوغ ثم يحصل بالكسب يوما فيوما وبعضها يحصل بالالهام
بعد تصفية القلب وذلك ايضا على مراتب على حسب زيادة العلم وبهذا يظهر سر
الآدمى اذ يستقر المدرك من الانسان فى القلب الذى هو وسط مملكته وتجرى
القوة الخيالية المودعة فى مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده وتجرى القوة
الحافظة التى مسكنها موخر الدماغ مجرى خازنه واللسان ترجمانه والحواس مجرى
جواسيسه من العوالم فيوديها الى البريد والبريد الى الخازن والخازن الى الملك
فيتصرف فيه كما يريد **بيان مجامع اوصاف القلب** وهى اربعة سبعية وبهيمية وشيطانية
وربانية فالغضب السبعية والشهوة والشرة البهيمية والعلم والاستعلاء الربانية
والشرير الشيطانية فالمجموع فى اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم و
المذموم صفاتهم لا اشكالهم فان كانت الغلبة للحكيم فقهرهم بحكمته وان كانت الغلبة
لهم قهروه فيكون فى عبادة الكلب والخنزير والشيطان واذا صار الاستيلاء
لهؤلاء صار السيد مملوكا فيحصل من طاعة خنزير الشهوة الوقاحة والتبذير
والريا والعبث والحرص والشماتة والحسد وغيرها ومن طاعة كلب الغضب يحصل
التهور والتكبر والعجب والاستهزاء ومن طاعة الشيطانية يحصل المكر والدهاء
والتلبيس فاذا حصل هذا كله فيه ينقهر الملك فاذا كان بعكسه يحصل فى القلب العلم
والحكمة والمعرفة على ما هى عليه واستحقاق التقدم بالجلال والقلب فى حكم مرآة و
تاثير هذه الصفات يظهر فيها اما اشراقا او تكديرا **بيان مثال القلب** بالاضافة الى
العلم فنقول محل العلم هو اللطيفة المدركة وهى بالاضافة الى حقائق المعلومات
كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير
وحصول مثالها فى المرآة غير فكذلك امور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس
الحقائق فى القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب والمعلوم عبارة عن
حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال فى المرآة كالقبض يستدعى
قابضا كاليد وقبضا ومقبوضا والمعلوم لا يحصل فى القلب بل حده وحقيقته

تلتقط الاخبار

يحصل كالمثال فى المرآة وكما ان المرآة لا ينكشف فيها الصور لخمسة امور احدها
نقصان صورتها مثل التدوير والتصقيل والثانى خبثها وكدورتها والثالث
كونها معدولا بها عن جهة الصورة والرابع حجاب مرسل بين الصورة والمرآة
والخامس الجهل بالجهة فكذلك القلب مرآة مجلوة ينكشف فيه حقائق الامور وانما
لا ينكشف لهذه الامور الخمسة اولها نقصان فى ذاته كقلب الصبى والثانى لكدورة
المعاصى والخبث والثالث ان يكون معدولا عن الجهة المطلوبة فان قلب المطيع وان
كان صافيا فانه ليس يتضح فيه حقيقة الحق لانه ليس يطلبه لانه ليس يصرف فكره الى التأمل
فى الحضرة الربوبية والرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهوته المتجرد لفكره قد لا
ينكشف له حقيقة الحق لاعتقاد سابق يكون ذلك حجابا له والخامس الجهل بالجهة فان
اقتناص العلوم المطلوبة النظرية لا يحصل الا على علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان
على وجه مخصوص فيحصل منهما علم ثالث كازدواج الفحل والانثى فالجهل بكيفية الازدواج
والعلمين يمنع حصول العلم الثالث مثاله اذا اراد الانسان ان يبصر قفاه يجعل مرآة
بحذائه فى مرآة وراء قفاه بحيث تبصرها ويرعى المناسبة بين المرآتين حتى تنطبع صورته
فى المرآة المحاذية ثم تنطبع صورة هذه المرآة فى المرآة الاخرى التى فى مقابلتها فتبصر
العين صورة قفاه فكذلك فى اقتناص العلوم ازورارات عجيبة فهذه الاسباب
هى المانعة والا فكل قلب بالفطرة صالح لمعرفة حقايق العلوم ولكن التصاريف تغيره
عن حاله وبقدر معرفة امور الملكوت يكون درجات العبد وقربه والايمان له
هذا على ثلاث مراتب ايمان العوام وايمان المتكلمين وايمان العارفين مثاله الصدق
لزيد فى الدار بالتقليد والرؤية وسماع الصوت ثم ان العلوم التى تحصل فى القلب
تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة الى دنيوية
واخروية والعقلية ما يقضى بها غريزة العقل والكسبية ما يحصل بالنظر والاستدلال
والتعلم فالقلب مثل العين والغريزة فيه مثل قوة البصر فى العين وتاخر العلوم عن
عين العقل فى مدة الصبا يضاهى تاخر الرؤية عن البصر حين وجود الظلمة الى ان يوجد الضياء

مقابلة

واما الدينية فمأخوذة من الانبياء عم وذلك يحصل بالتعلم وبه كمال صحة القلب كما مر والحال
فى الادوية فانها سبب صحة البدن ولكن خاصيتها لا يعرف الا من الاطباء ومجرد العقل
لا يهتدى اليه ولكن لا بد من العقل حتى يفهم كذلك ههنا والعلوم العقلية الدنيوية كالطب
والحساب والاخروية كاحوال القلب والعلم بالله تع وهما ضدان من تعمق فى احدهما لا يصل
قط الى كمال معرفة الآخر لانهما ككفتى الميزان والعلم الحاصل لا بطريق الكسب والاستدلال لل
العلماء منها ما يقع فى القلب من غير السبب ويسمى الهاما ومنها ما يكون بالاطلاع عليه وهو رؤية الملك ويسمى وحيا
وذلك لان القلب مستعد لتنقش العلوم فيه الا ان الحجب المذكورة يمنعه فاذا ارتفع الحجاب
حاذى القلب اللوح المحفوظ فظهر فيه العلوم ولهذا يميل الصوفية الى تصفية الباطن
ويقعدون للمراقبة والاعراض عن جميع الاكوان لتفرغ القلب ويرتفع الحجاب وان البطالين
وان كانوا يعتقدون فى هذا الا انهم يرونه كثير الآفات بعيد الوصول اليه ويعدون
مثله كمثل طلب الكنز بترك الكسب فليتمثل القلب كحوض محفور واليه سواق تجرى وهى الحواس فمن
سد السواقى وحفره من الاصل خرج منه ماء صاف لا ينقطع فنقول القلب له بابان الى
عالم الملكوت من داخل وباب الى عالم الملك من خارج ومن ثمة يحصل له العلم تارة
بالالهام والوحى والنوم وتارة يحصل بطريق الحواس والفرق بين الفريقين ان العلماء
يجتهدون بتحصيل العلوم وحفظها ودراستها والاولياء يشتغلون بتصفية الباطن
فاذا اصفا الباطن انطبع فيه ما يحاذيه كما حكى عن صناعة اهل الروم والصين و
حكاية معروفة الا انهم يتفاوتون فى تحصيل هذه العلوم فيكون درجاتهم على قدر
تفاوتهم وشواهد صحة هذا الطريق كثيرة مثل قوله تع والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وقوله تع ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقوله تع افمن شرح الله صدره للاسلام
وقول النبى صلعم فى حق ابن عباس رض اللهم فقهه فى الدين وقوله المؤمن ينظر بنور
الله تع وقوله عم ان من امتى لمحدثون ومكلمون وهذا كله يدل على صحة هذا
الطريق وكذلك لم يزل فى عصر الصحابة رض رجال يتكلمون على الخواطر والحكايات
فى هذا اكثر من ان يحصى الا ان المنكر ينكر الحكايات اما الذى لا يقدر ان ينكرها الرؤيا

والهندسة وغيرها

الصادقة

الصادقة فاذا جاز ان يكون ذلك فى النوم فيجوز ان يكون فى اليقظة ولم يخلو
عصر عن جماعة منهم **بيان تسلط الشيطان** بالوسواس وقد ذكرنا ان القلب له ابواب
ينصب اليها الاحوال من كل باب من الظاهر والباطن فما من حركة او ارادة الا
ويظهر فى الباطن من ذلك تأثير فيكون القلب ابدا فى التغير فالاول الخاطر للقلب وهو
يحرك الرغبة وهى تحرك العزم والنية وهى تحرك الاعضاء والمحرك خاطران خاطر خير و
خاطر شر وذلك يسمى الهاما وهذا وسواسا والداعى الى هذا ملك والى ذلك شيطان وتهيؤ
القلب من القبول من الملك يسمى توفيقا ومن الشيطان خذلانا فاذا اتبع القلب الهوى صار
عش الشيطان بواسطة الهوى فان جاهد الهوى والشهوة صار مشبها بالملائكة وصار
القلب مستقر الملائكة والقلب يتقلب فى الباطن فاذا مال الى جانب صار الاستيلاء لمن
مال اليه ملكا كان او شيطانا وفى هذا اشارة الى قوله عم قلوب العباد بين اصبعين
من اصابع الرحمن ولا يعرف هذه التقليبات الا المراقبون لقلوبهم ومن الخواطر ما يدعو
الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة ومنها ما يدعو الى الخير فلا يشك فى كونه الهاما ومنها ما
يتردد فيه فان الشيطان يعرض الشر فى معرض الخير وتمييزه غامض مثال ذلك للعالم
بطريق الوعظ فيقول الناس موتى من الجهل واحياؤهم امر عظيم فيدعوا الى الوعظ
ثم يدعوه الى التصنع والتزين لجلب الجاه فيهلك بسبب ذلك فحق على كل عبد ان يقف عند
كل خاطر حتى ينقدح له الخير بالنور ولا نجاة من الشيطان الا بسد الابواب وذلك بالمجاهدة
ظاهرا وباطنا وابواب الشياطين الى القلب كثيرة وباب الملائكة واحد فضاع الواحد
بين الكثير **تفصيل مداخل الشيطان الى القلب** اعلم ان القلب فى حصن عظيم وله ابواب وهى
مداخل الشيطان فمن لم يعرف الابواب لا يمكنه ان يدفع الشيطان عنه ومن ابوابه
العظيمة الغضب والشهوة والحسد والحرص والكبر وحب التزين فى الثياب والاثاث
والدار والشبع من الطعام والطمع والعجلة وترك التثبت والدرهم والدينار وسائر الاصناف
من الاموال والبخل وخوف الفقر والتعصب للمذاهب والاهواء والازدراء بالناس وحمل العوام
الذين لم يمارسوا العلم على التفكر فى ذات الله تع وسوء الظن بالمسلمين وابوابه اكثر من هذا

لان كل صفة ذميمة باب من ابوابه وكل هذه ابواب عظيمة وعلاجه سد هذه الابواب
بالكلية فالقلوب الخالية عن الصفات الذميمة يندفع عنها الشيطان بمجرد الذكر والمشوبة
لا يندفع عنها بذلك والعبادة مع بقاء هذه الصفات كشرب الدواء قبل الاحتماء فان قيل
من يرى الشيطان يرى صورته الحقيقة او مثال صورته وكيف يراه شخص في الشرق
وآخر في الغرب على صور مختلفة فنقول للملك والشيطان صورتان وهي حقيقة صورتهما
ولا يدرك ذلك الا بنور النبوة فما رأى النبي عم جبرئيل في صورته الا مرتين والمكاشفون
يرون بالبصائر في اليقظة والصالحون يرون في النوم الشياطين على صورة قبيحة
والملائكة على صورة جميلة على حسب كيفية الصفات وفي هذا اسرار عجيبة لا يليق بالمعاملة
بل يليق بعلم المكاشفة بيان ما يؤاخذ العبد من وساوس القلوب وما يعفى عنه وهذا امر
غامض وقد وردت فيه اخبار متعارضة فلا بد وان يكشف عنه فنقول اذا خطر له خاطر
يظهر له الميل الى فعل ذلك الخاطر ثم يصير اعتقادا ثم يصير هما فالخاطر لا يؤاخذ به و
كذلك الميل لانهما لا يدخلان تحت الاختيار فاما ما يكون اعتقادا ان تركه لله تع
فلا يؤاخذ به وان تركه بسبب آخر عارض غير عن الايمان به فيؤاخذ به فكيف لا يؤاخذ
باعمال القلوب والرياء والغل والحسد واكثر الصفات الذميمة اعمال الباطن بيان
ان الوسواس هل ينقطع بالكلية ام لا اعلم ان الخايضين في هذا افترقوا على خمسة
فرق فقالت فرقة الوسوسة تنقطع بذكر الله تع فقالت فرقة لا ينعدم اصله و
لكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب مشغول بالذكر وقالت فرقة ينعدم عند الذكر
في لحظة وينعدم ويتعاقبان في ازمنة متعاقبة يظن لتقاربها انهما متساويان كالكرة
وقالت فرقة الوسوسة والذكر يتساويان في القلب على الدوام ولا ينقطعان
لكن يرى في حالة واحدة بعينه شيئين وكل هذه المذاهب صحيحة ولكن كل واحد ينظر
الى نوع وسوسة ونحن نكشف عن ذلك فنقول الشيطان قد يلبس على الآدمي الحق
فيقول الصبر عن الشهوات واللذات طول العمر فيه تعب وتعذر فاذا ذكر الآدمي
عظيم حق الله تع وثوابه وعقابه تخنس وربما يكون وسواسه بشهوة فان علم يقينا انها معصية تخنس

الذكر به في لحظة صح

عن

عن التحريك ولا تخنس عن التهييج وان كان مظنونا فيبقى مؤثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة
تدفعه واذا كانت الوسوسة بمجرد الخواطر فاذا اقبل الآدمي على الذكر تصور ان يندفع
في الحال ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا وبعيد ان يندفع
هذا الجنس بالكلية حتى لا يخطر ولكنه ليس محالا بيان تقلب القلب اعلم ان القلب اذا
كان بهذه المثابة التي ذكرناها من انه ينابيع تجمع الحركات والخطرات فهو عبارة عن هدف
يصاب على الدوام من كل جانب او ريشة في فلاة تقلبها الرياح كيف يشاء فتارة
تحدثه الملك وتارة يحدثه الشيطان وهو يتحدث مع كل من تحدثه والقلوب في الخير
والشر والتردد فيها ثلثة قلب عمر بالتقوى وطهر عن خبايث الاخلاق فاذا انفتح
فيه خواطر الخير من الملك انصرف العقل الى التفكر فيها ليعرف دقايق الخير واسراره ليحكم
بفعله فينظر الملك اليه فيراه طيبا وصالحا للمستقر فعند ذلك يمده بجنود لا ترى
وبالهداية الى الخيرات على الدوام ويشرق فيه نور الحق فلا يخفى عليه الشرك الخفي
القلب الثاني المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث المفتوح اليه ابواب الشياطين
فاذا انفتح فيه خاطر الهوى نظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه فيكون العقل قد
الف خدمة الهوى فينشرح الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلمات الخناس لانحباس العقل
عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان ويرخي اليه زخرف القول ويضعف الايمان
لان دخان الهوى يعمي القلب القلب الثالث يبدا فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه
خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فينبعث النفس لنصرة خاطر الشر والعقل لنصرة خاطر
الخير يحمل الشيطان على العقل حملة فيميل اليه فيحمل الملك على الشيطان فيحمل فلا يزال
يتردد بين الجندين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كان الغالب على القلب
الصفات الشيطانية غلب الشيطان فمال القلب الى حزبه وان كان الغالب على
القلب الصفات الملكية مال الى حزب الله تع وظهرت الطاعة على ما سبق به القضاء
وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فهو متقلب ابدا واما الثبات على الدوام
مع حزب الملائكة او حزب الشيطان فنادر من الجانبين والطاعات والمعاصي يظهر من

وتذكر الاحوال الغائبة

الى الملك

خزاين الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء فلنقتصر على
هذا القدر من الاشارات الى عجايب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة والله
المستعان

كتاب رياضة النفس ومعالجة امراض القلب

اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد
المرسلين صلوات الله عليه وعليهم اجمعين وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق
شطر الدين والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة وهي الابواب
المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب
المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن وهذا النوع واجب تعلمه على كل ذي
لب اذ لا يخلو قلب من القلوب من اسقام لو اهملت تراكمت وظهرت العلل فيحتاج
العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها ثم الى التشمر في معالجتها وهو المراد بقوله
تع قد افلح من زكيها واهمالها هو المراد بقوله تع وقد خاب من دسيها ونحن نشير
الى جمل امراض القلوب وكيفية معالجتها على الجملة والتفصيل ياتي في بقية الكتب من هذا
الربع ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق المتغير بالرياضة ثم
بيان السبب الذي ينال به حسن الخلق ثم تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق وبيان
العلامات على امراض القلب وبيان شواهد النقل على ان الطريق للمعالجة ترك الشهوات
لا غير ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تع لنبيه صلعم مثنيا عليه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عايشة رض
كان رسول الله صلعم خلقه القرآن قال الله تع خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين ثم قال صلعم وهو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وجاء
رجل الى رسول الله صلعم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم
اتاه من قبل يمينه فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين
فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت
اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق

وقال انس رض ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه
اسفل درجة جهنم وهو عابد ق وقال عمر رض خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم
بالاعمال ق وقال الجنيد رض اربع ترفع العبد الى اعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم و
التواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني رض التصوف خلق
من زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف

بيان حقيقة حسن الخلق

اعلم ان الناس
قد تكلموا في الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته بل لثمرته ثم لم يستوعبوا
جميع ثمراته وانما ذكر كل واحد ما خطر له وذلك كقول الحسن رض حسن الخلق بسط الوجه
وبذل الندى وكف الاذى وقال بعضهم ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا
وقال ابو عثمان رح هو الرضى عن الله عز وجل وسئل سهل عن الخلق فقال ادناه
الاحتمال وترك المكافات والرحمة للظالم والاستغفار له وقال مرة ان لا تتهم
مولاك في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفاء بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في
جميع الامور فيما بينك وبين الخلق فقال الخراز رض هو ان لا يكون لك همة غير الله تع
وقال الحسن بن منصور هو ان لا يوثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق فهذا وامثاله
تعرض لثمرات الخلق لا لنفسه وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة
فنقول الخلق والخلق عبارتان يستعملان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي
حسن الظاهر والباطن ويراد بالخلق الصورة الظاهرة وهي منسوبة الى الطين
قال الله تع اني خالق بشرا من طين ويراد بالخلق الصورة الباطنة وهي منسوبة
الى الله تع قال الله تع فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والمراد بالنفس والروح
في هذا المقام واحد والخلق عبارة عن هيئة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة
فان كان الصادر حسنا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر قبيحا سميت
الهيئة خلقا قبيحا سيئا وههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني
القدرة عليهما والثالث المعرفة بهما والرابع هيئة النفس التي تميل الى احدهما
اما الحسن او القبيح وكمال الخلق عبارة عن هذه الهيئة وكما ان حسن الصورة الظاهرة

مطلقا لا يتم الا بتناسب اجزاء صورة الوجه فكذلك الباطن لا بد من الحسن في الامور الاربعة
حتى يتم حسن الخلق وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل اما قوة
العلم فحسنها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب والحق والباطل
فاذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة قال الله تع ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان تصير انقباضها وانبساطها على حد ما يقتضيه الحكمة
وكذلك قوة الشهوة تكون باشارة الحكمة واما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب و
الشهوة فان اعتدلت هذه الصفات فهو حسن الخلق مطلقا وان اعتدل بعضها دون البعض
فهو حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض
فحسن قوة الغضب واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة فاذا مالت الى طرف الزيادة
يسمى تهورا وان مال الى النقصان يسمى خورا وجبنا وحسن قوة الشهوة واعتدالها
يعبر عنها بالعفة فان مالت الى طرف الزيادة يسمى شرها وان مالت الى النقصان
يسمى جمودا والحكمة يسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبثا ويسمى تفريطها
بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة
الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ولكل واحد من الحكمة والشجاعة والعفة وسط
وهو محمود وطرفان هما رذيلتان مذمومتان والعدل ليس له طرفان بل له ضد واحد
هو الجور والمحمود من هؤلاء الوسط والطرفان رذيلتان واصول محاسن الاخلاق
هذه الصفات الاربعة والكل صادر من هذه الصفات والناس متفاوتون في اعتدال
هذه الصفات والكمال كان للنبي صلعم وكل من قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب الى الله
تع وينبغي ان يكون ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه واذا كان ضد ذلك فهو بعيد من
الله تع قريب من الشيطان فالايمان بالله تع ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال
ترجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط
العقل وهذا الاعتدال **بيان** قبول الاخلاق للتغير بالرياضة اعلم ان من غلبت البطالة عليه يستثقل
المجاهدة فيقول الاخلاق لا يمكن تغيرها كما ان الخلق لا يمكن تغييره فنقول لو كانت الاخلاق

لا يقبل

لا يقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات وكيف واخلاق البهائم تقبل التغير
كالصيد ينقل من التوحش الى الانس وجميع البهائم على ما لا يخفى ولنكشف الغطاء ونقول
كل ما لا مدخل لاختيار الآدمي في اصله كالسماء والكواكب والاعضاء فهو كامل
حاصل وقع الفراغ من وجوده وكل ما وجد وجودا ناقصا وجعل قوة كماله
بوجود شرط اذا وجد يكمل فقد يرتبط باختيار العبد حصول شرطه فان النواة
ليس بتفاح ولا نخل الا انه خلق خلقة يمكن ان يصير نخلا ان تضاف اليه التربية ولا
يصير تفاحا اصلا بالتربية وكذلك الغضب والشهوة لو اردنا قمعهما بالكلية لم نقدر
ولو اردنا قهرهما بالرياضة قدرنا عليه **بيان علامات** مرض القلب وعوده الى الصحة فنقول
مرض الجوارح بان يفوت من كل جارحة المعنى الذي خلقت للانتفاع بها فيه فكذلك
مرض القلب بان يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والمعرفة وحب
الله تع وايثاره على جميع الشهوات فكل قلب كان شيء احب اليه من الله تع فهو مريض
كمرض المعدة لاختيار الطين على الخبز الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها وان عرفها
صعب عليه الصبر على مرارة دوائها وان وجد قوة الصبر لم يجد الطبيب الحاذق لاندراس
هذا الفن فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا وعلامة عوده الى الصحة هو ان ينظر
الى العلة بعد المعالجة مثلا اذا كان داؤه بخلا فعلاجه بذل المال ولكن قد يبذل
حتى يصير مبذرا وذلك ايضا داء فيحفظ الوسط بين الاقتار والتبذير بحيث ان لا يميل
الى احد الجانبين ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من
الشعر فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة
والناس في ذلك متفاوتون فكذلك في الآخرة فليجتهد الانسان في القرب منه **بيان** الطريق
الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه اعلم انه اذا اراد الله تع بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه فمن كملت عليه بصيرته لم يخف عليه عيوبه واذا عرف امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق
جاهلون يرى احدهم القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في عينه فمن اراد الله ان
يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق الاولى ان يصحب شيخا بصيرا بعيوب النفس حتى

يوفر والثاني ان يطلب صديقا صادقا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه الا انه في هذا الزمان
قد عز وجود الصديق الخالي من آفات الثالث ان يستفيد عيبه من لسان اعدائه الرابع ان
يخالط الناس فكل ما يراه مذموما ينسبه الى نفسه بيان شواهد النقل من ارباب البصاير وشواهد
الشرع على ان طريق معالجة القلوب بترك الشهوات وقد ثبت ان طريق معالجة القلوب
بترك الشهوات بالآيات والاخبار والآثار قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى وقال
رسول الله صلعم المؤمن بين خمس شدايد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله
وشيطان يضله ونفس تنازعه وقال الحسن رض ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد
من نفسك واعلم ان حاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في
القبر الا بقدر الضرورة فانه لو تمتع بشيء من المباحات استأنس به واذا لم يقتصر على
قدر الضرورة يالف الشهوات ويكره الموت ويتمنى الرجوع الى الدنيا في القبر
والناس اربعة رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا للضرورة فهو
من الصديقين والثاني من استغرق الدنيا قلبه فهو من الهالكين والثالث من
اشتغل بالدين والدنيا ولكن الغالب عليه الدين فلا بد من وروده النار الا انه
ينجو سريعا والرابع ان يكون الغالب عليه الدنيا فيبقى اكثر ويطول مقامه في النار وفطم
النفس عن المالوفات وان كان يصعب في الابتداء لكنه اذا اصبر عليه مدة يسهل عليه
كالصبي والبازي وغير ذلك من الدواب والوحوش والاصل فيه ان يترك كل واحد
ما به فرحه من الدنيا ثم يعتزل ويشتغل بالمراقبة والاستيناس بذكر الله تعالى الى الموت
بيان علامات حسن الخلق فليطالب نفسه بالاخلاق التي حكيت عن المشايخ رض ويتفكر في
الآيات والاخبار الواردة في هذا المعنى فان وجد نفسه كذلك فليجتهد بها بالعمل ولا يغتر
بنفسه انه حصل حسن الخلق فيقعد عن المجاهدة فان حسن الخلق درجة رفيعة لا ينالها
الا المقربون وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق
وسوء الخلق قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الآية وقال تعالى التائبون العابدون الآية وقال
تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية وقال تعالى وعباد الرحمن الذين

الذين هم في صلواتهم خاشعون

يمشون

يمشون على الارض هونا فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات ووصف
رسول الله صلعم المؤمن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق بقوله المؤمن يحب لاخيه
ما يحب لنفسه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وقال عم اكمل
المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وجمع بعضهم علامات حسن الخلق وهو ان يكون كثير الحياء
قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول
برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا
ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في
الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله هذا هو حسن الخلق بيان رياضة
الصبيان في اول النشوة فان جوهرهم نفيس ساذج قابل لكل خير فاول ما يجب على ولي الولد
ان يستعمل في حضانته وارضاعه امرأة صالحة دينة تأكل الحلال واذا بدت منه
مخايل التمييز يحسن مراقبته ويؤدبه في اكل الطعام بان يأخذ بيمينه ويسمي الله تعالى عليه
وان يأكل مما يليه ولا يبادر اليه ولا يحدق الى من يأكل ولا يسرع في الاكل ولا يلطخ يده
ولا ثوبه ولا يكثر الاكل ويمدح بين يديه من يأكل قليلا ويذم من يلبس الثياب الملونة
ويحفظ عن قرناء السوء ويشغله في المكتب بقراءة القرآن والاخبار وحكايات
الابرار ويمنعه من اشعار العشق وان خالف في بعض الاحوال يتغافل عنه ولا يظهر
انه تجاسر فان عاد يعاتبه سرا ولا يكثر عليه العتب حتى لا يهون عنده ويعوده
التواضع والبذل ويمنعه عن الاخذ وان يبتدي بالكلام وان يذكر الفحش واللغو
ولا يسامحه في ترك الطهارة والصلوة ولبس الحرير فعند البلوغ يثبت ذلك في
نفسه وان اهمله يكون نشوه بخلاف ذلك بيان مقدمات المجاهدة وتدريج المريد
في السلوك وقل ذلك اليوم لقلة الطالبين وعدم المرشدين فاندرس هذا الفن
وتراكمت الحجب والحجب بين المريد وبين الحق سبحانه اربعة المال والجاه والتقليد
والمعصية ويرتفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه ويرتفع حجاب الجاه بالبعد
عن موضع الجاه وتعاطي اعمال ينفر منها قلوب الخلق ويرتفع حجاب التقليد بان

تيرك التعصب للمذاهب و يرتفع حجاب المعصية بالتوبة و الخروج من المظالم و العزم
على ترك العود فاذا فعل هذا كله يكون كمن توضأ و يريد ان يصلي فيطلب شيخا و يسلم
اليه نفسه و يعتقد ان نفعه في خطأ شيخه لو اخطأ اكثر من صوابه لو اصاب و يجب على الشيخ
ان يحصنه بار بعة حصون بالخلوة و الصمت و الجوع و السهر اما الجوع فانه ينقص دم القلب و
يبيضه و يذيب شحم الفؤاد حتى يحصل له الرقة و هي مفتاح المكاشفة و السهر يجلو القلب و يصفيه
و الصمت يلح القلب و يجلب الورع و يعلم التقوى و الخلوة فايدتها دفع الشواغل و ضبط
السمع و البصر فانهما دهليز القلب و القلب مثاله مثال حوض ينزح منه الماء و لا ينزح الا بالخلوة
في مكان مظلم ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق اما ترى يا ايها المزمل و يقتصر على الفرايض
و الرواتب و يشغل الذكر و يواظب عليه باللسان حتى يقع في قلبه فيسقط حركة اللسان
و يكون الكلمة جارية على قلبه فلا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ و يبقى
حقيقته لازما للقلب و يراقب و ساوس القلب و يدفعها عن قلبه حتى لا يشغله عن الذكر
فان وقع اشكال او شبهة يشتغل بالذكر و تخليه الى الله تعالى حتى يقذف في قلبه من النور
ما يكشف له حقيقته و يعرض الكل على شيخه و الشيخ ايضا ينبغي ان يلطف به في مواضع
الاخطار فكم من مريد اشتغل بالبطالة لخيال فاسد وقع له و من لم يحم منه ذلك فينبغي
ان يشتغل بخدمة هؤلاء لعل بركاتهم تشمله و منتهى الرياضة ان يجد قلبه ابدا مع الله تعالى
فعند ذلك ينكشف له جلال الحضرة الربوبية و اعظم القواطع له عند ذلك الوعظ بان
يلبس عليه الشيطان بانك تفضل لله تعالى فيوقعه في جلب الجاه ثم يجره الى حسد الاقران
ثم يجره الى شيء بعد شيء و الله المستعان كتاب كسر الشهوتين البطن و الفرج و قد ورد
اخبار كثيرة في مدح الجوع و ذم الشبع يطول بذكرها الكتاب منها قول رسول الله صلعم
جاهدوا انفسكم بالجوع و العطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله و انه ليس من
عمل احب الى الله تعالى من جوع و عطش و قول عمر بن الخطاب رض اياك و البطنة فانها ثقل
في الحيوة و نتن في الممات بيان فوايد الجوع لعلك تقول اذا كان فايدة الجوع ايلام المعدة
فينبغي ان يكون كل ما يولم مفيدا فيكون بمثابة من يقول اذا كان نفع الدواء المرارة

فينبغي ان يكون كل مر نافعا و ليس كذلك بل الشفاء لخاصية في الدواء لا يعرفها الا
الاطباء فكذلك النفع لخاصية في الجوع و الجوع ينفع سواء عرف وجه النفع او لم يعرف
و نحن نكشف ذلك لمن يريده فنقول في الجوع عشر فوايد الاولى صفاء القلب و نفاذ
الفكر و نفاذ البصيرة الثانية رقة القلب و صفاؤه التي تتهيأ بها لادراك لذة
المناجات الثالثة الانكسار و الذل و زوال البطر الرابعة ان لا ينسى بلاء الله تعالى و عذابه
و لا ينسى اهل البلاء و به يذكر عذاب الآخرة الخامسة كسر شهوة المعاصي كلها و الاستيلاء
على النفس و اقل ما يندفع به شهوة الفرج و شهوة فضول الكلام و جميع معاصي الاعضاء
السبعة السادسة دفع النوم و دوام السهر السابعة تيسير المواظبة على العبادة فان
كثرة الاكل يحتاج الى زمان في تحصيله و غسل اليد و شرب الماء و الطهارة و غيرها الثامنة
صحة البدن التاسعة خفة المؤنة العاشرة ان يتمكن من الايثار و الصدقة و تشعب من
كل فايدة من هذه الفوايد فوايد لا تنحصر فالجوع خزانة عظيمة لفوايد الآخرة بيان
طريق كسر شهوة البطن فنقول للمريد في بطنه و ماكوله اربع وظايف الاولى لا ياكل
الا الحلال و ثلث وظايف في تقدير الطعام بالقلة و الكثرة الاولى في تقدير الطعام
و سبيل الرياضة فيه التدرج فينقص قليلا قليلا حتى يحتمل غراضه يرد نفسه الى قدر القوام
الذي لا يبقى دونه و هو عادة الصديقين الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم
و الليلة الى نصف مد و يشبه ان يكون ثلث البطن الدرجة الثالثة ان يردها الى مقدار
المد الدرجة الرابعة ان يزيد على المد الى المن و ما وراءه اسراف و ههنا طريق خامس و هو ان ياكل
اذا صدق جوعه و يقبض يده و هو على شهوة صادقة و لكن هو موضع الغلط الوظيفة
الثانية في وقت الاكل و مقدار تأخيره و فيه ايضا درجات الدرجة العليا ان يطوي
ثلاثة ايام فما فوقها الدرجة الثانية ان يطوي يومين الى ثلاثة و هذا قريب الثالثة
و هي ادناها ان يقتصر في اليوم و الليلة على اكلة واحدة و ما جاوز ذلك فهو اسراف
و ان اقتصر في اليوم على اكلة فيستحب ان ياكل سحرا الوظيفة الثالثة في نوع الطعام و ترك
الادام و اعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترف و اوسطه شعير منخول و ادناه

شيء لم يخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناها الملح والخل واوسطها المزورة بالادهان
ولا يأكل اللحم على الدوام ولا يدام على الشبع ولا يجمع بين شهوتين والمطلوب من الجوع
الوسط لان غاية الجوع ايضا يشوش القلب وليس المقصود منه التشويش الا انه لما
كانت النفوس مايلة الى الاكل فالشرع مدح الجوع والمشايخ اخذوا انفسهم بالجوع المولم
حتى عودوا انفسهم الصبر عليه وامكنهم الوقوف على حد الاعتدال وانما يمتنع من
ملازمة الجوع اما صديق او مغرور اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط
المستقيم والمغرور لظنه بنفسه انه صديق والتقدير في الطعام انما هو بمجاهدة والا
فرسول الله صلعم ما كان له وقت معلوم للاكل بيان آفة الريا المتطرق الى من
يترك الشهوات ويدخل على تارك الشهوات آفتان هما اعظم من اكل الشهوات احدهما
ان لا يقدر على ترك الشهوات فيشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف انه يشتهيها فيخفي
ويأكل في الخلوة وهذا هو الشرك الخفي بل ينبغي ان يظهرها فان طلب الشهوة وكتمانها
نقص آخر فيكون بمثابة النفاق فانه اغلظ من الكفر والعارفون يبتلون بالشهوات
ولا يبتلون بالريا والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه
الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلوب الخلق حتى لا يتشوش عليه حاله فان نهاية الزهد
في الزهد باظهار ضده من اعمال الصديقين وربما دلس عليه الشيطان وقال ان
اتبعت شهوتك اقتدى بك غيرك الآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوات ولكن
يفرح ان يعرف بذلك فقد خالف شهوة ضعيفة واطاع شهوة هي شر منها وهو طلب الجاه
فليأكل فانه اولى له فانه يكون هربا من العقرب الى الحية القول في شهوة الفرج وقد
ركب الله تعالى شهوة في الآدمي لشيئين احدهما ان يكون انموذج لذة الآخرة فان
لذة الوقاع لو دامت كانت اشد اللذات الثاني لبقاء النسل ولكن فيها
من الآفة ما يهلك الدين والدنيا اذا لم ترد الى حد الاعتدال والشهوة لها افراط
وتفريط واعتدال فالافراط ما يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء والجواري فيحجم
عن سلوك طريق الآخرة وربما يؤدي الشهوة الى العشق ويكون فيه ذل وعبودية

نقص

الوقاع

والعشق

والعشق منبعه الشهوة المفرطة فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والاولاد
حتى اللعب بالطيور ومثال من يكسر العشق في ابتداء امره كمن يصرف عنان دابته عن
الدخول في الدار فانه يسهل عليه ولكن اذا دخل نصفها ويريد ردها بان يجاذبها
يصعب عليه والتفريط بالعنة وذلك ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلة ومطيعة
للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها بيان ما على المريد في التزويج والمريد ينبغي
ان لا يشتغل بالتزويج فانه يأنس الى امرأة ولا يحصل له الانس بالله تعالى ولا يغره
كثرة نكاح رسول الله صلعم فانه كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان احتراقه فيه الى حد
كان يخشى ويخاف في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه ولذلك كان صلعم
يضرب يده على فخذ عايشة رض احيانا فيقول كلميني يا عايشة ليشغله بكلامها عن
عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى
في المعرفة هذا اذا لم يغلبه الشهوة واما اذا غلبت ولم تنكسر بالجوع ولا يقدر على
حفظ العين او يتفرق همه وقلبه او قدر على حفظ عينه عن النساء ولكن لم يقدر عن
الصبيان فالنكاح اولى له ومن يتأثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يفرق بينه وبين
الملتحي فلا يجوز له النظر اليه ولست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه
التفرقة كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء وشجرة يابسة وماء صاف وماء كدر و
لذلك لا يشتهي ملامسة الازهار ولا تقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي ومهما كان
بخلافه فهو نظر شهوة وهو حرام فآفة النظر الى الاحداث عظيم ومهما احتاج الى
النكاح ينبغي ان لا يترك شرط الارادة في ابتداء بالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق و
سداد امره والقيام بالحقوق الواجبة وان ينكح فقيرة متدينة بيان فضيلة من يخالف
شهوة الفرج والعين وذلك انه ان ترك ذلك لعجز او خوف او محافظة على حشمة فليس فيه
ثواب وان تركها خوفا من الله تعالى وهو قادر عليها عند صدق الشهوة فهذه درجة
الصديقين قال النبي عم من عشق فعف وكتم ومات فهو شهيد وقد ورد في فضله
اخبار وآثار كثيرة وكذلك من يمكن من قضاء شهوة العين لان مبدا الزنا حفظهم

النظر

وهو عيب من حيث انه يستهان به والآفات كلها تنشأ منه ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم تم كتاب كسر الشهوتين كتاب آفات اللسان اعلم ان خطر اللسان
عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت ولذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه قال صلعم
من صمت نجا وقد ورد في الصمت وفضيلته اخبار وآثار كثيرة تركناها خشية التطويل
دائما فلنا فضل الصمت كثير لان اللسان متعود للكلام والفحش والهذيان ومايوذي
الناس سباقة الى اللسان ولها حلاوة في القلب والطبع يحث عليها والشيطان يعينه فاذا
خاض في الكلام قل ما يقدر ان ينفيه عما لا يعنيه والكلام اربعة اقسام قسم ضرر محض
فلا بد من السكوت عنه وقسم فيه ضرر ونفع فلا يفي النفع بالضرر وقسم لا ضرر فيه ولا
نفع فهو فضول والاشتغال به تضييع للزمان وهو عين الخسران والرابع نفع محض
ولكن فيه خطر اذ يمتزج به ما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع وغيرهما وفي الكلام الذي
يصدر من الآدمي عشرون آفة الاولى الكلام فيما لا يعنيه قال ابو ذر قال رسول الله
صلعم لي الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال
هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وذلك ان الآدمي أمر في الدنيا بتحصيل الدرجات
في كل وقت من اوقات الزمان والنفس عليه ان يحصل درجة فاذا صرفه الى الكلام فيما
لا يعنيه وان لم يكن عليه اثم لانه مباح الا انه ضيع وقته ويكون عبثا من يمكنه ان يحصل
في وقت درة فتركها وحصل مدرة وذلك غبن عظيم وقد ورد في ذلك اخبار وآثار
كثيرة مثل ان تسأل غيرك ما ليس عنده فانه ربما يخبر فيكون في كلامه زيادة او نقصان
او لا يشتهي ان يخبر فيكذب او يسأله عن مسئلة لا تحتاج اليها ولا يدري فلا يسمح نفسه بان يقول
لا ادري فيجيب عن غير بصيرة وتكون انت السبب في هذا كله فيحصل لك الاثم وليس هذا من قبيل
الكلام فيما لا يعني فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما الكلام فيما لا يعنيه هو التكلم
فيما لا ضرر فيه ولا اثم ومن كان حريصا على تزجية الوقت بحكايات لا فائدة فيها فعلاجه
ان يذكر الموت ويعلم انه مسؤول عن كل كلمة ومن حيث العمل العزلة او يلزم نفسه السكوت
حتى يتعود اللسان ذلك الثانية فضول الكلام وهو ايضا مذموم وذلك انه اذا اراد ان

فهذه آفات كثيرة

يتكلم بكلام يعنيه ويمكنه ان يتكلم بكلام مختصر ففي الاطناب فيه آفات وفيه تضييع للوقت
وزيادة على الحاجة وهو مذموم وقد ورد فيه آثار كثيرة الثالثة الخوض في الباطل كحكاية
احوال النساء ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء ومراسمهم المذمومة فان الخوض في
ذلك كله حرام اما الخوض فيما لا يعني او اكثر ما يعني فتركه اولى فانه يجر الى الخوض في الباطل
وقد ورد فيه اخبار وآثار قال صلعم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها
ابعد من الثريا ويدخل في هذا الخوض حكايات البدع والمذاهب الفاسدة وما جرى من
قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن وكل ذلك باطل الرابعة المراء والمجادلة وذلك منهي عنه
وقد ورد فيه اخبار وآثار كثيرة قال النبي صلعم من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا
في الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له بيتا في ربض الجنة وقال انس رض ليس هذا
الجدال من الدين بشيء وحد المراء كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ
او في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار عليه فكل كلام سمعته ان كان حقا
فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والمجادلة عبارة
عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه والباعث على هذا هو الترفع
باظهار الفضل واظهار نقص الغير وهو مقتضى التجبر والسبعية فهاتان صفتان مذمومتان
وقوتهما المراء والمجادلة وربما يجر الى الايذاء والقدح والحقد والتهارش فيجعل ترك
المراء عادة حتى يتخلص منه واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد بطريق النصح
في الخلوة فان لم يقبل النصح يتركه وكل من تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه
ووجد لنفسه عزا وقبولا تقوت فيه هذه المهلكات فلا يملك نزوعها ولا يستطيعه اذ
اجتمع عليه شيطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات
يشق مجاهدتها فكيف مجموعها الخامسة الخصومة وهي ايضا مذمومة وهي وراء المراء
والجدال الطعن في كلام الغير من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير والخصومة لجاج
الكلام ليستوفي مالا او حقا مقصودا قال صلعم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل
في سخط الله حتى ينزع وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله فقال ما يجلسك قلت خصومة

بيني وبين ابن عم لي عذرى يداً واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رأيت شيئاً اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال عرفت انه حقي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منك شيئاً هو لك فان قلت اذا كان للانسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه فاقول الذم لمن يخاصم في الباطل او بغير علم مثل وكيل القاضي الذي يتوكل في الخصومة من اي جانب كان قبل ان يعرف الحق في اي جانب او يخلط بخصومة ما فيه الايذاء والقدح والعناد واما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وعناد وايذاء فعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه فانه لا يمكنه ان يضبط لسانه فيؤدي كلامه الى توغر الصدور وتهيج الغضب واقل ما يفوته في الخصومة الكلام الطيب الذي فيه ثواب عظيم السادسة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه على ما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم قال النبي صلعم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلساً الثرثارون والمتفيهقون المتشدقون وقال عمر رض ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وقد ورد فيه اخبار وآثار كثيرة ولا يدخل في هذا ما يكون من تحسين اللفظ في الخطبة والتذكير فانه يحرك القلوب ويشوقها وهو المقصود واما في المحاورات فالحامل عليه الرياء واظهار الفصاحة وهو مذموم السابع الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهي عنه ومصدره الخبث واللوم قال رسول الله صلعم اياكم والفحش فان الله تع لا يحب الفحش والتفحش وقد ورد فيه اخبار وآثار كثيرة وحده وحقيقته التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارات الصريحة وهذه العبارات متفاوتة فبعضها افحش من بعض ولذلك ينبغي ان يكنى عن البول والتغيط بقضاء الحاجة وكذلك لا يصرح بلفظ البرص والبواسير والقرع وغيرها لمن به ذلك بل يقول العارض الذي يشكوه وما يجري مجرى ذلك فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان والباعث عليه الايذاء او الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وكذلك السب فان السباب شيطان الثامنة اللعن اما لحيوان او لجماد او للانسان وذلك مذموم قال عمران

رض بينما رسول الله صلعم في بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلعم خذوا ما عليها فاعروها فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يتعرض لها احد واللعن عبارة عن الطرد والابعاد عن الله وذلك جائز على الكفار والظلمة وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان فيه خطراً عظيماً لانه حكم على الله تع والصفات المقتضية للعن ثلاثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحد ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن باوصاف الخصوصية كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى وبعد المذاهب الملعونة من القدرية والخوارج والروافض او على الزناة والظلمة وذلك جائز ولكن في لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة والثالثة اللعن على الشخص وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع فان ثبت لعنه في الشرع يجوز كفرعون وهامان وابي جهل لانه ثبت انهم ماتوا على الكفر واما شخص بعينه في زماننا وهو كافر فلعنه فيها خطر لانه ربما يسلم فيموت مقرباً الى الله تع وكل من لم يعرف منه انه مات على الكفر فلا يجوز لعنته ولا يجوز ان يرمي مسلم بكفر او فسوق ما لم يتحقق التاسعة الغناء والشعر واما الشعر فكلام وحسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال صلعم لان يملي جوف احدكم قيحاً حتى يريه خير من ان يملي شعراً وقد ورد فيه اخبار وآثار كثيرة العاشرة المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدر يسير يستثنى عنه وهو ما هو مطايبة وانبساط والافراط فيه والمداومة عليه منهي عنه لانه اذا كثر يسقط المهابة ويورث كثرة الضحك وربما يورث الضغينة ومزح رسول الله صلعم ولكن ما ذكر الا الصحيح الحق وقد ورد فيه اخبار وآثار كثيرة قال النبي عم اني امزح ولا اقول الا حقاً ومن جملة المزاح حرفته ثم اخذ بفعل النبي صلعم وهو كون يد ورمح الزنوج ابدا ينظر الى اللعب ويحتج بان رسول الله صلعم اذن لعايشة رض في النظر الى الزنوج في يوم عيد وهو خطأ وغلط عظيم وخطأ فاحش الحادية عشر السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما كان

موذيا ومعنى السخرية الاستحقار والتنبيه على العيوب على وجه يضحك منه وقد يكون
ذلك بالمحاكات بالفعل والقول وقد يكون بالاشارة واذا كان بحضرة المستهزأ به
لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قال النبي عم ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم
باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك
حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فلا يأتيه وقد ورد فيه اخبار وآثار كثيرة وذلك
تارة يكون بان يضحك على الكلام او على الخط او على صنعته او على صورته الثانية عشر
افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال
النبي صلعم اذا احدث الرجل بحديث ثم التفت فهي امانة وقد ورد فيه اخبار كثيرة
وافشاء الخيانة وهو حرام ان كان فيه اضرار ولوم ان لم يكن فيه اضرار الثالثة عشر
الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير
الوعد خلفا وذلك من امارات النفاق قال الله تع يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود
وقد ورد فيه اخبار كثيرة الرابعة عشر الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب
وفواحش العيوب قال النبي صلعم لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا
وقد ورد فيه اخبار كثيرة بالردع والزجر وآثار بيان ما رخص فيه من الكذب والكذب
في تخليص الشخص من القتل واجب وفي اصلاح ذات البين مباح والرجل يحدث امرأته
والمرأة تحدث زوجها والرجل يقول في الحرب لكن ينبغي ان يحترز عنه ما امكن ومهما
امكنه ان يؤدي الكلام على وجه لا يضر بطرف الصدق فلا رخصة له في الكذب وانما الرخصة
عند الضرورة وقد ورد في الرخصة فيه في هذه المواضع اخبار وآثار وكذلك ان اخذه
ظالم وسأله عن ماله او سأله عن فاحشة ارتكبها فله ان ينكر وان سئل عن سر اخيه فله ان
ينكر ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور
فينبغي ان يقابل احدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط والمفتي لا رخصة له في ان يفتي
فيما لا يعلم وكذلك ترغيب الناس في الطاعات بوضع الاخبار حرام وفي المواضع التي رخصنا
الكذب ان امكنه التعريض لا يجوز التصريح فان التعريض اقرب ولكن عند الضرورة ايضا

ومن

ومن الكذب ما لا يوجب الفسق كما جرت العادة في المبالغة كقولك قلت لك كذا
مائة مرة ويكون مقصوده المبالغة ومما يتساهل به اذا قيل كل الطعام فقال لا اشتهيه
وهو يشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام وكذلك ان قال يعلم الله فيما لا يعلم وربما يكون في
حكاية في المنام وفيه اثم عظيم الخامسة عشر الغيبة وقد ورد في مذمتها آيات
واخبار كثيرة قال الله تع ولا يغتب بعضكم بعضا الآية وقال النبي صلعم اياكم والغيبة
فان الغيبة اشد من الزنا لان الرجل قد يزني فيتوب ويتوب الله عليه وان صاحب الغيبة
لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال قتادة رض ذكر لنا ان عذاب القبر ثلثة اثلاث
ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وحد الغيبة ان تذكر اخاك بما
يكرهه لو بلغه سواء ذكر نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله
او في دينه او في دنياه وحتى في ثوبه وفي داره ودابته فاذا ذكرت فيه شيئا
من هذه الوجوه وانت صادق فيه فانت مغتاب آكل لحمه والغيبة تارة
باللسان وتارة بالاشارة والايماء والغمز والرمز والكتابة والحركة وكل ما
يفهم منه المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام واما اذا قال قال قوم كذا فليس ذلك
بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي او ميت ومن الغيبة غيبة القراء فانهم يفهمون
المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود
فلا يدرون لجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثل ان يقول الحمد لله
الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان ومقصوده ان يفهم عيب الغير فيذكره وكذلك
قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات
ويمدح نفسه ويزكيها بالتشبه بالصالحين المتعففين عن الغيبة وهكذا يفعل الشيطان
يلعب بالجهال اذا لم يكن لهم علم فيحبط بمكايده عملهم ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة و
التصديق للغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب الا ان ينكر بلسانه فان قدر على
القيام او قطع الكلام عليه لزمه فان قال بلسانه اسكت وهو يشتهي بقلبه فذاك نفاق
الا ان ينكر بقلبه ولا يكفي ان يشير اليه باليد او الحاجب اسكت بل ينبغي ان يعظم فيذب عنه صريحا

وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضله اخبار كثيرة والبواعث على الغيبة احد عشر
شيئا ثمانية تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة اما الثمانية فالاول
تشفي الغيظ بحقد او غضب فيحمله على ذكر مساويه والثاني موافقة الاقران فانهم يتفكهون
بذكر اعراض الناس فيرى انه لو انكر استثقلوه فيساعدهم فيرى ذلك من حسن المعاشرة
الثالث ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه فيبادره قبل ان يقبح
حاله فيطعن فيه ليسقط اثر كلامه الرابع ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ منه فينسب الى
غيره او يشاركه فيه ليتمهد عذره فيه الخامس التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص
غيره السادس الحسد بان يريد زوال نعمة فيقدح فيه السابع اللعب والهزل الثامن
السخرية والاستهزاء استحقارا له ومنشأه التكبر واما الاسباب الثلثة التي في
الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها شرور الشيطان في معرض الخيرات الاول
ان ينبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطاء في الدين فيقول ما
اعجب ما رأيت من فلان فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه
ان يتعجب ولا يذكر اسمه واثم من ذلك ان يقول عجبت منه كيف يجلس بين يدي فلان
وهو جاهل الثاني الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني
امره فيكون في ذلك صادقا ولكن بذكر اسمه يكون مغتابا الثالث الغضب لله فانه
قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه فكان من الواجب
ان لا يظهر على غيره الا عليه فهذه الثلثة يغمض دركها على العلماء فضلا عن العوام بيان
العلاج الذي يمنع من الغيبة اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما يعالج بمعجون العلم والعمل
وانما علاج كل علة بمضادة سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما
على الجملة والآخر على التفصيل اما الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تع بغيبته بالاخبار
المروية ويعلم انه يحبط حسناته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تع وينفعه ان يتفكر في
نفسه فان وجد بها عيبا اشتغل بعيب نفسه ويعذر غيره كما يعذر نفسه في العجز
اما التفصيل فهو ان ينظر الى السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها

فصار بذكر اسمه مغتابا

وقد

وقد ذكرنا الاسباب فيعالج كل واحد بضده وغيبة القلب ايضا حرام وهو سوء
الظن مثل سوء القول وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك
ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك واما الخواطر وحديث النفس فمعفو عنه وكذلك
الشك معفو عنه ولكن المنهي عنه الظن والظن عبارة عما تركن النفس اليه ويميل اليه
القلب ولا يجوز ان يعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان وثبت يقينا و
الاعذار المرخصة في الغيبة ستة الاول التظلم والثاني الاستعانة على تغيير المنكر الثالث
الاستفتاء بان يقول فعل فلان في حقي كذا وظلمني فكيف طريقي في الخلاص و
الاولى ان لا يذكره الرابع تحذير المسلمين من الشر ولكن ينبغي ان يكون الباعث
الحق الصحيح الخامس ان يكون الشخص معروفا بعيبه ويفصح عنه كالاعمش والاعرج فلا اثم
على من يقول السادس ان يكون مجاهرا بالفسق ولا يستنكف ان يذكر به بيان
كفارة الغيبة اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على فعله ليخرج
من حق الله تع ثم يستحل المغتاب ليحله ويستحله وهو حزين نادم وان كان غايبا فينبغي
ان يستغفر له ويدعو له ويكثر من الحسنات الآفة السادسة عشر النميمة وقد قال الله
هماز مشاء بنميم وقال عبد الله بن المبارك رض ولد الزنا لا يكتم الحديث اشار الى
ان كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة يدل على انه ولد الزنا وقد ورد في ذمه
آيات واخبار كثيرة وحد النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول
اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء
كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا او نقصانا على المنقول
عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر عما يكره كشفه بل كل ما يراه الانسان من احوال
الانسان ينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فايدة لمسلم او دفع معصية والباعث
على النميمة اما ارادة السوء للمحكي عنه او ارادة الحب للمحكي له او التفرج بالحديث والخوض
في الفضول فمن قال الشخص فلان قال في حقك كذا او يريد يفعل فعليه ستة امور الاول
ان لا يصدقه لان النمام فاسق الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه الثالث ان يبغضه

وسوء الظن

في الله تع فانه بغيض عند الله تع الرابع ان لا يظن باخيه الغايب السوء الخامس ان لا يحمله ما
حكي له على التجسس والبحث السادس ان لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته فيقول قد
يحكي كذا وكذا فيكون به نماما ومغتابا والنمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق بصداقته لانه لا
ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس
والخديعة وهو ممن يسعى في قطع ما امر الله تع به ان يوصل والسعاية هي النميمة الا انها اذا
كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد ورد في مذمة الساعي اخبار وآثار
كثيرة **الآفة السابعة عشر** كلام ذي اللسانين يتردد بين المتعادين ويكلم كل واحد بكلام
توافقه وقل ما يخلو عنه من يشاهد متعادين وذلك عين النفاق قال رسول الله صلعم
من كان له لسانان في الدنيا كان له لسانان من النار يوم القيامة واتفقوا على ان
ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وقد ورد فيه اخبار وآثار كثيرة فاما اذا دخل على
متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا اللسانين فان
الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الآخر
فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط وان
لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه او وعد كل
واحد منهما بانه ينصره او اثنى على واحد منهما في معاداته واذا خرج ذمه فهو ذو لسانين
فان صدقه فيما يقول او حرك راسه في معرض التوبيخ فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان
لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه **الآفة الثامنة عشر** المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع
والمدح يدخله ست آفات اربع في المادح واثنان في الممدوح اما المادح فهو انه قد يفرط
فيه فينتهي به الى الكذب الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح يظهر الحب وقد لا يكون
له الثالثة انه قد يقول ما لا يحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه الرابعة انه قد يفرح الممدوح
وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز اما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث
فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان الثاني انه اذا اثنى عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن
نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشميره وقد ورد فيه اخبار وآثار كثيرة وينبغي ان يكون

الممدوح شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه الا بان يعرف
نفسه ويتامل في خطر العاقبة ودقايق الرياء وآفات الاعمال ولو انكشف له جميع
اسراره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح باذلال المادح **الآفة
التاسعة عشر** الغفلة عن الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله تع وصفاته
ويرتبط بامور الدين فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن ذلك ولكن الله تع
يعفو عنه لجهله مثاله ما قال النبي عم لا تقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل
ما شاء الله ثم شئت وقال ابرهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان
يقول اعوذ بالله ثم بك وقال ابرهيم رض اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له
يوم القيمة حمارا رأيتني خلقته خنزيرا رأيتني خلقته وقال رسول الله صلعم لا يقولن
احدكم عبدي امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي و
فتاي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي وقال عم من قال
انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع
الى الاسلام سالما فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع
ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه لم يسلم وعرف سر قوله صلعم
من صمت نجا **الآفة العشرون** سؤال العوام عن صفات الله تع وكلامه وعن الحروف
وانها قديمة او حادثة وحقهم الاشتغال بما في القران الا ان ذلك يثقل على النفوس
والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ يخيل اليه الشيطان
انك من العلماء ولا يزال الحب له ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها
العامي فهو اسلم من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وهو كسؤال سياسة
الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وقد ورد في النهي عنه اخبار كثيرة
والله اعلم **كتاب آفة الغضب والحسد** والحقد اما بعد فان الغضب شعلة نار مستكنة في
الفواد استكنان الجمر تحت الرماد من نار الله الموقدة ويستخرجها الكبر الدفين من قلب
كل جبار عنيد والانسان ينزع منه عرق الى الشيطان فمن استقربه نار الغضب فقد

قويت فيه قرابة الشيطان لان الشيطان خلق من النار وشانه الاشتعال والآدمي
من الطين وشانه السكون ومن نتايج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك
وقد ورد في ذم الغضب آيات واخبار كثيرة قال الله تع اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم
الحمية حمية الجاهلية فذمهم بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل وقال
رسول الله صلعم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال بعضهم لابنه يا بني لا
يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فاقل الناس غضبا
اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان حلما وعلما قال
وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والحرق والشهوة والطمع بيان حقيقة
الغضب اعلم ان الله تع لما خلق الحيوان معرضا للفساد باسباب داخلة في بدنه واسباب
خارجة عن بدنه انعم عليه بما يدفع عنه الفساد الى اجل معلوم اما السبب الداخل فهو انه ركبه
من الرطوبة والحرارة وجعل بينهما عداوة فلا تزال الحرارة تجفف الرطوبة حتى يتصاعد
منها البخار فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل يفسد الحيوان وخلق الله تع
الغذاء موافقا لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل
به في جبر ما انكسر ليكون حافظا له عن الهلاك واما الاسباب الخارجة التي يتعرض لها
الانسان فكالسيف والسنان وغيرهما مما يقصد به فافتقر الى قوة وحمية تثور من
باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزها في الانسان فمهما
قصد في غرض من اغراضه اشتعل نار الغضب وثار ثورانا يغلي بها دم القلب وينتشر
في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما يرتفع النار فلذلك ينصب الى الوجه حمرة اذا
كان الغضب على من يعلم انه يقدر عليه اما اذا كان على من لا يقدر عليه تولد منه انقباض الدم
الى باطن القلب وصار حزنا فلذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك فيه تردد
الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ثم ان الناس في هذا على ثلث طبقات في
اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد هذه الصفة او ضعفها
وهو مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك قال الشافعي رض من استغضب فلم

يغضب فهو حمار واما الافراط فهو ان يغلب هذه الصفة حتى يخرج من سياسة العقل و
الدين ولا يبقى للمرء معه بصيرة وفكرة بل يصير كالمضطر وسبب غلبته امور غريزية وامور
اعتيادية وهو مخالطة من يتبجح بطاعة الغضب ويسمي ذلك شجاعة ويفتخر به ومهما اشتد
نار الغضب اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة وان استضاء بنور عقله لم يقدر فانه ينطفي
نور العقل بدخان الغضب لانه يصعد الى الدماغ ويستولي على معدن الفكرة وربما
يتعدى الى معادن الحس فيظلم عينيه حتى لا يرى شيئا فيكون دماغه ككهف فيه سراج
ضعيف فاضطرب فيه نار فامتلات من الدخان وانطفى السراج فلا يثبت قدم
فلا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفاء النار بل ينبغي ان يصبر حتى تحرق جميع ما يقبل
الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ فيكون السفينة في متلاطم الامواج
ارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال على تسكينها اما القلب
فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ولو راى الغضبان
قبح صورته في حالة الغضب لسكن غضبه حياء والظاهر عنوان الباطن فقس هذا على
ذلك فاثره في اللسان الشتم وفي الاعضاء الضرب والتهجم والجرح وقد يضرب يده
بالارض ويعدو ودربما يضرب الجمادات والحيوانات واما اثره في القلب مع المغضوب
عليه فالحسد والحقد واضمار الشر وهتك الستر وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الغضب
المفرط وثمرة الحمية الضعيفة قلة الانفة مما يانف منه واحتمال الذل وصغر النفس وهذا
ايضا مذموم ومن فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ يتم ذلك بتسليط الغضب على
الشهوة ففقد الغضب مذموم والمحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث
حيث يجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة بيان
ان الغضب هل يمكن ازالة اصله ام لا فنقول ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا
يخلو عن الغيظ والغضب فانه ان اخذ منه محبوبه يغضب وان قصد بمكروه يغضب الا ان
ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت و
المسكن والملبس وصحة البدن فاذا قصد بشيء من هؤلاء يغضب الثاني ما ليس ضروريا

لاحد كالجاه والغلمان والدواب والمال الكثير فانه يغضب على من يقصدها وان كان
لا يحتاج اليه في الحال وهذا يمكن ازالته لان حب تلك ليس بضروري الثالث ما يكون ضروريا
في حق بعض دون بعض كالكتاب مثلا ضروري للعالم وكذلك ادوات الصناعات
في حق المكتسب فانهم يغضبون على من يأخذ ذلك منهم ونذكر الرياضة في كل قسم من هذه
الاقسام الثلاثة اما الاول فليست الرياضة فيه لان ينعدم غيظ القلب ولكن لتقدر ان
لا يطيع الغضب فاما قمع اصل الغيظ وذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن وهذا حكم القسم الثالث
ايضا واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن
اخراج حبه عن القلب بان يزهد في الدنيا ومن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء
كلها من الله تعالى لا يغضب في شيء لكن له ساعة وهي قوية فاتت فلا يغضب على احد
وغلبة هذا التوحيد لا يدوم بل يكون كبرق ومهما اشتغل القلب بمهم او غلبه التوحيد
او علم ان الله تعالى يحب منه ذلك ينطفي غيظه وعلاج كل علة بحسم موادها والاسباب المهيجة
للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة
الحرص على فضول المال والجاه والخلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب محال فلا بد
من ازالة هذه الاسباب باضدادها ومن اشد البواعث عند الجهال تسميتهم الغضب شجاعة
ويتأكد بحكاية شدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة وتسميته عزة نفس
جهل بل هو مرض قلب وضعف فهم ونقصان عقل ولهذا ان المريض اسرع غضبا من
الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل وسيء الخلق من حسن الخلق ويعالج هذا من الجاهل
بحكايات اهل العلم والعفو وما ذكرناه حسم لمواد الغضب حتى لا يهيج فاذا هاج
يعالج عند ذلك بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور الاول التفكر في الاخبار المروية
في فضل كظم الغيظ والعفو والاحتمال وهي كثيرة قال النبي عم من كظم غيظا ولو شاء
ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه امنا وايمانا الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله تعالى
الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام الرابع ان يتفكر في قبح صورة
غيره في حال غضبه وقبح الغضب ومشابهة صاحبه بالكلب الضاري الخامس ان يتفكر

في السبب الذي يدعوه الى الانتقام وهو قول الشيطان له ان هذا يحمل على العجز وضعف
النفس فيقابله بالاحتمال والحذر من خزي يوم القيمة وغير ذلك السادس ان يعلم
ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله تعالى فكيف يقول مرادي
اولى من مراد الله واما العمل فان يقول بلسانه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا امر الرسول صلعم فان لم يزل فليجلس ان كان قائما وليضطجع ان كان جالسا و
يطلب بذلك السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فان لم
يزل فليتوضأ وليغتسل وقد ورد في كظم الغيظ آيات واخبار كثيرة وآثار
وفضيلة الحلم اكثر من كظم الغيظ لانه تحلم وفيه اخبار كثيرة والحلم كمال العقل قال
صلعم وابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتحلم على من جهل عليك قال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله تعالى مدح
به نفسه **بيان القدر** الذي يجوز التشفي به من الكلام وكل ظلم صدر عن شخص لا يجوز
مقابلته بمثله فالغيبة لا يجوز مقابلتها بمثلها ولا التجسس ولا السب وكذا سائر المعاصي
وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهى النبي صلعم عن التعيير نهي تنزيه والاولى
تركه والذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان ومثل قوله
يا جاهل ويا احمق ويا سيء الخلق ولو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني
وامثال ذلك اما السب واللعن والنميمة والغيبة والكذب فحرام بالاتفاق فهذا القدر الذي
ذكرناه اباحه النبي صلعم وغيره من الصحابة وهو رخصة في الابتداء جوابا عن ايذائه السابق
وجزاء عليه فلا يتعدى الرخصة من هذا القدر والافضل تركه والناس في الغضب
اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وفي الخبر المؤمن سريع الغضب
سريع الرضا وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهو شرهم ومنهم بطيء الغضب بطيء
الرجوع ومنهم بطيء الغضب سريع الرجوع فذلك خيرهم ولما كان الغضب في الحال يهيج
في كل احد وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا عند غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب
واعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجزه عن التشفي في الحال يرجع الى الباطن ويحتقن فيه فيصير

حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له وان يدوم على ذلك ويبقى وقال
رسول الله صلعم ليس المؤمن بحقود والحقد من ثمرة الغضب وهو يثمر ثمانية امور الاول
الحسد بان تتمنى زوال نعمته الثاني الشماتة بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره و
تصارمه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له
الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من غيبة وافشاء سر وبهتان السادس ان تحاكيه
استهزاء به السابع ايذاؤه بالضرب وبما يولم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم
وقضاء دين وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية
ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله تعالى به ولكن تستثقله بالباطن حتى تمتنع عن القيام بحاجته
والثناء عليه ومواساته وكل ذلك مما ينقص درجة في الدين والاولى ان تبقى على ما كنت عليه
فان امكنك مراغمة للشيطان فهو مقام الصديقين ولا تظلمه ولا تستخفه لانه هو الجور
وان تجازيه على قدر حقه فهو العدل وقد ورد في فضيلة العفو آيات واخبار كثيرة
ان تستحق حقا فتسقطه وتبرئ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذا
افردناه والرفق ايضا محمود وهو من نتيجة حسن الخلق وضده العنف وهو من نتيجة
الغضب ولا يحسن الخلق الا بضبط ثمرة الغضب وقوة الشهوة على حد الاعتدال
وقال رسول الله صلعم لعائشة رض انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا
والآخرة وقد ورد في مدحه اخبار كثيرة **بيان الحسد وحقيقته** فنقول الحسد من
نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب وله من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد
في ذمه خاصة اخبار وآثار كثيرة قال النبي صلعم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب وقال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هو الحسد حسد ابليس لآدم حين امر ان
يسجد له فحمله الحسد على المعصية وفيه قيل كل العداوة قد ترجى سلامتها الا عداوة
من عاداك في الدين وحقيقة الحسد ان تحسد على نعمة فاذا انعم الله تعالى على اخيك بنعمة تتمنى حسدا
فله كراهة النعمة وحب زوالها من المنعم عليه والحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولكن
تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وقد يختص باسم المنافسة في عرف الشرع وقد يسمى المنافسة

حسدا

حسدا والحسد منافسة وقد يوضع احد اللفظين بدل الآخر ولا حرج في الاسامي اما الاول فهو
حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجرا او كافرا وهو يستعين بها على ايذاء الخلق فلا
يضر كراهيتك لها ومحبتك لزوالها لانها آلة الفساد لا من حيث انها نعمة قال النبي
صلعم المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقد ورد فيه آيات واخبار والمنافسة
ليست بحرام بل هي اما واجبة او مباحة او مندوبة وهي مشتقة في اللغة من النفاسة
والذي يدل على اباحة المنافسة قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فان
كانت المنافسة في الايمان والصلوة فهي واجبة وان كانت النعمة من الفضائل
كانفاق المال في المكارم والصدقات كانت المنافسة مندوبة وان كانت نعمة
يتنعم بها في المباح فالمنافسة مباحة وههنا دقيقة وهو ان الشخص اذا ايس عن ان
ينال تلك النعمة ويرى ذلك نقصا يحب ان يزول عن محسوده ايضا حتى يساويه
لو ردّ الله تعالى الامر اليه لسعى في زوال النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان
كان يردعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه ذا المراتب فاربع الاولى ان تحب زوال النعمة
وان كانت لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث الثانية ان تحب زوال تلك النعمة اليه لرغبته
فيها مثل رغبته في دار حسنة او ولاية ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه الثالثة
لا يشتهي عينها بل يشتهي مثلها لنفسه فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر بينهما تفاوت
وهذه فيها مذموم وغير مذموم الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا
يحب زوالها وهذا الاخير هو معفو عنه **بيان اسباب** الحسد والمنافسة اما المنافسة
فسببها حب ما فيه المنافسة ان كان امرا دنيا فهو حب الله تعالى وحب رسوله صلعم وطاعته
فان كان دينويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم بها واما الحسد المذموم فمداخله
كثيرة ولكن يحصر جملته سبعة ابواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من
فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها السبب الاول
العداوة فان من اذاه انسان ترسخ في نفسه الحقد وهو يقتضي التشفي والانتقام
فيتمنى نعمته ويفرح بانتفائها الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره

الثالث ان يكون فى طبعه ان يتكبر عليه فيستصغره ويتوقع منه الانقياد له ومن
هذا كان حسد الكفار لرسول الله صلعم الرابع التعجب وهو ان يتعجب بان مثله يقوم
بمثل ذلك كقول الامم الماضية لانبيائهم ما انتم الا بشر مثلنا الخامس الخوف من فوت المقاصد
وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد ومن هذا الجنس تحاسد الضرات والاخوة
وغيرهم السادس طلب الجاه وهو ان يريد الرجل ان يكون عديم المثل فى فنه السابع
خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى من غير سبب والحسد انما يكثر بين اقوام تجمعهم روابط
ويجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف
واحد صاحبه فى غرض من اغراضه نفر طبعه عنه فلذلك ترى العالم يحسد العالم
دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر والاسكاف
يحسد الاسكاف وذلك لان كل واحد مزاحم لصاحبه فى حرفته فلهذا اكثر تحاسد تم
ثم حسد الواعظ الواعظ اكثر من حسده للفقيه لان التزاحم بينهما على مقصود اخص
فاصل المحاسدات العداوة والتزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين
بل يجمع متناسبين اما معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه عم فلا
يكون فيها محاسدة فانه لا مزاحمة فيها لانه بحر واسع لا ضيق فيه ولا يتصور استيفاؤه
ولا يتصور ان يكون فى الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة فى الدنيا مزاحمة لان
الجنة لا مضايقة ولا مزاحمة فيها بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق
سجين فعليك ان كنت بصيرا ان تطلب نعمة لا مزاحمة فيها ولذة لا تكدر لها ولا يوجد
ذلك فى الدنيا الا فى معرفة الله تعالى والعلم بصفاته وافعاله فان كنت لا تشتاق
الى لذة النكاح والصبى الى لذة الرياسة ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف
لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك **بيان الدواء** الذى ينفى
مرض الحسد عن القلب ومداواته بالعلم والعمل والعلم النافع ان تعرف تحقيقا ان
الحسد ضرر عليك فى الدين والدنيا ولا ضرر على المحسود بل ينتفع به فى الدين والدنيا
فاذا عرفت ذلك ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة وضرره

عليك

عليك فى الدين تعرضك لسخط الله تعالى ومفارقة اولياء الله تعالى ومشاركة ابليس والضرر
فى الدنيا انك تتالم بحسدك وتتعذب به ولا تزال فى كمد وغم ولم تزل عنه النعم بغمك
ولو لم تكن تؤمن بالبعث لكان من الواجب ان تخلى الحسد لهذه الخصلة ومقصود العدو
منك ان تكون ابدا فى غم وحزن بسبب نعمته وهو فى راحة وسرور ثم لم تقتصر على مراد
عدوك حتى ادخلت السرور فى قلب ابليس لانه فرح بك لانك لا تريد باخيك خيرا فتكون
شريكه فيه وتحبه فيحشر معه فما اقنط ابليس بان يزيل محبته عنك حتى بغضه اليك وحملك على الاثم
فمثل الحاسد مثل من يرمى عدوه بحجر ليقتله فيرجع اليه ويقلع عينه فيزيد غضبه فيرمى اخر
فيرجع اليه ويكسر راسه فلا يزال يرمى حجرا بعد حجر حتى يهلك نفسه ويبقى عدوه سالما واما
العمل النافع فهو ان كل ما يامرك الحسد به تفعل ضده حتى ان امرك بالقدح فيه تثنى عليه وان
حملك على التكبر عليه تتواضع له وتعتذر اليه وان حملك على كف الانعام تنعم عليه ومهما تكلفت
ذلك احبك المحسود واذا ظهر حبه تعود عن الحسد وتحبه ويتولد منه الموافقة التى تقطع مادة الحسد
فيصير ما تكلفته طبعا لك فهذه ادوية الحسد وان كانت مرة الا انها نافعة ومن لم
يصبر على مرارة الدواء لا يجد الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعنى التواضع
للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعانى التى ذكرناها وعزة
النفس عن ان يكون فى العالم شىء على خلاف مرادها ولا مطمع فى ان يكون ما يريد
وفوات المراد ذل ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون
ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه
واما الثانى فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل
هذا هو الدواء الكلى واما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة
النفس وشدة الحرص على ما لا يغنى وسياتى تفصيل هذه الاسباب فى مواضعها فانها
مواد هذا المرض ولا ينقلع المرض الا بقلع المادة وما ذكرناه لا يحصل به الا تسكينه
وتطفئته **بيان القدر** الواجب فى نفى الحسد عن القلب اعلم ان المؤذى ممقوت بالطبع
ومن اذاك لا يمكنك ان لا تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها

مداواة

حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله فلا يزال يدرك فى النفس بينهما تفرقة ولا
يزال الشيطان ينازعك فى الحسد له فان ظهر الحسد على ظاهرك بقول او فعل فانت حسود
عاص وان كففت ظاهرك الا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس فى نفسك كراهة لهذه
الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب واما الفعل فهو غيبة وكذب
وهو عمل صادر عن الحسد بل محل الحسد القلب نعم هذا الحسد ليست مظلمة تجب الاستحلال
منها بل هى معصية بينك وبين الله تعالى واذا كففت ظاهرك والتزمت مع ذلك قلبك كراهة
ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما فى طبعها فتكون
تلك الكراهة من جهة العقل فى مقابلة الميل من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك
ولا يدخل تحت اختيارك فى اغلب الاحوال اكثر من هذا واما تغيير الطبع فى ان يستوى
عندك المؤذى والمحسن فلا يكون الا بعد ان تصير مستغرقا بحب الله تعالى وذهب ذاهبون الى
انه لا يأثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه والله اعلم

كتاب ذم الدنيا

اما بعد فالدنيا
عدوة لله ولاولياء الله وعدوة لاعداء الله تعالى فعداوتها لله انها لم ينظر اليها
منذ خلقها ولاولياء الله تعالى لانها قطعت الطريق على عباد الله تعالى وتزينت لهم
بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها وعداوتها لاعداء الله تعالى انها استدرجتهم
بمكرها ومكيدتها حتى عولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها واحرمتهم السعادة
ابد الآباد فاذا اعظمت غوائلها فلا بد من معرفة ذمها ومعرفة حقيقتها وما الحكمة
فى خلقها وما مداخل غرورها وشرورها والآيات فى ذم الدنيا وامثلتها
كثيرة واكثر القرآن يشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة
بل هو مقصود الانبياء عليهم السلام ولم يبعثوا الا لذلك وفى ذلك اخبار وآثار كثيرة روى
ان رسول الله صلعم مر بشاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على صاحبها
قالوا نعم قال والذى نفسى بيده الدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها
ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال
على رضه من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف

الله تعالى فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل
فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وان الدنيا سريعة الفناء
وقريبة الانقضاء ومثالها الظل فانه متحرك غير ساكن متحرك فى الحقيقة ساكن فى
الظاهر لا يدرك حركتها بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة

مثال آخر

الدنيا من حيث
التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها يشبه خيالات المنام واضغاث
الاحلام واعلم ان طبع الدنيا التلطف فى الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك
آخرا وهى كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم وهى مزينة الظواهر قبيحة البواطن
وهى تشبه عجوزا مزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها ندموا وخجلوا
من الاغترار بظاهرها وشهوات الدنيا فى القلب لذيذة كشهوات الاطعمة فى النعم
وستجد كراهة نتنها عند الموت كما تجد للاطعمة اللذيذة كراهة فى المعدة اذا
بلغت غايتها وكلما كان الطعام الذ واكثر دسما كان رجيعه اشد نتنا وكذلك
الشهوات

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها فى حق العبد

فنقول دنياك وآخرتك
عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الدانى منها يسمى دنيا وهى كل ما
قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهى ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ونهوة
ولذة فى عاجل الحال فهى الدنيا فى حقك ولكن جميع ما لك اليه ميل وفيه نصيب فليس
بمذموم بل هو ثلاثة اقسام

الاول

ما يصحبك فى الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت
وهو شيئان العلم والعمل فقط واعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته
وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمواته وشريعة نبيه محمد صلعم واعنى بالعمل
العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير الذ الاشياء عنده
وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم
العقوبات عليه وكل حظ عاجل فاسم الدنيا يطلق عليه من حيث الاشتقاق
من الدنو ولذلك قال رسول الله صلعم حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء
وقرة عينى فى الصلوة فجعل الصلوة فى جملة ملاذ الدنيا

الثانى

وهو المقابل له

على الطرف الاقصى وهو كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة فى جملة الرفاهية
كالتنعم بالقناطير المقنطرة والخيل المسومة والغلمان والجوارى ولذائذ
الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها هى الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او فى محل
الحاجة نظر طويل وهو متوسط بين الطرفين كل حظ فى العاجل معين
على اعمال الآخرة بقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه
للانسان من بقاء القوة والصحة التى يتوصل بها الى العلم والعمل وهذا ليس من
الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول وكل ما تناوله العبد على قصد
الاستعانة على العلم والعمل ليس من الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة
على التقوى التحق بالقسم الثانى ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات
صفاء القلب وطهارته وهو يحصل بالكف عن شهوات الدنيا والانس بذكر الله
وهو يحصل بذكر الله تعالى كثيرا وحب لله تعالى وهو يحصل بالمعرفة والمعرفة تحصل بدوام
الذكر وهذه الثلاث هى المنجيات المسعدات بعد الموت ولا ينال ذلك الا بصحة
البدن وصحة البدن لا ينال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب
فالقدر الذى لا بد منه من هذه الثلاثة اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم
يكن من ابناء الدنيا وكون الدنيا فى حقه مزرعة للآخرة وان اخذه لحظ النفس
على قصد التنعم عرض نفسه للعذاب ان كان ذلك من الحرام فان كان من المباح
فعلى قدر ما يحتاج يقف فى الموقف للحساب وتفوته الدرجات ويتحسر اذا نظر
الى اقرانه وقد سبقوه بسعادة دينه ولهذا اختار الانبياء عم والاولياء
الفقر والبلاء فى الدنيا ونهوا النفس عن الهوى ومجامع الهوى خمسة امور وهى
ما جمعه الله فى قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى
الاموال والاولاد والاعيان التى تحصل منها هذه الخمسة سبعة تجمعها قوله
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا وقد عرفت

ان

ان كل ما هو لله تعالى بقدر الضرورة فليس من الدنيا وكل ما هو ليس من الضرورة فهو
تنعم الدنيا وقدر الحاجة ليس له حد مخصوص وكل ما يحتاج اليه لتعهد بدنك ليقويك
على سلوك الطريق بالعلم والعمل فهو ليس من الدنيا اذ لا بد من تعهد البدن وابقاء
قوته ليعين على السلوك **بيان ماهية الدنيا** فى نفسها واشغالها اعلم ان الدنيا
عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله فى اصلاحها شغل فهذه
ثلاثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة
التى الدنيا عبارة عنها فهى الارض وما عليها فالارض فراش للآدميين ومهاد
ومسكن وما عليها لهم ملبس ومطعم ومنكح ومشرب وجميع ما على الارض ثلثة اقسام
المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمى للاقتيات والمعادن
يطلبها للآلات والاوانى والنقد الى غير ذلك واما الحيوان فينقسم الى الانسان
والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها للمأكل وظهورها للمركب اما الانسان فقد يطلب
الآدمى ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم كالغلمان او يتمتع بهم كالجوارى والنسوان
ويجمع ذلك قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية فهذه هى اعيان الدنيا الا ان
لها مع العبد علاقتان علاقة مع القلب وهو حبه لها وانصراف همه اليها حتى يصير
قلبه كالعبد والمحب المستهتر بها ويدخل فى هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة
بالدنيا كالكبر والغل والغش والحسد وغيرها فهذه هى الدنيا الباطنة واما الظاهرة
فهى الاعيان التى ذكرناها العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه
الاعيان ليصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهى جملة الصناعات والحرف التى يشتغلون
بها والخلق انما نسوا انفسهم ومنقلبهم لهاتين العلاقتين وهذه الاعيان التى ذكرناها
لم تخلق الا لعلف الدابة التى تسير بها الى الله تعالى ونعنى بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بطعم
وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل فى طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد فى نسيانه
نفسه مثال الحاج الذى يقف فى منازل الطريق فلا يزال يعلف الناقة ويتعهدها
ويكسوها الوان الثياب حتى تفوته القافلة وهو غافل عنها وعن بقائه فى البادية

فيكون هو وناقته قربة للسباع والعاقل لا يلتفت الى الناقة الا بقدر الضرورة ويكون في طلبه السير والوصول الى الكعبة كذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بقدر الضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا للضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه منها فان كل واحد منهما ضرورة البدن ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات التي ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد والمسكن لهذا ولدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل فحدثت الحاجة الى خمس صناعات لاجل ذلك هي اصول الصناعات وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة لنسج الملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل والاقتناص لتحصيل ما خلق الله تعالى من صيد او معدن او حشيش وحطب ثم هذه الصناعات افتقرت الى ادوات وآلات والآلات انما تؤخذ اما من النبات وهو الاخشاب او من المعدن كالحديد والرصاص او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات لان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس وتربية الولد وذلك انما يحصل باجتماع جماعة كثيرة لاحتياج كل الى صاحبه في صناعته ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت بمنزل وبما معه من الآلات وتدفع الجدران عن اللصوصية وافتقر اهل المنازل الى التعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد ثم يفتقرون الى رئيس ووال لان الخصومات بينهم من المعاملات وولاية للزوج على الزوجة وللوالد على الولد واما اهل البلد فلا بد لهم من ... لذلك السبب يحتاجون الى ام

المياه

المياه والمزارع والمساحات وكذلك لا بد ممن يفصل حكومتهم ويوقف القوانين الفقه وكذلك من الجند لحفظ البلد والدفع بالسيف والحرب مع الاعداء فلا بد لهم من مال فحدثت الحاجة الى الخراج ثم تولد من ذلك صناعات اخر وذلك انه لا بد ممن يوظف الخراج بالعدل وهم العمال والى من يستوفي وهم الجباة والى من يحفظ والى من يفرق ولا بد من ملك مدبر يدبر امورهم ويختار لكل واحد ما يليق به ويامر بذلك الكتاب والخزان والعمال وهؤلاء ايضا يحتاجون الى معيشة فحدثت الحاجة الى مال الفيء وهو المسمى فرع الخراج وهكذا الى ما لا نهاية له وكلما فتح منها باب انفتحت بسببه عشر ابواب كانها هاوية لا نهاية لعمقها ثم ان الناس يحتاجون الى الاشياء و بعض الاشياء يكون عندهم وبعضها في بلاد اخر فافتقروا الى التجار الذين يحولون الامتعة من بلد الى غيرها ثم افتقرت الى الباعة الذين يحصلون ويدخرون الى وقت مجيء التجار ليبيعوا بالزيادة وسلط الله الغفلة عليهم لينتظم امر العالم ولو زهد الناس فيها لبطلت المعايش وهلك الزهاد ايضا ثم ان الناس لا يعرفون مساواة الامتعة فاتخذوا النقود من الذهب والفضة ومست الحاجة الى الضرب والنقش فحدثت الحاجة الى دار الضرب وهكذا تداعى الاشغال بعضها الى بعض وهذه الحرف لا يمكن مباشرتها الا بالتعلم ومن الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فيعجز عن الكسب فيحتاج ان ياكل ما سعى فيه غيره فحدثت حرفتان خسيستان اللصوصية والكدية ثم ان الناس يحترزون عنهما فصرفوا عقولهم الى استنباط الحيل والتدبر اما اللصوص فمنهم من يكون له قوة وشوكة فيتعاونون ويجتمعون ويكاثرون ويقطعون الطرق واما الضعفاء منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب او التسور واما بان يكون طرارا او سلالا وغيرهما من الحيل واما المكدي فانه اذا طلب يقال له اسع وتعب كما تعب غيرك فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم فتعاموا وتفالجوا وتعارضوا ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يأخذون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة وقد يأخذون بالاشعار الغريبة او الكلام

المنشور المسجع لا سيما اذا كان في تعصب يتعلق بالمذهب كمناقب الصحابة واهل البيت
عليهم السلام وكذلك بيع التعويذات والحشايش التي يخيل انها ادوية وكذا اصحاب
القرعة والفال ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكديون على رؤس المنابر اذ غرضهم
استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على الف والفين وكل ذلك
استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فاشتغلوا بذلك ونسوا ما خلقوا لاجله فجماعة
غرضهم ان يحصلوا او يكتسبوا لياكلوا ويعيشوا به ويعينهم على العمل فيعملون لياكلوا
وياكلون ليعملوا فيتعبون ليلا ونهارا لاجل هذا وطايفة اخرى حسبوا ان السعادة
في قضاء الوطر والشهوة فاشتغلوا بذلك ونسوا الآخرة وطايفة ظنوا ان السعادة
في كثرة المال والاستغناء بكنز الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم في الجمع وهم يتعبون
في الاسفار طول الليل والنهار ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة الى ان يدركهم
الموت فيبقى مجموعه تحت الارض او يظفر به من ياكله في الشهوات ويكون للجامع تعبه
ووباله وطايفة ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح
بالمروة فهولاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون
جميع اموالهم في الملابس الناعمة والدواب النفيسة ويزخرفون ابواب الدور فهمتهم
تعهد موقع نظر الناس وطايفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس و
انقياد الخلق بالتواضع فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الاعمال وتولية
الولايات السلطانية لينفذوا اوامرهم بها على الناس وهذا اغلب الشهوات على قلوب
المتغافلين من الناس ووراء هذا طوايف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين
فرقة كلهم ضلوا عن سواء السبيل وانما حملهم على ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن
فنسوا ما تراد له هذه الامور الثلاثة وجماعة علموا ان ذلك كله مهلك وان الآخرة
دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب
ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محن الدنيا واليه ذهب طايفة من الهند فهم يتهجمون على
النار ويقتلون انفسهم بالاحراق لظنهم الخلاص به وظنت طايفة ان القتل لا الخلاص بل لا بد اولا

من

من اماتة الصفات البشرية وقلعها بالكلية وبعضهم وقع في البدع عجزا عن قمع الصفات
الذميمة فظن ان الشرع تلبيس فوقع في الالحاد وبعضهم وقع في الاباحة وبعد هذا
مذاهب باطلة وضلالات هايلة يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما
الناجي منها فرقة واحدة وهي ما كان عليه رسول الله صلعم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية
بل ياخذ منها بقدر الزاد ويقمع من الشهوات ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ومن المسكن
ما يدفع عنه الحر والبرد واللصوص والملبس كذلك ياخذ منه بقدر الحاجة واذا فرغ القلب
من شغل البدن اقبل على الله تعالى بكنه همه واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما
لسياسة الشهوات حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفاصيل ذلك
الا بالاقتداء بالفرقة الناجية وهم الصحابة رضوان الله عليهم فانهم ما كانوا ياخذون
الدنيا للدنيا بل للدين وما كان لهم في الامور تفريط وافراط بل كان بين ذلك
قواما وذلك هو العدل الوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره
والله اعلم **كتاب ذم المال والبخل** وقد ورد في بيان ذم المال وكراهة جمعه آيات
واخبار كثيرة وآثار قال الله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وقال رسول
الله صلعم ما ذيبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيهما من حب المال والجاه
في دين الرجل المسلم وقال سميط بن عجلان ان الدنانير والدراهم ازمة المنافقين يقادون
بها الى النار **بيان** مدح المال والجمع بينه وبين الذم اعلم ان الله تعالى سمى المال خيرا فقال ان
ترك خيرا الوصية الآية وقال رسول الله صلعم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما جاء في
ثواب الحج والصدقة فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليهما الا به ولا تقف على الجمع
بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته حتى ينكشف لك انه خير
من وجه وشر من وجه وهو سبب الامرين جميعا ولكن البصير اذا النفس هي الجوهر الشريف
فمن عرف فايدة الشيء فاستعمله في تلك الفايدة فقد احسن وانتفع وهو محمود ومن
استعمله في مقصد فاسد فهو مذموم ولما كانت الطباع مايلة الى اتباع الشهوات
وكان المال مسهلا لها وآلة اليها فما يزيد على قدر الكفاية فهو حظ وقد استعاذ

الانبياء من شره والمال مثل حية فيها سم وترياق ففوايدها ترياقها وغوايلها
سمومها فمن عرفها امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوايد فهي تنقسم
الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف
الخلق ولولا ذلك لما تهالكوا على طلبها واما الدينية فينحصر جميعها في ثلاثة انواع الاول
ان ينفقه على نفسه اما في عبادة كالحج والجهاد او في استعانة على عبادة وهو ما يقويه
على العبادة فيما يحتاج اليه البدن فانه اذا لم يتيسر ذلك كان القلب مصروفا الى تدبيره
فلا يتفرغ للدين النوع الثاني ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية
العرض فان فيها ثوابا كثيرا والاستخدام فانه اذا عمل بنفسه ما يقدر عليه غيره ويقوم
له فقد ضيع زمانه فانه يمكنه ان يصرف زمانه الى العلم والعمل والذكر والفكر فان صرفه الى
غيره يكون مضيعا لوقته وفيه خسران النوع الثالث ما يصرفه الى ما فيه خير عام كبناء المساجد
والقناطر والرباطات وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات فان ذلك مما يستجلب
ادعية الصالحين الى اوقات متمادية فهذه جملة فوايد المال في الدين سوى ما يتعلق
بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى العز بين
الخلق وكثرة الاعوان والاخوان وغير ذلك من الحظوظ الدنيوية واما الافات
فدينية ودنيوية اما الدينية فثلاث الاولى انه يجر الى المعاصي فان الشهوة متقاضية والعجز
مانع عن المعصية للمرء ومن العصمة ان لا يقدر فاذا وجدت القدرة اقتحمت النفس
فتهلك وان صبرت وقعت في شدة الثاني انه يجر الى التنعم في المباحات فاذا اشتد انسه به
ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراياة والمداهنة
وساير الاخلاق الردية لينتظم له امر دنياه الثالث وهو لا ينفك عنه احد انه يلهيه اصلاح
ماله عن ذكر الله تعالى فكل ما شغل العبد عن الله تعالى فهو خسران فان اصل العبادات
وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله عز وعلا ويستدعي ذلك قلبا فارغا وصاحب
الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبة الشركاء وغير ذلك واودية
افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك بيان

الرباطات جمع الرباط المبنية للدواب

ذم

ذم الحرص ومدح القناعة والفقر محمود كما وردت به الاخبار ولكن ينبغي ان
يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق وذلك بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم
والملبس ويقتصر على اقله قدرا ويرد امله الى يوم وشهر ولا يشغل قلبه بما بعد
الشهر فان طول الامل يدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص ويجر الى مساوي الاخلاق
وقد جبل الآدمي على الحرص قال رسول الله صلعم لو كان لابن آدم واديان
من مال لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله
على من تاب وقد ورد في ذم الحرص ومدح القناعة اخبار وآثار كثيرة و
القناعة عز وحرية والطمع ذل وعبودية روي ان الله عز وجل قال يا ابن آدم
لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت
وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي
يكتسب به صفة القناعة مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك
خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق والقناعة
بما لا بد له منه الثاني اذا تيسر له ما يكفيه في الحال فلا يكون شديد الاضطراب
لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل وان الرزق الذي قدر له لا بد ان
يأتيه الثالث ان يعرف ما في الاستغناء من العز وما في الطمع والحرص من الذل
فاذا تحقق ذلك انبعثت رغبته الى القناعة فليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات
وهذا الالم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب وفي الحرص الآلام الرابع ان ينظر الى تنعم
اليهود والنصارى واراذل الناس الذين لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال
الانبياء والاولياء ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة الارذال
او على الاقتداء بمن هو اعز الخلق على الله تعالى حتى يهون ذلك الصبر على القليل الخامس
ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من خوف
السرقة والضياع وخروجه عن جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من
دونه في الدنيا وليس في الفقر شيء من ذلك بيان فضيلة السخاء اعلم ان المال ان

كان مفقوداً فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وان كان موجوداً فينبغي ان يكون
حاله الايثار والسخاء فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل من اصول النجاة
قال رسول الله صلعم السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض من اخذ
منها غصناً قاده ذلك الغصن الى الجنة وفيه اخبار وآثار كثيرة وحكايات قال
حذيفة رض رب فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته وعن ام درة
كانت تخدم عايشة رض قالت ان ابن الزبير رض بعث اليها بمال في غرارتين
ثمانين ومائة الف فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية
هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت
اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت بيان
ذم البخل وقد ورد فيه آيات وآثار كثيرة قال الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما
آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وقال رسول الله صلعم السخاء شجرة تنبت
في الجنة ولا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال بشر رض النظر
الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين واعلم ان السخاء والبخل
كل واحد الى درجات فاعلى درجات السخاء الايثار وهو ان تجود بالمال مع الحاجة اليه
والسخاء عبارة عن بذل ما يحتاج اليه والبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة
حتى انه اذا مرض لا يتداوى واذا اراد شهوة لا يمنعه منها الا البخل بالثمن واختلف
الناس في حدهما وحقيقتهما فذكر كل واحد شيئاً ولكن ما اخبر عن حدهما وقد يصدر
عن شخص فعل فيقول قوم هذا بخل ويقول آخرون هذا ليس ببخل وقال قائلون
حد البخل منع الواجب وهذا ليس بكاف وقال آخرون البخيل هو الذي يستصعب العطية
وهذا ايضا قاصر وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف
على غير روية وقيل الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور
بالسائل والفرح بالعطاء وقيل الجود العطاء على رؤية ان المال لله سبحانه وتعالى
والعبد لله تعالى وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر

وابقى

وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار
ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل وهذه الكلمات ليست محيطة بحقيقة البخل فنقول
المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق فالصرف الى ما لا يجب الصرف اليه
تبذير والامساك عما يجب الصرف اليه بخل والصرف الى ما يجب الصرف اليه والحفظ عما
يجب الحفظ عنه عدل وهو السخاء فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وهو ان يقدر بذله
وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به فان نازعه
قلبه في محل البذل فهو متسخي وليس بسخي وان كان كذلك فلا بد من معرفة الواجب الذي يجب بذله
فنقول الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا
يمنع لا واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل والذي يمنع
واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع عياله واهله النفقة او يؤديها
ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع والذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب له ان يعطي من
الطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو ترك المضايقة والاستقصاء
في المحقرات فان ذلك مستقبح وذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح
منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح مع الاهل ما لا يستقبح مع الاجانب
فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي اما بحكم الشرع واما بحكم المروة وذلك لا يمكن التنصيص على
مقداره وكل غرض هو اهم من حفظ قدره يحفظ المال بخل والمضايق في الدقايق
مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة لحب المال بخيل ومن يؤدي الواجب ويحفظ المروة
ومعه مال كثير ليس يصرفه الى الصدقات ليكون عدة له على نوايب الزمان وحوادثه وعن
الثواب ليكون رافعا درجاته في الآخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس
وليس ببخل عند العوام ومن بذل في مقابلة الثناء والدعاء والمكافاة فهو بايع وليس بجواد
لان الجود بذل الشيء من غير عوض وكذلك ان كان من خوف الهجاء او مذمة الخلق بيان
علاج البخل والبخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول
اليها الا بالمال مع طول الامل والولد فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم واذا

الامل

اضاف اليه خوف الفقر وقلة الثقة بالرازق قوي البخل السبب الثاني ان يحب عين المال
فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره ويفضل معه مال كثير وهو شيخ لا ولد له ومع
ذلك لا تسمح نفسه ان ينفق ولا يؤدي زكاته منه فيجمع المال ويكنزه ويتلذذ بوجوده
وهو مرض عسر من قل ما يرجى علاجه فعلاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات
بالقناعة اليسيرة وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر الى موت الاقران
وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي
خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن من حال من ورث
وبان يعلم انه يجمع المال لولده حتى يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان
تقيا صالحا فيكفيه الله وان كان فاسقا يستعين بماله على المعصية ويرجع مظلمته
اليه ويتأمل ايضا الاخبار الواردة في ذم البخل ومن الادوية النافعة كثرة التأمل في احوال
البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره
ويستثقله فيعلم انه في قلوب الناس كذلك ويتفكر في مقاصد المال لماذا خلق فلا يحفظ
منه الا بقدر الحاجة والباقي يدخره لنفسه بتحصيل الثواب في الآخرة واذا عرف ان
البذل خير من الامساك هاجت رغبته في البذل فينبغي ان يتبع الخاطر الاول ولا يتوقف
لان الشيطان يعده الفقر ويمنعه عن ذلك ولا يزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا ومن
لطائف الحيل ان يخدع نفسه بالاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء والسمعة
حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة السخاء فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل و
اكتسب خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه وكذلك من
الصفات ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما يسلط الشهوة على الغضب حتى يكسر سورته
بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها فيبدل الاعلى بالادنى حتى لا
يبقى الا صفة واحدة فيرجع اليها بالكلية ويزيلها فاذن علاج البخل بالعلم والعمل وقد
ذكرناهما **بيان** الوظائف التي على العبد في ماله اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه
وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق ويأخذها

الغافل

الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس
وظائف الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق ولا يحفظ الا قدر الحاجة
ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه الثانية يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما
الغالب عليه الحرام ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة الثالثة في المقدار
الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومقدار الحاجة والحاجة
ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام
مايلا الى جانب القلة كان محقا وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لها وعمقها
الرابعة يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مقتر ولا مبذر فيضعه في حقه
ولا يضعه في غير حقه الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك والامساك والانفاق
فاذا فعل ذلك لم يضره وجود الدنيا فليكن جميع حركاته وسكناته لله مقصورة
على عبادته او على ما يعين على العبادة كالاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على
العبادة وينبغي ان يكون نيته فيما يفعله لنفسه ليعينه على طاعة الله وما فضل منها
فلا يمنعه عن المحتاجين فمن فعل ذلك فقد اخذ من حية المال ترياقها وجوهرها
وقد اختلفوا في فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر الا ان في الغنى مع الشكر
آفات وطلبا وتبعات كثيرة ليست في الفقر شيء منها فكل ما هو سبب زيادة
دنياك مع قلة الخطر خير مما هو سبب الزيادة مع الاخطار الكثيرة والغني ربما يشتبه عليه
الحلال من الحرام ويسأل عنه ويوقف في القيامة ويدخل بعد الفقراء الجنة وربما يتغير
قلبه عند وجود المال ويلتفت باطنه اليه وربما يخاصمونه الفقراء يوم القيمة فيقولون
كنا محتاجين وهو عنده فضل المال فلم يعطنا وربما لم يؤد حقيقة الشكر فيطالب
به وربما يطغى فيهلك وليس في الفقر شيء من هذه الآفات والله اعلم **كتاب ذم
الجاه والرياء** قال رسول الله صلعم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة
الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة
الصماء في الليلة الظلماء ولذلك عجز عن الوقوف على غوايلها مشاهير العلماء فضلا

عن عاقبة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوائل النفس وانما يبتلى بها المشمرون عن
ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة من العلماء والعباد فانهم مهما قهروا انفسهم عجزت عن
المعاصي الظاهرة فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة
الى لذة القبول عند الخلق لينظروا اليه بعين التوقير والاحترام وينفذ قوله في جميع
الامور والنفس تلبس عليه بان حياتها بالعبادة وانما حياتها بهذه الشهوة الخفية
التي تعمى عن دركها الا العقول النافذة القوية فاذا كان الرياء هو الداء الدفين
وهو اعظم شبكة الشيطان وجب القول في شرح سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه و
معالجته وتتضح الغرض منه في ترتيب على شطرين **الشطر الاول** في حب الجاه والشهرة
وفيه بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت و
الاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف
الشهرة منه وفيه اخبار واثار كثيرة قال رسول الله صلعم بحسب المرء من الشر الا من
عصمه الله تعالى من السوء ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر
الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن
كعب نمشي خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المؤمنين ما تصنع فقال
ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقال بشر رض ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا
ذهب دينه وافتضح **بيان فضيلة الخمول** وقد ورد فيه اخبار واثار كثيرة قال رسول الله
صلعم ان من امتي لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه
ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة اعطاها اياه ولو ساله الدنيا لم يعطها
اياه وما منعها اياه لهوانه عليه اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وقال
ابرهيم بن ادهم رض ما قرت عيني قط يوما في الدنيا الا مرة بت ليلة في بعض مساجد
قرى الشام وكان لي داء البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد فهذا
يدل على ذم الشهرة لانه يحصل منه الصيت والجاه فالمذموم طلب الشهرة واما
وجودها من جهة الله تعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء

دون

دون الاقوياء وقد جاء في ذم الجاه آيات واخبار قال الله تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فجمع بين ارادة الفساد والعلو
وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال رسول الله صلعم ما ذئبان
ضاريان في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشهرة والمال في دين الرجل المسلم **بيان
معنى الجاه وحقيقته** اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان
المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها والغني بالمال يتوصل
الى قضاء الشهوات والاغراض فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس يستعمل
بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع الحرف فكذلك
يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات فاذا معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب
الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله
تذعن له قلوبهم فبقدر اذعان القلب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته تكون
فرحه وحبه للجاه فهذا معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء والتعظيم و
التوقير والتقديم فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال
القلوب على اعتقاد صفات الكمال فيه اما بعلم او عبادة او حسن خلق او شيء يعتقده الناس
كمالا **بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع** اعلم ان السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة محبوبا هو
بعينه الذي يقتضي كون الجاه محبوبا لان المال والدراهم والدنانير لا غرض في اعيانها
وهي والحصى بمثابة واحدة وانما يكون محبوبا لان بها يتوصل الى قضاء الحاجات فكذلك
صدور الاحرار والقدرة على استسخارها اولى في التوصل الى الاغراض لان المال
تبع للقلب وملك القلوب ترجح على ملك المال من ثلاثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه
الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه ومن ملك الجاه يملك المال ومن يملك المال لا
يملك الجاه الثاني هو ان المال معرض لان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك وتتطرق اليه الاخطار
كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات وهي على التحقيق عتيدة لا يقدر
عليها السراق لا يتناولها ايدي الغصاب الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو

ويتزايد من غير تعب ومقاساة فانه اذا انتشر الصيت اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان
والتعظيم واما المال فمن ملك منه شيئا لا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة فان قيل
القدر الذي يتوصل به الى الاغراض من المال والجاه عرفنا وجه محبته ولكن الزائد على
هذا ما وجهه حتى ان الانسان يكثر الاموال الكثيرة وكذلك يحب ان يظهر له الصيت في
الدنيا كلها وفي مواضع لا يرجو ان يصل اليها ويشاهدهم كيف يلتذ بذلك فنقول نعم هذا
الحب لا ينفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي يدرك كافة الخلق والآخر خفي وهو اعظم
السببين وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها
الا الغواصون اما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء الظن مولع وان كان
مكتفيا في الحال فانه طويل الامل يخطر بباله ان الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فكذا
الحال في حبه قيام الجاه والمنزلة في قلوب الاباعد عن وطنه وبلاده فانه لا يخلو عن تقدير
يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم ويحتاج الى الاستعانة بهم اما السبب الثاني
وهو الاقوى ان الروح امر رباني ومعنى كونه ربانيا من اسرار علوم المكاشفة فلا رخصة
في اظهاره ولكن قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع
والى صفات سبعية كالقتل والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والاغواء والى صفات
ربوبية كالكبر والعز وطلب الاستعلاء وهو بهذه الصفة يحب بالطبع التفرد بالوجود على سبيل
الاستقلال والكمال في التفرد بالوجود وفي المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس
في انها منفردة بوجودها ولو كان معها اخرى كان ذلك نقصانا في حقها والمنفرد بالوجود
هو الله تعالى اذ ليس معه في الوجود موجود وما سواه اثر من آثار وجوده وقدرته لا قوام
له بذاته وكل انسان بطبعه يحب ان يكون هو المنفرد بالكمال ولكن لما عجزت النفس عن درك
منتهى درجة الكمال لم يسقط شهوتها للكمال فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك
فان لم يكن ذلك فان يكون مستوليا عليه الا ان الموجودات انقسمت الى ما يقدر الانسان
على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات
فاحب الانسان ان يستولي على الارضيات بالتصرف وعلى ما لا يقدر عليه يريد الاستيلاء

اصحابها ليعظموه ويعينوه على غرض من اغراضه صح

الى وطنه صح

بالعلم

بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسراره فان ذلك نوع استيلاء فاذن محبوب القلب بالطبع
الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه واسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات والمقدورات
وما دام يبقى مقدور او معلوم فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول الا ان في حب
كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها فنقول ههنا كمال حقيقي وكمال وهمي لا حقيقة
له والحقيقي يلتبس بالوهمي وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث
كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات ولذلك كلما كانت علوم العبد اكثر
كان اقرب الى الله تعالى الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا
له لان المعلومات مكشوفة لله تعالى الثالث من حيث بقاء العلم ابد الآباد لا يتغير ولا يزول
فان علم الله تعالى باق لا يتغير ولا يزول فمهما كان علم العبد بمعلومات لا تقبل التغير كان اقرب
الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون
زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه
في الدار فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا ويلتحق بهذا جميع متغيرات العالم والقسم الثاني
هي المعلومات الازلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات
فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا
وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز فالعلم
بالله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته وافعاله وحكمته وترتيب الدنيا والآخرة وما
يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت
ويكون هذه المعرفة نور العارفين ورأس مالهم يوصلهم الى كشف ما لا ينكشف لهم في الدنيا
ومن ليس معه اصل معرفة الله تعالى لا مطمع له في هذا النور فاذن لا سعادة الا في معرفة
الله تعالى وما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة لها اصلا كمعرفة الشعر وانساب
العرب ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه
والاخبار فان ذلك يعين معرفة ما في القرآن من كيفية العبادة وتزكية النفس فهذا حكم
كمال العلم واما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادته وقدرته

في افعاله صح

فهي حادثة باحداث الله تع فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تع واما كمال
القدرة فلا تتم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة
اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة للوصول
بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل
به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله في الوصول الى معرفة الله تع فلا
خير فيه الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق
كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة
وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك
طلبوا واشتغلوا به وتهالكوا عليه ونسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب الى الله تع
وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرناه واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات والاستيلاء
عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فمن كان عن
التغير بالعوارض ابعد كان الى الله تع اقرب ومن الشيطان ابعد وبالملائكة اشبه وهذا
كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لان حقيقته ترجع
الى عدم النقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة واهلاكها و
الهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فاذن الكمال ثلثة ان عددنا عدم
التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية اعني به عدم ارادة
الاسباب الدنيوية وعدم العبودية للشهوات والقدرة للعبد طريق الى اكتساب كمال العلم
والحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال بل
واستسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته وحريته لا تنقطع بالموت
تبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تع فانظر كيف انقلب الجاهلون واقبلوا على طلب كمال
القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن
كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وقد عرفت بهذا ان

كمال

كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم اذا ثبت
ان معنى الجاه ملك القلوب فحكمها حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا
وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فكذلك ايضا لا بد من ادنى جاه لاجلها
الا ان الذي ينبغي في هذا ان يفضي الى ان لا يكون المال والجاه محبوبين في اعيانهما بل ينبغي ان
يكون حبه لهما كحبه لبيت الماء الذي يحتاج اليه للاستفراغ فانه يحتاج اليه ايضا لقدر
الضرورة فحبهما على هذا الوجه ليس بمذموم واذا جاوز هذا يكون مذموما ولكن
صاحبه لا يكون فاسقا قطعا ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يظهر من نفسه
ما يحصل به الجاه من الورع والزهد وادعاء ما ليس فيه فان التوصل بها الى الجاه ه واعلم
ان الحب للمدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال
والكمال محبوب والمدح يقرر ذلك خصوصا اذا صدر عمن يكون كلامه مسموعا وبهذه
العلة يبغض الذم ويكرهه لانه يشوه بنقصان نفسه السبب الثاني ان المدح يدل
على ان قلب المادح مملوك للممدوح وملك القلوب محبوب وبهذه العلة تعظم اللذة
مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالاكابر السبب الثالث ان
ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن
يلتفت الى قوله ويعتد بثنائه ويكون في جمع كثير السبب الرابع ان المدح يدل على حشمة
الممدوح واضطرار المادح بالثناء عليه اما عن طوع او قهر فان الحشمة لذيذة لما فيها
من القهر وربما يجتمع هذه الاسباب الاربعة في مدح شخص واحد فيعظم به الالتذاذ وقد
يفترق فينقص اللذة اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم الممدوح
انه غير صادق كما اذا مدحه بالسخاء وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي
سببها استشعار الكمال وان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة
فان علم ان ما يقوله ليس عن تخوف بل هو لعب بطلت اللذات كلها ومن غلب على قلبه
حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم ولا يزال
في افعاله واقواله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق وبجر ذلك لا محالة

الى التساهل في العبادات والمرايات بها والتظاهر بالمعاصي فحب الجاه اذن من المهلكات
فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه وعلاجه مركب من علم وعمل اما
العلم فهو ان يعلم السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى
قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا فآخره الموت وليس من الباقيات الصالحات ولو
سجد له كل من في الارض فبعد مدة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون الموت عنده حاضرا
وينظر الى من سبقه بالجاه ومات ويتفكر في آفات الجاه من ان يكون محسودا او مقصودا
بالايذاء وخائفا على الدوام على جاهه وكل ذلك عموم عاجلة مكدرة للذة الجاه واما
العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط بسببها عن
اعين الخلق ويانس بالخمول لكن لا يجوز هذا ممن يقتدى به فانه يوهن الدين واما غيره فلا يجوز
ان يقدم على محظور بل يباشر من المباحات ما يلام عليه ويسقط عن اعين الخلق ويوهم ان
ذلك محظور وليس بمحظور ويجوز ذلك عند ارباب القلوب الذين يداوون قلوبهم واما عند الفقهاء
ففيه نظر واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المشهور
في بلده اذا قعد في بيته لا يزول جاهه بل نفسه انما سكنت لانها تعلم ان الجاه الذي يليق
بحاله مدخر فان استشعر زوال الجاه تجزع نفسه ويتالم وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك
فمن قنع بقوت يومه وقطع طمعه عن الناس واستراح والناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي
اكانت له منزلة في قلوبهم ام لم تكن واكثر الخلق انما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب
مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفا
من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب
المدح ويكره الذم اما السبب الاول وهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه
ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان
كنت متصفا بها فهي اما صفة تستحق المدح كالعلم والورع او صفة لا يستحق كالثروة والجاه
والاعراض الدنياوية فان كانت من الاعراض الدنياوية فالفرح بها كالفرح بنبات
الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل وان كانت

الصفة

الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة ولا
يدري هل يبقى معه ام لا وان كان يفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحه
بفضل الله تعالى عليه بالعلم والتقوى لا بمدح المادح وان كان ما تمدح به انت خال عنه ففرحك
بالمدح غاية الجنون السبب الثاني وهو تسخير القلوب فقد سبق وجه معالجته وهي
قطع الطمع وقد سبق الكلام فيه وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس يسقط منزلتك
عند الله تعالى فكيف تفرح به السبب الثالث وهو اضطرار المادح الى المدح لحشمة الممدوح
فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا يستحق الفرح بها بل ينبغي ان تكره
مدح المادح فانه ان صح فهو قاصم للظهر كما ورد الخبر به وقد ورد في ذم المدح اخبار
وعلاج كراهة الذم ايضا يفهم منه لان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح
والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما
قال وقصد النصح والشفقة او صدق وقصد به الايذاء والتعنت او يكون قد كذب
فان كان صادقا فينبغي ان لا تذمه ولا تغضب عليه بل ينبغي ان تتقلد منه منة فان من
اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلكة حتى تتقيها فينبغي ان تفرح به وتجتهد في
ازالة ذلك عنك واما كراهيتك له وذمك اياه فغاية الجهل وان كان قصد التعنت فانت
انتفعت بقوله فاجتهد في الخلاص منه وهو جنى على نفسه بغيبته وتعرض هو وان كان
قد افترى عليك بما انت بريء منه عند الله تعالى فينبغي ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل
تعلم انك ان خلوت عن ذلك العيب فلا تخلو عن امثاله وما ستره الله تعالى من عيوبك اكثر وتعلم
ان ذلك كفارات لمساويك وذنوبك فكانه طهرك من عقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه
مع غضب الله تعالى عليه فتشمت الشيطان به بل ينبغي ان تقول اللهم اغفر له واصلحه حتى لا يكون
حظه منك العقاب وحظك منه الثواب ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان
من استغنيت منه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واحوال الناس في المدح والذم على
اربعة احوال بالاضافة الى المادح فالحالة الاولى ان يفرح بالمدح ويشكر المادح
ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهو حال اكثر الخلق وهو

غاية درجات المعصية في هذا الباب الثانية ان يتغض في الباطن على الدوام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله حسن الحالة الثالثة وهي اول درجات الكمال ان يستوي عنده ذامه ومادحه ولا يغمه المذمة ولا يسره المدحة وعلامته ان يكون بينهما في الباطن بزيادة المحبة والسعي في قضاء حوائجهما والكلام معهما والاحسان اليهما وربما يشوّ العابد يميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن اليه ويقول الذام قد عصى الله تعالى بذمك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف يستوي بينهما فاعلم ان ذلك محض تلبيس فان المادح ايضا لا يخلو من مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه والمذمة من حيث انها معصية لا يختلف بان يكون هو المذموم او غيره فالعابد المغرور لنفسه يغضب لا لربه الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره المادح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه يهدي اليه عيبه ويرشده الى مهمه ويهدي اليه حسناته وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية اما الحالة الثالثة فلسنا نطمع فيها فان من قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ومن يتمنى المدحة والثناء ويتوصل الى نيلها بكل ممكن ولو بالمحظورات فهو من الهالكين ومنهم من يريد ذلك بالمباحات فلا يريد بالعبادات فهو على شفا جرف هار ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى في طلبها ولكن اذا مدح يسبق السرور الى باطنه ولم يكرهه بل يحبه فهو في خطر وان جاهد نفسه وكلف قلبه الكراهة فتارة يكون اليد له وتارة عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه فهذا على خير ومنهم من يسمع المدح فيكرهه ويظهر الغضب على المادح فهو صادق

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه

والمنزلة بالعبادات وهو الرياء والرياء حرام والمرائي عند الله تعالى ممقوت وقد يشهد لذلك الآيات والاخبار والآثار قال الله تعالى والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد رض هم اهل الرياء وقال رسول الله صلعم استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد

للقرّاء المرائين وقال صلعم يقول الله من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك ويروى ان عمر رض راى رجلا يطاطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب

حد الرياء فنقول الرياء مشتق من الرؤية واصله طلب المنزلة في قلوب الناس فالمرائي هو العابد والمرائي هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمرائى به هي الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصد اظهار ذلك والمرائى به كثير ويجمعه خمسة اقسام فهي مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراؤون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست من الطاعات اهون من الرياء بالطاعات الاول الرياء في الدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بالنحول قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين وتقصد الولاية على مواظبة الصوم باظهار خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين فهذه مراياة اهل الدين بالبدن واما اهل الدنيا فيراؤون بالسمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وما اشبه ذلك الثاني الرياء بالزي والهيئة اما الهيئة فتشعث الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدو في الحركة وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق ومنه لبس المرقعة والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقائق الصوفية في الباطن ومما ذكر ويترك ان يلبس ثيابا وسطا خوفا من ان يقول الناس رجع الى الدنيا وقوم يريدون ان يجمعوا بين قبول اهل الدين والدنيا فيطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية الرقيقة والمرقعات المصبوغة ولو كلفوا لبس الكتان والقصب المتنعم كان عندهم بمنزلة الذبح خوفا من السقوط عن اعين الصلحاء وان كان اقل قيمة من ذلك واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في المسكن واثاث البيت

الثالث الرياء بالقول اهل الدين بالوعظ والحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل

الاستعمال في المحاورات وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر بمشهد الخلق وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ وابوابه لا تنحصر واما اهل الدنيا
فمراياتهم بالقول لحفظ الاشعار والتفاصح في العبارات واظهار التودد الى الناس
لاستمالة القلوب الرابع الرياء بالعمل كمراياة المصلي بطول القيام وتطويل السجود و
الركوع واطراق الرأس والهدوء وترك الالتفات وربما يسرع في المشي الى حاجة
فاذا رآه احد يرجع الى الوقار خوفا من ان ينسب الى العجلة ومنهم من لا يريد تكلف خشية
فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغير ويظن انه
تخلص من الرياء وقد تضاعف رياؤه واما اهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر وتحريك
البدن وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل الخامس المراياة بالاصحاب والزائرين
والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا
حتى يتردد الناس اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلاطين وكذلك مباهاته
برؤية المشايخ والزيارات وغيرها فهذه مجامع ما يرائي به الناس وكلهم يطلبون الجاه
والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يريد بالرياء انتشار الصيت ومنهم من يريد الثناء ومنهم
من يريد الاشتهار عند الملوك ليقبل شفاعته عندهم فيقوم له بذلك او يقصد الناس له
وينجز حوائجهم بقوله ومنهم من يقصد جمع حطام الدنيا وكلهم مراؤون وبعضهم اعلى
من بعض فهذه حقيقة الرياء وما يقع به الرياء والمراياة بالعبادة حرام وبما
ليس بعبادة من المباحات قد يكون مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما
وذلك بحسب الغرض المطلوب والمراياة بالعبادات خطر عظيم وهو من اعظم المهلكات
وبعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت
الدرجات فيه واركانه ثلاثة المراياة به والمرايا لاجله ونفس قصد الرياء الركن الاول
نفس قصد الرياء وله اربع درجات الاول وهو اغلظها ان لا يكون مراده الثواب
اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي فهذا جرد قصده الرياء
وهو ممقوت عند الله تعالى وكذلك في الصدقة الثانية ان يكون له قصد الثواب ايضا

ولكن

ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لا يحمله ذلك القصد الى العمل وهذا اقرب
من الاول الثالثة ان يكون قصد الرياء والثواب متساويين بحيث لو كان كل
واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة فهذا قد افسد مثل
ما اصلح وهذا ايضا على خطر الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه
ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي نظنه
والعلم عند الله تعالى انه لا يحبط عليه بل يعاقب على مقدار قصد الرياء الركن الثاني وهو
المرايا به وهي الطاعات وهي على ثلث درجات الاولى الرياء باصل الايمان وهو
اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه
يكذب الثانية الرياء باصل العبادات مع التصديق باصل الدين وهو ايضا عظيم عند
الله تعالى ولكنه دون الاول بكثير وذلك ان يكون ماله في يد غيره فيأمره باخراج الزكوة
خوفا من ذمه والله سبحانه وتعالى يعلم انه لو كان في يده لما اخرجها وكذلك في الصلوة
والحج والغزو ويعمل خوفا من الناس فيكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند
الله تعالى وخوفه من الخلق اعظم من خوفه من الله تعالى وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه
بالمقت الثالثة ان يرائي بالسنن والنوافل التي لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها
في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ثم يبعثه الرياء على فعلها فهذا ايضا عظيم ولكنه
دون الثانية فهذا الرياء باصول العبادات القسم الثالث الرياء باوصاف العبادات
وهو على ثلاثة درجات الدرجة الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة
كالذي عزم ان يخفف الركوع والسجود ولا يطيل القراءة فاذا رآه الناس تم قال
ابن مسعود رضه من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه وكذلك في الزكوة بان
يخرج الردي فاذا اطلع عليه الناس يخرج الجيد فهذا ايضا فيه خطر لانه تقديم للمخلوق
على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال قلت في ذلك صيانة للناس
عن الغيبة فانهم اذا رأوا التخفيف الركوع والسجود والالتفات في الصلوة اطلقوا
اللسان بالذم والغيبة فقصد صيانتهم عن هذا فيقال هذا من تلبيس الشيطان فان ضرر ك

من نقصان خدمة مولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك اكثر الثانية ان يرائى بفعل ما لا نقصان فى تركه ولكن فعله فى حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل فى القيام وحسن الهيئات وما اشبههما الثالثة ان يرائى بزيادات خارجة عن نفس النوافل كحضور الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وما يجرى مجراه وكل ذلك يعلم الله تعالى منه انه لو خلى بنفسه لكان لا يبالى اين وقف فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائى به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم الركن الثالث المرائى لاجله فان للمرائى مقصودا لا محالة فانما يرائى لمال او جاه او غرض من الاغراض وله ايضا ثلاث درجات الدرجة الاولى هى اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذى يرائى بعباداته ويظهر التقوى والورع والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء والاوقاف والوصايا او مال الايتام او تسلم اليه الاموال ليفرق فى طريق الحج وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئات الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والذكر وقصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس الذكر وغرضهم ملاحظة النسوان وهؤلاء ابغض المرائين الى الله تعالى فانهم جعلوا طاعة الله تعالى توسلا الى المعصية ويلتحق بهم من يظهر الصلاح لينفى التهمة عن نفسه كالذى جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره الدرجة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذى يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب فى نكاحه النساء فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله تعالى متاع الدنيا ولكنه دون الاول الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة كالذى يمشى فيحسن المشى عند الناس وان يبدر منه المزاح فيعقبه بالاستغفار وتنفس الصعداء والله يعلم انه لو كان فى خلوة لما ثقل عليه ذلك وكذلك ترى جماعة فى عبادة فيوافقهم كيلا ينسب الى الغفلة والكسل ولو خلا بنفسه لم يفعل من ذلك شيئا وكذا اذا رآه الناس

فى جميع افعاله والاعتذار اليهم عن كل ما لا يوافقهم منه وما يجرى مجراه من علامات الرياء ولرسوخ عرق الرياء فى الباطن فان المخلص لا يبالى كيف نظر الخلق اليه والرياء جلى وخفى فالجلى الذى يبعث على العمل ولا يقصد الثواب وهذا اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذى اريد به وجه الله تعالى كالذى يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان نشط وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلى بمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر فى العمل بل يسر باطلاع الناس على طاعته ولولا التفات القلب الى الناس لما سر باطلاع الناس عليه ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بالكراهة فيصير قوتا وغذاء للعرق الخفى من الرياء حتى تتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه الناس بالتعريض لا بالتصريح او الشمائل وكذلك يحب من الناس ان يحترموه ويسامحوه فى البيع وان قصر مقصر فى حقه ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا فى نفسه ولو قنع بعلم الله تعالى لكان وجود الخلق وعدمهم عنده سواء فيخلص وان لم يكن كذلك لم يكن خاليا عن شوب خفى من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون اذ علموا ان الله تعالى لا يقبل فى القيمة الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم فى القيامة اليه ومن ادرك التفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه اذا قطع طمعه عنهم لا يبالى بهم فان قيل فترى احدا ينفك عن السرور اذا عرف بطاعاته فالسرور كله مذموم او بعضه مذموم وبعضه محمود فنقول السرور ينقسم الى محمود ومذموم فاما المحمود فاربعة الاول ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص فيها ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اطلعهم واظهر الجميل من احواله وستر القبيح فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له فيكون فرحه بجميل نظر الله تعالى لا بحمد الناس الثانى ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه انه يفعل فى الآخرة كذلك الثالث ان تظهر رغبة المطلعين على الاقتداء

به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله تعالى في مدحهم وبحبهم المطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة واما المذموم فهو ان وهو ان يكون فرحه بقيام منزلته عند الناس حتى يمدحوه ويعظموه فهذا مذموم **بيان ما يحبط العمل من الرياء** الخفي والجلي وما لا يحبط فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل فان اظهره وتحدث به ففي الاخبار ما يدل على انه يحبط وان ورد قبل الفراغ فان كان مجرد السرور فلا يؤثر في العمل ولا يحبط وان كان رياء باعثا على العمل وختم العمل به حبط اجره واما اذا كان الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستمام للثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته ففرح بحضورهم واعتقد الرياء وقصد تحسين الصلوة فهذا رياء قد اثر في العمل وقال المحاسبي يحبط العمل بمجرد دخول السرور في القلب باطلاع الناس عليه والاقيس انه اذا كان الباعث على العمل هو الدين فمجرد السرور لا يحبط العمل واذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب فلا يحبط بالكلية ولا يبعد ان يقال الواجب عليه صلوة خالصة لوجه الله تعالى فلا يكون مؤديا مع الشوب فان كان قصده الرياء وبقي حتى يفرغ فلا يصح صلوته لا تنعقد البتة مع قصد الرياء وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريمه بالصلوة وقالت فرقة لا تلزمه اعادة شي بل يستغفر الله تعالى بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدا بالاخلاص وختم بالرياء كان يفسد عمله **بيان دواء الرياء** وطريق معالجة القلب ولا يقدر احد على قمعه الا بمجاهدة شديدة على قدر قوته وضعفه وفي علاجه مقامان احدهما قطع عروقه واصوله والثاني دفع ما يخطر منه في الحال فالمقام الاول قطع عروقه واصله حب المنزلة والجاه فاذن يرجع الى ثلثة اصول وهي حب لذة الحمد والفرار من الم المذمة والطمع فيما في ايدي الناس لما روى ابو موسى رضه ان اعرابيا سال رسول الله صلعم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يانف ان يقهر ويذم بانه مقهور وقال والرجل

يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب قال والرجل يقاتل للذكر وهذا هو طلب الجاه باللسان فقال صلعم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى وعلاجه ان يعلم ما فيه من المضرة وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله تعالى والتعرض للعقاب والمقت والخزي ومهما قابل ما يفوته في الاخرة بما يحصل له بالرياء تركه وربما يرجح ميزانه بعبادة واحدة فكيف يفسدها بالرياء ويهوي به في النار ومن طلب تحصيل رضاء الناس فلا يقدر عليه فان رضاء الناس غاية لا يدرك لان ما يرضي فريقا يسخط اخرين ومدح الناس لا يزيد عند الله تعالى رزقا واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله تعالى برجاء كاذب قد يصيب وقد يخطي واما ذمهم له فلا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه فان كان عند الله تعالى مقبولا فلا يضره ذلك وان كان بخلاف ذلك والخلق كلهم عاجزون فلا يقدرون على تغيير ذلك واذا قرر في نفسه افة هذه الاسباب وانصرف بقلبه الى الله تعالى تخلص من مذلة الرياء وينشرح وينفتح قلبه له في لطايف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله تعالى ووحشته للخلق والدواء العملي هو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها حتى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه عليه ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله تعالى وان كان يشق في الابتداء الا ان الثقل يسقط عنه بالصبر عليه مدة بالتكلف **المقام الثاني** في دفع العارض منه في اثناء العبادات وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من قلع مغارس الرياء من قلبه بالمجاهدة والقناعة فالشيطان لا يتركه العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء فلا ينقطع عنه نزغاته فلا بد من ان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر الرياء ثلثة قد تخطر دفعة واحدة وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى الرغبة والشهوة والثالث فعل يسمى العزم وانما كمال القوة في دفع الخاطر

الاول قبل ان يتلوه الثاني بان يقول مالك وعلم الخلق بعد ان علم الله هو فلا ستعرض لمقت الله
تع فان معرفة آفات الرياء تثير كراهة له تقابل الشهوة التي تدعو الى الرياء فاذا لابد
في رد الرياء من ثلاثة امور المعرفة والكراهة والاباء فلا تنفع المعرفة والكراهة دون
الاباء فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحمله الكراهة على الاباء ولكنه غير
خال عن ميل الطبع اليه وعن منازعته اياه الا انه كاره لحبه فهل يكون في زمرة المرائين
فاعلم انه ما دام كارها له ودافعا فليس عليه اثم من ذلك ويخرج عن زمرة المرائين الا ان
للشيطان ههنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه
في الاشتغال بمجادلة الشيطان حتى يسلب ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال
بمجادلة الشيطان انصراف عن سر المناجات مع الله تع فيوجب ذلك نقصانا في منزلته
عند الله تع والمتخلصون من الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع مراتب الاولى ان
يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر على ذلك بل يشتغل بمجادلته ويظن ان ذلك اسلم
لقلبه وهو على التحقيق نقصان في منزلته لانه يشغله عن مناجات الله تع الثانية ان يعرف
ان القتال والجدال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته
الثالثة ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان في ذلك وقفة بل يكون قد قرر من عقد ضميره كراهة
الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة الرابعة ان يكون
قد علم ان الشيطان سيحسده عند جريان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ
الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص واخفاء العبادة غيظا للشيطان وبهذا يغيظ
الشيطان ويوجب يأسه حتى لا يعود خوفا من ان يزيد في حسناته فان قلت فاذا كان
الشيطان لا يؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده
او يجب التوكل على الله تع ليكون هو الدافع او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا
اختلف الناس فيه على ثلاثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء
قد استغنوا عن الحذر مع الشيطان لانه ايس منهم وذهبت فرقة من اهل الشام
الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه اما من عرف بان الله تع هو الضار

النافع

النافع لا يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم
لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون كاد يكون غرورا فان الانبياء
صلوات الله عليهم لم يتخلصوا من كيد الشيطان فكيف يتخلص غيرهم وكذلك مذهب
الفرقة الثانية باطل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود لم يقدح في رسول الله صلعم
فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله تع منه ومن قال لابد من الحذر فقوم منهم
قالوا اذا حذرنا الله تع العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره والترصد
له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم يؤدي ذلك الى خلو القلب
عن ذكر الله تع والاشتغال كله بالشيطان فنحن نجمع بين الامرين فانا ان نسيناه
ربما عرض من حيث لا نحتسب وان تجردنا لذكره اهملنا ذكر الله تع فالجمع اولى وقال
العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر
الله تع وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب
الاشياء على قلوبنا واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب
بين ذكر الله تع والشيطان بل الحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر مع
نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به فيشتغل بذكر الله تع ويكب عليه بكل
الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر
له الشيطان تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله تع لا يمنع من
التيقظ عند نزغة الشيطان فاهل البصرة اشعروا انفسهم عداوة الشيطان
وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله تع ودفعوا بالذكر
شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو **بيان الرخصة** في اظهار
الطاعات اعلم ان في الاسرار بالاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي
الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء والاظهار
في نفس العمل كالصدقة في الملاء لترغيب الناس فيها وساير الاعمال يجري هذا المجرى
لان الغزو في اصله من اعمال العلانية ولا يمكن اسراره اختلف الناس في

الافضل وينبغى لمن يظهر عمله ان يظهره فى الموضع الذى يقتدى به فيه والضا يراقب قلبه
فانه ربما يكون فيه شوايب الريآء الخفى فيدعوه الى الاظهار افضل من العلانية فاما الضعيف
فلا ينبغى له ان يخدع نفسه بذلك فيهلك من حيث لا يشعر ومن اماراته انه لو قيل له اخف
العمل حتى يقتدى بعابد آخر من اقرانك ويكون لك فى الستر مثل ما للاعلان فان رضى
بذلك فيعلم انه طالب للجوع وان لم يرض فيعلم ان مقصوده الصيت القسم الثانى ان يتحدث
بما فعله بعد الفراغ منه وحكمه حكم اظهار نفس العمل والخطر فى هذا اشد لان مؤنة
النطق على اللسان فانه ربما يجرى على لسانه زيادة وللنفس لذة فى اظهار الدعاوى
الا انه لو تطرق اليه الريآء لم يؤثر فى افساد العبادة الماضية وان صفت النية
للترغيب فى الخير فهو مندوب اليه فقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقويآء

بيان الرخصة فى كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهية ذمهم لها اعلم
ان الاصل فى الاخلاص استوآء السر والعلانية وما يخفيه العبد من المعاصى والخواطر ليرى
الناس انه ورع وانه خايف من الله تعالى مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرآئى واما الصادق
الذى لا يرائى فله ستر المعاصى ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية
اوجه الاول ان يفرح بستر الله تعالى عليه وان افتضح اغتم بهتك الله تعالى ستره وخاف ان
يهتك ستره فى الآخرة الثانى انه قد علم ان الله عز وجل يكره ظهور المعاصى ويحب سترها
واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا الثالث ان يكره ذم الناس
له من حيث انه يشتغل قلبه عن طاعة الله عز وجل فان الطبع يتأذى بالذم وينازع
العقل الرابع ان يكون ستره ورغبته فيه كراهته لذم الناس من حيث ان الذم يولم
القلب لا ربت تألم بالذم محمود خصوصا اذا كان الذم من اهل البصيرة فانهم شهدآء
الله عز وجل والغم المذموم ان يغتم بفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع
لا يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله تعالى فيكون قد طلب بطاعة الله تعالى ثوابا من غيره فان
وجد ذلك فى نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد وكراهة الذم بالمعصية من
حيث الطبع ليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك فاما كراهة الذم على المعصية فلا محذور

فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله سبحانه وتعالى
فان ذلك غاية النقصان فى الدين الخامس ان يكره الذم من حيث ان الذام عصى
الله عز وجل وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا السادس ان يستر كيلا يقصد بشر اذا
عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم السابع مجرد الحيآء فانه نوع الم ورآء الم الذم
والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث فى اول الصبا فانه مهما نظر بنور العقل يستحيى
من القبايح اذا شوهدت منه الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجرئ غيره
عليه ويقتدى به وبهذه العلة ينبغى ان يخفى العاصى معصيته على اهله وولده
لانهم يتعلمون منه فان قلت لحب الناس قد يكون محمودا وقد يكون مذموما
والمحمود ان يحب ذلك ليعرف به حب الله تعالى له فانه اذا احب عبدا حببه فى قلوب
عباده والمذموم ان يحب حبهم وحمدهم على حجه وغزوه وعلى طاعة بعينها فان
ذلك طلب عوض على طاعة الله سبحانه وتعالى سوى ثوابه والمباح ان يحب ان يحبوه بصفات
محمودة سوى الطاعات المحدودة المعينة بيان ترك الطاعات خوفا من الريآء
ودخول الآفات اعلم ان من الناس من يترك الطاعات خوفا من الريآء وذلك
غلط وموافقة للشيطان فنذكر ما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الريآء
وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة فى عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها
مقاسات ومجاهدات وانما تصير لذيذة من حيث توصل الى حمد الناس والى ما
هو لذيذ كالقضآء والولاية والتدريس والتذكير وانفاق المال على الخلق
وغير ذلك القسم الاول الطاعات اللازمة للبدن التى لا لذة فيها كالصلوة
والصوم والحج فخطرات الريآء فيها ثلثة اوجه احدها ما يدخل قبل العمل فيبعثه
عليه لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغى ان يترك لانه معصية الثانى
ان ينبعث لاجل الله عز وجل ولكن يعترض الريآء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغى
ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع فى العمل وليجاهد نفسه فى دفع الريآء
وتحصيل الاخلاص الثالث ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الريآء فينبغى ان يجاهد

في الدفع ولا يترك العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص حتى يتم العمل وربما يحمله الشيطان
على ترك العمل بان يوسوس اليه ان هذا العمل مشوب بالرياء فاتركه وترك العمل
لاجل الرياء يجر الى البطالة فما دام يجد باعثا دينيا على العمل فلا يترك العمل ويجاهد
خواطر الرياء بل ان قدر على ان يزيد في العمل حياء من الله تع فليفعل فان قال
الشيطان انت مرائي فليعلم لا محالة كذبه من الذي يصادف في قلبه من كراهة الرياء
فان لم يكن الباعث دينيا ولا حصل له كراهة للرياء فليترك العمل **القسم الثاني** ما يتعلق
بالخلق ويعظم فيه الآفات واعظمها الخلافة فمن ليس له قوة قهر الهوى ولم يجرب
نفسه على الحق فيهلك بل ينبغي ان لا يشرع فيها الا الاقوياء الذين لا تأخذهم في الله
تع لومة لائم ولا تقهرهم نفوسهم وان علم القوة في نفسه في الحال وخاف في المستقبل
فالاولى ان يحترز لان النفس خداعة مدعية للحق ومهما مالت النفس الى طلب الولاية
وحملت على السؤال في الطلب فهي امارة الشر وكذلك القضاء والتدريس والوعظ
والفتوى وكل ما يكون لاجل الجاه وطلب الرفعة وعظم القدر فآفته ايضا عظيمة
مثل آفة الولايات فان النفس اذا مالت الى الجاه لا تتبع الحق بل تطلب ما يحصل به العظمة
فمن يكون باعثه هذا ينبغي ان يترك ويخالف الهوى الى ان يأمن نفسه ويقوى
في الدين متنه فان قيل النهي عن هذا يؤدي الى اندراس العلم فنقول ليس كذلك فان في
الطبع من الميل ما يحمل على ذلك للرياسة ولو حبس لا نفلت من الحبس لطلب ذلك وقد وعد
الله تع بان يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقد ورد في علماء السوء اخبار و
آثار كثيرة والعالم المشتغل بالعلم لا نقول له اترك بل نأمره بترك الرياء فان كان الباعث
عليه الرياء ولا يمكنه ترك الرياء فنأمره بترك العلم او الوعظ وكذلك جميع العبادات
والرياء في الولايات يدفعه الاقوياء فاما الضعفاء فيتركون الولايات ولا
شك في ان ترك ما فيه آفة الرياء والاشتغال بذكر الله تع افضل وما يتعلق بالخلق
فللنفس فيه لذة والآفة فيه كثيرة فلينظر العاقل لنفسه ويعرض هذه الامور على
العقل ويعرف ما فيهما من الخير وما فيهما من الشر ثم يقايس بينهما فما كان فيه الخير اكثر

فيعمله

فيعمله وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهي موكولة الى اجتهاد
القلب والواعظ الصادق الذي لا يريد رياء الناس له علامتان احديهما انه لو ظهر
من هو احسن منه وعظا واشد قبولا فرح به ولم يحسده والآخر ان لا يحب اتباع
الناس له في الطريق ومشيهم خلفه **بيان** ما يصح من نشاط العبد بالعبادة بسبب رؤية
الخلق اعلم ان من بيت مع قوم ويراهم يتهجدون فانبعث من نفسه داعية وظهر له
نشاط في ذلك فربما يظن انه رياء وان الواجب عليه ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق
بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في طاعة الله تع ولكن قد تعوقه عوائق او يستهويه
الغفلة فيكون رؤية الغير سببا لزوال الغفلة فينبعث النشاط او يعوقه في البيت
اشغال وههنا يكون فارغا او يكون في منزله تغلبه النوم وههنا لا يغلبه فيحمله
على الموافقة معهم هذا وكذلك قد لا يصبر في بيته عن الطعام والشهوات فاذا كان
في موضع آخر ولا يرى الشهوات ويرى اقواما صياما ما ينبعث من باطنه داعية
الصوم فهذا وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس
وكونه معهم والشيطان ربما يصده ويقول لا تعمل فانك مرائي اذ كنت لا تعمل
مثل هذا في بيتك فلا تزد على صلواتك المعتادة وربما يكون رغبته في الزيادة لاجل
الرياء وللخوف من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم
بالليل فنفسه لا تسمح ان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته فيقول له الشيطان
عند ذلك صل فانك مخلص وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق فانما
داعيتك زوالها لا اطلاع الناس وهذا امر لا يشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف
ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده فانه يعصي الله تع وان كان
انبعاثه لدفع العوائق وتحركه الغبطة والمنافسة فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض
على نفسه انه لو رأى هؤلاء يصلون وهو من حيث لا يرونه يصلي فلا يثقل ذلك على
نفسه وتسمح به فليصل وان كان يثقل عليه فليترك فان باعثه الرياء وكذلك اذا رأى
جماعة يبكون فيحضره البكاء خوفا من الله عز وجل لا من الرياء فهو محمود وعلامة الصدق

فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يتباكى ام لا فان
لم يجده نفسه ذلك فينبغي ان لا يتباكى وكل ما كان الباعث عليه الدين دون الرياء
فليعمله وكذلك الصيحة والتنفس والانين فانه اذا راى جماعة يتاسفون على فوات
الاعمال الصالحة فيحزن ويتنفس لقساوة قلبه ولانه لا يتاسف فذلك محمود وان تنفس ليدل
على انه كثير الحزن ليرغب فيه فان تجردت هذه الداعية فهي الرياء فان اقترنت بداعية
الحزن فان اباها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط
اجره وتعرض لسخط الله تع وقد يكون اصل البكاء على الحزن ولكن يمده ويزيد فيه
فتلك الزيادة رياء وكذلك قد يسقط عند السماع ثم يستحيي ان يقال انه سقط من
غير حالة شديدة فيزعق ويسقط اخرى ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد يطيل
حالته لئلا يقال ان حالته غير ثابتة فهذا وامثاله من مكايد الشيطان ونزغات
النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن لمقتوه
وان الله عز وجل مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي عن الجنيد انه قام فزعق
فقام معه شيخ راى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم فجلس الشيخ وقد
ورد في الخبر نعوذ بالله من خشوع النفاق وهو ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع
من ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فان ذلك قد يكون من خاطر
خوف وقد يكون رياء فينبغي ان يراقب قلبه فكل ما يكون لله تع يمضيه وما يكون
فيه نوع رياء يرده فان الرياء اخفى من دبيب النمل واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون
الى حمد الناس بعد الشروع في الاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر فتفكر في
اطلاع الله عز وجل عليك ومقته لك بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده
وفيه ويجب على المريد ان يلزم نفسه وقلبه القناعة بعلم الله تع في جميع طاعاته فانه لا يقنع
بعلم الله تع الا من لا يخاف الا الله تع ولا يرجو الا الله تع ومن يخاف غيره يشتهي
اطلاعه على محاسنه فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من التعرض
لمقت الله تع وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة فان النفس لا تقدر على كتمانها

ويقول له ان افشيت مثل هذا العمل للخلق عظموك وسجدوا لك ففي مثل هذا الامر
ينبغي ان يثبت قدمه فيقول كيف ابيع الخلود في الجنان والدرجات بتعظيم الناس
وهم عاجزون ويلزم قلبه ذلك ولا ينبغي ان ييأس عنه فاذا فعل ذلك فينبغي ان يكون
وجلا من عمله خائفا انه ربما دخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا
في رده وقبوله ويكون رجاؤه اكثر لتكثر لذته في المناجاة وكذلك السعي
في حاجات المسلمين وتعليم العلم ينبغي ان يكون رجاؤه الثواب لا المحمدة ولا الاتباع
والاستخدام حتى لا يحبط اجره فان خدمة التلميذ لا تحبط اجره اذا كان لا
ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده لو قطعه ومع هذا فالعلماء كانوا يحذرون
ذلك حتى روي ان بعضهم وقع في بئر فجاء قوم وادلوا الحبل ليأخذوه فحلف عليهم
ان لا يقف معهم من قرأ عليه اية من القرآن او سمع منه حديثا فاذن يجب
على العالم ان يلزم قلبه الثواب من الله عز وجل في اهتداء الناس به ويجب على المتعلم
ان يلزم قلبه طلب حمد الله تع وثوابه ونيل المنزلة عند الله تع لا عند المعلم فيتعلم لله
ويخدم المعلم لله تع وكذلك من يخدم ابويه يخدمهما لله تع لا لطلب المنزلة في قلوبهما
ولا يرائي بخدمته لينال عندهم بها منزلة فان ذلك معصية في الحال واما الزاهد
المعتزل فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله تع والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس
بزهده واستعظامهم لمحله والمقصود ان استشعار النفس عن العظمة في القلوب
يكون باعثا في الخلوة ولا يشعر العبد به فينبغي ان يتشمر للحذر منه فانه ربما حمله
على ذلك لغرس الرياء في صدره حتى يخف عليه العمل وهو لا يدري وعلامة سلامته
ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة وان تغير او خالطه شيء منه فليرده بالعقل
والايمان ولا يداخله فرح باطلاعهم على عمله وان داخله فيرده بكراهة العقل والايمان
فيرجى ان لا يحبط سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم وان كان نظره الى الاغنياء اكثر
من نظره الى الفقراء فهو مرائي او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد رغبته في الاخرة
نعم لك زيادة اكرام الغني اذا كان لك قرابة او يكون بينك وبينه حق صداقة سابقة

عن الناس

ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في الفقير كنت تقدمه لان الفقير اكرم عند الله
عز وجل من الغني فلا ينجيك من مكايدة الشيطان الا ان تخرج ما سوى الله عز وجل
عن قلبك وتتجرد الشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة
في ايام متفاوتة منقضية والله اعلم

كتاب ذم الكبر والعجب

اما بعد فقد قال رسول الله
صلعم عن الله عز وجل انه قال العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما
قصمته والكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله
تع ممقوتان مبغوضان فنحن نستقصي شرحهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر و
شطر في العجب

الشطر الاول

في الكبر وهو مذموم وقد ذمه الله تع في مواضع من
كتابه وذم كل جبار متكبر فقال سبحانه وتع ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق وقال رسول الله صلعم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من
الكبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقد ورد فيه ايات واخبار
واثار كثيرة وقال الصديق رض لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله
كبير وقال وهب رض لما خلق الله تع جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر
وكذلك ورد في ذم من يظهر التكبر في المشي وجر الثياب اخبار واثار كثيرة قال رسول
الله صلعم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وعن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن
رض اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها بعضا على
ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال اف اف شامخ
بانفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه اي حميق ابن حميق تنظر في عطفيك في نعم
غير مشكورة ولا مذكورة غير الماخوذ بامر الله تع فيها ولا المؤدي حق الله تعالى
منها والله ان يمشي احدكم طبيعته ان يتخلج تخلج المجنون وكل عضو من اعضائه لله تعالى
نعمة فيه وللشيطان لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى
ربك اما سمعت قول الله تع ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ
الجبال طولا وقد ورد في فضيلة التواضع اخبار واثار كثيرة قال رسول الله صلعم

ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله تع الا رفعه الله وقال عمر رض ان العبد
اذا تواضع لله تع رفعه الله بحكمته

بيان حقيقة الكبر

وافته اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر
وباطن فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هي اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر
بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق فالاصل هو الخلق الذي
في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي
متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب والشخص انما يكون متكبرا اذا راى
نفسه فوق الغير بصفة الكمال فان راى غيره اعظم منه لم يتكبر عليه وكذلك لو راى
غيره مثل نفسه لم يتكبر عليه بل ينبغي ان يرى نفسه فوق مرتبة الغير فعند هذا
الاعتقاد يحصل منه خلق الكبر فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما
اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو
خلق الكبر ولهذا قال النبي صلعم اعوذ بك من نفخة الكبر وهذه العزة تقتضي اعمالا في
الظاهر والباطن هي ثمراتها ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى
غيره حقر من دونه وازدراه وترفع عن مجالسته ومواكلته وراى ان حقه ان يقوم
بين يديه وان اشتد كبره استنكف عن استخدامه وان قصر في حوائجه استبعد وان
وعظ استنكف والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة فلا حاجة الى احصائها وافة
الكبر عظيمة وفيه هلك الخواص من الخلق وقل ما ينفك عنه العباد والعلماء والزهاد
فضلا عن عوام الناس وهو يغلق على الرجل ابواب الجنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة متكبر و بترك التواضع والنصح والتودد ويفتح له ابواب النار وهي تعاطي
الحسد والحقد والغش فالكبر راس الاخلاق الذميمة وهي متلازمة وبعضها يدعو الى
بعض

بيان درجات

المتكبر عليه واقسامه وثمرات الكبر فيه والتكبر ينقسم الى ثلاثة
اقسام الاول التكبر على الله تع وذلك هو افحش انواع الكبر ولا منشأ له الا الجهل المحض و
الطغيان كما حكي عن جماعة من الجهلة مثل نمرود وفرعون الثاني التكبر على الرسل
عم من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد وذلك تارة يصرف عن الفكر و

الاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع
مع المعرفة فلا تطاوعه النفس للانقياد للحق والتواضع للرسول عم وهذا الكبر قريب من
التكبر على الله تع وان كان دونه الثالث التكبر على العباد وذلك ان يستعظم نفسه ويستحقر
غيره فتأبى نفسه عن الانقياد له وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويأنف من مساواتهم
وهذا وان كان دون الاول والثاني وهو ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر لا يليق
الا بالله عز وجل والعبد اذا تكبر فقد نازع الله تع في صفة لا يليق الا به فمن تكبر عليهم
فقد جنى عليه نعم الفرق بين هذه المنازعة ومنازعة نمرود في اصل الملك والوجه الثاني
الذي يعظم رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله عز وجل في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق
من عبد من عباد الله تع استنكف من قبوله ولذلك ترى المناظرين اذا ظهر الحق على
لسان واحد ينازعه الآخر ويجحده وهذا هو وصف المنافقين والكفار قال الله تع و
قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ومبدأ كفر ابليس الكبر
بيان ما به التكبر اعلم ان التكبر انما يكون من استعظام نفسه ولا يستعظمها الا وهو
يعتقد صفة من صفات الكمال فيها وجماع ذلك يرجع الى كمال ديني ودنياوي والديني
هو العمل والعلم والدنياوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة
الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء اذ هو يستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه
وينظر الى الخلق نظره الى البهائم ويتوقع ان يبدؤه بالسلام ويرى لنفسه عليهم منة
اذا قعد معهم او قبل منهم ويستخدمهم فان قصروا استنكر كانهم عبيده او اجراؤه فهذا
فيما يتعلق بالدنيا واما في امر الآخرة فيتكبر عليهم بان يرى نفسه عند الله عز وجل
اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو
لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف
به الانسان نفسه وربه وخطر الخاتمة وهذا يزيد صاحبه تواضعا وخوفا فان قلت
فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان له سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما
يسمى علما وليس بعلم حقيقي لان العلم الحقيقي ما يعرف به العبد نفسه وربه وخطر امره

وماورآ

وماوراء ذلك من العلوم بان يسمى صناعات اولى السبب الثاني ان يخوض في العلم وهو خبيث النفس
سيء الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه فاذا خاض في العلم لم
يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ورد في ذلك اخبار وآثار ومن يكون طاهرا
من هذه الرذائل فهو عزيز جدا فكيف ومن يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات
هذه الخصلة فذلك ايضا عزيز الثاني العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة الكبر والعز
واستمالة قلوب الناس وتترشح منهم الكبر في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم
بزيارتهم اولى من انفسهم بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم
وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى ويرون لعبادتهم
منة على الخلق واما في الدين فانه يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو
الهالك تحقيقا مهما رأى ذلك واذا ازدراهم ربما نقله الله تع الى علمهم ونقلهم
الى عمله وان اذاه مؤذ استبعد ان يغفر الله له ولا يشك انه صار ممقوتا عند الله
ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار واذا اصابته نكبة زعم ان ذلك من
كراماته مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله تع ورسله عم ولم يعاقبهم
الله تع في الدنيا وبعبادته يمتن على الله تع وعلى خلقه ويعتقد انه فوق كل احد وباطنه
مملو من الحسد والحقد والكبر والعداوة وهو ضحكة الشيطان وممقوت عند الله تع بل
الاكياس من العباد رأوا انفسهم اقل من جميع الخلائق وما يصيب الناس من الشر
من شؤمهم والعلماء والعباد في الكبر على ثلاث درجات الاولى ان يكون الكبر
مستقرا في قلبه فيرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى
غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في نفسه شجرة الكبر الا انه قطع اغصانها بالكلية الثانية
ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاخوان وادنى ذلك ان يصعر
العالم خده للناس والعابد يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه غضبان عليهم ولا يعلمون
ان الورع في القلوب لا في الوجوه ولا في الرقبة حتى يطأطئ الثالثة هو ان يظهر الكبر
على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات

الاحوال والمقامات والازدراء بغيره من العباد وذكر اعماله فهذه كلها اخلاق الكبر والتعزز بالعلم والعمل **الثالث** التكبر بالنسب والحسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك وان كان ارفع منه عملاً وعلماً ويرى ان الناس كلهم دونه فيأنف من مخالطتهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي ومن انت ومن ابوك واني لمثلك ان يكلمني وما يجري مجراه وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب ان كان صالحا وعاقلا **الرابع** التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره في النساء ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس **الخامس** الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في الخزائن وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويقول انت مكدي ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك وانا انفق في اليوم ما تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقار الفقر وذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر **السادس** الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف **السابع** التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والعشيرة والغلمان والجنود وكل ما يعتقد انه كمال وان لم يكن كمالاً امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث يتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا ويتكبر به فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض **بيان البواعث** على الكبر واسبابه المهيجة له اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرته ونتيجته وذلك يسمى تكبراً والتكبر الظاهر اسبابه ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء اما العجب فانه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الحقد ولا تطاوعه نفسه ان يتواضع له واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب

يقتضي

يقتضي الحقد والغضب ويدعو الحسد ايضا الى ان يمتنع من قبول النصح وتعلم العلم فيتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه وذلك الحسد يبعثه على ان يعامله بهذه الاخلاق وان كان في باطنه لا يرى نفسه فوقه واما الرياء فانه ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من هو افضل منه ويمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة منه خيفة ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه والباقون يتكبرون في الخلوة ايضا **بيان احوال المتواضعين** والتكبر يظهر في شمائل الرجل بصعر وجهه ونظره شزراً واطراق رأسه وجلوسه متربعاً ومتكئاً وفي اقواله حتى في صوته ونغمته ويظهر في مشيه وتبختره وقيامه وجلوسه وفي ساير تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض **فمنها** التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه **ومنها** ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه **ومنها** ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع **ومنها** ان يستنكف من جلوس غيره بجنبه وبقربه **ومنها** ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين **ومنها** ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته وان لا يأخذ متاعه ويحمله الى بيته **ومنها** اللباس فانه يظهر به التكبر والتواضع ضد هذه الاخلاق والافعال كلها **بيان الطريق** في معالجة الكبر واكتساب التواضع اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شيء منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من سنخه والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره **المقام الاول** في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه وعظمته عرف انه لا يليق الكبر الا بالله اما معرفته نفسه ومعرف

ربه فان ذلك يطول ولكن يتذكر في معرفة نفسه من القرآن ما يشفع في اثارة التواضع
والذلة والقرآن مشحون بذلك قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره الآية وقوله تعالى
فلينظر الانسان مم خلق الآية وقوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه الآية فجعلناه سميعا بصيرا
فبعد ان كان ترابا مهينا جمادا خلقه الله تعالى من نطفة من ماء وسواه وعدله وقوى
وخلق الاعضاء بما فيها من العجايب قال الله تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب فانظر
الى نعم الله تعالى كيف نقله من تلك الذلة والقلة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا
بعد العدم وناطقا بعد البكم وغنيا بعد الفقر واي شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل
من العدم ثم صار بالله تعالى شيئا قال الله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى فمن كان هذا بدؤه
فمن اين له العلو والكبرياء وهو على التحقيق اخس من الاخساء نعم لو اكمله وفوض اليه امره
في دوام الوجود ربما كان ينسى المبدأ والمنتهى ولكن سلط عليه في دوام الوجود
الامراض والآفات المختلفة والطبايع المتضادة والارادات المتنوعة ثم استيلاء
الموت عليه وازالة روحه وتغير نفسه واستيلاء الديدان عليه واستقذار كل احد له
واخس احواله ان يعود كما كان في الاول ترابا ثم يخرج من قبره الى اهوال القيامة
وعرض الحساب وقراءة الكتاب فيقول يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة الا احصاها فيرى تكبره وافتخاره فيه فربما يختار ان يكون كلبا او خنزيرا
ليكون من البهايم ترابا وان كان مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب منه
رايحة وهو بين النار والجنة متحير اترى من يكون هذا اوله وآخره كيف يتكبر على احد
فهذا علاجه العلمي القامع لاصل الكبر اما العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولساير الخلق
والمواظبة على اخلاق المتواضعين والاقتداء باحوال الصالحين وان يقتدي بافعال
رسول الله صلعم فانه كان يأكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبيد و
لذلك امر العرب الذين كانوا يتكبرون بالصلوة كلهم لانهم كانوا يأنفون من
الانحناء كان يسقط من يد احد سوطه لا ينحني لاخذه ولما كان السجود عندهم منتهى الذلة
امروا به ليكسر بذلك خيلاؤهم فكذلك لا يزول الكبر الا بتعاطي التواضع المقام الثاني

فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة فنذكر طريق العلاج من العلم والعمل
في جميع الاسباب السبعة المذكورة الاول النسب فمن يعتريه التكبر من جهة النسب فليداو
قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل لانه تعزز بكمال غيره فان كان خسيسا في ذاته
فمن اين يجبر خسته كمال غيره الثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه
القريب النطفة وجده البعيد تراب ذليل فمن اصله من التراب الذي يداس بالرجل
كيف يتكبر وهو خسيس النسب من الماء والتراب السبب الثاني الكبر بالجمال ودواؤه ان
ينظر الى باطنه حتى يرى من الفضايح ما يكدر عليه تعززه بجماله من الاقذار في اجزائه
والرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط والبصاق والوسخ والريم و
الصديد والصنان وفي اول امره خلق من الاقذار من النطفة والحيض واخرج
من مجرى الاقذار ولو اهمل نفسه عن التنظيف والغسل يوما لثارت منه الانتان
والاقذار فاذا نظر في انه خلق من الاقذار واسكن في اقذار وسيموت ويصير جيفة
اقذر من ساير الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن ولو كان جماله
باقيا خاليا عن الاقذار والقبايح لكان تقبيح التكبر به فانه ليس منه ولا بقاء
له فمعرفة هذه الامور ينزع الكبر من القلب السبب الثالث التكبر بالقوة والايد
ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد
من بدنه لصار اعجز من كل عاجز وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان
بقة او نملة لو دخلت انفه واذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله اعجزته فمن
لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة كيف يفتخر بقوته واقوى انسان لا يكون اقوى
من فيل وجمل وحمار واي افتخار في صفة يسبقه البهايم فيها السبب الرابع التكبر بالغنى
وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين وهذا
اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت
داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره
على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه صار اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج

عن ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى
والثروة فاف لشرف يسبقك به اليهودي ويأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود
صاحبه ذليلاً مفلساً وهو في الآخرة نكال وخزي فالتفاخر به غاية الجهل فكل ما ليس
اليك فليس لك وانت مملوك وكل ما في يدك عارية وبقاؤه ليس بك وكل من عرف ذلك
فلا بد ان يزول كبره بالمال وما في معناه وهذا اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل
السبب الخامس الكبر بالعلم وهذا اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج
الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عند الله تعالى عظيم وعند الناس ايضا
عظيم وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما ولهذا قال كعب رضي ان للعلم طغيانا كطغيان
المال ولن يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله تعالى على اهل
العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم ومن عصى الله تعالى على معرفة وعلم
فجنايته افحش اذ لم يقض حق الله تعالى عليه في العلم كما وردت الاخبار والآثار
في ذم علماء السوء وكمال العلم عظيم فخطره ايضا عظيم كالملك المخاطر بروحه في ملكه
لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة
سلامة الجهال والعياذ بالله تعالى منه فهذا الخطر يمنع التكبر اذ لو كان في النار لكان
الخنزير افضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله ولا ينبغي ان يكون اكبر من الصحابة رضي وقد قال
بعضهم ياليت امي لم تلدني ويقول الآخر ياليتني كنت طيرا وكل ذلك خوفا من خطر
العاقبة فاذا تفكر العالم في احواله وصفاته زال كبره الامر الثاني ان العالم يعرف ان
الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وانه اذا تكبر صار ممقوتا بغيضا عند الله تعالى وان لم يكن
له ذنب وهذا يزيل التكبر عن قلبه فان قلت كيف يتواضع للفاسق والمبتدع وكيف يرى
نفسه دونهم وهو يعلم فضيلة العلم فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو
نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه فانه يتصور ان يسلم الكافر ويختم له بالايمان ويضل هذا
العالم ويختم له بالكفر والكبير من كبر عند الله تعالى في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو
عند الله من اهل النار وقد يظن شخص انه يبغض الكافر والمبتدع لله تعالى في الحال ويغضب عليه

وربما

وربما يكون غضبه لرؤية نفسه بعين الكمال وغيره بعين النقصان فيتكبر عليه و
ذلك ان الغضب والبغض لله تعالى في البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم فينبغي
ان ينظر في ذلك الحال الى ما سبق من ذنوبه وخطاياه والى ان عمله الصالح وهدايته
من الله تعالى لا منه وان العاقبة مبهمة لا يعلم انه يختم له بالسوء او بالحسنى ثم يغضب
عليه للغضب لله تعالى عليه في الحال ولا يرى ان نفسه في غضبها ناجية هالكا وليس من
ضرورة الغضب لله تعالى ان تتكبر على المغضوب عليه فيمكنك ان ترى الفاسق فتبغضه
بحكم الامر وتراه خيرا منك لما سبق منك من الذنوب السبب السابع التكبر بالورع والعبادة
وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله ان يلزم قلبه التواضع لساير العباد
وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان تتكبر عليه كيف ما كان لما عرف من فضيلة
العلم قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وكما ان العلم يمكن ان
يكون حجة على العالم ويمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما
ممكن لان خاتمة الامور مشكوك فيها وربما يكون ممقوتا عند الله تعالى بذنب واحد
فالعالم والعابد ينبغي ان يخافا على انفسهما لانهما كلفا امر انفسهما لا امر غيرهما
وهذا يمنع من التكبر بكل حال فهذا حاله مع العالم واما مع غير العالم فهم ينقسمون الى
مستورين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر عبادة واشد منه
حبا لله تعالى واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد على ذنوبك في طول عمرك فلا
ينبغي ان تتكبر عليه ولا يمكن ان يقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك وذنوب
غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان يعلم ان ذنوبه اشد
كالقتل والشرب والزنا ومع ذلك لا ينبغي ان يتكبر عليه فان ذنوب القلب من الكبر و
الحسد والريا واعتقاد الباطل كل ذلك شديد عند الله تعالى فرب ما يجري في باطنك عليك
من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق من الطاعة في القلب من
حب الله تعالى ومن خوف وتعظيم ما انت غافل عنه وقد كفر ذلك ذنوبه فاذا تفكرت
في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وان ترى نفسك فوق غيرك وربما يدعي

القلب التواضع بعد هذه المعرفة والبراءة من الكبر وهي كاذبة فلا ينبغي ان يكتفي في
المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان تكمّلها بالعمل وتجرّب بافعال المتواضعين وتمتحن النفس
بخمسة امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن الامتحان الاول ان يناظر
في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد
له فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليشتغل بعلاجه وان كان الثقل منه في الملا
لا في الخلوة فذلك رياء لا كبر فليداوه الثاني ان يجتمع مع الاقران في المحافل و
يقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدر تحتهم فان ثقل عليه فهو متكبر فليواظب
عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله وهنا مكيدة الشيطان وهو ان يجلس في صف النعال
او يحول بينه وبين اقرانه بعض الارذال ويظن ان ذلك تواضع وهو عين التكبر الثالث
ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل عليه فهو
كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق وليكثر من ذلك حتى يزول كبره الرابع ان يحمل
حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر ان كان
يثقل في الخلوة وان كان يثقل في مشاهدة الناس فهو رياء والكل مهلك الخامس ان يلبس ثيابا
بذلة فان نفرت النفس عن ذلك في الملا فهو رياء وفي الخلوة كبر بيان غاية الرياضة في
خلق التواضع اعلم ان هذا خلق كساير الاخلاق له طرفان ووسط وطرفه الذي يميل
الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى
تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة وتخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب
الامور الى الله تعالى اوساطها فمن تقدم على امثاله فهو متكبر ومن تاخر عنهم فهو متواضع و
دخل عليه اسكاف فاخلى له مجلسه واجلسه فيه ثم قام وسوى نعله وعدا الى الباب خلفه فقد
تخاسس وذلك ايضا غير محمود والمحمود العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فاذا سبيله
في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن
العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل
عليه فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل وان خفف ذلك حتى

ثقل عليه رعاية قدره واحب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع
نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق و
في ساير الاخلاق الشطر الثاني من الكتاب في العجب والعجب مذموم في كتاب الله تعالى
وفي سنة رسول الله صلعم قال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وقال رسول الله صلعم
ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ابن مسعود رضه
الهلاك في اثنين القنوط والعجب وقد ورد فيه ايات واخبار واثار كثيرة بيان
آفة العجب اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه فيتولد منه
الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب يدعو
الى نسيان الذنوب واهمالها وان صدر منه ذنب فلا يستعظمه ولا يجتهد في تداركه بل
يظن ان يغفر له واما العبادات فيستعظمها ويمن على الله تعالى بفعلها وينسى نعمة توفيق
الله تعالى لعملها ومن لم يتفقد اعماله يكون اكثر سعيه ضايعا ويخرجه العجب الى ان يثني على
نفسه فيكون مغترا آمنا من مكر الله تعالى وعذابه ولم يعلم ان الانبياء عليهم السلام كانوا
راجين خايفين على انفسهم وكانوا يتمنون ان لم يكونوا خوفا من الله تعالى ولم ير ان الله تعالى
يعطي بلا وسيلة ويرد بلا وسيلة وكم من شخص كان يصدر عنه الاعمال الصالحة كتب في
ديوان الاشقياء والعجب قد يكون بالاسباب التي يتكبر بها وقد يعجب بالكبر ويعجبه بالراي
الخطا الذي زين له بجهله فابواب العجب ثمانية الاول العجب ببدنه في جماله وهياته فيلتفت
الى جمال نفسه وينسى انه من نعم الله تعالى وانه في معرض الزوال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر
وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وآخره الثاني العجب بالقوة والبطش فيفكر
في قوة قوم عاد وعوج كيف كان ذلك وبالا عليهم ولما ادعى داود عم القوة
كيف ابتلى الثالث العجب بالعقل والتفطن لدقايق الامور والكياسة وثمرته الاستبداد
بالراي وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزقه من العقل ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف
يوسوس ولا يامن من ان يسلب عقله ان اعجب به ولا يغتر بعقله فانه قد يكون قاصر العقل
وهو لا يعرف قصوره كما ان الاحمق ايضا يعجب بعقله الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية

فان منهم من يعتقد انه ينجو بآبائه وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف اباه في افعالهم واخلاقهم
وظن انه يلحق بهم فهو جاهل وما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازدراء على النفس وقد
شرفوا بالطاعة لا بالنسب وربما يصدر منه ذنب يصير به ممقوتا عند الله تعالى فلا يلحقه الشفاعة
فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة والى ما يعفى عنه بالشفاعة
فلا يجوز ان يعول على صلاح آبائه ويغتر باعماله ولا يجوز للمريض ان يترك فيه الاحتماء اعتمادا
على حذاقة والده الطبيب بل يحتمي وغاية الطبيب في ان يامر باستعمال الادوية النافعة
فكذلك النسب ولا يجوز الانهماك في الشهوات بناء على شفاعة الآباء الخامس العجب بنسب السلاطين
الظلمة واعوانهم دون نسب الدين وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى منهم من الظلم
على عباد الله تعالى فانهم ممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار لاستنكف
منها السادس العجب بكثرة العدد من الخدم والاقارب وعلاجه ان يتفكر في انهم كلهم
عاجزون لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف لغيرهم وهم يتفرقون عنه بالعاجل
واذا مات فانه يبقى في قبره وحده فريدا ذليلا لا يوافقه احد منهم وكذلك في يوم
القيمة يهربون منه السابع العجب بالمال وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم
غوائله وفي فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيامة الثامن العجب بالراي الخطاء وكل حزب
بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما يصروا عليها لعجبهم بآرائهم وعلاجه ان
يتهم نفسه ويعلم انه لا يعرف مقدار عقله وكلما كان معجبا لرايه ومختارا له فذلك نعمية عن
رؤية وجه المفسدة ولو استضاء بنور العقل واستعان بعلماء الدين اهتدى الى الحق
بيان حقيقة العجب واعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم
وعمل ومال وغيره حالتان احديهما ان يكون خايفا على زواله مشفقا على تكدره فهذا
ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خايفا من زواله ولكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة
من الله تعالى لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو
ان يكون غير خايف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال
ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى فيكون فرحه بانه صفته ومنسوب اليه فاذن العجب هو

استعظام

استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك
ان يغلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه عنده بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا
سمي ذلك ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله تعالى حالة ان اعطى غيره شيئا واستعظمه او منّ
عليه يكون معجبا وان استخدمه واستبعد تخلفه عن قضاء حوائجه كان مدلا عليه قال
الله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك والادلال وراء العجب بيان علاج العجب على الجملة
اعلم ان علة العجب الجهل المحض وعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط لان علاج كل علة
بضدها فان كان العمل الذي يعجب به انما يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجرى
عليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف
يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث انه منه واليه وباختياره حصل وبقدرته
وقوته عمله فينبغي ان يتامل في قدرته وقوته وارادته واعضائه وساير الاسباب
التي تم بها عمله انها من اين كانت فان كان جميع ذلك نعمة من الله تعالى عليه من غير حق
سبق له فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه
وآثره على غيره من غير سابقة ووسيلة نعم يجوز ان يعجب بان يقول ان الله تعالى حكم
عدل ولولا ان لي استحقاقا لذلك لما اعطاني فينبغي ان يعلم ان ذلك الاستحقاق ايضا من
الله تعالى اعطاه اياه من غير وسيلة منه فاذن لا معنى لعجب العابد والعالم والجميل والغني
وغيرهم لان ذلك كله فضل من الله تعالى وكذلك كل ما يجرى عليه والاهلية التي يعطي بها
هذا كله من فضل الله تعالى وبتوفيقه حصل لان حركاته وسكناته وارادته وجميع افعاله واحواله
من خلق الله تعالى واختراعه واذا علم ذلك وتحقق ان الميسر للاعمال والخالق للارادات
هو الله تعالى لم يبق له عجب وصار عبدا ذليلا يرى النعمة عنده احسانا من الله تعالى اليه فلم يعجب بنفسه
ولا بعمله والله المستعان كتاب ذم الغرور اعلم ان مفتاح السعادة التيقظ والفطنة
ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة ولا نعمة اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليهما
الا بانشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما
سوى عمى القلب فارباب القلوب قلوبهم كمشكاة فيها مصباح والمغترون قلوبهم

كظلمات في بحر لجي ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا فالمغرور
اتخذ الهوى قايدا والشيطان دليلا والاكياس هم الذين اراد الله تع ان يهديهم
يشرح صدورهم للاسلام والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم
ضيقا حرجا فاذن الغرور ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله
وتفصيل ما يكثر الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته وهم فرق كثيرة ولكن يجمعهم اربعه
اصناف الاول من العلماء الثاني من العباد الثالث من المتصوفة الرابع من ارباب
الاموال والمغترون من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم تختلف فنبدا بذكر
غرور العلماء بعد بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته قال الله تع ولكنكم فتنتم انفسكم و
تربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني وقال رسول الله صلعم حبذا نوم الاكياس وفطرهم
كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من
ملء الارض من المغترين والغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد
الشيء على خلاف ما هو به بل يستدعي الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به هو
الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيئا يوافق الهوى وكان السبب الموجب
للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا تكون دليلا سمي الجهل الحاصل به
غرورا فالغرور سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة
من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل واما في الآجل عن شبهة فاسدة
فهو مغرور واكثر الناس مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم حتى كان
غرور بعضهم اظهر واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد
امثلة لحقيقة الغرور **المثال الاول** غرور الكفار فمنهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم
من غره بالله الغرور فاما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير
من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة
شك فلا نترك اليقين بالشك فهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال خلقتني
من نار وخلقته من طين وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان

اما

اما التصديق بمجرد الايمان ان يصدق الله تع في قوله وما عند الله خير وابقى وقوله والآخرة
خير وابقى وقد اخبر رسول الله صلعم بذلك طوايف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا
به وهذا ايمان العامة وهو يخرج من الغرور واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف
وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور لغروره سبب وذلك
السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون اليه وان كان
صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان
احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح **والآخر** قوله ان النقد خير من النسيئة
وهذا محل التلبيس فنقول ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فالنقد خير وان
كان اقل منه فالنسيئة خير فان الكافر المغرور يبذل درهما ليأخذ عشرة نسيئة
لا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذايذ الاطعمة
تركها في الحال خوفا من المرض في المستقبل وكذلك التجار يتعبون في الاسفار ويركبون
البحار لاجل الربح والتعب نقد والربح نسيئة فنسبة لذة الدنيا من حيث مدتها الى
مدة الآخرة نسبتها قليل فلا يكون عشر عشير جزء من الف جزء فكأنه ترك واحدا ليأخذ ما
لا نهاية له **الاصل الثاني** من كلامه ان الآخرة شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمن
وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق وتقليد الانبياء والاولياء والعلماء
وذلك ايضا يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض
لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء ان دواء علته النبت الفلاني فان نفسه
تطمئن الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين وان لم ينظر الى قولهم كان مغرورا
معتوها الثاني لمعرفة الآخرة الوحي والالهام فالوحي للانبياء والالهام للاولياء
وذلك بان يكشف لهم عن حقايق الاشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة
كما يشاهد المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك
بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله تع وليس المراد بالامر الذي يقابل النهي
لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام ولا المراد به الشان حتى يكون المراد به انه من خلق

الله تع فقط فان ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق
ولله الامر والخلق فالاجسام ذوات المقادير والكمية من عالم الخلق وكل موجود
منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصه في ذكره
لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه ومن عرف سر الروح
فقد عرف ربه فاذا انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه
اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب ورد على آدم عم وعبر عنه بالمعصية
وحطه عن الجنة وهذه اشارات الى اسرار تهتز لاستنشاق روايحها ارواح العارفين
ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور السلطان
بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن
والمؤمنون بالسنتهم وبعقايدهم اذا ضيعوا اوامر الله تع وهجروا الاعمال الصالحة
فهم مشاركون الكفار في هذا الغرور لانهم آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة نعم امرهم
اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن الخلود في النار وبهذا القياس يغترون بالله
ويقولون كما ان الله تع اعطانا في الدنيا فكذلك يعطينا في الآخرة ويقيسون هذا على ذلك
وذلك من غاية الغرور فانه انما اعطاهم في الدنيا لهوانهم عليه لا لكونهم لهم عنده قدر ومنزلة
ان يكون لرجل عبدان يحب احدهما ويبغض الآخر فالذي يحبه يؤذيه ويضربه ويمنعه الشهوات
المضرة والذي يبغضه يهمله ويطعمه كل ما يشتهي فيعتقد ان ذلك لحب سيده له وذلك
من بغضه اياه ولهذا اذا قبلت الدنيا على ارباب الآخرة قالوا ذنب عجلت عقوبته
ويرون ذلك امارة المقت وعلاج هذا الغرور ان ينظر الى فرعون وقارون وملوك
الارض كيف كانوا مستدرجين والى فقر الانبياء عم وتباعد الاولياء عن الشهوات
وهم المقربون عند الله تع ويطالع الآيات والاخبار الواردة في هذا الفن وامثاله
غرور العصاة من المؤمنين بالله تع قولهم ان الله تع كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم
على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم الرجاء
مقاما محمودا في الدين وان رحمة الله تع شاملة واين معاصي العباد في بحار رحمته

وربما كان مستندهم صلاح آبائهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة آبائهم وهذا
نهاية الاغترار بالله تع اذ ينبغي المغرور ان نوح عم اراد ان يستصحب ابنه معه في السفينة
فقال ان ابني من اهلي فقال الله تع له انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وابرهيم عم استغفر
لابيه فلم ينفعه وان نبينا عم استاذن في ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن له
في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يبكي رقة لها بسبب القرابة ومن ظن انه
ينجو بتقوى ابيه كان كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويصير عالما بعلم ابيه ويصل الى الكعبة
ويراها بمشي ابيه فان قلت فاين الغلط في قول العصاة ان الله تع كريم رحيم الشيطان
استهواهم بهذا فتمنوا على الله تع وغير الشيطان اسم التمني فسماه رجاء وخدع به الجهال و
الآيات والاخبار واردة بان الثواب يكون على قدر الاعمال جزاء بما كانوا يعملون افرى
ان من استوجر على اصلاح اواني وشرط عليها الاجرة له وكان الشارط كريما يفي بالوعد
ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجرة وزعم
ان المستاجر كريم افيراه العاقل في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وكذلك من يطلب في
الدنيا ولدا ولم يتزوج فهو معتوه فمن عمل الاعمال الصالحة فهو على حذر من سلامتها
من الآفات وخايف من احباطها فكيف من لم يعمل فان قلت فاين مظنة الرجاء وموضعه
المحمود فاعلم ان الرجاء محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة
فقال له الشيطان واني يقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تع فيجب عنده ان يقمع القنوط
بالرجاء ويتذكر ان الله تع كريم يقبل التوبة عن عباده والثاني ان يفتر نفسه عن فضايل
الاعمال ويقتصر على الفرايض فيرجي نفسه نعيم الآخرة وما وعد الله تع به الصالحين
حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة
فاذا توقع المغفرة على التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور والثاني
يقمع الفتور المانع من النشاط فاما اشتغاله بالمعاصي وايعاد نفسه بالمغفرة والرحمة فذلك
غرور وعند هذا يجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله تع وعظيم عقابه
ويقول ان الله كريم خلد الكفار في النار ابد الآباد لا يضره كفرهم بل سلط العذاب

والمحن والعلل والفقر على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته
في عباده كيف لا يخاف منه فان كان هذا الامر يدرك بالمنى فعلى ماذا كان بكاء الانبياء
والسلف الصالحين ويقرب من هؤلاء غرور طوايف لهم طاعات ومعاصي الا ان معاصيهم
اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون ان تصدقهم بدراهم معدودة من الحلال والحرام
يوازي ما تناولوا من اموال المسلمين ومن الشبهات ويظنون ان كل الف درهم حرام
تقاومه التصدق بعشرة من الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان
وفي الكفة الاخرى الف درهم واراد ان يساوي الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهلهم
وكذلك من لا يعد معاصيه ويغفل عن هذيانه ويعد تسبيحاته ويعتقد ان طاعته اكثر
من معاصيه ولا ينظر ولا يتفكر في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين وغيرهم فهو
مغرور ولو ان الكرام الكاتبين يطلبون منه اجرة النسخ بما يكتبون من هذيانه الذي
زاد على تسبيحه لكان يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته فسبحان من صدنا عن التنبه و
التدبر وهذا البيان بيان اصناف المغترين واقسام فرق كل صنف من الاصناف

الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة احكموا العلوم الشرعية والعقلية
وتعمقوا فيها واهملوا التفقد للجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا
بعلمهم وظنوا انهم عند الله تعالى بمكان وان شفاعتهم تقبل في الخلق وهم مغرورون
فانهم لو نظروا بعين البصيرة لعلموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم
بالله تعالى وصفاته واما علم المعاملة فهو معرفة الحلال والحرام واخلاق النفس المذمومة
والمحمودة وكيفية علاجها وهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن
لهذه العلوم قيمة فيكون صاحبها اذا لم يعمل بها كمريض معه نسخة الدواء وهو لا
يشربه بل يكرر قراءة النسخة ولا ينفعه ذلك ما لم يشرب الدواء فمن احكم علم الاخلاق
ولم يعمل بها فهو مغرور وان كان قد ورد في فضايل العلم اخبار الا انه قد ورد ايضا
في العالم الفاجر اخبار كقول رسول الله صلعم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد
من الله الا بعدا واما الذي يدعي علم المكاشفة ولكنه مع ذلك يهمل العمل ويضيع الاوامر

تع وصدوده فغروره اشد ومثاله كمن اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه
واوصافه ولونه وعادته ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه او عرف ذلك الا انه قصد خدمته
وهو ملابس لجميع ما يغضبه ومعطل لجميع ما يحبه من زي وهيئة وحركة فورد على الملك
وهو يريد التقرب منه مع تلطخه بهذا متوسلا اليه بمعرفته له فهو مغرور جدا ومن عرف
لون الاسد واسمه وشكله ولا يخافه فكانه ما عرف الاسد فكذلك من عرف من صفات
الله تعالى انه يهلك العالمين ولا يبالي لم يخف منه **وفرقة** اخرى احكموا العلم والعمل وواظبوا
على الطاعات وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة
من الكبر والحسد والريا وغيرها وربما لا يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير
فهؤلاء زينوا ظواهرهم ونسوا بواطنهم ونسوا قول النبي عم ان الله لا ينظر الى
صوركم وانما ينظر الى قلوبكم فالقلب هو الاصل فهو كرجل قصد ضيافة ملك ودخوله
الى داره فجصص باب الدار وترك المزابل في صدر داره فلا يخفى ان ذلك غرور
ومهما لم يطهر باطنه من الاخلاق الذميمة لم تسلم له الاعمال الظاهرة **وفرقة** اخرى
علموا هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم
انفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله تعالى من ان يبتليهم بذلك
واذا ظهر على احدهم مخايل الكبر والرياسة قال ما هذا كبر بل هذا ذب عن الدين و
اظهار شرف العلم وارغام انف المبتدعين وينسى ان النبي صلعم بماذا نصر الدين
وبماذا ارغم الكافرين وكذلك ما ورد عن الصحابة رض من التواضع والتبذل والفقر
حتى عوتب عمر رض عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا
نطلب العزة في غيره ثم هذا المغرور يزعم انه يطلب عز الدين بالثياب الدقيقة من القصب
والديبقي والخيول والمراكب وكذلك اذا اطلق لسانه بالحسد في اقرانه قال هذا غضب
للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه وكذلك في جميع الامور يذب عن نفسه وهواه
ويعتقد انه انما يفعل لله تعالى ولم يطالب نفسه بامارات الصحة وينبغي ان يكون
حق غيره كما هو في حق نفسه ولا يفرق بين نفسه وبين عالم آخر اذ يعتقد ان نصرة

الدين كما يظهر منه يجوز ان يظهر من ذلك الشخص ايضا ولو قيل له ثواب عملك في الخمول اكثر
من الاظهار والشهرة لم يرض بذلك واذا بذل له مال حرام اخذه ويقول هذا مال
لا مالك له واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارج عن الحصر ولكن
بهذا القدر تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح وتفقدوا
اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد وغيرهما وجاهدوا انفسهم في التبري
منها وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ بقي في زوايا
القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا
لذلك واهملوه وذهلوا عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقايق فترى احدهم يسهر ليله
ونهاره في جمع العلوم والتصانيف وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله
ولعل هذا المسكين المغرور حيوته في الباطن بما انتظم له من امر وعز وانقياد وتوقير
فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد فعساه يتشوش عليه قلبه وعساه
يعتذر بكل حيلة لنفسه وعساه يقدم بعض اصحابه على البعض وهو يرى انه يقدمه
لفضله وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده ويجتهد في تزيين الفاظه ليرغب الناس
فيه وربما يمدح نفسه في تصانيفه وان محى اسمه من تصنيفه واثبت اسم غيره فيه ثقل
عليه مع انه يعلم ان الثواب يرجع الى المصنف والله عالم بالمصنف ولعل جماعة من
هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد منهم بنفسه السلامة عن عيوب
القلب ولو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه
وانه اكثر تبعا او غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق منه بكثرة
الاتباع ولعل من يختلف الى واحد اذا انقطع عنه ورجع الى غيره ثقل على قلبه ولا
يهتز باطنه لاكرامه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد ولم يقدر على
اظهاره تعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول غضبت لدين
الله تع لا للنفس ومهما ذكر عيوبه بين يديه ربما فرح بذلك وربما يظهر انه كاره للغيبة
وقلبه راض بها ومريد لها فهذا وامثاله من خفايا القلوب لا يفطن له الا

الاكياس

الاكياس ولا يتنزه عنه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا ولكن اقل الدرجات ان يعرف الانسان
عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويحرص على اصلاحه وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه فهذا
غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الآن غرور
الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون فمنهم فرقة اقتصروا
على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية
بين الخلق للمعاش وسموه الفقه وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة
فلم يتفقدوا الجوارح والقلوب فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث
العمل والآخر من حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثال المريض
اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره لا باستعماله بل مثالهم من به علة البواسير وهو
مشرف على الهلاك يحتاج الى تعلم الدواء فاشتغل بتعليم دواء الاستحاضة وبتكراره
ويقول ربما يقع ذلك لامراة فتسالني عنها وذلك غاية الغرور وكذلك حال المتفقه
المسكين قد سلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات وربما يتخطفه الموت قبل التوبة
ويلقى الله تع وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بتعليم علم السلم والاجارة و
الظهار واللعان ولا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه فاذا احتاج غيره
ففي المفتين كثرة واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى ويظن
انه علم الدين وترك علم كتاب الله تع وسنة رسوله صلعم وعلم تهذيب الاخلاق فتراه
آمنا من الله تع مغرورا به متكلا على انه لا بد وان يرحمه الله تع فانه قوام الدين وهو
غافل مغرور ولم يعلم ان الفقه المعظم هو الفقه عن الله تع ومعرفة صفاته المخوفة
والمرجوة وعلم سلوك الطريق وقطع عقبات القلب اذ يوصله الى الله عز وجل
الخلق وكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة فانهم يستحقرونه وانما التحقيق عندهم معرفة
لاجل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل او تربية الصفات السبعية فغرور هؤلاء
اشد واقبح من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء
والرد على المبتدعين واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعليم الطرق

في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون
لعبد عمل الا بالايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم لا يعتقد مذهبهم ولم يتعلم
علمهم ودعت كل فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي
التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور لجميعهم شامل اما الضالة
فلغفلتها عن ضلالتها وظنها بنفسها النجاة وهي فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا
واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت ان الجدل اهم الامور وافضل
القربات في دين الله تعالى وانه لا يتم لاحد دينه ما لم يبحث ومن صدق الله تعالى من
غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن ولا بكامل فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها
في تعليم الجدل وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملت انفسها وقلوبها حتى
عميت عليها ذنوبها الظاهرة والباطنة وهي تظن ان اشتغالها بالجدل اولى و
التذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة اعمت بصيرتها فلم تلتفت الى القرن
الاول وانهم لم يشتغلوا بذلك وان الصحابة رض لم يضيعوا اعمارهم في تحرير مجادلتهم
مع اليهود والنصارى وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم
في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل واليقين والاخلاص
ونظاير ذلك وهم مغرورون اذ يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات
ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بها وهم منفكون عنها عند الله تعالى الا عن
قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم معجبون بانفسهم
غاية الاعجاب ويظنون انهم ما يتحدثون في علم الا وهم موصوفون به فيذمون الصفات
المذمومة وهم متصفون بها ويصرفون الناس عن الخلق وهم على الخلق اشد حرصا ولو
منع الخلق عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت
ويزعم احدهم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا
على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى واحد من المترددين اليه على اقرانه لكان ابغض
خلق الله اليه فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد ومن

ظن

ظن انه موصوف بالصفات المحمودة فيمكن ان يتوقف بطريق الامتحان وهو انه
اذا ادعى مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ومتى استوحش من
مشاهدة الخلق فالاكياس يمتحنون انفسهم ويطالبونها بالحقيقة والمغرورون
يحسنون بانفسهم الظنون واذا كشف عنهم الغطاء في الاخرة يفتضحون بل يطرحون
في النار فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه
وهم كمريض يصف الصحة ويذكر حدها وحقيقتها ثم يعتقد انه صحيح لمعرفته الصحة فهذه حالة
الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج كلامهم منهاج وعظ القران والاخبار وامثاله
وفرقة اخرى عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ الزمان كافة الا من
عصمه الله تعالى على الندور فاشتغلوا بالطامات وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع
والعقل طلبا للاغراب وطايفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها
والاستشهاد باشعار الوصل والفراق وغرضهم ان يكثر في مجالسهم الزعقات
والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين ضلوا واضلوا عن سواء السبيل
وربما يزيد كلامهم جراة على المعاصي لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل
يشهد من قرنه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده اكثر مما يصلحه بل لا يصلح
شيا اصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة منهم قنعوا بحفظ
كلام الزهاد في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها من غير احاطة بمعانيها
فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع
الجلساء وهم يظنون انهم اذا تميزوا بهذا القدر عن السوقة فلحوا ونالوا العوض
وامنوا من عقاب الله تعالى من غير ان يحفظوا بواطنهم وظواهرهم من الاثام فغرور
هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث
وجمع الروايات الكثيرة وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في
البلاد ويرى الشيوخ ويقول انا اروي عن فلان ولقيت فلانا وعندهم من وجوه
اسدها انهم تحملوا الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر

وليس معهم الا النقل وثانيها انهم يعملون ببعضها ولكن لا يعملون بها فيتركون ما هو فرض عينهم وهو معالجة القلب ويشتغلون بكثرة الاسناد والسماع انما يراد للفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر فترى الصبيان الذين لا يفهمون يسمعون والشيوخ يسمعون فينام الشيخ ويلعب الصبي ولو زادوا او نقصوا لا يشعرون وطريق السماع ان تحفظ كما سمعت بحيث لا تغير فيه حرفا ولو اخطأ غيرك منه حرفا علمت خطأه ولكن فيه طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالتكرار والثاني ان تكتب كما سمعت وتصحح المكتوب وتحفظه لا تصل اليه يد غيرك فاذا لم يكن بهذه المثابة فلا يجوز ان تسمع وتسمع ولا فرق بين سماع الصبي وسماع الجنين الا ان هذا يسمع الصوت وذاك لا يسمع الصوت فهذه من فواحش انواع الغرور وقد ابتلي به اهل الزمان ومقصودهم الجاه والقبول **وفرقة اخرى** اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر فاغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو فهؤلاء افنوا اعمارهم في دقائق النحو وصناعة الشعر ومثالهم كمن ضيع عمره في تصحيح الحروف وتعلم الخط ويقول معرفة القرآن انما يكون بالخط فيكون مضيعا لعمره ولا فرق بين التعمق في لغة العرب وبين الاشتغال بتعلم التركية والهندية وهؤلاء ضيعوا فرض وقتهم واهملوا ظواهرهم وبواطنهم وفرقة اخرى عظم غرورهم في الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واغتروا بالظاهر حتى ان الرجل يضيق على الزوجة بسوء الخلق وغيره حتى تبرئه من المهر وهو يعتقد انه يبرأ عند الله تعالى ولم يعلم ان طيبة القلب شرط في تصحيح البراءة واحيانا احد الطرفين وهذا يشبه المصادرة وكذلك اذا طلب من انسان مالا في الملا فاستحيى من الناس الا ان يعطيه ولو كان في الخلوة ما اعطاه وذلك حرام اذا اعطاه خوفا من مذمة الناس والم المذمة كالم الضرب بل اوجع وكذلك الفقيه يهب المال لزوجته حتى يسقط عنه الزكوة ويحسب انه تخلص ولم يعلم ان الزكوة انما شرعت لتطهير القلب عن رذيلة البخل وقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه وغرور الفقهاء في امثال هذا لو ذكرته لاحتوى به مجلدات كثيرة والغرض التنبيه على الجنس **الصنف الثاني ارباب العبادة**

وثالثها انهم لا يقومون بشرط السماع ويتوهم ابقاء في نفسه لان

والعمل

والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم فرقة اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل حتى خرجوا الى العدوان كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه فلا يرضى بالماء المحكوم بطهارته في الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في تنجيس الماء واذا آل الامر الى اكل الحلال يقدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة رض **وفرقة اخرى** غلبت الوسوسة عليها في نية الصلوة فلا يدعها الشيطان حتى تعقد نية صحيحة بل يشوش عليها حتى تفوتها الجماعة او تكبيرة الافتتاح حتى ربما تغير صفة التكبير لشدة الاحتياط في اول الصلوة وتغفل في الباقي وتظن انها اذا اتعبت نفسها في تصحيح النية وتميزت عن العامة بهذا الجهد فهو على خير من ربه وتغتر بذلك **وفرقة اخرى** يغلب عليها الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وساير الاذكار فلا يزال يحتاط في التشديدات وتصحيح مخارج الحروف فلا يتفكر فيما سوى ذلك وهو ذاهل عن صرف الهم الى اسرار ما يقرؤه وهذا من اقبح انواع الغرور اذ تفوته لذة المناجات وفهم اسرار القرآن **وفرقة** اخرى اغتروا بقراءة القرآن حتى يختم احدهم في يومه ختمة وهو غافل عما يقرؤه ولا يتلذذ وليس المقصود من القرآن هذا **وفرقة** اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر او الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم عن الغيبة وخواطرهم من الرياء وبطونهم من الحرام ومع ذلك يظن بنفسه الخير وهو مهمل للفرض طالب للنفل ولا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور **وفرقة** اخرى اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيعون الفرائض في الطريق ويعجزون عن طهارة الثوب ولا يحذرون في الطريق من الشرور والخصام ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ثم يحضرون البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق ويظنون مع ذلك انهم على خير من ربهم وهم مغرورون **وفرقة** اخرى في طريق الحسبة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وينسون انفسهم واذا امروا بالخير عنفوا واذا باشروا منكرا ورد عليهم غضبوا وقالوا كيف يرد علينا ونحن المحتسبون ولو قام يتعهد المسجد غيرهم

وقد توسوس

لكن المقصود العلم والعمل

غضبوا بل منهم من اذّن فی مسجده فی وقت غیبته قامت علیه القیامة ومنهم من
یتقلد امامة مسجد ولو صلی فیه غیره صعب علیه ولو کان اورع منه واعلم ومقصود
الکل الریاسة وهم یعتقدون انهم یعملون لله تع فهذا غرور **وفرقة** اخری جاوروا
بمکة والمدینة واغتروا بذلک ولم یراقبوا قلوبهم ولم یطهروا باطنهم وظاهرهم وقلوبهم
متعلقة ببلادهم ویحبون ان یذکروا بذلک ویعرفوا به وربما یجوروا به ومع ذلک
یکون اعینهم ممتدة الی اموال الناس واذا جمعوا شیئا شحوا علیه وامسکوه ولم یتصدقوا
بلقمة ولو ترکوا المجاورة مع هذه الصفات کان خیرا لهم وما من عبادة من العبادات
الا وفیها آفات فمن لم یعرف مداخل آفاتها واعتمد علیها فهو مغرور **وفرقة**
اخری زهدت فی المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسکن بالمساجد
وظنت انها ادرکت رتبة الزهاد ومع ذلک راغب فی الریاسة والجاه اما بالعلم
واما بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترک اهون الامرین وباء باعظم المهلکین
لان الجاه اعظم من المال وهو یجذب المهلکات کلها وقد یترک الریاسة ویؤثر الخلوة
وهو مع ذلک مغرور اذ یتطاول به علی الاغنیاء وینظر الیهم بعین الاستحقار ویرجو
لنفسه اکثر مما یرجو لهم ویتصف بجملة خبائث القلوب وهو لا یدری وربما یعطی
المال فلا یاخذه خیفة من ان یقال بطل زهده وربما یکون توقیره للاغنیاء اکثر
من الفقراء والاقبال علیهم وکل ذلک خدیعة وغرور وفی العباد من یشدد علی نفسه
فی اعمال الجوارح حتی لا یفتر ساعة ویهمل احوال القلب ویغتر بانه من العباد وانه ناج
وفرقة اخری حرصت علی النوافل ولم یعظم اعتدادها بالفرائض فتراها تفرح بصلوة
الضحی وبصلوة اللیل ولا تجد للفریضة لذة ولا یشتد حرصه علی المبادرة بها
فی اول الوقت بل قد یتعین علی الانسان فرضان احدهما یفوت والآخر لا یفوت
او فضلان احدهما یضیق وقته والآخر یتسع فان لم یحفظ الترتیب فیه کان مغرورا
ونظایر ذلک اکثر من ان یحصی **الصنف الثالث المتصوفة** وما اغلب الغرور علیهم
والمغترون منهم فرق فرقة منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله تع اغتروا

بالزی

بالزی والمنطق والهیئآت فساعدوا الصادقین من الصوفیة فی زیهم وهیئاتهم
واصطلاحاتهم واحوالهم الظاهرة وفی السماع والرقص والطهارة والصلوة و
الجلوس علی السجادة مع اطراق الرأس وفی تنفس الصعداء الی غیر ذلک من الشمایل
والهیئآت فلما تشبهوا بهم ظنوا انهم ایضا صوفیة ولم یتعبوا انفسهم قط فی
المجاهدة والمراقبة وتطهیر الباطن والظاهر من الآثام وکل ذلک من اوایل منازل
الصوفیة ولو فرغوا من جمیعها لما جاز لهم ان یعدوا انفسهم من الصوفیة ولم یحوموا
قط حولها فتراهم یتکالبون علی الحرام ویتحاسدون علی النقیر والقطمیر ویمزق بعضهم اعراض
بعض **وفرقة** اخری زادت علی هؤلاء فی الغرور اذ شق علیها الاقتداء بهم فی
بذاذة الثیاب وارادت ان تتظاهر بالتصوف فلم تجد بدا من التزیی بزیهم فترکت الخز
والابریسم وطلبت المرقعات النفیسة والفوط الرفیعة والسجادات المصبوغة ولبست
من الثیاب ما هو ارفع قیمة من الابریسم وظنوا مع ذلک انهم متصوفة بمجرد المرقع المزین
ونسوا انهم انما لبسوا المرقع اذ کانت ثیابهم مخرقة فکانوا یرقعونها ولا یلبسون
الجدید فهؤلاء اظهر حماقة من کافة المغرورین فانهم یتنعمون بنفیس الثیاب ولذیذ
الاطعمة ویاکلون اموال السلاطین ویظنون بانفسهم الخیر **وفرقة** اخری ادعت
علم المعرفة ومشاهدة الحق والملازمة فی عین الشهود والوصول الی القرب ولا
یعرف هذه الامور الا بالاسامی والالفاظ لانه یلتقف من الفاظ الطامات
کلمات فهو یرددها ویظن ان ذلک اعلی من علم الاولین والآخرین وهو ینظر
الی اصناف العلماء بعین الازراء ویدعی لنفسه انه من المقربین وهو عند الله تع من
الفجار المنافقین **وفرقة منهم** وقعت فی الاباحة وطوت بساط الاحکام
فبعضهم یقول ان الله مستغن عن عملی فلم اتعب نفسی وبعضهم یقول قد کلف الناس
تطهیر القلب عن الشهوات وعن حب الدنیا وذلک محال لانا جربناه وادرکنا ان ذلک
محال وبعضهم یقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر الی القلوب وقلوبنا
والهة بحب الله تع فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ویرفعون انفسهم عن درجة

الانبياء عم اذ كان يصدهم عن طريق الله تع خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون
عليها سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية
لا تنحصر وفرقة اخرى جاوزت حد هؤلاء واحسنت الاعمال واشتغلت
بتفقد القلب وصارت تدعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب
من غير الوقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها فمنهم من
يدعى الوجد والحب لله تع ويزعم انه واله بالله تع ولعله قد تخيل في الله تع خيالات
هي بدعة وكفر فيدعى حب الله تع قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله
وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل
وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف رض وقد كانوا اعرف بالتوكل منه
بل كانوا ياخذون وهم يتوكلون على الله تع لا على الزاد وما من مقام من مقامات
المنجيات الا وفيه غرور وقد اغتر به قوم وفرقة ضيقت على انفسها في امر القوت
حتى طلبت منه الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة
ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه واخذ يتعمق في غير ذلك ولم يدر ان الله تع لم
يرض عنه بتفقد بعض الاعمال واهمال البعض فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه و
ينجيه فهو مغرور وفرقة منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة
الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا الخدمة لهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال
وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون التواضع وغرضهم الاستتباع وهم يظنون
ان غرضهم الارفاق والخدمة ويجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم
وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وفرقة اخرى منهم اشتغلوا
بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب
النفس ويتعمقون فيها بكلمات مسلسلة يضيع الاوقات في تلفيقها وفرقة
اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدأوا سلوك الطريق وانفتحت لهم ابواب المعرفة
فلما شموا من مبادي المعرفة رايحة تعجبوا منها وفرحوا بها فتقيدت قلوبهم بالالتفات

الها

اليها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسدادها على غيرهم وكل ذلك غرور لان
عجايب طريق الله تع ليس لها نهاية وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء فلم يلتفتوا
الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا
الى حد القربة الى الله تع فظنوا انهم وصلوا الى الله تع وغلطوا فان لله تع سبعين
حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب الا ويظن انه قد وصل والحجاب الاول
بينه وبين الله تع هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله تع اعني سر القلب الذي
تتجلى فيه حقيقة الحق حتى انه ليتسع لجملة العالم وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك
يشرق نوره اشراقا اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر
محجوب بمشكاة هو كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق
نور الله تع عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفايق
ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء
ذلك اغتر به وهلك وانواع الغرور في طريق السلوك لا تحويه مجلدات الصنف
الرابع ارباب الاموال والمغترون منهم فرق ففرقة منهم يحرصون على بناء
المساجد والمدارس وما يظهر للناس كافة ويكتبون اسماءهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم
بعد الموت وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين
احدهما انهم بنوها من اموال اكتسبوها من الظلم والنهب والجهات المحظورة وقد
تعرضوا لسخط الله تع في كسبها وفي انفاقها فكان الواجب عليهم الامتناع عن
كسبها وبعده الرد الى اصحابها او وارثهم فان تعذر فصرفها الى اهم المصالح فلم
يراعوا ذلك الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص ولو كلف واحد منهم ان ينفق
دينارا ولم يكتب اسمه على الموضع لشق عليه فلولا انه يريد وجه الناس لا وجه الله تعالى
لما افتقر الى ذلك وفرقة اخرى ربما اكتسب احدهم المال من الحلال وانفق على المساجد
وهو ايضا مغرور من وجهين احدهما الرياء فانه ربما يكون في جواره فقراء
وصرف المال اليهم اهم من صرفه الى المساجد فلم يخف عليه لانه لم يظهر بين الناس

الى الفقراء

الثاني انه يصرف في زخرفة المسجد وتزيينه فيلهي بذلك قلوب المصلين ويحبط ثوابهم
وهو يكتسب الاسم به ويغتر بانه قد فعل الخير وفرقة اخرى ينفقون الاموال في
الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون بها المحافل الجامعة ومن الفقراء
الشكر والافشاء ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ وربما
يحرصون على الانفاق في الحج مرة بعد اخرى ويتركون جيرانهم الجايعين وفرقة
اخرى يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات بصيام النهار
وقيام الليل وهم مغرورون لان البخل مهلك وقد استولى على باطنهم وهو
محتاج الى قمعه باخراج المال وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء
الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه
ويطلبون من الفقراء من يخدمهم او من لهم فيه على الجملة غرض وكل ذلك مفسدات
للنية وصاحبه مغرور وفرقة اخرى من عوام الخلق وارباب الاموال اغتروا
بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يكفيهم دون العمل والاتعاظ وهم
مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير
فيه وربما يدخله رقة فيبكي ويقول بلسانه لا حول ولا قوة الا بالله ويظن انه
قد اتى بالخير كله فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد وهو
موجب لليأس فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء اظهر اليأس واستوعر الطريق
واذا اشتد منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بطريق تدقيق النظر خفايا
الطرق الى الوصول الى الغرض حتى ان الآدمي اذا اراد ان يستنزل الطير من
الهواء ويستصعد الحوت من اعماق البحر ويستسخر الوحوش والسباع وعظيم الحيوانات
وغير ذلك من الحيل فعل مع بعده منه فلو همه امر آخرته فليس عليه الا شغل واحد
وهو تقويم قلبه فيعجز عنه فان السلف الصالحين رض لم يعجزوا عنه وخرجوا عن
الغرور بالعقل والعلم والمعرفة ونعني بالعقل الفطرة الغريزية والنور الاصلي
الذي به يدرك الانسان حقايق الاشياء واعني بالمعرفة ان يعرف اربعة

امور

امور يعرف نفسه وربه ودنياه وآخرته فبهذه المعارف يقوى على السلوك بعد
الجد له انت اصلحت نفسك والناس هلكى يجب عليك هداهم ويريد ان يغويه بهذا
السبب لانه عجز عنه ان يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فيأتيه من جهة الدين و
الرحمة على الخلق فيرى انه قادر على هداهم وانهم هلكى ان لم يهدهم فينبعث من
باطنه داعية الرحمة على الخلق فيشرع في وعظهم ونصحهم والخلق يقبلون عليه لانهم
يرونه ناصحا لهم من غير طمع فيقدمونه على الخلايق كلهم وعند ذلك يذوق لذة
الجاه فيدخل في مداخل حفظ جاهه ويسول له الشيطان انه ان لم يفعل ذلك قل اقتداره
على ارشاد الخلق وان لم يحفظ نفسه يسقط عن اعينهم فيحتاج ان يرائيهم واذا
ظهر احد من اقرانه وصار الخلق ينقضون به يحسده ولو كانت نيته صحيحة لفرح
بذلك وقال ظهر لي معين يدعو الخلق الى الله تع وانما يجوز للشخص ان يشرع في نصح الخلق
ووعظهم اذا صار مدح الخلق وذمهم عنده سواء فاذا صار بهذه المثابة ولم
يؤثر فيه وجود الخلق وعدمهم وتخلص من حبايل الشيطان ولم يكن له جاذب
فيخاف عليه من شيء آخر وهو ان الشيطان يرجع اليه ويقول اعجزتني فافلت
مني ومن في وسط الارض مثلك حيث لم تؤثر مكايد النفس وحيل الشيطان وما
اعظم منزلتك عند الله تع حيث افلتك مني وقواك على قهري فعند ذلك يدخله الغرور
من هذا الباب وينظر الى نفسه ويعجب وفي فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه
غاية الغرور وهو المهلك الاكبر والعجب اعظم من كل ذنب ومن لم يعجب بنفسه وعلم ان
ذلك كله من الله تع وانه منة عليه لان مثله لا يقوى على قهر الشيطان الا بتوفيق
الله تع فينبغي له ان يخاف الغرور لثقته بفضل الله تع وكرمه والامن من مكره
حتى يظن انه يبقى في المستقبل على هذه الوتيرة ولا يخاف من الفترة والانقلاب
فيكون حاله الاتكال على فضل الله تع فقط دون ان يقارنه الخوف ومن امن
مكر الله فهو خاسر هذا الطريق ان يكون مشاهد الجملة ذلك من فضل الله تع خايفا
على نفسه ان يكون قد شذت عنه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء قلب وغرور

مبحث التوبة

غافل عنه وهذا الخطر لا محيص عنه الا بعد مجاوزة الصراط فاذاً المغرور هالك والمخلص
الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب اولياء الله ابداً فنسال
الله حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم تم كتاب الغرور وبتمامه تم ربع المهلكات

كتاب التوبة

اعلم ان التوبة
مبدا طريق السالكين والآدمي لا بد له من معصية تصدر منه لانه ادرج في طينة
الانسان شايبتان شايبة ملكية وشايبة شيطانية فالمتجرد للخير ملك مقرب والمتجرد
للشر شيطان والذي يجري عليه الخير والشر انسان ولهذا صدر من آدم عم ما صدر فتاب
الى الله تع ورجع اليه بعد ان زل قدمه فالتايب قد اقام البرهان على صحة نسبته الى
آدم عم والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان وتصحيح النسب بالتجرد بمحض
للخير الى الملائكة عليهم السلام فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة
آدم عم عجناً محكماً لا تخلصه الا احدى النارين نار جهنم او نار الندم فالاحتراق بالنار
ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبايث الشيطان واليك الآن الاختيار بالمبادرة
الى اخف النارين قبل ان يطوى بساط الاختيار ولا بد من ذكر علامات التوبة وشروطها
واسبابها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك باربعة
اركان **الاول** في نفس التوبة وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص
وانها اذا صحت تقبل اعلم ان للتوبة معنى ينتظم من ثلاثة امور علم وحال وفعل فالعلم
موجب الحال والحال موجب فالعلم هو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونه حجاباً بين العبد وبين
كل محبوب فاذا علم ذلك تألم القلب بفوات محبوبه فان كان فواته بفعله تأسف على
الفعل المفوت فيسمى تألمه له ندماً فاذا غلب هذا الالم انبعث منه حالة اخرى تسمى
ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي والاستقبال اما تعلقه بالحال
فبالترك للذنب وبالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب الى آخر العمر وبالماضي فبتلافي
ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلاً للجبر فالعلم هو الاول واعني به الايمان واليقين
وهو مثير نار الندم ثم تنبعث ارادة للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك ثلاثة

معان

معان مترتبة في الحصول يطلق على مجموعها اسم التوبة وقد يطلق اسم التوبة على معنى الندم
اذ لا يخلو الندم عن علم في الاول وعن عزم تتبعه فيكون محفوفاً بطرفيه وهذا الحد
الذي ذكرناه يحيط بجميع معانيها اذا ثبت هذا فقبول التوبة واجبة على كل احد لانها
سبب السعادة والفوز الاكبر وظهور النور في الباطن وهو الذي يسلك به طريق
الحق والبعد عن الله تع شقاوة وذلك انما يكون باتباع الشهوات ومن علم ان
القرب من الله تع انما يكون بترك الشهوات والاعراض عنها بالقلب والاقبال بالكلية
على الله تع وعلم ان الذنوب سبب كونه محجوبا عن الله تع فلا يشك في ان الانصراف عن طريق
البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم ذلك بالعلم والندم والعزم ومن لم يحصل له
هذه الثلاثة فلا يصح منه التوبة ومن لم يترشح لهذا المقام ففي التقليد له مجال رحب
فليلاحظ قول الله تع وتوبوا الى الله جميعا وقول رسول الله صلعم السابغ التايب
حبيب الله في ارضه ليتوصل بذلك الى النجاة من الهلاك واذا ثبت ان الذنوب
سبب الحجاب عن الله تع فالتوبة واجبة على الفور اذ معرفة كون المعاصي مهلكات
من نفس الايمان وهذه المعرفة اقتضت ان تزجر عنها على الفور فاذا لم يحصل الانزجار
يدل ذلك على نقص الايمان اذ ليس الايمان باباً واحداً بل هو نيف وسبعون باباً فمثاله
الانسان فانه كامل باطرافه واعضائه وحواسه فاذا فقد بعضها يكون اصل روحه
باقياً ولكن عند قطع اليدين والرجلين وقلع العينين يكون قريباً من الموت وان
كان روحه باقياً فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقتصر في الاعمال فهو
قريب من ان تنقلع شجرة ايمانه عند عصف رياح ملك الموت وعند ذلك يجب على
كل احد ان يقبل على الطاعات ويجتنب المعاصي التي هي سبب الهلاك وزوال الايمان
ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا عند كمال غريزة الشهوة
والغضب وساير الصفات المذمومة وعند استيلاء الغضب والشهوة يصعب استيلاء
العقل واظهار السلطنة فلا جرم يبقى الآدمي في رق الشيطان فان قمع شهوته و
فارق العادة والف العبادة بعد عنه الشيطان فلا معنى للتوبة الا هذا وليس في الوجود

آدمي الا وشهوته سابقة على عقله فبالضرورة يجب على كل احد ان يرجع عن طريق الشهوة
الى طريق العقل وهذا يجب على الدوام اذ لا يخلو بشر عن معصية بجوارحه فان خلا عن
ذلك فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن الوسواس والخواطر
المتفرقة فيجب عليه التوبة كل ساعة ولهذا قال رسول الله صلعم انه ليغان على قلبي حتى
استغفر الله في اليوم سبعين مرة فباتباع الشهوة ترتفع ظلمة الى قلبه كما ترتفع من نفس
الانسان الى المرآة فان تراكمت ظلم الشهوات صارت رينا واذا تراكم الرين
صار طبعا فلا يقبل التصقيل بعده ويكون كالمرآة اذا انفسدت بالصدأ فاذا
قطع الشهوات عنه فلا يكفي مجرد ذلك بل يجب عليه رفع ما ثبت وجلاؤه بالندم والاستغفار
ولهذا قال رسول الله صلعم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا لا يستغني العبد في حال من الاحوال
عن مراعاة قلبه ورفع ما ثبت فيه حتى يصل الى المقام المحمود من الصديقين ولا الى ذلك
الابد دوام المعاملة فاما من رضي بالنقصان والحرمان فيكون بمثابة من له اصل الطوق
ولا يكون له يد ولا رجل ولا عين ولا اذن ولا يوفق لذلك الا المعتكفون على باب
الله تع فاياك مرة واحدة ان يغرك الحيوة الدنيا ثم اياك الف مرة ان يغرك بالله
الغرور فمن استنشق مبادي روايح هذا الطريق علم ان لزوم التوبة النصوح لازم
للعبد السالك في كل نفس من انفاسه ولو عمر عمر نوح عم وان ذلك واجب على الفور
لان كل ساعة من عمره جوهرة نفيسة لا خلف لها فانها صالحة لان توصله الى سعادة
الابد فاذا ضيعها في الغفلة فقد خسر خسرانا مبينا وانما يتنبه لهذا عند رؤية ملك
الموت اذ لا يمهله ساعة يعتذر فيها الى ربه ولا نفسا يستدرك فيه شيئا فلو اشتغل
بالعبادة وادرك زمانه خرجت روحه على التوحيد وان ضيع زمانه وتابع الشهوات
ربما خرجت روحه والعياذ بالله على الشرك والاضطراب وفي ذلك سوء الخاتمة ومن ترك
المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم الظلم من
المعاصي على قلبه حتى يصير رينا ولا يقبل العلاج والثاني ان يعاجله الموت فلا يجد مهلة للاشتغال
بالمحو ولهذا ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف

فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الاجل فيأتي الله
بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم والتوبة اذا اجتمعت شرايطها
ورد القلب الى حال السلامة فلا بد وان يكون مقبولة لان نار الندم يحرق الصدأ
الحاصل على وجه القلب ونور الخشية يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة ولا طاقة لظلام المعاصي
مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار ولوسخ الثوب مع بياض الصابون
قال الله تع وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فقال النبي صلعم التائب من الذنب
كمن لا ذنب له ولا نقول بان الله تع يجب عليه ان يقبل التوبة الا يعني ما نقول من
شرب الماء وجب زوال العطش واذا امتنع من شرب الماء وجب العطش وانه
اذا دام العطش وجب الموت وليس في ذلك شيء مما تريده المعتزلة بالايجاب
على الله تع **فان قيل** فما من تايب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك في زوال
عطشه **فنقول** شكه في القبول لشكه في وجود شرايط الصحة فان للتوبة اركانا
وشروطا دقيقة وليس يتحقق وجود جميع شروطها فيكون خايفا لا محالة من عدم
قبولها لهذا المعنى **الركن الثاني** فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها
الى صغاير وكباير وما يتعلق بالعبادة وبحق الله تع وكيفية توزع الدركات
والدرجات على الحسنات والسيئات والاسباب التي يعظم الصغاير بها اعلم ان التوبة
ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف
لامر الله تع من ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى
آخرها ونحن نشير الى مجامعها واقسامها بالاضافة الى صفات العبد كثيرة
ولكن ينحصر مثارها في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية و
صفات بهيمية وصفات سبعية كما سبق في كتاب عجايب القلب لان طينة الانسان
عجنت من اخلاط مختلفة فظهر من كل واحد اثر فاما ما يقتضيه النزوع الى الصفات
الربوبية فمثل الكبر والفخر وحب المدح والعز وطلب الاستعلاء ودوام البقاء
ويتشعب من هذا جملة من كباير الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا

وهي امهات لاكثر المعاصي كما استقصينا في ربع المهلكات الثانية وهي الصفة الشيطانية
يتشعب منها الحسد والبغي والحيلة والامر بالفساد ويدخل في ذلك النفاق والغش
والدعوة الى الضلال والبدع الثالثة وهي الصفة البهيمية يتشعب منها الشره والكلب
والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواطة والسرقة وجمع
الحطام لاجل الشهوات الرابعة وهي الصفة السبعية منها يتشعب الحقد والغضب والشتم
والقتل وما اشبهها فهذه امهات الذنوب ومنابعها فيتفجر من هذه المنابع على
الجوارح ما لا يحتاج الى بيانه وهذه الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله تع والى ما
يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلوة والصوم والواجبات
الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد فكترك الزكوة وقتل النفس وغصب الاموال
وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ
وما بين العبد وبين الله تع فالعفو فيه ارجى والذنوب تنقسم الى صغائر وكبائر وقد
كثر اختلاف الناس فيها فقال بعضهم الذنوب كلها كبائر وقال بعضهم الكبيرة ما تجب
بها الحد وقال بعضهم كل ما غلظ الشرع الامر فيه فهو كبيرة وقال بعضهم كل ذنب
بالاضافة الى ما هو فوقه صغيرة وبالاضافة الى ما هو دونه كبيرة وذكر ابو طالب
المكي رض انها سبعة عشر جمعها من الاخبار اربعة في القلب الشرك والاصرار على المعصية
والقنوط من رحمة الله والامن من مكره واربعة في اللسان شهادة الزور و
قذف المحصن واليمين الغموس والسحر وثلاث في البطن شرب الخمر واكل الربوا واكل
مال اليتيم واثنان في الفرج الزنا واللواطة واثنان في اليدين القتل والسرقة
وواحد في الرجلين الزحف من الفرار وواحد في جميع البدن عقوق الوالدين
وذكر بعضهم ان الكبائر على ثلاث مراتب الاولى ما منع من معرفة الله تع ومعرفة رسوله
صلعم وهو الكفر فلا كبيرة فوقه ويتلوه الامن من مكر الله تع والقنوط من رحمة الله
تع ويتلوه البدع وبعضها اشد من بعض الثانية النفوس اذ ببقائها تدوم
الحيوة فقتل النفس لا محالة من الكبائر ويتلوه قطع الاطراف والضرب المبرح ويقع في

بهذه الرتبة اللواطة والزنا الثالثة الاموال فلا يجوز تسلط الناس على تناولها
كيف شاؤوا كالسرقة واكل مال اليتيم وتفويتها بشهادة الزور واخذ الوديعة
وغيره باليمين الغموس واما اكل الربا والغصب وشرب القليل من الخمر والقذف و
الفرار من الزحف وعقوق الوالدين وسب الناس وظلمهم ففيه توقف واما سماع
الملاهي ولبس الديباج والتختم بخاتم الذهب والشرب من اواني الذهب والفضة
واللعب بالنردشير فلا خلاف في انه ليس من الكبائر ولا يمكن ان يجعل للكبائر حدا
محدودا بل تركه الشرع مبهما حتى يجتنب المكلف جميع المعاصي خوف الوقوع في الكبائر
ولا يعتمد بتركه للكبائر ان يكفر عنه الصغائر واما الصغيرة فتكبر بالمواظبة كما
ان المباح يصير صغيرة بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام
وغيره وبالاستصغار للذنب قال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت
كل شيء عملته مثل هذا وبالسرور بالصغيرة والغفلة عن كون ذلك سبب الشقاوة
كما يقول اما رأيتني كيف فضحته وامثاله وبالتهاون بستر الله عليه وحلمه عليه ولا يدري
انه يمهله مقتا له وبالترغيب للغير وبان يكون المذنب عالما يقتدى به اذا فعله **بيان**
كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على السيئات والحسنات في الدنيا
اعلم ان الدنيا من عالم الملك والآخرة من عالم الملكوت واعني بالدنيا حالتك
قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم
الملك الا بضرب مثال وذلك ان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت وما
سيكون لك في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير
كذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين لك في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال
كما تعرفه من علم التعبير اما سمعت ان رجلا جاء الى ابن سيرين رض فقال رأيت
في النوم كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال والنساء فقال انت تؤذن
في رمضان قبل الفجر فقال صدقت فان نظر المؤذن الى صورة ما رأى علم
انه كاذب لانه ما كان في يده خاتم وان نظر الى معناه علم انه صادق وللانبياء

يكلمون الناس بضرب الامثال لانهم امروا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم فانهم في النوم
وكذلك قال النبي صلعم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو في المثال
الذي لا يعقله الا العالمون واما الجاهل فلا يجاوز قدر ظاهر المثال والمقصود ان
تعريف توزيع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن الا بضرب الامثال
فنقول الناس في الآخرة يتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتا لا
نحصر كما يتفاوت في سعادة الدنيا وشقاوتها وانا وان عجزنا عن احصاء آحاد
الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول الناس في الآخرة ينقسمون الى اربعة
اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفائزين وكل صنف من هؤلاء يتفاوتون
في الدرجات والدركات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي القسم الاول الهالكون
وهم الآيسون من رحمة الله تع وهذه الدرجة لا تكون الا للجاحدين والمكذبين لله
ولرسله عم وهم يومئذ عن ربهم محجوبون وكل محجوب عن محبوبه فيحول بينه وبين
ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقا بنار الفراق ونار الفراق اذا استولت
ربما غلبت النار المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على
الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجسام والم الاجساد يستحقر مع الم الفؤاد
الا ترى ان الانسان اذا استولى عليه الغضب لا يحس بالم الجراحة وانما يعرف ذلك
ارباب القلوب ومن لا قلب له يستحقر الم القلب بالاضافة الى الم الجسم كالصبي لو خير
بين الم الحرمان باللعب وبين الم الحرمان عن رتبة السلطنة لقدم الم الحرمان عن
اللعب على الم الحرمان من رتبة السلطنة القسم الثاني المعذبون وهم الذين لهم اصل
الايمان ولكن قصروا في الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان التوحيد وهو ان لا
يعبد الا الله تع ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه ومعنى قولك لا اله الا الله
معنى قوله تع ثم ذرهم وهو ان يذر بالكلية غير الله تع ومعنى قوله تع ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا
بالاستقامة عليه هو احد من السيف وادق من الشعر مثل صراط الآخرة فعلى قدر اتباعه

هواه

هواه يبعد عنه وذلك نقصان في درجات القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق
لذلك الكمال الفائت ونار جهنم ولكن شدة ذلك العذاب وخفته بحسب المدة وانما
يكون بسبب امرين احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة الاتباع وقلته
ولا يخلو بشر عن واحد من الامرين قال الله تع وان منكم الا واردها واختلاف
المدة فيه بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة لمن يحبس في الدنيا ويعذب واختلاف
الانواع باختلاف السيئات وشدته بقبحها وقد ورد في هذا آيات واخبار
كقوله تع فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وارتباط الدرجات والدركات بالحسنات
والسيئات معلومة بقواطع الشرع فمن اجتنب الكبائر وواظب على الصلوة
واحسن جميع الفرائض فيثقل ميزانه ويكون في عيشة راضية ويكون درجته على قدر
ايمانه لان الايمان تقليدي وكشفي فمن له الايمان الكشفي وهو ان ينشرح صدره
بنور الله تع حتى ينكشف الوجود كله فيه فهو من المقربين النازلين في الفردوس الاعلى
وهؤلاء ايضا يتفاوت درجاتهم بحسب تفاوت معرفتهم واما المؤمن الذي
له ايمان تقليدي فهو من اصحاب اليمين وهو ايضا على درجات ومن له ايمان
تقليدي ولم يجتنب الكبائر فيخاف عليه سوء الخاتمة لانه يختل بادنى شك وان
مات على الايمان فيعذب الا ان يعفو الله تع عنه ثم يخرج الى الجنة حتى ورد في خبر
آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا وعشرة اضعافها ولا تظنن ان المراد به
تقدير المساحة بل المراد به القيمة كما يقول القائل اخذ منه هذا الجمل واعطاه عشرة
امثاله وكان الجمل يسوى عشرة فيعطيه مائة فمن يكون جاهلا لم يفهم من المثل
الا المثل في الوزن والثقل والعالم يفهم من هذا المثل قيمة ماله دون الجسم
والدم وهي موازنة روحانية لا جسمانية ولم يجاوز المحسوسات لا يفهم الا تقدير
المساحة وهو لا يعرف الله تع لا ذاته ولا صفاته فانه لم يدرك في هذا العالم الا
ما كان محسوسا بالحواس الخمس فيكون بمنزلة البهائم القسم الثالث الناجون واعني
بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم

ولم يعصوا فيعذبوا وهم المجانين وصبيان الكفار والذين لم تبلغهم الدعوة
فهم بالاعراف بين الدارين **القسم الرابع** الفائزون وهم العارفون دون
المقلدين وهم المقربون السابقون وما يلقى هولاء يجاوز حد البيان فلهم ما
لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاما الحور والقصور والفواكه
فلا يحرصون عليها ولا يطلبون الا النظر الى وجه الله الكريم والتلذذ به وما وراء ذلك عندهم
من الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات فعلى ما يقتضيه ظاهر الاسباب فلم نقطع
بل يجوز ان يعفو الا لامر خفي لم نطلع عليه كما ان الطبيب ينظر الى من مرضه شديد فيحكم
عليه بالموت فيطرأ له امر خفي فينجو ومن به مرض خفيف فيحكم الطبيب بعلاجه فيطرأ
ما يهلكه فكذلك امر الآخرة **الركن الثالث** في تمام التوبة وشروطها وآدابها الى
آخر العمر وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وتكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين
في دوام التوبة وقد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا
وذلك بان يعلم ان المعاصي مهلكة اهلاكا لا نجاة بعده فعند ذلك يحصل له ندم كما لو
اذا علم ان ولده العزيز لا يبرأ من المرض فعند ذلك يجد للمعاصي مرارة في باطنه
قدر لذتها بالطبع ولا تستبعد كون المعاصي مشتهاة بالطبع فان من تناول عسلا فيه سم مرض
مرضا شديدا وتناثر شعره وفلجت اعضاؤه وقاسى الشدايد حتى برئ فاذا قدم له العسل
دفعة اخرى وفيه السم ينفر طبعه عنه وان كان في غاية الحاجة اليه من حيث الشهوة فكذلك
ايضا التائب ينبغي ان يجد مرارة الذنب ويبقى معه هذه المرارة الى الموت ثم لا يقتصر
على ذلك بل يشتغل بالتدارك لما مضى وبالمداومة على الطاعة في المستقبل اما تدارك ما مضى
فهو ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه ويفتش عن احواله ساعة فساعة فان كان قد
ترك الصلوة او صلاها مع ثوب نجس او اختلت صلاته بوجه ما فيشتغل باعادتها الى
ان يتيقن الخروج عن عهدتها وان كان ترك الصوم عمدا او نسي النية او غير ذلك
فيقضيه واما الزكوة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان البلوغ
فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في ذمته وان كان اخرجها الى غير الاصناف الثمانية

وكيفية الاخراج يحتاج الى تأمل شاف ومعرفة كاملة واما الحج فان كان قد استطاع
في بعض السنين ولم يتفق له خروج والآن افلس فعليه الخروج فان لم يقدر فعليه ان يحصل
المال باي طريق كان بالكسب او بالسؤال فانه ان مات قبل الحج يصير عاصيا فاسقا
واما المعاصي فيفتش من اول بلوغه عن جميع جوارحه فما كان بينه وبين الله تعالى فالتوبة
عنه بالندم وبان يأتي بمقدار كل سيئة حسنة تناسبها لقوله صلعم اتبع السيئة الحسنة تمحها
وذلك ان المعصية تسود القلب والطاعة تنوره فكل شيء يعالج بضده واما مظالم
العباد ففيها ايضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله تعالى نهى عن ظلم العباد
فيتدارك ذلك ايضا بالندم والاتيان بالحسنات في المستقبل التي هي اضدادها
فيكون في مقابلة الايذاء الاحسان والذم المدح ثم يخرج عن مظالم اما في النفوس
او الاموال او الاعراض او القلوب واعني به الايذاء اما النفوس فان كان قد
جرى عليه قتل خطاء فبتسليم الدية الى مستحقها وان كان عمدا فبالقصاص فان لم
يعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه ولا يخرج عن العهدة الا بهذا واما الاموال
فما اخذه بطريق الظلم او الغش في المعاملة او تزييف النقد فعليه ان يفتش من اول
عمره ويحاسب ويرد ما عنده الى اربابه فان لم يعرف الارباب فيكثر من الحسنات
حتى يتخلص يوم القيمة من ارباب المظالم بدفع الحسنات اليهم واما الجناية على القلوب
بمشافهة الناس بما يسوءهم او بالغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او آذى قلبه
وليستحل من كل واحد منهم ومن مات فلا تدارك له الا بتكثير الحسنات ويعزم في المستقبل
على ترك الذنوب بالكلية ويعقد مع الله تعالى عقدا مؤكدا ويعاهده عهدا وثيقا ان
لا يعود اليها وما لم يتأكد عزمه بحيث ان لا يعود ابدا فليس بتايب ويقويه على ذلك العزلة
والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت الحلال واما التوبة عن بعض الذنوب
دون بعضها فلا يمكن ولا يتصور اذا كانت متماثلة اما اذا تاب عن ذنب
يكون جريمة وجنايته اكثر من الذي يباشره فيصح توبته ويمكن ايضا ان يتوب عن صغيرة
ويأتي كبيرة اي يتوب مثلا عن الغيبة ولا يقدر ان يتوب عن شرب الخمر لميل طبعه اليه

وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء

اذ قد يشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه بخلاف الغيبة وغير ذلك
ومن يقول انى اذا لم اقدر على ترك جميع المعاصى فلا اتوب عن البعض فهو مضحكة للشيطان
بل ينبغى ان يترك ما يقدر عليه فلعل الله تع ان يوفقه لترك الكل بتركه البعض كمريض يحذره
الطبيب اكل الفواكه فاذا غلبته الشهوة واكل قليلا منها ينبغى ان لا يكثر منها ومادام
العبد على عزم كسر الشهوات وترك المرادات فهو فى مقام المجاهدات ومن سكنت نفسه
عن النزوع الى الذنب فان كان انقطاع نزوعه لفترة فى الشهوة فالمجاهدة افضل
منه وان كان انقطاع النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة فهذا افضل من المجاهد
فانه قد امن من الوقوع والمجاهد فى خطر الوقوع فمثله كمثل من قهر عدوه واسره وقيده
بالاضافة الى من هو محارب لعدوه ومجاهد له فان الفارغ من محاربة عدوه اسلم من
المحارب كذلك ههنا **بيان اقسام العباد** فى دوام التوبة والناس فى التوبة على اربع
طبقات منهم من يتوب عن المعاصى ويستقيم على التوبة الى آخر عمره ويتدارك ما فرط من امره
ولا يحدث نفسه بالعود الى الذنوب الا الزلات التى لا ينفك عنها البشر فى العادات
فهذا هو الاستقامة فى التوبة وصاحبه هو السابق الى الخيرات ونفسه المطمئنة واهل
هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع من الشهوات **الطبقة الثانية** تايب سلك
طريق الاستقامة فى كباير الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عمدا ولا
قصد ولكن يبتلى بها فى مجارى احواله وكلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف
وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها فنفسه تسمى اللوامة وهذه ايضا رتبة
عالية وان كانت نازلة عن الرتبة الاولى **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة
مدة ثم تغلبه الشهوة فى بعض الذنوب فيقدم عليها عن قصد وصدق شهوة لعجزه
عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك لجملة من الذنوب مع
القدرة والشهوة وهو يود ان لو اقدره الله تع على ترك هذه الشهوة ايضا هذا امنيته
عند مباشرتها ويقول بعد الفراغ سوف اتوب فهو يسول نفسه فهذا من الذين قال
الله تع فى حقهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان

يتوب

يتوب عليهم وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره فان مات قبل التوبة فيقع
امره فى المشية وان تاب التحق بالسابقين **الطبقة الرابعة** ان يتوب ويجرى مدة
على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه
بالتوبة ومن غير ان يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل فى اتباع شهوته فهذا
من جملة المقصرين ونفسه الامارة بالسوء ويخاف عليه سوء الخاتمة وامره فى
مشية الله تع فان ختم له بالحسنى ومات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار
ولو بعد حين ومن ارتكب المعاصى وتابع الشهوات ولم يتب ثم رجو من الله
تع العفو والدرجات فيكون مثله مثل من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه و
عياله جياعا وزعم انه ينتظر فضل الله تع بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض فيعد
هذا عند العقلاء من الحمق للمغرورين وان كان لا يستحيل من فضل الله تع ما ينتظره
فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تع وهو مصر على الذنوب معدود عند
ارباب القلوب من المعتوهين فالعاقل الموفق يشمر عن ساق الجد ويشتغل بالطاعات
فان جرى عليه ذنب اما عن قصد او عن المام فيجب عليه التوبة والندم والاشتغال
بالتكفير فان لم تساعده النفس على العزم على الترك فليكثر من الحسنات ليمحوها ومن
لا يقدر على جميع الطاعات فليأت منها بما يقدر عليه فان كل ذرة من الحسنات
لها تأثير فى تثقيل الميزان ومن لا يقدر على احضار قلبه فى الطاعات فينبغى ان لا يتركها
فان الذكر باللسان مع غفلة القلب خير من السكوت او الغيبة واياك ان تلمح فى
الطاعات بجد الافات فتفتر رغبتك فى العبادات فان هذه مكيدة روجها
الشيطان بلعنة على المغرورين وخيل اليهم انكم ارباب البصاير واهل الفطن واى
خير فى ذكر اللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق فى هذه المكيدة الى ثلاثة اقسام
ظالم لنفسه ومقتصد وسابق فاما السابق فيرغم الشيطان بان يضيف الى حركة
اللسان حركة القلب فيكون كالذى داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه واما
الظالم المغرور فاستشعر فى نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص

بالقلب فترک مع ذلک تعوید اللسان للذکر فوافق الشیطان و اما المقتصد فلم
یقدر علی ارغامه باشراک القلب فی العمل ولکن علم بان ذکر اللسان خیر من السکوت
والفتور فاستمر علیه فکان السابق کالحایک ذمت حیاکته فترکها واصبح کاتبا و
الظالم کالذی ترک الحیاکة واصبح کناسا والمقتصد کالذی عجز عن الکتابة فقال لا
انکر مذمة الحیاکة ولکن الحایک مذموم بالاضافة الی الکاتب لا بالاضافة الی الکناس
فاذا عجزت عن الکتابة فلا اترک الحیاکة **الرکن الرابع** فی دواء التوبة وطریق العلاج
لحل عقدة الاصرار اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ علی الخیر وهو عزیز نادر
الثانی هو الذی عن مقارفة الذنوب وهم ینقسمون الی مصرین وتایبین ولا یمکن
الفلاح فی حل عقده الاصرار الا بمعرفة الداء والدواء وشفاء التوبة لا یحصل الا
بالدواء ولا یقف علی الدواء من لا یقف علی الداء وکل داء حاصل من سبب فدواؤه
حل ذلک السبب ولا یبطل الشیء الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا
یضاد الغفلة الا العلم ولا الشهوة الا الصبر فلا دواء للتوبة الا معجون یعجن من
حلاوة العلم ومرارة الصبر کما یجمع فی السکنجبین بین حلاوة السکر وحموضة الخل و
یقصد بکل واحد منهما غرض آخر فی العلاج فمجموعهما یقمع الاسباب المهیجة للصفراء
فاذن لهذا الدواء اصلان العلم والصبر ولا کل علم لان العلوم بجملتها ادویة امراض
القلب ولکن لکل مرض علم مخصوص ینبغی ان یعرف المریض بان للمرض والصحة اسبابا
یتوصل الیها بالاختیار علی ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الایمان باصل الطب فیما نحن
فیه الایمان باصل الشرع وهو ان السعادة فی الآخرة سببها الطاعة والشقاوة
سببها المعصیة ولا بد من حصول ذلک اما عن تقلید او تحقیق الثانی لا بد ان یعتقد
المریض فی طبیب معین انه عالم باصل الطب حاذق صادق ووزانه العلم بصدق
الرسول صلعم الثالث لا بد وان یصغی الی الطبیب فیما یحذره منه حتی یغلب علیه الخوف
فی ترک الاحتماء ووزانه الاصغاء الی الآیات والاخبار حتی ینبعث منه الخوف
المقوی علی الصبر الرابع ان یصغی الی الطبیب فیما یخص مرضه فلیس علی کل مریض الاحتماء

عن

عن کل شیء ولا ینفعه کل دواء ووزانه ان کل عبد لیس یبتلی بکل شهوة بل لکل مؤمن
ذنب مخصوص وحاجته مرهقة الی العلم بانه ذنب ثم الی العلم بآفاته وبکیفیة الخلاص عنه ان
کان لا یدری ان ما ارتکبه ذنب فعلی العالم ان یعرفه ذلک بان یتصدی لدعوة الناس الی
نفسه فانه وارث الانبیاء عم والانبیاء عم ما ترکوا الناس علی جهلهم بل کانوا
ینادونهم فی مجامعهم ویرشدونهم فان مریض القلب لا یعرف مرضه فهذا فرض عین علی
العلماء کافة وعلی السلاطین ان یرتبوا فی کل بلد وقریة فقیها متدینا یعلم الناس دینهم
فان الخلق لا یولدون الا جهالا والدنیا دار مرض اذ لیس فی بطن الارض الا میت ولا
علی ظهرها الا سقیم ومرض القلوب اکثر من مرض الابدان والعلماء اطباء والسلاطین
قوام دار المرضی فکل مریض لا یحتمی او یغلب علیه الجنون الی القیم لیقیده بالسلاسل
ویکف شره عن الناس و انما صار مرض القلوب اکثر من مرض الابدان لثلاث علل
الاول ان المریض لا یدری انه مریض الثانی ان عاقبته غیر مشاهدة فی هذا العالم بخلاف
عاقبة البدن فان عاقبته الموت الثالث فقد الطبیب فان العلماء مرضوا فی
هذه الاعصار مرضا شدیدا وصارت لهم سلوة فی عموم المرض حتی لا یظهر
نقصانهم فاضطروا الی اغواء الخلق لان الداء المهلک هو حب الدنیا وقد غلب هذا الداء
علی الاطباء فلم یقدروا علی تحذیر الخلق لئلا یقال لهم ما بالکم تأمرون بالعلاج
وتنسون انفسکم فبهذا السبب عم الداء وانقطع الدواء وهلک الخلق واشتغل
الاطباء بفنون الاغواء ولم یهمهم فی مواعظهم الا ما یدعو العوام ویستمیل قلوبهم
بذکر اسباب الرجاء ودلایل الرحمة فینصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا
مزید جرأة علی الله تع فلیتهم اذا لم یصلحوا لم یفسدوا ومهما کان الطبیب جاهلا اهلک
بالدواء حیث یضعه فی غیر موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولکن لشخصین متضادی
العلة فالذی غلب علیه الخوف حتی کلف نفسه ما لا یطیق وضیق علی نفسه العیش فیداوی
بذکر اسباب الرجاء وکذا المصر علی الذنوب المشتهی للتوبة والممتنع عنها بحکم القنوط استعظاما
لذنوبه یعالج باسباب الرجاء حتی یطمع فی قبول التوبة اما معالجة المغرور بذکر اسباب

الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للسلامة وذلك كله من جهل الوعاظ والوعظ
الذي يحل عقدة الاصرار ويحمل الناس على ترك الذنوب اربعة انواع الاول ان يذكر ما
في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين وكذلك ما ورد من الاخبار والآثار وقد ورد
في ذم العاصي ومدح التائبين من الاخبار والآثار ما لا يحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ
منها النوع الثاني ان يذكر حكايات الانبياء ع م والسلف رض وما جرى عليهم من المصائب
بسبب ذنوبهم وذلك شديد الوقوع في قلوب الخلق مثل احوال آدم ع م في عصيانه
وما لقيه من الاخراج من الجنة وكذلك سليمان ع م زال ملكه اربعين يوما بسبب خطيئته
النوع الثالث ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنب وكل ما يصيب العبد
من المصائب فهو بسبب خطاياه فرب عبد يتساهل في امور الآخرة ويخاف من العقوبة
في الدنيا كما حكي عن المشايخ رض انهم اذا اذنبوا عجلت عقوبتهم في الدنيا واعلم ان العبد
اذا اذنب يسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر ذلك على ظاهره لينزجر وان كان
شقيا اخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في هذا النوع الرابع ان يذكر ما
ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل وغيرها من الكبائر
على قدر المذنبين فان العالم ينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة
ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها ويستدل بقرائن الاحوال على
خفايا الصفات اقتداء برسول الله صلعم حيث قال له واحد اوصني فقال لا تغضب
قال اوصني فقال عليك باليأس مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى فعلى كل ناصح ان
يكون عنايته مصروفة الى تفرس الصفات الخفية فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل
واحد غير ممكن وكل واعظ لا يكون هذا حاله فطريقه ان يعظ بما يشترك كافة الخلق في
الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم الشرع اغذية وادوية فاغذيته
للكافة والادوية لارباب العلل فقد كتب مطرق بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز
رض اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن
فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء

فهكذا

فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته فهذه المواعظ
مثل الاغذية التي يشترك العامة في الانتفاع بها الاصل الثاني الصبر ووجه الحاجة اليه
ان المريض انما يطول مرضه لتناول ما يضره وانما يتناول ذلك اما لغفلة عن مضرته واما
لشدة غلبة شهوته فله سببان وما ذكرناه علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق
علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته
بماكول مضر به فطريقه ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى
عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله
في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا
اذا غلبته الشهوة وصار لا يقدر على حفظ عينيه وقلبه او حفظ جوارحه فينبغي ان يستشعر
ضرر ذنبه بان يستقري المخوفات التي جاءت في كتاب الله تع وسنة رسوله صلعم فاذا
اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته ومن النظر اليها وعلاجه الهرب والعزلة
وكل ذلك لا يتم الا بالصبر ولكن يكون الصبر الا عن خوف ولا يخاف الا عن علم ولا يعلم الا عن
بصيرة وتفكر او سماع ولا ينبعث ذلك من القلب الا بغلبة الايمان وقوته ولا تظنن
ان ارتكاب الذنوب انما يكون من عدم الايمان بل يكون لضعفه اذ كل مؤمن مصدق
بان المعصية سبب البعد من الله تع والعقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور
احدها ان العقاب الموعود غائب والنفس جبلت للتأثر بالحاضر فتأثرها بالموعود ضعيف
بالاضافة الى تأثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة
والنفس بسبب الاعتياد والالف كانت لها طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف
الآجل شديد على النفس قال الله تع كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة الثالث
ان كل مذنب مؤمن عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات الا ان طول الامل
غالب على الطباع فيسوف التوبة الرابع انه ما من مؤمن الا وهو يعتقد بان الذنب
لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنه فهو يذنب وينتظر العفو اتكالا على فضل الله
تع فهذه الاسباب موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء اصل الايمان ويمكن ان يكون

سبب خامس يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسول عم وهذا هو
الكفر وعلاج هذه الاسباب ان يقرر في نفسه ان كل ما هو آت قريب وان الموت
الى كل احد قريب من شراك نعله وما يدريه لعل الساعة تكون قريبا والمتأخر اذا
وقع صار نادما او التجار يخاطرون بالارواح لاجل ربح الآجل والمريض يمتنع من
شرب الماء البارد بقول الطبيب النصراني بانه يضره في ثاني الحال ولم يظهر له دليل صدق
النصراني وعرف صدق الانبياء عم وانهم وعدوا بالعقاب في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة واما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في ان اكثر صياح اهل النار من
التسويف ولعل هذا المسوف لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك كما لا يقدر عليه اليوم
لغلبة الشهوة ومثاله كمن احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة
فقال اؤخرها الى سنة ويعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وكذلك هو كلما طال
عمره ازداد ضعفه واما انتظار عفو الله تع فعلاجه ما سبق كمن ينفق جميع ماله ويترك عياله
فقرآء وينتظر من فضل الله تع ان يرزقه العثور على كنز فان امكان العفو عن الذنب
مثل هذا الامكان واما الشك في صدق الرسل عم فطريقه تعريفه صدقهم ولكن
يعالج بقدر عقله ويقال له ما قاله الانبياء عم هل هو ممكن ام لا ولو اخبرك شخص مجهول
ان حية القت السم في طعام تركته في البيت فانك تتركه مع انه تشك في صدقه وغايته
انه يتضمن زوال الحيوة الفانية فكيف لا تترك المعصية بقول الانبياء عم وفيها فوات
النعيم في الحيوة الباقية والبقاء في العذاب سرمدا ولذلك قال علي بن ابي طالب رض
لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا
والا فقد هلكت وتخلصنا وهذا انما يحصل بالفكر في امور الآخرة والمانع من الفكر
الاشتغال بلذات الدنيا فان الفكر ينقص ذلك وعلاجه ان يتفكر في ان فوات لذات
الدنيا اهون من فوات لذات الآخرة اذ لذات الدنيا سريعة الزوال مشوبة
بالكدر ولذات الآخرة باقية صافية عن الكدر كيف وفي التوبة عن المعاصي والاقبال
على الطاعة تلذذ بمناجات الله تع ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة
كان

كان ذلك كافيا فكيف ما يضاف اليه من نعيم الآخرة وذلك يحصل بالمداومة على الطاعة
فهذا القدر كاف في التوبة واذا كان الصبر ركنا من اركان التوبة فلا بد من بيانه
في كتاب مفرد ان شاء الله تع **كتاب الصبر والشكر** اعلم ان الايمان نصفان نصف شكر
ونصف صبر كما ورد به الخبر وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تع واسمان من
من اسمائه اذ سمى نفسه شكورا وصبورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري
الايمان وغفلة عن وصفي الرحمن ولا سبيل الى الوصول الى القرب من الله تع الا بالايمان
وكيف يتصور سلوك سبيل الايمان دون معرفة من به الايمان فما احوج كلا الشطرين الى
البيان ونحن نبين فنقول اولا في الصبر فنذكر فضيلته وحده وحقيقته وكونه نصف
الايمان واختلاف اسمائه ومتعلقاته ودواء الصبر وما يستعان به في سبعة فصول
وقد وصف الله تع الصابرين باوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين
موضعا واضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر قال الله تع وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا وقال رسول الله صلعم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن
اعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل
ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان تفتح عليكم
الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر
بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تع ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا
اجرهم الآية وقد ورد فيه آيات واخبار كثيرة وكتب عمر بن الخطاب رض الى ابي
موسى الاشعري رض عليك بالصبر واعلم بان الصبر صبران احدهما افضل من الآخر
والصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله تع هذا بيان الصبر من حيث
النقل واما من حيث النظر فلا يفهم الا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه واعلم ان الصبر
مقام من مقامات الدين ينتظم من امور ثلاثة معارف واحوال واعمال فالمعارف
كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالثمار واسم الايمان تارة يخص
بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الايمان والاسلام

النيف الزيادة يشدد ويخفف واصله من الواو يقال عشرة ونيف ومائة ونيف وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني صحاح

باحسن ما كانوا يعملون

وجميع مقامات الدين

فى كتاب قواعد العقايد وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة والصبر عبارة
عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف ذلك الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة
والانس والبهايم فان الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك فى الملائكة ولا البهايم
اما البهايم فلنقصانها لانها سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها وليس لها
قوة تصادم الشهوة حتى يسمى تلك القوة فى مقابلة مقتضى الشهوة صبرا واما الملائكة
فلكمالهم فانهم جبلوا على الشوق الى الحضرة الربوبية ولم تسلط عليهم الشهوة الصارفة
عنها حتى يحتاجوا الى مصادمة ما يصرفهم عن حضرة الجلال بجند آخر واما الانسان
فانه خلق فى ابتداء الصبى ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء ثم يخلق فيه
قوة شهوة اللعب ثم شهوة النكاح فليس له قوة الصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات
جند فى مقابلة جند آخر قام القتال بينهما وليس فى الصبى الا جند الهوى كما فى البهائم
فوكل به عند كمال شخصه ملكان احدهما يهديه والآخر يقويه فبهذا يتميز عن البهائم
واختص بصفتين احديهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسول الله صلعم ومعرفة المصالح المتعلقة
بالعواقب وكل ذلك من الملك الذى اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا هداية لها الى
مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهوتها فى الحال والانسان يعرف ان اتباع الشهوات
لها نتايج مكروهة فى العاقبة ولكن هذه الهداية غير كافية ما لم يكن له قدرة
على ترك ما هو مضر فافتقر الى قوة وقدرة يدفع بها فى نحر الشهوات فيجاهدها
بتلك القوة حتى يقطع علاقتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يقويه ويؤيده بجنود
لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف وتارة يقوى
بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد فلنسم هذه الصفة التى بها فارق الانسان البهائم
فى قمع الشهوات باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات باعث الهوى والقتال
قايم بين باعث الدين وباعث الهوى وموضع هذا القتال قلب العبد ومدد باعث
الدين من الملائكة عم ومدد باعث الشهوة من الشياطين والصبر عبارة عن
ثبات باعث الدين فى مقابلة باعث الشهوة عدو قاطع لطريق الله تعالى فاذا

قوى ثبات باعث الدين تمت الافعال على خلاف ما يقتضاه الشهوة وهذان
الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين باذن الله تعالى يعينان العبد على الصبر على
المكاره وترك الشهوات وكل ما يصده عن الله تعالى والدار الآخرة وهما من الكرام
فاعلم ان الصبر ضربان بدنى كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها اما من العبادات
او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب والمرض والجراحات وترك شهوة
البطن والفرج والرجوع الى الله تعالى فى المصيبات وكظم الغيظ والغضب **بيان اقسام
الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف** اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث
الهوى له ثلثة احوال احدها ان يقهر باعث الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة و
الواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون وهم الصديقون المقربون الحالة الثانية
ان يغلب داعى الهوى ويسقط الكاتبين الموكلان لكل شخص من الآدميين بكتابة
الحسنات والسيئات فى صحايف مطوية فى سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع
عليها فى هذا العالم ثم ينشر هذه الصحايف المطوية عنه مرتين مرة فى القيمة الصغرى
ومرة فى القيمة الكبرى واعنى بالقيمة الصغرى حالة الموت اذ قال صلعم من مات فقد
قامت قيامته وفى هذه القيمة يكون العبد وحده وعندها يقال له ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة ويقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وجميع اهوال القيامة الكبرى
نظير فى القيمة الصغرى مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك الخاصة بك تزلزلت فى
الموت واعلم انك ارضى مخلوق من التراب وحظك الخاص بدنك فقط فاذا حظك من زلزلة
الارض كلها زلزلة بدنك لانه ارضك وعظامك جبال ارضك وراسك سماء ارضك
وقلبك شمس ارضك وسمعك وبصرك وجميع حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك
بحر ارضك وشعورك نبات ارضك واطرافك اشجارها وهكذا الى جميع اجزائك
فاذا انهدم بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها واذا انفصل العظام
من اللحوم فقد حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد
نسفت الجبال نسفا واذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا واذا

بطل سمعك وبصرك وساير حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا واذا انشق دماغك فقد
انشقت السماء انشقاقا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض ودكت حتى القت ما فيها
وتخلت ولست اطول الموازنة بجميع الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت تقوم
عليك هذه القيمة ولا يفوتك من القيمة الكبرى شي مما يخصك فان بقاء الكواكب في حق
غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالكواكب فان الاعمى يستوي عنده
انكساف الشمس وانجلاؤها واعلم ان هذه القيمة الصغرى بالنسبة الى القيمة الكبرى
كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احدهما الخروج
من الصلب والترائب الى مستودع الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في سلوكه الى
الكمال منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج الى فضاء العالم
فنسبة عموم القيمة الكبرى الى خصوص القيمة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم الى سعة فضاء
الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت الى سعة فضاء الدنيا كنسبة الدنيا
ايضا الى الرحم بل اوسع واعظم فقس الآخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
وما النشاة الثانية الا على قياس النشاة الاولى فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب
والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى
ناظر بالعين العوراء الى احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور
الدجال فما اعظم غفلة من يلهو وهذه الاهوال بين يديه ولو لم يكن لديه الا الموت
لكفى له عبرة عظيمة قال رسول الله صلعم كفى بالموت واعظا ولنرجع الى الغرض
ونقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى
وهذه المقاومة من خاصية الآدميين ولا تكون تلك في حق الصبيان والمجانين
لقصورهم بل ينبغي للولي ان يكتب على الصبي حسنة وسيئة في صحيفة وليه ثم يبشره
عليه بالتوبيخ ثم يعذبه بالضرب عليه فكل ولي فقد تخلق باخلاق الملائكة فينال درجة
القرب من رب العالمين واليه الاشارة بقوله صلى الله عم انا وكافل اليتيم كهاتين
بيان كون الصبر نصف الايمان اعلم ان الايمان تارة يخص في اطلاقه بالتصديقات باصول

الدين

الدين وتارة يخص بالاعمال الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف ابواب
وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا ولكن
الصبر نصف الايمان باعتبارين على مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على التصديقات
والاعمال جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين
المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل
بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن تحصيل
ذلك الا بالصبر على الطاعة وترك المعصية الاعتبار الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة
للاعمال وعند ذلك ينقسم ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة والى ما يضره
فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر والى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر
احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما كان اليقين احد شطري الايمان بالاعتبار
الاول كما روي عنه عم انه قال الايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر واعلم
ان الصبر ضربان بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات اما من العبادات او من غيرها
واما بالاحتمال مثل الصبر على الضرب والمرض والجراحات وذلك محمود اذا وافق الشرع
ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو صبر النفس عن مشتهيات الطبع والهوى
والرجوع الى الله تعالى في المصائب وكظم الغيظ وغيره **بيان** انقسام الصبر بحسب اختلاف
القوة والضعف اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة احوال احدها
ان يقهر باعث الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بالصبر كما يقال من صبر
ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الحالة
الثانية ان تغلب دواعي الهوى ويسقط بالكلية منازعة باعث الدين ويسلم نفسه الى
جند الشيطان وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم واشتروا الحيوة
الدنيا بالآخرة وصارت عقولهم في ايدي شهواتهم اسراء فمثالهم كمسلم وقع في ايدي
الكفار فهم يستخدمونه في رعاية الخنازير الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين
الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا بعد من المجاهدين وهم الذين

خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون
بالانعام بل هم اضل سبيلاً اذ البهيمة لم يخلق لها القدرة والمعرفة على الصبر عن الشهوات
وهذا قد خلق له وعطله والصبر ايضاً ينقسم باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم
فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل وعلى الاذى المحظور محظور كمن يقطع
يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتاً وكمن يقصد حرمه فيهيج غيرته فيصبر عليه ساكتاً
وكمن يقصد حرمه فيهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة فهذا محرم والصبر المكروه هو الصبر
على اذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر واعلم ان المكلف لا يستغني
عن الصبر في جميع احواله سواء كان مما يوافق هواه او يخالف هواه فما يوافق هواه
كالصحة والسلامة والمال والجاه وجميع ملاذ الدنيا فما احوج العبد الى الصبر على هذه
الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها اخرجه ذلك الى
البطر والطغيان فبالصبر يراعي في ذلك حقوق الله تع ولا يتجاوز عن الحد في جميع
الامور واشد انواع الصبر الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة ثم ان
كان تلك المعاصي مما يتيسر فعلها كالغيبة والنميمة وغيرهما مما ذكر في آفات اللسان
ربع المهلكات واشد منه الصبر على السراء لانه مقرون بالقدرة والجائع عند غيبة
الطعام اقدر قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا
الصديق ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة رض قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا
وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر على ذلك وانما الصبر عليها ان لا يركن اليها ويعلم
ان ذلك مستودع عنده وعسى يسترجع على القرب وان يقوم بالشكر كما سنذكره في
باب الشكر الثاني ما لا يوافق الهوى وذلك لا يخلو اما ان يرتبط اوله باختياره
ولكن له اختيار في ازالته الطاعة والعبد محتاج الى الصبر عليها فالصبر على الطاعة
شديد والقيام بشرائطها في مفتتح النية والتحرز عن الرياء وعقد العزم على الاخلاص
كي لا يغفل عن ايته ولا يتكاسل عن تحقيق لوازمه اذ يحتاج بعد الفراغ الى الصبر
عن افشائه فكل ما يبطل عمله تجنبه الثالث المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عليها وقد جمع الله

جميع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله
اختيار في دفعه كما لو اوذي بقول او فعل او جني عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك
المكافات القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك
الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وغير ذلك فالصبر على ذلك من اعلى المقامات

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه اعلم ان الصبر وان كان شاقاً فتحصيله ممكن
بمعجون العلم والعمل ومنهما الاخلاط التي تركب منها ادوية امراض القلوب كلها ولكن كل
مرض يحتاج الى علم وعمل آخر واقسام الصبر تختلف كاقسام العلل واذا اختلفت العلل
اختلف العلاج واستيفاء ذلك مما يطول ولكن نوضح الامثلة في بعضها فنقول
اذا افتقر الى الصبر في شهوة الوقاع مثلا ولا يملك عينه ولا فرجه ولا قلبه فيلزمه
تقوية باعث الدين الذي بيناه من قبل وتضعيف باعث الشهوة ومستند تضعيفها
ثلثة امور الاول ان ينظر الى مادة قوتها وهي الاغذية الطيبة فيقطعها بالصوم الدائم
مع تقليل الطعام عند الافطار ويحترز من الاطعمة المهيجة للشهوة الثاني قطع اسبابها
المهيجة لها في الحال فانها انما يهيج بالنظر الى مظان الشهوة فيحترز عن وقوع البصر
على الصور المشتهاة الثالث تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي يشتهيه وذلك بالنكاح
واما تقوية باعث الدين فله طريقان احدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراته
في الدين والدنيا الثاني ان يعود هذا الباعث مصادمة باعث الهوى تدريجا
قليلاً قليلاً حتى يدرك لذة الظفر به فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة
تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال كما تزيد قوة الحمالين والمقاتلين على قوة
الخياطين والفقهاء وغيرهم ولا يتم ذلك الا بالعزلة والمراقبة الدائمة وقمع الشهوات
واستغراق الوقت بالذكر والفكر فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل
وينبغي له العزلة والتباعد عن الخلق وان يكلف نفسه في اعماله افعالا يخالف ما
اعتاده في جميع الامور ويراعي في ذلك التلطيف والتدريج ولا ينتقل دفعة واحدة
الى الطرف الاقصى فان ذلك يصعب عليه بل يتدرج قليلاً قليلاً الشطر الثاني من الكتاب

في الشكر وله ثلاثة اركان الاول في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه الثاني في حقيقة النعم واقسامها الخاصة والعامة الثالث في بيان الافضل من الصبر والشكر الركن الاول في نفس الشكر وبيان فضيلته قال الله تع لئن شكرتم لازيدنكم والشكر من اخلاق الربوبية اذ قال سبحانه وتعالى والله شكور حليم وقال رسول الله صلعم الطاعم الشاكر له الصايم الصابر بيان حد الشكر اعلم ان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل من مجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر اما العلم فان تعلم ان النعم كلها من الله تع وهو المنعم حقا والوسايط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد وتعلم ان كل ما في العالم موجود منه فقط والكل نعمة منه وما يصل اليك على يد خلق الله تع فهم وسايط فيه كالخازن اذا امره الملك بان يخلع على انسان فيكون مضطرا الى ذلك امتثالا لامر الملك ومن يرى النعمة من الخازن يكون مشركا كافرا لنعمة الله تع فكل من وصل اليك شيء من نعم الله تع على يديه فهو مضطر اذ سلط الله تع عليه الارادة والقى في قلبه ان خيره في الدين والدنيا في ان يعطيك ما اعطاك فاذا عرفت ذلك بجد هذه المعرفة شاكرا الاصل الثاني الحال المستثمر من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر على تجرده بان يعرف عناية مرتبه في حقه وتوصل بهذه النعمة الى حضرة الله تع الاصل الثالث العمل موجب الفرح وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب فاضمار القلب الخير وقصده لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله تع بالتحميدات الدالة عليه واما بالجوارح فاستعمال نعم الله تع في طاعته والتوقي عن المعاصي فان قال قايل ما معنى الشكر والشكر نعمة ثانية من الله ورؤية ذلك من الله تع نعمة اخرى يحتاج الى الشكر فلا يمكن الشكر لله تع فنقول هذا الخاطر خطر لداود عم فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة

ثانية من نعمك فاوحى الله تع اليه اذا عرفت ذلك فقد شكرتني فان قلت لا افهم هذا لان العلم ايضا نعمة ثانية لله تع فاعلم ان هذا قرع باب من التوحيد وهو ان الشاكر والمشكور والمحب والمحبوب والذاكر والمذكور وقرئ بين يدي حبيب الله تع انا وجدناه صابرا نعم العبد فقال واعجباه اعطى واثنى على عطائه وعلى نفسه فهو المثني وهو المثنى عليه ولما نظر الشيخ ابو سعيد حين قرئ بين يديه قوله تع يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودع يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشار به الى انه المحب وانه المحبوب وهذا كله نظر بعين التوحيد ويعبر عن هذه الحالة بفناء النفس اي فني عن نفسه وعن غيره فلا يرى الا الله تع وهو الباقي القايم بنفسه وقيام الكل به وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قايم بغيره ومن لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه فهو قسمان قسم اثبتوا ان لا وجود الا لانفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان في كلتي العينين الثاني ليس بهم عمى ولكن بهم عور فهم يبصرون باحدى العينين وجود الموجود الحق ولا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم يبصروا بها فناء غير الموجود الحق فاثبتوا موجودا اخر مع الله تع وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذي قبله جاحدا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا القدر من اثبات التفاوت والنقص من الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل بصره بما يزيده في انواره فيقل عمشه يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله تع ولا يزال يفضي به النقصان الى المحو فينمحي عن رؤيته سوى الله تع فلا يرى الا الله تع فيكون قد بلغ كمال التوحيد فلا يرى الا الواحد الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد والمتوسطون هم الاكثرون وفي درجاتهم تفاوت كثير ولما قيل لسيد البشر واسجد واقترب فقال اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انتقل من رؤية الفعل الى الصفات فقال اعوذ ثم ترقى من الصفات الى مشاهدة الذات ولما راى

ذلك المقام نقصانا في التوحيد و رأى نفسه فانه فني عن مشاهدة نفسه
واقترب فقال انت كما اثنيت على نفسك فبان له انه المثني وهو المثنى عليه وان الكل
منه فكان اول مقامه نهاية مقامات الموحدين وقد تركت فصولا يتعلق بعلوم
المكاشفة واسرار القدر لانه خارج عن علم المعاملة **الركن الثاني** من اركان الشكر
ما عليه الشكر وهو النعمة بيان حقيقة النعمة اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب
يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها نعمة مجاز وقد
يكون اسم النعمة للشيء صدقا ولكن اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق فكل سبب يوصل
الى السعادة ويعين عليها فان تسميته نعمة صحيح لانه يفضي الى السعادة الحقيقية ونشرح
ذلك فينقسم الى ما هو نافع في الدنيا والآخرة كالعلم والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل
كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال وينفع في المآل لكن لمخالفة النفس وتم
الخيرات باقسام عدة يحتاج اليها في علم المعاملة فان المكلف اذا علم ان الشكر
عليه فيما انعم الله تع عليه وانه يقربه الى الله تع وذلك انه خلق الحواس والعلم والعقل والموفقة
واهله لامتثال اوامره واجتناب نواهيه والمواظبة على الطاعات ورزقه الصحة
ويسر له استغراق الاوقات فيما يقربه الى الله تع وذكر آحاد ذلك مما يطول فان نعم
الله تع اكثر من ان يعد ويحصى ومن تفكر في نفسه رأى عجايب كثيرة وكيف خلق من ماء
مهين على هذه الطبيعة ثم ينظر الى حواسه الظاهرة والباطنة وخاصية كل حاسة وكذلك
ساير قواه واسباب نموه وغذاه من صباه الى كبره وما خلق الله تع له من نبات الارض
والاشجار وكذلك العقل وهدايته الى ترتيبها وتحصيلها حتى يصير قوتا وكيف خلق له
شهوة الطعام حتى يتناوله ولو شرحت كيفية نزول الطعام الى المعدة وبقائه فيها
وانقسامه الى ما يصل الى العروق والى الكبد والطحال بعد النضج بحرارة المعدة حتى يصير
ما يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وخروج الثفل لتخلو المعدة لوصول الطعام
اليها وفي خلق انواع الاطعمة من الفواكه والنبات من انواع مختلفة لترى في ذلك
عجايب كثيرة لا تحصى وذكر ذلك في كل طعام وكيفية نباته وتربيته بالماء والشمس والقمر

مما يطول ومن يكون قلبه وعقله كاملين ويتفكر في كل نوع انه كيف خلق وتنوع
بانواع الفواكه والثمار وما يقتات به من النبات ينفتح له باب عظيم من عجايب
صنع الله تع ويعلم ان لله تع في كل طرفة عين نعم كثيرة وان له عليه في كل نفس من انفاسه
التي تنقبض وتنبسط نعمتان اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق عن القلب ولو لم
يخرج ذلك لهلك وبانقباضه يجمع روح الهوا الى القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه
لانقطاع روح الهوا عنه وهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة
قريب من الف نفس وفي كل نفس قريب من عشر لحظات وهذا كله نعمة من الله تع يحتاج
الى الشكر وانما امتنع الخلق من الشكر لجهلهم بمعرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد
معرفتها ثم انهم اذا عرفوا نعمة الله تع ظنوا ان الشكر عليها ان يقول احدهم بلسانه الحمد لله
ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في اتمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله تعالى
ولا يمنع من الشكر بعد معرفة النعمة الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان والغفلة ثم
انه لا يعرف جميع ما انعم الله تع عليه من انواع النعم كما حكي ان بعض الناس شكى فقره الى
بعض ارباب البصاير واظهر شدة اغتمامه به فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الف
درهم فقال لا فقال ايسرك انك مقطوع اليدين والرجلين ولك عشرون الف درهم فقال
لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الف اخرى فقال لا فقال اما تستحيي ان تشكو
مولاك وله عليك عروض بخمسين الفا فما من احد يتفكر في نفسه وحاله الا يرى عليه
من نعم الله تع ما لا يعد ولا يحصى فانه خلقه مومنا ولم يجعله كافرا ولا ضالا ولا جمادا
ولا بهيمة بل انسانا وسليما لا معيبا فان هذه الاحوال لو بدلت باضدادها لم
يرض بها سوى ما ينضاف الى ذلك من المسكن والجاه والاقارب والاطاف والاولاد
قال رسول الله صلعم من اصبح معافا في بدنه امنا في سربه وله قوت يومه فكانما حيزت
له الدنيا بحذافيرها وعلاج الغفلة ان يتفكر في احوال القيامة والقبر والصراط
ويتفكر في احوال الموتى وانهم يتمنون ان يعادوا الى الدنيا ليستدركوا ما فاتهم
من الطاعة ويعلم ان عمره يضيع وانفاسه تنقضي فيغتنم ايامه ويشتغل بما فيه نجاته ويشكر

الله تع على نعمه لا يشغل اعضاءه الا في تحصيل رضاء الله تع **الركن الثالث** فيما يشترك فيه الشكر والصبر ويرتبط احدهما بالآخر بيان اجتماع الشكر والصبر على واحد اعلم ان النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه فكالايمان بالله تع وحسن الخلق والاستغراق للاوقات في رضاء الله تع والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه وكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تع وفي الدنيا الكفر والمعصية وساير الاخلاق المذمومة وهي التي تفضي الى البلاء المطلق واما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وساير انواع البلاء فعلى ذلك يجوز ان يجمع على شخص واحد وظيفة الشكر والصبر فان الغناء مثلا يجوز ان يصير سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل اولاده وكذلك الصحة ايضا فما من نعمة الا ويجوز ان يصير نقمة ولكن بالاضافة الى حاله فرب عبد يكون الخيرة له في فقره ومرضه ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر فاذن كل حالة لا توصف بانها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع بها على العبد وظيفتان الشكر والصبر اذ كل مصيبة ومرض يتصور ان يكون اكثر منهما اذ مقدورات الله تع لا يتناهي فلو ضعفهما الله تع ما ذا كان يرده فليشكر الله تع اذ لم يكن اعظم منها وكذلك يمكن ان يكون هذا البلاء مصيبة في الدين وما من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل في سوء ادبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يستحق اكثر مما اصيب به ومن استحق ان يضرب ماية سوط فاقتصر على عشرة فهو مشكور وما من مصيبة تصيب العبد في الدنيا او بلاء فيصبر على ذلك الا كانت له درجات في الآخرة قال رسول الله صلعم عن الله تع اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا وانشر له ديوانا ولما نزل قوله تع من يعمل سوء يجز به فقال الصديق رض كيف الفرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلعم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى اليس تحزن فهذا ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك **بيان** الافضل من الشكر والصبر وقد اختلف الناس

في ذلك فقال قايلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون الشكر افضل وقال آخرون هما سيان وقيل يختلف باختلاف الاحوال فالطبيب الحاذق ينظر الى حال المريض فان المريض الذي يشكو وجع العين اذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع به بل حقه ان ينظر الى المهلك الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات فلو صام صاحبه مائة سنة فلا ينقص من ذلك ذرة بل يلزمه اخراج المال والتصدق به فاذن باعتبار هذه الاحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير ان الجواب المطلق في ذلك خطأ فلو قال قايل الخبز افضل ام الماء لم يكن فيه جواب حق الا ان يقال الخبز للجايع افضل والماء للعطشان افضل فكذلك ههنا فنقول اذا قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعتا الى معرفة واحدة فمعرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين من الله تع ومعرفة الصابر ان يرى العمى من الله تع فهما معرفتان متلازمتان وقد بينا ان الصبر يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تع الى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى والصبر والشكر في ذلك اسمان لشيء واحد باعتبارين مختلفين واختلاف العلماء في الافضل منهما يرجع الى احوال الصابرين والشاكرين فرب فقير صابر افضل من غني شاكر ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير اذ لا يمسك لنفسه من المال الا قدر الضرورة والباقي يصرفه الى المحتاجين فهذا افضل من الفقير الصابر والصابر لما كان المه بالفقر يحتاج الى المجاهدة والمقاساة في الصبر عليه قالوا الصابر افضل لمقاساة الالم واذا اردت التحقيق فاعلم ان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضاء وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضاء اذ الصبر مع التالم والرضاء لا الم فيه ولا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات فان حياء العبد من تتابع نعم الله تع عليه شكر ومعرفته بالتقصير عن الشكر شكر

والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظم حلم الله تعالى وكنف ستره شكر والاعتراف
بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والعلم بأن الشكر أيضا نعمة من نعم الله تعالى
موهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وقلة الاعتراض وحسن الأدب
بين يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر وشكر الوسائط من
حيث إنهم وسائط شكر إذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى وهذا القدر كفاية
من كتاب الصبر والشكر والحمد لله رب العالمين

كتاب الخوف والرجاء

اعلم أن الخوف والرجاء
جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ومطيتان بهما يقطع كل عقبة كؤود
ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والثاني في
الخوف

الشطر الأول يشتمل على حقيقة الرجاء وفضيلته ودوائه والطريق الذي يجتلب به
الرجاء

بيان حقيقة الرجاء اعلم أن الرجاء من جملة مقامات الطالبين وأحوال السالكين
والرجاء يتم بعلم وحال وعمل فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل فكان الرجاء اسما للكل
من جملة الثلاثة فكل ما ينتظره العبد بعد تمام عمله وحفظ شروطه والقيام بحقوقه وتعلق
قلبه بانتظاره وحصل له لذة وابتهاج في قلبه يسمى ذلك رجاء فالرجاء ارتياح القلب
لانتظار ما هو محبوب عنده وذلك المحبوب المتوقع لا بد وأن يكون له سبب فمن يرمي البذر في الأرض
الطيبة ويتعاهده ويسقيه ثم ينتظر ثماره وادراكه يسمى ذلك رجاء وقد علم أرباب القلوب
أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر والطاعات جارية مجرى
تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها والقلب المستهتر بالدنيا
كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما
زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقل ما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء الأخلاق
كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع
فكل من طلب أرضا طيبة ثم ألقى البذر فيها وتعاهده ثم جلس منتظرا يسمى انتظاره
رجاء ومن يرمي البذر في أرض سبخة ثم ينتظر حصاد الزرع يسمى انتظاره حمقا وغرورا
ومن بث البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها يسمى انتظاره تمنيا والأول يسمى رجاء

تحقيقا

تحقيقا فإذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب عن المعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تعالى
تمام النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه
من معصية فحقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبل التوبة فإذا كان كارها للمعصية
وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة فحقيق بأن يرجو من الله تعالى التوفيق للتوبة
فأما من ينهمك فيما يكره الله تعالى ولا يذم نفسه ولا يعزم على التوبة فرجاؤه للمغفرة كرجاء
من يبث البذر في أرض سبخة فالرجاء محمود واليأس الذي هو ضده مذموم لأنه صارف
عن العمل لكن من عرف أن الأرض السبخة لا ينبت فيها البذر فترك ذلك لا محالة ومن علم أن الأرض
الطيبة ينبت فيها البذر يشتغل بعمارتها ويرجو من الله تعالى التوفيق فإذن الرجاء
محمود واليأس مذموم والرجاء باعث على العمل بطريق الرغبة وحال الرجاء يورث
طول المجاهدة والمواظبة على الطاعات ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعم
بمناجاته والتلطف في التملق له فهذه الأحوال لا بد وأن يظهر على كل من يرجو ملكا
من الملوك فكيف لا يظهر ذلك في حق من يرجو الله تعالى فإن كان ذلك لا يظهر فليستدل به
على الحرمان من مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني

بيان فضيلة الرجاء
والترغيب فيه اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له
والحب يغلب بالرجاء ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن بالله تعالى آيات وأخبار كثيرة قال
الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فحرم أصل اليأس
وقال النبي صلعم عن الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء

بيان دواء الرجاء
والسبب الذي يحصل منه الرجاء اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين إما رجل غلب
عليه اليأس فيترك العبادة وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة
حتى أضر بنفسه وأهله فهذان رجلان مائلان عن الاعتدال فيحتاجان إلى علاج يردهما
إلى الاعتدال أما العاصي المغرور المتمني على الله تعالى مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي
فأدوية الرجاء صارت سموما مهلكة في حقه فيجب عليه استعمال أدوية الخوف ولهذا
يجب أن يكون واعظ الخلق ناظرا إلى مواضع العلل معالجا لكل علة بما يضادها خصوصا

هذا الزمان فان الغفلة استولت على الناس وانهمكوا في المعاصي فلا ينبغي ان يستعمل معهم اسباب
الرجاء ولا يبالغ في التخويف الى حد يؤيسهم عن الله تعالى ويعالجهم بما يردهم الى الوسط ونحن
نذكر اسباب الرجاء في حق الآيس ومن غلب عليه الخوف وحال الرجاء يغلب بشيئين احدهما
ان يتأمل جميع ما ذكرناه في كتاب الشكر من اسباب النعم الظاهرة والباطنة في حق
عامة الخلق ولطف الله تعالى بهم كيف وانه لم يرض سياقتهم الى الهلاك بل لم يرض ان يفوتهم
المزايد والمزايا فاذا نظر الانسان نظرا شافيا علم ان اكثر الخلق قد هيئ لهم اسباب
السعادة في الدنيا حتى يكره الانتقال من الدنيا بالموت فالغالب ان امر الآخرة
هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد غفور رحيم فاذا تأمل الانسان ذلك
قوي به اسباب الرجاء **الثاني** استقراء الآيات والاخبار فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر
قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقال عم امتي
امة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا بالزلازل والفتن فاذا
كان يوم القيامة دفع الى كل واحد من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار
وقال عم اذا اذنب العبد واستغفر يقول الله تعالى للملائكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا
فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وقد ورد في هذا
المعنى اخبار وآثار كثيرة تصلح لمداواة الخائفين والآيسين واما الحمقى والمغرورون
فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعوا ما ورد من الآيات والاخبار في الخوف
فان اكثر النفوس لا تصلح الا بالخوف والعبد السوء والصبي الشرير لا يستقيمون الا بالضرب
بالعصا واظهار الخشونة في الكلام فاما ضد ذلك فيفسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا
الشطر الثاني من الكتاب في الخوف وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان اقسام
المخاوف وفضيلة الخوف والافضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف ومعنى
سوء الخاتمة واحوال الخائفين من الانبياء عم والصالحين رض **بيان** حقيقة الخوف اعلم
ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ومن انس
بالله تعالى وصار مستهترا بجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم يكن له خوف

ولا رجاء

ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء ودوام الشهود غاية المقامات ونحن
الآن نتكلم في اوائل المقامات فنقول حال الخوف ايضا ينتظم من علم وحال وعمل اما العلم
فهو العلم المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى على ملك جناية ثم وقع في يده فيخاف
القتل وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي
وقع في يد سبع فانه يخافه لصفة ذات السبع وهو حرصه على الافتراس وقد يكون من
صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل او جوار حريق فان الماء يخاف منه
لانه بطبعه مجبول على السيلان وكذا النار على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب
الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق هو الخوف فكذلك الخوف من
الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين لم يبال وتارة
يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي ومعرفته بعيوب نفسه ومعرفته جلال الله
فيكون ذلك سببا لقوة خوفه فاذا كمل خوفه تقلع عن المعاصي وحرص على الطاعات
فتصير المعاصي التي كانت محبوبة عنده مكروهة ويحصل في القلب الخشوع والذلة ومفارقة
الصفات الذميمة فلا يتفرغ لغير ذلك ولا يكون له شغل الا المراقبة والمحاسبة ويكون
حاله كمن وقع في مخالب السبع فانه لا يدري انه يغفل عنه او يهلكه ويتفاوت درجات
الخائفين فادناها ترك المحظورات واعلاها الاعراض عما سوى الله تعالى **بيان** درجات
الخوف واختلافه في القوة والضعف اعلم ان الخوف محمود وله قصور وافراط واعتدال
والمحمود هو الاعتدال اما القاصر منه فيجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع
آية من القرآن فيورث البكاء ويفيض الدمع وكذلك عند سبب هائل فاذا غاب ذلك
السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى وهكذا خوف
الناس كلهم الا العارفون والعلماء الراسخون والخوف هو الذي يكف عن المعاصي
ويقيد الجوارح بالطاعات وما لم تؤثر في الجوارح فهو حديث النفس واما المفرط فهو
الذي يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى القنوط فهو مذموم لانه يمنع من العمل وفائدة
الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الاسباب

الموصلة الى الله تع والخوف اذا خرج عن حد الاعتدال بما اورث المرض والوله والدهش
وزوال العقل وذلك مذموم وهو كضرب الوالد ولده للتاديب فاذا خرج عن حد الاعتدال
ربما قتل الولد او كسر عضوا من اعضائه واما ذكر رسول الله صلعم اسباب الرجاء
ليعالج بذلك صدمة الخوف المفضي الى القنوط وكل ما يراد لامر فالمحمود منه ما يفضي الى
المراد المقصود منه فما نقص عنه او تجاوزه فهو مذموم وفايدة الخوف الحذر والرجوع
الى الله تع والاقبال عليه بيان دواء الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه اعلم ان الخوف
لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما
يكره المعاصي لادائها الى المكروه في الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها
الى الموت واما ان يكون مكروها في ذاته واما ان يكون مكروها في ذاته كالنار
فلا بد لكل خايف من ان يتخيل في نفسه مكروها من احد القسمين ويقوى انتظاره
في قلبه حتى يحترق بسبب استشعاره ذلك المكروه ويختلف مقام الخايفين فيما يغلب
على قلبه كخوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة او خوف زوال الرقة من
القلب او خوف استيلاء العادة من اتباع الشهوات او خوف الاشتغال عن الله تعالى
بغير الله او خوف الاستدراج بتتابع النعم او خوف ما يحدث منه في بقية عمره فيما لا
يدري او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا او خوف الاغترار بزخارف الدنيا او خوف
خاتمة السوء عند الموت او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف
العارفين ولكل واحد خصوص فايدة واغلب هذه المخاوف على النفس خوف الخاتمة
فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام خوف السابقة وقد ذكر رسول الله صلعم في هذا المعنى
حديثا طويلا وآخره السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله و
الاعمال بالخواتيم وهذا كانقسام الخايفين الى من يخاف من معصيته وجنايته والى
من يخاف الله تع نفسه لصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة فهذا اعلى رتبة ولذلك
بقي خوفه وان كان في طاعة الصديقين وخوف الصالحين من التقصير في الطاعات والخوف
من المعاصي وخوف الموحدين والصديقين هو الخوف من الله تع وذلك ثمرة المعرفة بالله

فمن

فمن عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف منه بغير جناية ولولا انه
يخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها فان تيسير اسباب المعصية ابعاد
ولم يسبق منه قبل المعصية شي يستحق به ان يسخر للمعصية ويجري عليه اسبابها ولا
سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعة ومهد له سبيل القربات
فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذلك المطيع فالذي رفع محمد صلعم
الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع ابا جهل في اسفل السافلين
من غير جناية صدرت منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله فمن اطاع انما
اطاع لانه سلط عليه ارادة الطاعة والقدرة عليها ومن عصى انما عصى لانه سلط
عليه ارادة جازمة وقدرة عليها فليت شعري ما الذي اوجب تسليط ارادة
الطاعة على المطيع ليقربه وتسليط دواعي المعصية على العاصي ليبعده فاذا كانت الحوالة
ترجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي ما يشاء ويحكم
ما يريد ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه اوحى الله تع الى داود
عم يا داود خفني كما تخاف من السبع الضاري فهذا يفهمك حاصل المعنى وان كنت
لا تقف على سببه فالحاصل ان السبع لا يخاف لجناية سبقت اليه بل لصفته وسطوته
لانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتالم بقتلك بل اهلاك
الف مثلك واهلاك نملة سواء اذ لا يقدح ذلك في سبعيته وما هو موصوف به
من قدرته ولله المثل الاعلى عرف من المشاهد الباطنة التي هي اقوى من المشاهدة
الظاهرة انه صادق في قوله تع هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا
ابالي ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف منه المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة
الطبقة الثانية من الخايفين ان تمثل في انفسهم ما هو المكروه مثل سكرات الموت او
سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او الخوف من السؤال والصراط والميزان او الخوف
من النار واغلالها والحرمان من الجنة والحجاب عن الله تع وكل هذه الاسباب مكروهة
في انفسها فهي لا محالة مخوفة وخوف العارفين هو خوف الحجاب والفراق من الله تعالى

وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين ومن لم تكمل معرفته لم يشعر بلذة الوصال
ولا بألم البعد والفراق **بيان** فضيلة الخوف والترغيب فيه اعلم ان فضيلة الخوف تارة تعرف
بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والاخبار فاما الاعتبار فهو ان يعلم ان فضيلة
المرء في القرب من الله تع وكل ما اعان عليه فله فضيلة وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة
لقاء الله تع الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة ولا تحصل
المعرفة الا بدوام الذكر والفكر ولا يتيسر ذلك الا بانقلاع حب الدنيا عن القلب ولا
ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف
فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات
وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات وكيف لا يكون للخوف فضيلة وبه تحصل
الورع والتقوى والمجاهدة وبذلك يتقرب الى الله تع واما بطريق الاقتباس من
الآيات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحد والحصر كقوله تع انما يخشى
الله من عباده العلماء وقال تع رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل
ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم وفي الخبر عن
موسى عم واما الخائفون فان لهم الرفيق الاعلى فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق
الاعلى مع الانبياء عم وقال النبي صلعم وقت مفارقة الدنيا اسألك الرفيق الاعلى
فاذن ان نظر الى مثمره فهو العلم وان نظر الى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ما ورد في فضائل
ذلك من الآيات والاخبار والتشديدات الواردة في الامن من مكر الله تع وعذابه
لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لان مذمة الشيء ثناء على ضده وكل ما ورد في فضيلة
الرجاء دال على فضيلة الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف
فوته فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الآخر نعم يجوز ان يغلب احدهما
على الآخر وهما مجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال
لغفلته عنه قال الله تع ويدعوننا رغبا ورهبا وقال يدعون ربهم خوفا وطمعا
بيان ان الافضل هو غلبة الخوف او غلبة الرجاء او اعتدالهما اعلم ان الاخبار

في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر الى ذلك فيعتريه شك في ان
الافضل ايهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل
الخبز افضل ام الماء وجوابه ان الخبز افضل للجائع والماء للعطشان فان اجتمعا نظر الى
الاغلب فان كان الجوع ا افضل وان استويا فهما مستويان فالخوف والرجاء دواءان
تداوي بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء
الامن من مكر الله تع فالخوف افضل وان كان الغالب اليأس والقنوط من رحمة الله تع
فالرجاء افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل وان
نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف
من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله تع ما يقتضي اللطف والرحمة كانت
المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام والخوف مستنده الالتفات الى الصفات
التي تقتضي العنف ولا تمازجه المحبة وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ
الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجاء وذلك لاجل
غلبة المعاصي فاما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه فالاصلح ان يعتدل رجاؤه وخوفه
ولذلك قيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا وروي ان عليا قال لبعض ولده يا بني خف الله
خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات والمقبلون على الله تع التاركون للمعاصي يخافون سوء الخاتمة
عند الموت يحبط عملهم وربما يكون عملهم غير مقبول عند الله تع لما يدخله من العجب و
الكبر وغيرهما او يكون فيه خلل لا يطلع عليه واما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستنده
الاغترار بالله تع فالمسلمون كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى اليأس
وترك العمل والانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف فاما الخوف فهو الذي يحث على
العمل ويكدر على صاحبه الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا وهو الخوف المحمود
دون حديث النفس ولكن قبل الاشراف على الموت اما وقت الاشراف على الموت
فالرجاء اصلح له فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه والقدوم على محبوبه فيعظم سروره وان
كان الغالب على القلب حب الاهل والمال والاماني فالدنيا حبيبه فمن فارق حبيبه و

حيل بينه وبين ما يشتهيه فلا يخفى حاله من العذاب واحتراق القلب لمفارقة محبوبه واذا لم
يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته فالدنيا وما فيها سجنه ولا يخفى حال
من انقلب من السجن وخلا بمحبوبه بلا مانع فنسأل الله تعالى ان يتوفانا مسلمين ولا مطمع
في اجابة هذا الدعاء الا باكتساب حب الله تعالى ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب
وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى فالوصل ان غلبة الرجاء عند الموت اصلح لانه
اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات واقمع لمحبة الدنيا
من القلب **بيان** الدواء الذي به يستجلب حال الخوف فنقول يحصل الخوف بطريقين احدهما
اعلى من الآخر والخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف
منه في ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين من صفاته
ما يقتضي الهيبة والخوف المطلعين على سر قوله ويحذركم الله نفسه اما الاول فخوف عموم
الخلق وهو حاصل باصل الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير ومداومة
الفكر في اهوال القيامة ويزيد ايضا بالنظر الى الخائفين ولكن موجب مجرد التقليد وذلك
يضاهي خوف الصبي من الحية اذا رأى والده يهرب منها ويخاف والعقائد التقليدية
ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها المؤكدة لها على الدوام و
بالمواظبة على الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذن من ارتقى الى
ذروة المعرفة وعرف الله تعالى فلا يحتاج الى علاج لجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة
شاء ام ابى فمن عرف الله تعالى وعرف انه يفعل ما يشاء ولا يبالي قرّب الملائكة من
غير سابقة وبعّد ابليس من غير خطيئة سابقة بل صفته ما ترجمه في قوله تعالى هؤلاء في
الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي وان خطر في بالك انه لا يثيب الا على الطاعة
ولا يعاقب الا على المعصية فتامل انه لم يمد المطيع باسباب الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى
فانه مهما خلق الله تعالى الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا
بالضرورة فاذا علمت انه ابعد من ابعد لا لجريمة صدرت منه تعلم انه قضى عليه بذلك
في الازل فمن عرف السبب في هذا الامر معرفة صادقة فهو من خصوص العارفين المطلعين

على سر القدر ومن سمع هذا فصدّق به وآمن بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل
لكل واحد من الفريقين خوف فانه واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب
السبع خلق الخلق وخلق ايضا لكل واحد ما يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم
الازلي فخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وسخروا للاسباب
شاؤوا ام ابوا فمن علم ذلك غلبه الخوف بالضرورة ومن قعد به القصور عن الارتقاء
الى الاستبصار فسبيله ان يعالج نفسه بالاخبار والآثار ويطالع احوال الخائفين ولا
يغتر بغفلة الراجين المغرورين روي ان رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه
هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله وقتلت في سبيل الله تعالى
فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره وورد
في هذا المعنى آيات واخبار كثيرة من ارادها فليطلبها من احياء علوم الدين فهذا هو
الذي قطع قلوب الخائفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشيئة من لا يبالي
بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك واستقرا خفي السابقة من جلي الاسباب
الظاهرة على القلب والجوارح فمن تيسر له اسباب الشر واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه
كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت
الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وهو بباطنه وظاهره مقبلا
على الله تعالى كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن
خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا وكيف يؤمن تغير الحال وقلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فانه اشد تقلبا من القدر في غليانه ولولا
ان الله تعالى لطف بعباده العارفين اذ روّح قلوبهم بروح الرضا لاحترقت قلوبهم
من نار الخوف واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو كشف الغطاء لزهقت
النفوس **بيان** معنى سوء الخاتمة اعلم ان سوء الخاتمة على رتبتين احدهما اعظم من الاخرى
فاما الرتبة العظيمة فان يغلب على القلب عند سكرات الموت الجحود او الشك فيكون ما غلب
على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله تعالى ابدا فيقتضي ذلك البعد الدائم والعذاب

المخلد والثانية وهي دونها ان يغلب على القلب عند الموت حب امر من امور الدنيا او شهوة
من شهواتها فيستغرق القلب بذلك وتقبض الروح في تلك الحالة فيكون صاحبها منكسا
رأسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ويكون محجوبا عن الله تعالى ومهما حصل الحجاب
نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تأخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه عن حب
الدنيا فيقول له النار جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي ولا يمكن اكتساب صفة اخرى
للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تتصرف في القلوب الا باعمال الجوارح
تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان ان كان راسخا في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالاعمال
الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من
النار في زمان اقرب وان كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد
ان يخرج من النار ولو بعد حين والذي يفضي الى سوء الخاتمة لا يمكن احصاؤه ولكن
سببه في فئتين احدهما متصور مع تمام الورع والزهد وتمام صلاح الاعمال كالمبتدع الزاهد
فان عاقبته مخطرة وللبدعة ان يعتقد في ذات الله وفي صفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقد
على خلاف ما هو عليه اما برأيه ونظره ومعقوله الذي يجادل به الخصوم واما ان يكون
اخذا بالتقليد عمن هذا حاله فاذا قرب الموت وظهرت ناصية ملك الموت واضطرب
القلب عما فيه فربما يكشف له في تلك الحالة بطلان ما اعتقده وكان قاطعا به ولم يظن
انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة بل يظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده
فرق بين ايمانه بالله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وسائر
اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل
او الشك فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يعود الى اصل الايمان
فقد ختم له بالشقاوة وخرج روحه على الشرك والعياذ بالله من ذلك والزهد والصلاح
لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر الذين
امنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا كالاعراب وسائر العوام الذين
لم يخوضوا في النظر ولا اصغوا الى المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة ولذلك منع

السلف رضي الله عنهم من البحث والخوض في الكلام لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم والعقائد
الموروثة والمأخوذة بحسن الظن من المعلمين تتأكد بالتعصبات الواقعة بين الخلق واما
السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل واستيلاء حب الدنيا على القلب بحيث لا يبقى
في القلب موضع لحب الله تعالى الا من حيث حديث نفس لا يظهر لذلك اثر في مخالفة
النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في تظليم القلب وتقسيه
ولا يزال تنطفي نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا فاذا جاءت سكرات الموت
ازداد حب الله تعالى ضعفا لما يبدو من مفارقة محبوباته من الدنيا فيتألم قلبه بفراق
الدنيا ويرى ذلك من الله تعالى لانه يرى ما يجري عليه من الله تعالى فان اتفق زهوق
روحه في تلك اللحظة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي
الى مثل هذه الحالة هو غلبة حب الدنيا والفرح باسبابها مع ضعف الايمان ومن
وجد في قلبه حب الله تعالى اغلب من حب الدنيا فهو ابعد عن هذا الخطر واما الخاتمة الثانية
التي دون الاولى وليست مفضية الى الخلود في النار فلها ايضا سببان احدهما
كثرة المعاصي وان قوي الايمان والآخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي وذلك
لان مقارفة المعاصي بسبب غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة
وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر
الى الطاعات كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله تعالى وان كان ميله الاكثر الى المعاصي كان
اكثر ما يخطر عند الموت على قلبه المعاصي فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات
الدنيا او معصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فالذي لا
يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد من هذا الخطر والذي لا يقارف ذنبا
اصلا فهو بعيد جدا من هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت اكثر من الطاعات
وقلبه بها افرح منه فهذا الخطر عظيم في حقه جدا فمن اراد الخلاص من ذلك فلا طريق له
الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عن جميع الشهوات والمواظبة على الطاعات
والذكر والفكر فهذا القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة

على الخير وتخليه القلب عن الشرغدة وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء
على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه فراقب انفاسك واياك ان تغفل عن الله تعالى
طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كنت مع ذلك على خطر عظيم فكيف اذا لم تفعل فالناس
كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم
هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم والامن من سوء الخاتمة ان ترى الاشياء
على ما هي عليه من غير جهل وتصرف جميع العمر الى طاعة الله تعالى من غير معصية وان استولت
عليك الغفلة فطالع احوال الانبياء عم والاولياء والصالحين رض ولتعلم ان
ان افعال العبد كلها ضايعة ما لم يسلم له النفس الاخير الذي عليه خروج الروح
وان سلامته مع تلاطم امواج الخواطر مشكل جدا فمن عرف ذلك لا يفارقه الخوف
ومن كان غافلا عن هذا فينبغي ان يقف على احوال الانبياء والملائكة عم والصحابة
والسلف الصالح والائمة المتقدمين رض فان من كانت معرفته اكثر كان خوفه
من الله تعالى اكثر والذي حكي عنهم خارج عن الحصر فاذا كان حال الانبياء والاولياء
والعارفين بالله تعالى الخوف فالغفلة عن الله تعالى من غاية الجهل قالت عايشة رض
كان رسول الله صلعم اذا تغير الهوى وهبت ريح عاصفة تغير وجهه ويقوم ويتردد
في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله تعالى وقرأ رسول الله صلعم آية
في سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا ورأى رسول الله صلعم
صورة جبرئيل عم بالابطح فصعق فقال عم ما جاءني جبرئيل عم قط الا وهو يرتعد
خوفا من الجبار وقال لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل عم يبكيان فاوحى
الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان فقالا يا رب لا نامن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا
لا تامنا مكري وقال ابو الدرداء رض كان يسمع ازيز قلب ابرهيم عم في الصلوة
من مسيرة ميلين خوفا من الله تعالى وقال مجاهد رض بكى داود عم اربعين يوما ساجدا لا
يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه مع ما حكي عنه من اجتماع الوحوش والسباع
عنده حالة بكائه وتضرعه وما رفع راسه الى الله تعالى والقصة طويلة معروفة وقال
يحيى

يحيى بن زكريا عم مشهور من لبسه المسوح وخروجه الى الجبال وتضرعه وامتناعه عن
الطعام والشراب وقال علي رض رايت اصحاب رسول الله صلعم صفرا غبرا بين اعينهم
امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما فاذا اصبحوا وذكروا الله تعالى مادوا
كما تميد الشجر في ريح عاصفة وقال ابو بكر رض لطاير ليتني كنت مثلك يا طاير ولم
اخلق بشرا وقال ابو ذر رض وددت لو اني شجرة تعضد وقال عثمان رض
وددت اني اذا مت لم ابعث وروي ان عمر رض كان يسقط من الخوف
اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وكان يعاد اياما وما نقل عن الصحابة و
التابعين والعباد والعلماء رض في ذلك تركته لان شرطي في جمع هذا الكتاب
الايجاز والاختصار وترك المنقولات لئلا يصعب على من يعالج نفسه حفظه
وضبطه فالقلب الصافي تحركه ادنى مخافة والقلب القاسي ينبو عن كل المواعظ
واعلم انك ايها الطالب لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا بالصفات
السبعية وهي لا تزال تفترسك وتنهشك الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا
انكشف الغطاء ووضعت في القبر عاينتها وقد تمثلت لك بصورها واشكالها
الموافقة لمعانيها فترى بعينك الحيات والعقارب قد احدقت بك في قبرك وانما
هي صفاتك الحاضرة فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت قادر عليها قبل
الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها الصميم فؤادك فضلا عن ظاهر
بشرتك وجسمك والله المستعان **كتاب الفقر والزهد** اعلم ان الدنيا عدوة لله تعالى
بغرورها ضل من ضل فحبها راس الخطيئات وبغضها ام الطاعات وقد ذكرنا
ما يتعلق بوصفها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الآن نذكر فضل
البغض لها والزهد فيها فلا مطمع في النجاة الا بانقطاع عن الدنيا ولكن مقاطعتها
اما ان يكون بانزوائها عن العبد ويسمى فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك
زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر
والزهد ودرجاتهما فنبدا بذكر الفقر وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة

الفقر مطلقاً وبيان خصوص الفقراء وفضل الفقر على الغنى وبيان ادب الفقير
في فقره وبيان آدابه في قبول العطايا وتحريم السؤال لغير ضرورة ومقدار
الغنى للسؤال واحوال السائلين اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما
فقد ما لا حاجة اليه لا يسمى فقراً وان كان المحتاج اليه موجوداً مقدوراً عليه لم يكن
المحتاج فقيراً فاذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله فهو فقير لانه محتاج
الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده
فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاداً من غيره فهو الغني المطلق
ولم يتصور ان يكون هذا الموجود الا واحداً وهو الله عز وجل قال الله تعالى والله
الغني وانتم الفقراء فهذا معنى الفقر مطلقاً ولسنا نقصد بيان الفقر المطلق
بل الفقر من المال فان حاجات الفقير ليس تنحصر فان من جملة حاجاته ما يتوصل اليها بالمال فنقول
كل فاقد للمال نسميه فقيراً بالاضافة الى المال وللفقير في هذا المال عند فقده خمسة احوال
اعلاها ان يكون كارهاً لوجود المال ويكون هارباً منه الثانية ان يكون بحيث
لا يهرب ولا يرغب فيه ولكن اذا وجده لا يكرهه الثالثة ان يكون وجود المال
احب اليه من فقده اذا جاءه عفواً اخذه ولكنه لا ينهض لطلبه الرابعة ان يكون
مريداً للمال راغباً فيه ولكن ترك الطلب للعجز الخامسة ان يكون ما فقده من المال
مضطراً اليه كالجائع الفاقد للخبز اما لنفسه او لعياله فصاحب هذه الحالة لا يخلو
عن الرغبة لاضطراره وان خلا عن الرغبة فهو من النوادر اذ هو الزهد الحقيقي
واعلى من هذه المقامات ان يكون وجود المال وعدمه عنده سواء فهذه حالة
من لو كانت الدنيا بحذافيرها في يده لم يضره اذ هو يرى الاموال في خزانة
الله تعالى ولا يفرق بين ان يكون في يده وفي يد غيره ويسمى صاحب هذه الحالة
المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعاً وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق
ما له من العباد فانا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنياً بل مستغنياً ليبقى اسم الغني لمن له
الغنى المطلق عن كل شيء دون من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى بقائه

المال

المال في يده والزهد في الدنيا وان كان من كمال الاحوال للابرار وصاحب هذه
الحالة من المقربين وصار الزهد لا محالة نقصاناً في حق من يكون وجود المال
وعدمه سواء عنده ولا يخطر بقلبه اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا
لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها يكون مشغولاً بها و
الشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى اذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون
البعد حجاباً فانه اقرب اليك من حبل الوريد وليس هو في مكان حتى يكون
السموات والارضون حجاباً بينك وبينه ولا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره
وشغلك بنفسك او بشهوات نفسك فلذلك لا تزال محجوباً عنه فالمشغول بحب
نفسه وبغض نفسه محجوب عن الله تعالى **بيان فضيلة الفقر** قال الله تعالى للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم
بالفقر على وصفهم بالهجرة وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر وروى ابن عمر رضه
ان رسول الله عم قال لاصحابه اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله في
نفسه وماله فقال عم نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال
فقير يعطي جهده وقال رسول الله صلعم يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمس مائة عام
ولا تظنن ان تقدير رسول الله عم بخمس مائة عام يجري على لسانه جزافاً بل لا ينطق
الا تحقيقاً وهذا كقوله الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة فانه تقدير
تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف تلك النسبة الا بتخمين اذ للعلم بجامع الصفات
التي بها تتم النبوة وليس لنا ان نتكلف وقال رسول الله عم اطلعت في الجنة فرأيت
اكثر اهلها الفقراء وقد جاء في فضيلة الفقر اخبار وآثار وحكايات عن الانبياء
عم وعن الصحابة والسلف الصالحين ما اكثر من ان يحصى فتركتها مخافة التطويل
بيان فضل الفقر على الغنى اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص
والاكثرون رضه الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغني الشاكر افضل من الفقير والغني
اذا اخذ مطلقاً لم يسترب من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر على الغنى فلا

فيه من تفضيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس لحريص على
الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غنى منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على
امساك المال والثاني فقير حريص مع غنى حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغنى
الحريص الممسك وان الغنى المنفق في الخيرات افضل من الفقير الحريص وهذا لا يدل على
تفضيل الغنى على الفقير على الاطلاق فان الغنى المتمتع بالمال وان كان في مباح لا
يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر ان الفقراء بعثوا
رسولا الى رسول الله صلعم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت
من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا
بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون لا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم
ذخيرة لهم فقال النبي عم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال
ليست للاغنياء اما الخصلة الواحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر
اهل الدنيا الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مومن فقير والثانية
يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال
الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني
بالفقير وان انفق عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا
رضينا رضينا فهذا يدل على فضيلة الفقر وكشف الغطاء في هذا ان يقول كل
ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده حتى يظهر فضله وليست
الدنيا محذورة لعينها ولكن لكونها عايقة عن الوصول الى الله تع ولا الفقر مطلوبا
لعينه ولكن لان فيه فقد العلايق عن الله عز وجل وعدم التشاغل عنه وكم من غني
لا يشغله الغنى مثل سليمان عم وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضه وكم من فقير
شغله الفقر وصده عن المقصود وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تع ولا
يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل واما الشاغل في
التحقيق هو حب الدنيا قال عيسى عم لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق

اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال علي رض يا صفراء يا بيضاء لا تغرّاني وغرّا غيري واذا
كان الامر كذلك فالاصلح لكافة الخلق فقد المال لانهم وان صرفوه الى الخيرات فاشتغالهم
بذلك يوحشهم من الله تع ومن حبه واذا اعرض العبد عن الدنيا يانس بالله تع فيتجافى
القلب عن الدنيا فمن اقبل عليه تجافى عن غيره ومن اقبل على غيره تجافى عنه فاذن فضل
الغنى والفقر يتعلق بالقلب فان تساويا فيه تساوت درجاتهما والغنى ربما يظن
انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في قلبه وهو لا يشعر به واذا كان كذلك
فليطلق القول بان الفقر افضل من الغنى واصلح لكافة الخلق وكان بشر بن الحارث
رض يقول مثل الغنى المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل
عقد الجوهر في جيد الحسناء فبان بهذا ان الفقر هو الاشرف لكافة الخلق
الا في موضعين احدهما غنى مثل عايشة رضه انفقت مائتي الف درهم في يوم
واحد جاءتها من موضع فقالت خادمتها لو ابقيت لنا درهما كنا نشتري
به اللحم ونفطر عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت فمن كان هذا حاله فانه يستوي
عنده الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا لايصال الراحة الى الخلق والثاني
الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك كاد ان يكون كفرا في فقير حريص
يتكالب على طلب المال وغنى هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم تفجعه لفقد
المال كتفجع الفقير بفقره فهذا محل النظر والاظهر ان بعدهما عن الله تع بقدر قوة
تفجعهما بفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تع بيان
ادب الفقير في فقره اعلم ان للفقير آدابا في ظاهره وباطنه ومخالطته و
افعاله ينبغي ان يراعيها فاما ادب باطنه فان لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه
الله تع به من الفقر اعني انه لا يكون كارها لفعل الله تع من حيث انه فعله وان
كان كارها للفقر وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به
وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوايل الغنى ويكون واثقا بالله
تع في قدر ضرورته انه ياتيه ويكون كارها للزيادة واما ظاهره فان يظهر

التعفف ولا يظهر الشكوى والذم واما ادبه في افعاله فان لا يفتر بسبب الفقر عن
عبادته ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال
كثيرة وينبغي ان لا يدخر بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث
درجات احدها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية
ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل في طول الامل وهذه درجة
المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين وما زاد
على هذا فهو داخل في غمار العموم **بيان** آداب الفقير في قبول العطايا اذا جاءه
ذلك بغير سؤال ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة امور نفس المال وغرض
المعطي وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات
كما ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة واما غرض المعطي فاما ان يكون
غرضه طيب قلبه وتحببه وهو الهدية واما ان يكون ممزوجا ببقية الاغراض فاما الاول وهو
الهدية فلا بأس بقبولها فان قبولها سنة رسول الله صلعم فان كان فيها منة فالاولى
تركها وقد كان ابرهيم التيمي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين وقد يعرض عليه غيرهم
المائتين فلا يأخذ وقال بشر رضه ما سالت احدا قط شيئا الا سري السقطي لانه
قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده فاكون عونا له على
ما يحبه ان يعطيه للثواب وذلك صدقة او زكوة فعليه ان ينظر في نفسه ان كان يستحق
الزكوة فيقبله وان كان صدقة ويعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مقارفا
لمعصية في السر ويعلم ان المعطي لو علم بذلك لما تقرب اليه فاخذه حرام ان يكون
غرضه الشهرة والرياء فينبغي ان يرد عليه ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه
الفاسد واما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه ام لا فان كان محتاجا
اليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له الاخذ وان
لم يكن محتاجا ياخذ في العلانية ويرد في السر ويفرق في السر فهذا مقام الصديقين
الثاني ان لا ياخذ ليصرفه صاحبه الى من هو احوج منه او ياخذ فيوصل الى من هو احوج

منه فيفعل كليهما في ... وان كان حاله التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم فلياخذ
لما في ذلك من السخاء وايصال الراحة الى الفقراء فاذن مهما وجدت هذه الشروط
فيه وفي المال ولكن اذا اخذه ليصرفه الى غيره فالامتناع اولى فان في ذلك
آفات واخطار والورع يكون حذرا من مظان الآفات اذ لا يامن مكيدة
الشيطان على نفسه **بيان** تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه اعلم
انه قد وردت مناهي في السؤال وتشديدات وورد فيه ايضا ما يدل على الرخصة
لان النبي عم قال للسائل حق وان جاء على فرس ولو كان السؤال حراما مطلقا
لما جاز اعانة المعتدي على عدوانه والكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في
الاصل وانما يباح للضرورة او لحاجة مهمة فان كان عنها بد فانه حرام لانه
لا ينفك عن ثلاثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله تع والثاني ان فيه
اذلال السائل نفسه لغير الله تع ولا ينبغي ان يذل لغيره الا للضرورة والثالث
انه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلبه فان
بذل حياء او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتأذى في نفسه بالمنع
ويكون السائل سببا للايذاء وهو حرام الا للضرورة قال رسول الله صلعم مسئلة
الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها انظر كيف سماها فاحشة ولا
يخفى ان الفاحشة انما تباح للضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة ولا يجد
غيرها والصالح الذي يعطى لصلاحه وهو مباشر معصية في الباطن او لم يكن محتاجا
لا يأخذ بل كان مستغنيا عنه فلا يدخل في ملكه ويجب عليه رده الى صاحبه
ومن كان قادرا على الكسب وهو بطال فلا يجوز له السؤال الا ان يكون اوقاته
مستغرقة في طلب العلم وكل من له خط وهو قادر على الوراقة واما المستغني
فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله فسؤاله مطلقا حرام **بيان** مقدار الغنى المحرم
للسؤال اعلم ان قوله صلعم من سال عن ظهر غنى فانما يسال جمرا فليستقل منه
او ليستكثر صريح في التحريم ولكن عند الغنى وحد الغنى مشكل وليس الينا وضع

المقادير وانما يعرف ذلك بالتوقيف وقد ورد فى الحديث استغنوا بغنى الله تع
قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة وفى حديث آخر من سال وله خمسون
درهما فقد سال الحافا وفى لفظ آخر اربعون درهما المحتاج اليه ثلاثة طعام
يقيم به صلبه وثوب يوارى به عورته وبيت يكنه وما زاد فهو حساب
فاذا عرف فالقوت ما يحتاج اليه هو واهله وولده مما يليق به ولا يضعف جسمه
ولا تذهب قوته واللباس يراعى فيه ما يليق بذوى الدين من قميص ومنديل
وسراويل ومداس وليقس على هذا اثاث البيت يكفى فيه الخزف ويقتصر
من العدد على واحد ومن النوع على اخس اجناسه اما الطعام فقدره فى اليوم
مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات به ولو كان من الشعير والادم
على الدوام فضلة وقطعه بالكلية اضرار واما المسكن فاقله ما يجزيه من
حيث المقدار واما سؤاله للمستقبل فله ثلاث درجات احدها ما
يحتاج اليه فى غد والثانية ما يحتاج اليه اربعين يوما او خمسين يوما والثالثة
ما يحتاج اليه فى السنة وما زاد على ذلك فالسؤال حرام فان ذلك غاية الغنى
فان كان قادرا على السؤال ولا يفوته فرصة فلا يحل له السؤال فانه مستغنى
فى الحال وربما لا يعيش الى غد **بيان** احوال السائلين كان بشر رض يقول الفقراء
ثلاثة فقير لا يسال وان اعطى لم ياخذ فهو مع الروحانيين فى عليين وفقير لا
يسال ان اعطى اخذ فهو من المقربين فى جنات الفردوس وفقير يسال عند
الحاجة فهو مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذن درجات ارباب الاحوال
فى الرضاء والصبر والشكر كثيرة ولا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها واحكام
درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الترقى من حضيضها الى يفاعها وقد خلق
الانسان فى احسن تقويم ثم رد الى اسفل السافلين ثم امر بالترقى الى
اعلى عليين **الشطر الثانى من الكتاب فى الزهد** وفيه بيان حقيقة الزهد
وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد

فى المطعم

فى المطعم والملبس والمسكن والاثاث وضروريات المعيشة وبيان علامة الزهد
بيان حقيقة الزهد اعلم ان الزهد فى الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين
وينتظم من علم وحال وعمل كساير المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال
السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره اقيم مقام الحال
اذ به يظهر حال الباطن والعلم هو السبب فى الحال والعمل يجرى من الحال مجرى الثمرة
فنذكر الحال بكلا طرفيه من العمل والعلم اما الحال فنعنى بها ما يسمى زهدا وهو عبارة
عن انصراف الرغبة عن الشئ الى ما هو خير منه فكل من عدل الى غيره بمعاوضة وبيع
فانما عدل عنه لرغبته عنه وانما رغب عنه لرغبته فى الغير فحاله بالاضافة الى المعدول
عنه يسمى زهدا وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وشرط المرغوب عنه ان يكون
ايضا هو مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا فى نفسه لا يسمى زاهدا
وشرط المرغوب فيه ان يكون خيرا من المرغوب عنه عنده لان البايع لا يقدم على
البيع الا والمشترى عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا
والى العوض عنه رغبة وحبا فاذن من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا
وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن فى الآخرة والذى يرغب عن
كل ما سوى الله تع حتى الفراديس ولا يحب الا الله تع فهو الزاهد المطلق والذى يرغب
عن حظوظ الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ بل طمع فى الحور والقصور فهو ايضا
زاهد ولكنه دون الاول ومن ترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى
يترك المال دون الجاه فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته فى الزهاد درجة من يتوب
عن بعض المعاصى فى التايبين وهو زهد صحيح وكما يشترط فى المرغوب فيه ان يكون خيرا
عنده فيشترط فى المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه واما العلم المثمر لهذه الحال
فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى الماخوذ فمن عرف ان ما عند الله باق وان الآخرة
خير وابقى فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة
فى البيع والمعاملة ومن عرف ذلك ولا يترك الدنيا فيدل على ضعف علمه ويقينه او استيلاء

الشهوة عليه بالتسويف الى وقت الموت واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو بذل
واخذ لانه بيع ومعاملة والزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها
فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من اليد والعين ما اخرج من القلب و
يوظف على اعضائه وظائف الطاعات والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن
واذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فان ترك
بعض الدنيا دون بعض فهو زاهد فيما ترك وان لم تساعده الدنيا لم يتصور منه
الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه ومن بذل للسخاء والمروة لا يسمى زاهدا
وانما الزاهد من يترك الدنيا لعلمه بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الآخرة ان الاخبار
الواردة في صح بغض الدنيا وذم حبها اكثر من ان يحصى فان الانبياء عم ما بعثوا
الا لصرف الخلق عن الدنيا الى الآخرة والى ذلك يرجع اكثر كلامهم مع الخلق واما
الآثار في ترك الدنيا والاعراض عنها فما نقل عن الصحابة والتابعين والمشايخ
والمتقدمين اكثر من ان يحصى قال الحسن رض ادركت اقواما وصحبت طوايف ما كانوا
يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا يأسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت في
اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم تطو له ثوب
ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر من في بيته بصنعة طعام قط
فاذا كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم
يناجون ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله
ان تقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسألوه ان يغفرها لهم ولم يزالوا على ذلك
والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالعفو **بيان** درجات الزهد واقسامه
بالاضافة الى نفسه والى المرغوب عنه والى المرغوب فيه اعلم ان الزهد في نفسه
يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث الدرجة السفلى منها ان يزهد
في الدنيا وهو لها مشته وقلبه اليها مايل ولكن يجاهد نفسه وهذا يسمى التزهد وهو
مبدأ الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد بالاجتهاد والمتزهد اولا يذيب نفسه ثم كيسه

بيان فضيلة الزهد اعلم

الزاهد

والزاهد اولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات الدرجة الثانية ان يترك
الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل
درهمين فانه لا يشق ذلك عليه وان كان قلبه يلتفت الى الدرهم وهذا نقصان
الدرجة الثالثة وهي العليا ان يزهد طوعا ويزهد في زهده اذ لا يرى انه
ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى
ذلك معاوضة فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة ومثل من ترك الدنيا
للآخرة عند اهل المعرفة والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك كلب على بابه
فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ
امره في جميع مملكته اترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى
كلبه فكذلك الشيطان كلب على باب الله تع والدنيا كلها خبز شغل عن الاشتغال
بالله تع فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه لها ايضا درجات و
اما انقسام الزهد بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلاث درجات
الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار وعذاب القبر ومناقشة
الحساب والصراط وغير ذلك مما وردت به الاخبار الدرجة الثانية ان يزهد رغبة
في ثواب الله تع واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها فان هؤلاء
ما تركوا الدنيا قناعة بالخلاص من الالم بل طمعوا في نعيم دايم سرمدي الدرجة الثالثة
وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله تع وفي لقائه فلا يلتفت قلبه الى الآلام
والى اللذات بل هو مستغرق الهم بالله تع وهذا هو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير
الله تع العين غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره والطالبون لنعيم الجنة
عند اهل المعرفة كالصبي الطالب اللعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره
عن لذة الملك واما انقسامه الى المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل وتفصيله
مراتب بعضها اشرح لاحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى
فهو كل ما سوى الله تع فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة

الثانية ان يزهد فى كل صفة للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع
من الشهوة والغضب والرياسة وغيرها الدرجة الثالثة ان يزهد فى المال والجاه
واسبابهما اذ يرجع اليهما جميع حظوظ النفس الدرجة الرابعة ان يزهد فى العلم و
القدرة والدنيار والدرهم واعنى بالقدرة والعلم كل علم وقدرة مقصودهما
ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب كما ان المال ملك الاعيان والاجال اخرى
والاصل ان الزهد عبارة عن ترك حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ
النفس رغب عن البقاء فى الدنيا فيقصر امله لا محالة ولا معنى لحب الدنيا الا حب
دوام ما هو موجود للزهد درجات لا يتناهى فمن اقصى درجاته زهد عيسى عم
اذ توسد حجرا فى نومه فقال له الشيطان اما كنت تركت الدنيا فما الذى بدا لك
فقال وما الذى تجدد فقال توسدت الحجر اى تنعمت برفع راسك عن الارض فى
النوم فرمى الحجر وقال خذه فما تركته لك فاذن درجات الزهد ظاهرا وباطنا
لا حصر لها واقل درجاته الزهد فى كل شبهة وقال قوم الزهد هو الزهد فى الحلال
بيان تفصيل الزهد فيما يكون من ضروريات الحيوة اعلم ان المهمات الضرورية
لا بد من بيان وجه الزهد فيها وهى ستة الاول المطعم ولا بد للانسان من قوت
حلال يقيم به صلبه واقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع ومن
هذا حاله فاذا اشتغل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه وهذه هى الدرجة
العليا الدرجة الثانية ان يدخر لشهر او اربعين يوما والثالثة ان يدخر لسنة
فقط فهذه مرتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر من ذلك فتسميته زاهدا محال
الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من ايدى الناس كداود الطائى رض
فانه ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها فى عشرين سنة واما مقدار القوت
فاقل درجاته فى اليوم والليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد وما وراء
ذلك فهو من الاتساع للبطن ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد
فى البطن نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه

الشعير

الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميزت النخالة فقد دخل فى التنعم
وخرج من الزهد واما الادام فاقله الملح او البقل والخل واوسطه الزيت او
قليل من الادهان من اى دهن كان واعلاه اللحم اى لحم كان وذلك فى الاسبوع
مرة او مرتين فاذا كان فى الاسبوع اكثر من مرتين خرج من ابواب الزهد
ولم يكن زاهدا فى البطن اصلا واما بالاضافة الى الوقت فاقله فى اليوم
والليلة مرة واحدة وهو ان يكون صائما واوسطه ان يصوم يوما ويشرب
ليلة ولا ياكل ليلة وياكل ليلة ولا يشرب واعلاه ينتهى الى ان يطوى ثلثة
ايام او اسبوعا وما زاد عليه قالت عايشة رض كانت تاتى اربعون ليلة
وما يوقد فى بيت رسول الله صلعم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم تعيشون
قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادام المهم الثانى
الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه
قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل وما جاوز
هذا فهو مجاوز حد الزهد واما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن
واعلاه القطن الغليظ وقد ورد فى امر الثياب الخشنة البعيدة من التكلف
والاحتراز عن الثياب اللينة اخبار وآثار كثيرة المهم الثالث المسكن والزهد فيه ايضا
على ثلث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه ويقنع بالمساجد و
اوسطها ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سعف او خص وادناها
ان يطلب حجرة مبنية اما بشراء او اجارة ويكون قدر سعة المسكن على قدر حاجته
من غير زيادة ولا زينة فان طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف
اكثر من ستة اذرع فقد جاوز حد الزهد فى المسكن لان الغرض من المسكن دفع
الحر والبرد والمطر وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين وقد ورد فى النهى
عن تشييد البناء وارتفاع حيطانه وتزيينه واتساعه اخبار كثيرة ومنع رسول
الله صلعم والصحابة رض والسلف عن ذلك المهم الرابع اثاث البيت وللزهد

ايضا فيه درجات فاعلاها حال عيسى عم اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى
انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى
الكوز وهكذا الحكم كل اثاث فانه انما يراد للمقصود فاذا استغنى عنه فهو وبال في
الدنيا والآخرة وما لا يستغنى عنه فيقتصر منه على اقل الدرجات وهو الخزف ولا
يبالى ان يكون مكسور الطرف اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون
له اثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كثيرة
وادناها ان يكون عنده لكل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد
او في نفاسة الجنس فقد خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى الدنيا وقد ورد في
هذا اخبار وآثار كثيرة المهم الخامس النكاح قال قائلون لا معنى للزهد في اصل
النكاح ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله رض وقال قد حبب الى سيد المرسلين
النساء فكيف يزهد فيهن وكان ازهد الناس علي بن ابي طالب رض وكان له اربع
نسوة والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني اذ قال ما شغلك عن الله تع من اهل و
ولد ومال فهو مشؤم عليك والمرأة قد تكون شاغلة عن الله تع وكشف الحق
فيه انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال فيكون ترك النكاح من الزهد
وحيث يكون النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه
زهدا وان لم يكن عليه آفة في تركه ولا في فعله ولكن ترك النكاح لميل القلب
اليهن لئلا يشغله عن ذكر الله تع فترك ذلك من الزهد وان علم ان المرأة لا
تشغله عن ذكر الله تع ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة فليس هذا
من الزهد فان الولد مقصود لبقاء نسله المهم السادس ما يكون وسيلة الى هذه
الخمسة وهو المال والجاه اما الجاه فمعناه ملك القلوب ليتوصل به الى الاستعانة
في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حالاته وافتقر
الى من يخدمه افتقر الى جاه لا محالة في قلب خادمه لانه اذا لم يكن له عنده محل لم
يقم بخدمته وقيام المحل والقدر في القلوب هو الجاه وانما يحتاج الى المحل في القلوب

اما لجلب نفع او لدفع ضر او لخلاص من ظلم وكل هذا يحتاج الى الجاه والرفعة في
القلوب وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه سوء الظن بالعواقب
والخوف والخايض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى في
طلب المحل في القلوب فان اشتغاله بالدين والعبادة تمهد له من المحل في القلوب
ما يدفع به الاذى ولو كان بين الكفار فطلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا
ويسيره داع الى الكثير وضراوته اكثر من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره واما
المال فانه ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان مكتسبا فاذا اكتسب حاجة
يومه فينبغي ان يترك الكسب وان كان له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل
فامسك منها ومن ريعها ما يكفيه لسنة واحدة لم يخرج بهذا القدر عن الزهد
وقولنا يخرج عن حد الزهد نعني به ما وعد به الزاهدون في دار الآخرة من
المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد
فيه من الفضول والكثرة وامر المنفرد فيه اخف من المعيل ان التضييق المشروط
على الزاهد لنفسه ولا يلزم ذلك في عياله بل ينبغي ان لا يخرجهم عن حد الاعتدال
مما يضطر اليه الانسان من مال وجاه وليس ذلك بمكروه بل الزيادة على الحاجة
سم قاتل والاقتصار على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فمن
احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن ترك ما
يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو
من الفرقة الناجية والمقتصر على الضرورة لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك
القدر من الدنيا هو عين الدين لانه شرط الدين وما وراء ذلك فهو وبال في
الآخرة وهو في الدنيا كذلك يعرفه من يختبر احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة
في كسب المال وجمعه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته ان يسلم لورثته فياكلون
فيستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع
الدنيا بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يموت وكذلك من اتبع شهوات

الدنيا فانما يحكم على نفسه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى يتظاهر عليه السلاسل فيقيده
المال والجاه والاهل والولد وشماتة الاعداء وساير حظوظ الدنيا فلو خطر له
انه قد اخطا في ذلك وقصد الخروج لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيدا بسلاسل لا يقدر
على قطعها ولا يقدر ان يفارق شيئا مما علق قلبه به الى ان يفرق ملك الموت
بينه وبين الجمع دفعة واحدة فيبقى السلاسل معلقة من قلبه بالذي خلفها فهي
تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة
فيكون اهون احواله عند الموت كشخص ينشر بالمنشار واشد من ذلك فان الذي
ينشر بالمنشار انما ينزل المولم ببدنه ويتالم قلبه بذلك بطريق السراية فكيف
يكون الالم مخصوصا بقلبه لا بطريق السراية فهذا اول عقاب يلقاه قبل ما يراه
من حسرة الحجاب عن جوار الرحمن بيان علامات الزهد اعلم ان الزهد لا يصح
الا بترك المال والجاه معا فان من الناس من يبذل المال والجاه ليحصل له الجاه و
البقاء عليه فمن ترك المال يكون زهده في المال واذا ترك المال واعرض عن
الجاه يكون زاهدا حقا وكمال الزهد ان يترك جميع حظوظ النفس من الدنيا
والذي يدعي الزهد ويلبس الثياب الناعمة ويموه على الناس ليهدى اليه مثل
لباسه ويفرقه على الفقراء هذا اذا طولب بالحقائق فهو لها اكل الدنيا
بالدين فاذن معرفة الزهد مشكلة بل حال الزهد على الزاهد مشكل فينبغي ان
يعول في باطنه على ثلاث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن لمفقود
بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده
الثانية ان يستوي عنده مادحه وذامه والاول علامة الزهد في المال و
الثاني في الجاه الثالثة ان يكون انسه بالله تع والغالب على قلبه حلاوة الطاعة
اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما محبة الدنيا واما محبة الله تع وهما في القلب
كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من
انس بالله تع اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ما ذا افضى بهم

الزهد فقال الى الانس بالله تع فاما الانس بالله تع وبالدنيا فلا يجتمعان وقد
قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا
وعمل لهما واذا بطن الايمان في سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر
اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم عم اللهم اني اسالك ايمانا يباشر
قلبي وقال ابو سليمان رض من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين
ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد ان يكون في
احد هذين المقامين فهذا ما نقلته مما ذكر في حقيقة الزهد واحكامه واذا كان
الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في بيانه ان شاء الله تع كتاب التوحيد والتوكل
اعلم ان التوكل مقام من مقامات الدين وهو في نفسه غامض من حيث
العلم ثم هو شاق من حيث العمل وغموضه ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها
شرك في التوحيد والتباعد عنها طعن في السنة ولا يقوى على كشف الغطاء فيه مع
شدة الخفاء الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تع بانوار الحقائق
ونحن الآن نبتدئ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة ثم نردفه بالتوحيد في
الشطر الاول ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني بيان فضيلة التوكل
وقد ورد فيه آيات واخبار وآثار كثيرة قال الله تع وعلى الله فتوكلوا ان
كنتم مؤمنين وقال تع ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال رسول الله صلعم فيما
رواه ابن مسعود رض اريت الامم بالموسم فرأيت امتي قد ملؤا السهل والجبل
فاعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون
الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون
ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون وقال عم لو انكم تتوكلون
على الله تع حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال
سعيد بن جبير رض لدغتني عقرب فاقسمت على امي لترقيني فناولت الراقي يدي
التي لم تلدغ بيان حقيقة التوحيد الذي هو اصل التوكل اعلم ان التوكل من ابواب

الايمان وجميع ابواب الايمان لا ينتظم الا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من
علم هو الاصل وحال هو المراد باسم التوكل فلنذكر كلاً منها ولنبدا ببيان
العلم وهو المسمى ايمانا اذ الايمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم فاذا
قوى يسمى يقينا ولكن ابواب اليقين كثيره ونحن نحتاج منها الى ما نبتنى عليه التوكل
وهو التوحيد الذى يترجم عنه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة
التى يترجم عنه قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذى يدل عليه قولك وله الحمد فمن
واما التوحيد فهو الاصل وهو من علم المكاشفه فلا نتعرض الا لقدر ما يتعلق للتوحيد اربع مراتب وهو
ينقسم الى لب والى لب اللب والى قشر والى قشر القشر الاولى الايمان بالقول
المحض دون تصديق القلب وهو قشر القشر والثانية التصديق بمعنى الكلمة وهو
ايمان عموم المسلمين والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف وهو مقام المقربين
وذلك بان يرى اسبابا كثيرة ولكنها مع كثرتها صادرة من الواحد القهار وهو
اللب والرابعة هو ان لا يرى فى الوجود الا واحدا وهذه مشاهدة الصديقين وتسميها
الصوفيه الفناء فى التوحيد فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه عن السيف
القتل ويعصم ماله والثانى موحد بمعنى انه يعتقد بقلبه معنى الكلمة وهو خال عن الشك
وهذه الحالة توجب حفظه عن العذاب فى الآخرة ان توفى عليها ولم تضعفها
بالمواظبة على المعاصى الثالث موحد بمعنى انه انشرح له الصدر ولم يشاهد الا واحدا
وان كثرة الاسباب يعلم ان صدورها من الواحد الحق والرابع موحد بمعنى انه لم
يحضر فى شهوده وقلبه الا الواحد الحق وفنى عن الوسايط وعن نفسه وهذه الحالة
هى العليا وهو كدهن اللب من الجوز مثلا ولا كلام فى هذه الحالة الرابعة واما الكلام
فى الثالثة وهى التى يرى الواحد الحق والكل يصدر من الواحد الحق ومن لم
يشرق على قلبه نور الله تع يقول كيف يرى الكل واحدا وهو يرى تعدد الاسباب
من السموات والارضين ويرى اعداد الكثرة فاعلم ان كشف هذه الاسرار لا
يمكن اذ قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر ولكن نورد ما ينكسر به سورة

هذا

هذا الاستبعاد فنقول الانسان ان نظر الى نفسه يراه شخصا واحدا وان تامل
فى تفاصيل الاجزاء والتشريح يراه كثيرا ولكن من حيث انه شخص واحد يراه واحدا
لا عدد فيه فكذلك كل ما فى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات كثيرة
وهو باعتبار واحد من الاعتبارات ومثال الانسان وان كان لا يطابق
الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة فى حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا
الكلام ترك الانكار لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمانك بالنبى وان لم تكن نبيا فبهذا
يعلم ويحقق ان الشىء قد يكون باعتبار ما كثيرا او باعتبار ما واحدا فان قلت اشرح
لنا هذه الحالة الثالثة وان كنت لا تشرح الرابعة فاقول ذلك بان تعلم ان لا خالق
الا الله تع وانه لا يتحرك ذرة فى السموات والارض الا باذن الله تع وانه مخترع للكل
وانه لا فقر ولا غنى ولا موت ولا حيوة الا باذن الله تع فمن شاهد هذا وعلم
انه لا اله الا هو نهى عما سواه ولم ينظر الى شىء اذ الكل مسخر تحت قدرته كما ان الملك
اذا وقع بالعفو عن انسان فلم ينظر الى شىء من القلم والكاغد بل ينظر الى الكاتب وهو
الملك فيشكره ومن نظر سوى الله تع من الاسباب فهو كمن نظر الى القلم والكاغد و
واخذ يشكرهم والموحد الذى ذكرناه هو الذى ادهشه جمال الملك من ان يخطر بباله
القلم وغيره فان قلت هذا فى الجمادات المسخرة قد فهمته فكيف افهمه فى الانسان
المختار للعفو والعقوبة والاعطاء والمنع كيف يشاهد كونه فاعله على الاصل فاقول
عند هذا تزل اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين فانهم شاهدوا بنور البصائر
كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم فى يد الكاتب مسخرا وان
غلط الضعفاء فى ذلك كغلط نملة على كاغد قصر بصرها عن ادراك الكاتب فادركت
القلم واحالت الكتبة اليه فهذا نظر الضعفاء واما الذين امدهم الله تع بتوفيقه فشاهدوا
ما فوق ذلك اذ انطق الله تع لهم كل ذرة فى السموات والارض بلسان ذلق يتكلم
بلا حرف وصوت ولكل ذرة مع ارباب القلوب مناجات تناجيهم باسرار الملكوت
ولكن لا يؤذن لهم فى افشائه وانا اذكر لك مثالا واحدا لعلك تفهم ذلك قال بعض

الناظرين من مشكاة نور الله تعالى للكاغد ما بال وجهك اسود فقال ما سودت وجهي
بنفسي ولكن المداد سود وجهي فسله لم فعل ذلك فسال المداد عن ذلك فقال كنت
ساكنا في محلي فجاء القلم واخرجني من وطني وفرق جمعي وبسطني على البياض كما ترى
فسله لم فعل ذلك فسال القلم عن اخراج الحبر عن وطنه فقال سل اليد والاصابع فاني
كنت قصبا نابتا فجاءت اليد وقطعتني وبرتني وشقت راسي وغمزتني في المداد وهو ذا يستخدمني
على قمة راسي ثم سال اليد عن ظلمها للقلم فقالت ما انا الا لحم ودم وعظم وعصب فهل
رايت لحما او عظما يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة فهي التي
ترددني وتجول بي نواحي الارض اما ترى المدر والحجر لا يتعدى شي منه مكانه اما
ترى ايدي الموتى مساوية لي في الصورة ولا تتحرك ولا معاملة بينها وبين القلم فسل القدرة
عن شاني فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سال القدرة عن شانها في استعمالها
اليد فقالت دع عنك لومي وكيف خفي عليك امري فاني كنت راكبا اياها قبل التحريك
واحركها بل كنت ساكنة نائمة لا اتحرك حتى جاءني موكل ازعجني الى ما تراه مني ولم
يكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة فازعجني عن غمرة النوم وارهقني
الى ما كان لي عنه مندوحة فقال صدقت ثم سال الارادة ما الذي حملك على تحريك هذا
الساكن فقالت الارادة لا تعجل علي فاني ما نهضت بنفسي ولكن انهضت وقد كنت
ساكنة فورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها
باضطرار فاني مسخرة تحت قهر العلم والعقل والزمت طاعته ومنهما انجزم امره وحكمه لم
اقدر على مخالفته لعمري ما دام هو في التردد في حكمه فاني ساكنة منتظرة لحكمه فاذا انجزم
حكمه انزعجت بالطبع وامرت القدرة ان تقوم لحكمه فسل القلب والعقل والعلم عن شاني
فقال صدقت فاقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم على استنهاض الارادة فقال
العقل ما انا الا سراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشتعلت وقال القلب ما انا الا لوح ما
انبسطت بنفسي ولكني بسطت وقال العلم ما انا الا نقش على بياض اللوح الذي هو القلب
لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح خاليا قبلي فسل القلم عني فان

الخط لا ينكتب الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يقنعه جوابه وقال قد طال سعيي في
هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت منه على غيره ولكني كنت اطيب
نفسا لما اكون اسمع كلاما مقبولا بكثرة الترددات وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فاما
قولك اني نقش وخط وانما خطني قلم فلست افهم ذلك لاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا
لوحا الا من الخشب او الحديد ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني لاسمع في هذا
المنزل حديث اللوح والسراج والقلم والخط ولا اشاهد شيئا من ذلك فقال له العلم
ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان المهالك في
الطريق الذي توجهت اليه كثيرة والصواب ان تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعشك
فادرج منه وان كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم
ان العوالم في طريقك هذا ثلثة عالم الملك والشهادة ولقد كان الكاغد والحبر والقلم
واليد من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت
وهي ورائي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيها المهامه الفسيحة والجبال الشاهقة
والبحار المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك
وبين عالم الملكوت ولقد قطعت منه ثلث منازل وهي منزل القدرة و
الارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك وبين عالم الملكوت لان عالم الملك اسهل منه
طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا وانما عالم الجبروت بين عالم الملك و
بين عالم الملكوت يشبه السفينة التي في الحركة بين الماء والارض فلا هي في حد اضطراب الماء ولا
هي في حد سكون الارض وكل من يمشي على الارض هو في عالم الملك فان جاوز قوته
حد ان يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على
الماء من غير سفينة مشى من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فاول
عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم فقال السائل لقد استشوش قلبي خوفا
مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامه التي وصفتها ام لا
فهل لذلك علامة قال نعم افتح بصرك فان ظهر القلم الذي يكتب به في لوح القلب فيشبه ان

يكون اهلا لذلك الطريق فقال السالك لقد فتحت بصرى وحدقته فوالله ما ارى
قصبا ولا خشبا فقال القلم ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت
اما علمت ان الله تع لا يشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدى ولا قلمه
الاقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم
الملكوت فليس الله تع فى ذاته بجسم ولا هو فى مكان ولا يده لحم وعظم ودم ولا قلمه
من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم فكيف نزهت
كلامه عن الحروف والاصوات واخذت تتوقف فى يده وقلمه ولوحه وخطه فان كنت
قد فهمت من قوله صلعم ان الله تع خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر
فكن مشبها وان فهمت منه الصورة الباطنة التى تدرك بالبصائر فكن منزها واطو
الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى
ومن سرادقات العرش تنادى بما نودى به موسى عم انى انا ربك فلما سمع السالك
من العلم ذلك استشعر قصور نفسه فاشتعل قلبه نارا من غضبه على نفسه لما رآها بعين
النقص ولقد كان زيته الذى فى مشكاة قلبه يكاد يضئ ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه
العلم اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك
فانكشف له القلم الالهى واذا هو كما وصفه العلم فى التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس
وهو يكتب على الدوام فى قلوب البشر اصناف العلوم فقال نعم الرفيق العلم جزاه الله
عنى خيرا فعند هذا ودع العلم وسافر اليه وقال ما بالك تخط على الدوام فى القلوب فقال
لقد نسيت ما فى عالم الشهادة مما سمعته من جواب القلم اذ سالته فاحالك على اليد
فجوابى مثل جوابه فسل عن شأنى الملقب بيمين الملك فانى فى قبضته وهو الذى يرددنى
وانا مقهور مسخر ولا فرق بين القلم الالهى وقلم الآدمى فى التسخير فقال ومن يمين الملك
فقال اما سمعت قوله تع والسموات مطويات بيمينه فالاقلام ايضا فى قبضة يمينه
وهو الذى يرددها فسافر السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده وراى القلم محركا
فى قبضته فظهر له عذر القلم فسال اليمين عن تحريكه القلم فقال جوابى ما سمعت من اليمين

التى رأيتها فى عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة فرأى فيها من العجائب ما استحقر
فيها ما قبلها وسألها عن تحريك اليمين فقالت انما انا صفة فسل القادر عن مراده
فالعهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ ويطلق بالجراة
لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودى من وراء سرادقات الحضرة لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر مغشيا عليه صعقا فلما افاق بعد بقائه
مدة فى اضطراب غشيته قال سبحانك ما اعظم شأنك تبت اليك لا ارجو سواك فمن لم
يسافر الى هذه العوالم وبقى فى عالم الشهادة فالشيطان يصده عن هذا التوحيد
فى مقامين احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثانى الالتفات الى الجمادات
اما الالتفات الى الجمادات فكاعتمادك على المطر فى خروج الزرع وعلى الغيم فى نزول
المطر وعلى الريح فى استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك فى التوحيد ومن انكشف
له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحرك وهكذا
محركه الى ان ينتهى الى المحرك الاول فالتفات العبد فى النجاة الى الريح فى السفينة يضاهى
التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه فاخذ يذكر الحبر والكاغذ
والقلم الذى كتب به الملك ولا يلتفت الى الملك الموقع الذى الكل بحكمه فاذا انكشف
لك ان جميع ما فى السموات والارض مسخر على هذا الوجه انصرف الشيطان خائبا عن
مزج توحيدك بهذا الشرك واما الالتفات الى اختيار الحيوانات فى الافعال الاختيارية
كيف ترى الكل من الله تع وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره ان شاء
اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الذى بيده السيف يحز رقبتك ان شاء حز رقبتك
وان شاء عفى عنه وعند هذا زل اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين فشاهدوا
بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخرا له
ارباب البصائر والمشاهدات قد انطق الله تع فى حقهم كل ذرة فى الارض و
السموات بقدرته حتى سمعوا تقديسها بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت
ولست اريد به السمع الظاهر الذى لا يجاوز الاصوات فان الحمار شريك فيه فان قلت

لا يقبل ذلك قلبي فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في
السر تناجي اسرار الملك والملكوت وافشاء السر لوم فاذاً يمنع عن حكايات مناجات
ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات مانعان احدهما استحالة افشاء
السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ويكفي في ذلك ما ذكرناه في مثال واحد وهو
مناظرة السالك مع الكاغذ والحبر والقلم الى آخره فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر
فيما ثبت من ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان
فانه يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا فاعلم انك علمت ان الانسان
يفعل اذا شاء ويشاء او لم يشأ فليست المشيئة اليه اذ لو كانت اليه لافتقر الى مشيئة اخرى
وتسلسل الى غير نهاية فاذن ليست اليه ومهما وجد المشيئة التي تصرف القدرة الى
مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة
ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة تحدث ضرورة في
القلب فهذه ضروريات ترتب بعضها على البعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشيئة
ولا انصراف القدرة الى المقدور فهو مضطر في الجميع فان قلت هذا جبر محض والجبر
يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا على الاختيار وكيف يفهم
هذا من لم يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار فهو لفظ الفعل للانسان يطلق على ثلاثة
اوجه اذ يقال الانسان يكتب بالاصابع ويتنفس بالحنجرة والرية ويخرق الماء اذا وقع
عليه بجسمه فينسب اليه الخرق للماء والتنفس الى الحنجرة والكتبة الى الاصابع وهذه الثلاثة
في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف في امور فاعرب لذلك عنها
بثلاث عبارات فسمي خرقه الماء عند وقوعه عليه فعلا طبيعيا وسمي تنفسه فعلا اراديا
وسمي كتبته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي فانه اذا وقع على الماء او تخطى
من السطح في الهواء انخرق لا محالة له والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة
التنفس كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن وليس الثقل اليه فكذلك ليست الارادة اليه
ولو قصد عين انسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا ولو اراد ان يتركها مفتوحة

لم

لم يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثلت صورة الابرة في مشاهدته
بالادراك حدثت الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو اراد ان
يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي
فاما الثالث وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتبة والنطق وهذا الذي
يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل فيظن من هذا ان الامر اليه وهذا الجهل
بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تتبع العلم الذي يحكم بان الشيء موافق
لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة بانه يوافقك من غير تردد
والى ما يتردد العقل فيه فالذي تقطع به من غير تردد ان يقصد عينك بالابرة فلا
يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة
وتحصل حركة الاجفان بالدفع من غير روية وفكر ويكون ذلك بالارادة ومن
الاشياء ما يتوقف العقل فيه ولا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر
حتى يتبين ان الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما
خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر فتنبعث الارادة كما تنبعث لدفع
السيف والابرة فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة
اختيارا مشتقا من الخير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها ولا يتصور
ان تنبعث الارادة الا بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يحز رقبته
لم يمكنه لا لعدم القدرة في يده او السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة
للقدرة الا اذا كان في عقوبة مؤلمة لا يطيقها فان العقل ههنا يتوقف في الحكم
فان ترجح له بعد الروية ان ترك القتل لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل
شرا وكان حكمه جزما انبعثت الارادة والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف
للقتل فانه يرمي نفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالي ولو كان يتبع بضرب
خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان الضرب اهون من الرمي فوقفت
اعضاؤه ولا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة لان داعية الارادة

مسخرة لحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل يحصل
بالضرورة من حيث لا يدري وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على
الاختيار فطلب اهل الحق لهذا عبارة ثالثة فسموه كسبا وليس مناقضا للجبر ولا للاختيار
بل هو جامع بينهما عند من فهمه **فان قلت** فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد
ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد ومفعول بين فاعلين غير مفهوم
فنقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان الفاعلان بمعنى واحد وان كان لهما معنيان
ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد
فالامير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله تعالى فاعل بمعنى
آخر وكون الله تعالى فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذي خلقت
فيه القدرة بعد ان خلق الله تعالى فيه الارادة وبعد ان خلق فيه العلم فارتبطت القدرة
بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وكل ما له ارتباط بالقدرة
فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيف ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير
قاتلا لان القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما وكذلك
ارتباط المقدور بين القادرين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الفعل
مرة الى الملائكة ومرة الى ملك الموت ومرة الى العباد ومرة الى نفسه كما
ذكره في القرآن فقال تعالى افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون فاضاف
ذلك الى نفسه تعالى ثم قال ايضا انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها
حبا ونظاير ذلك كثيرة في القرآن باضافة الفعل الينا والى نفسه **فان قلت** قد ظهر
ان الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا فكيف يغضب على فعل نفسه فاعلم
ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر وهو سر القدر الذي منعنا عن افشائه ونعلم
علما يقينيا لا ريب فيه ان الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم
وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ثم زادهم
مثل عدد جميعهم علما وعقلا وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار

الملكوت وعرفهم دقايق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر
والضر والنفع ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من العلوم لما اقتضى
تدبير جميعهم مع التعاون عليه ان يزاد فيما دبر الله تعالى الخلق في الدنيا والآخرة جناح
بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع فيها ذرة ولا ان يخفض منها
ذرة ولا ان يدفع مرض ولا عيب ولا فقر ولا عنا عمن بلي به ولا ان تزال صحة ولا كمال
ولا غنى ولا نفع عمن انعم عليه بل كل ما خلق الله تعالى من السموات والارضين وما فيها
لم يروا فيها تفاوتا وكذلك كل ما قسم الله تعالى من الارزاق بين عباده من اجل
وسرور وغم وايمان وكفر وطاعة ومعصية وثواب فهو على الترتيب الواجب
الحق على ما ينبغي وكل ذلك عدل لا جور فيه وهذا لان بحر العدل هو بحر عظيم واسع
الاطراف مضطرب الامواج قريب السعة من بحر التوحيد غرق طوايف من القاصرين
فيه ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون ومنع عن افشاء سره
المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به واجب الحصول
بعد سبق المشية لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر
معلوم منتظر وتعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك ولنقتصر
على هذه الرموز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقام التوكل ولنرجع الى علم المعاملة
الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل واعماله وفيه بيان ما قاله الشيوخ
في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل بترك الادخار
في دفع المضار وبيان التوكل في ازالة الضرر بالتداوي وغيره **بيان** حال التوكل
وقد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل وقد ذكرنا العلم فاما الحال
فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل ثمرته وقد اكثر الخايضون
في بيان حد التوكل وتكلم كل واحد من مقام نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة
اهل التصوف به فلا فايدة في النقل والاكثار فلنكشف الغطاء عنه ونقول التوكل
مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه ويسمى الموكول اليه وكيلا

ويسمى المفوض اليه متوكلا عليه مهما اطمانت عليه نفسه ووثق به ولم يتهمه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولا يتم ذلك الا بان يعتقد في الوكيل اربعة امور منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة فان شككت في واحد من هذه الاربعة او جوزت ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسك الى الوكيل ويكون تفاوت الموكل باعتقاده في الوكيل على حسب طمانينة قلبه به فاذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فان ثبت في نفسك انه لا فاعل الا الله تعالى وانه رحيم مشفق على عباده وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم توكل قلبك عليه ولا يلتفت الى غيره ولا الى نفسك فانه لا حول ولا قوة الا بالله فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه احد الامرين اما ضعف اليقين واما ضعف القلب ومرضه بسبب وهم غالب عليك فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما لا يتناوله وكلف العاقل ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه عنه وان كان كونه ميتا يقينا عنده فاذن لا يتم التوكل الا بقوة القلب واليقين جميعا فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر واذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي تسمى توكلا فاعلم ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات الاولى ما ذكر وهو ان يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الا اليها ولا يعتمد الا عليها والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل واما الاول فمتوكل بالتكلف والكسب وليس هو فانيا عن توكله الثالثة وهي اعلاها هو ان يكون بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل الا انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت ويفارق الصبي بان الصبي يفزع الى امه بل مثال هذا مثال صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه

وعنا

وعنايته والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط فان قلت فهذه الاحوال هل يتصور وجودها فاعلم انه ليس بمحال الوصول اليها ولكنه عزيز نادر والمقام الثاني والثالث اعزهما وان وجد فلا يدوم ويكون كالبرق الخاطف والمقام الثاني قد يدوم يوما ويومين والاول لا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول والمقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله تعالى بالدعاء والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومات من يباشر ذلك وقال بلسانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم حصل له في قولها ثواب كثير ولا تستبعد هذا مع سهولتها على اللسان اذ فيها اضافة الشيئين الى الله تعالى وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهو نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة اليها فاذا عرفت لك عرفت ان هذا الثواب انما يحصل لاجل هذه الملك لا لايمان بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب ايضا حديث النفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب سرير الملك الا للمقربين نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا درجات عند الله تعالى وان كانت لا تنتهي الى الملك فانه وعدهم بالاكل والماء والظل واين لذات الملك من لذات الماكول والمشروب والمنكوح الذي يتصور في حق البهائم وهيهات ما ابعد عن التحصيل من اذا خير بين ان يكون بهيمة او في درجة جبرئيل عليه السلام فيختار درجة البهائم واذا كان هذا معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا قول لا اله الا الله وقول لا حول ولا قوة الا بالله وان من ليس قائلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فاذا رجع حال التوكل الى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وقد ذكر الشيوخ في حد التوكل اشياء لا تخرج عما ذكرنا وكل تشير الى حال منه قال ابو موسى قلت لابي يزيد رضي الله عنه ما التوكل فقال ما تقول انت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد هذا

قريب لكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون و اهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك
التمييز بينهما خرجت من جملة التوكل بيان اعمال المتوكلين اعلم ان العلم يورث الحال
والحال يورث العمل و قد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن و ترك التدبير
بالقلب و السقوط على الارض كاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع
وقد اثنى الله تع على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين
بل نكشف عن الحق فيه فنقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الى مقاصد
وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او لحفظ
نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل و السارق
والسباع او لازالة ضار نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو
هذه الفنون الاربعة فلنذكر شرط التوكل و درجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد
الشرع **الفن الاول** في جلب النافع فنقول الاسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات
مقطوع به و مظنون ظنا غالبا يوثق به و موهوم وهما لا يوثق به ثقة تامة
الدرجة الاولى المقطوع به و ذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله تع
ومشيته ارتباطا مطردا لا تختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك و انت جائع
محتاج ولكنك لا تمد اليد اليه و تقول انا متوكل و شرط التوكل ترك السعي و مد اليد الى الطعام
سعي و كذلك مضغه وهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق
الله تع فيك شبعا او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه و يوصله الى معدتك فقد
جهلت سنة الله تع و كذلك لو لم تزرع الارض و طمعت في ان يخلق الله تع نباتا و امثال
هذا مما يكثر فلا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال و العلم اما العلم
فهو ان تعلم ان الله تع خلق الطعام و اليد و قوة الحركة و انه الذي يطعمك و يسقيك و اما
الحال فهو ان يكون سكون قلبك و اعتمادك على فضل الله تع لا على اليد و الطعام و كيف
تعتمد على صحة يدك و ربما تجف و تفلج و كيف تعول على قدرتك و ربما يطرأ عليك ما يزيل عقلك
و كيف تعول على حضور الطعام و ربما يسلط الله تع عليك من يغلبك عليه او تطرأ حالة

تحول بينك و بين الطعام و اذا احتمل امثال ذلك لم يكن له علاج الا فضل الله تع و الاعتماد
عليه ومن كان هذا حاله و علمه فليمد اليد فانه متوكل **الدرجة الثانية** الاسباب التي
ليست متيقنة ولكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها و كان احتمال حصولها
دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار و القوافل و يسافر في البوادي التي لا
تطرقها الناس الا نادرا و يكون سفره من غير استصحاب زاد و ليس ذلك شرطا في
التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة و لا يزول التوكل بعد ان يكون الاعتماد على
الله تع لا على الزاد و لكن فعل ذلك جائز وهو من اعلى مقامات التوكل و لذلك كان
يفعله الخواص **فان قلت** فهذا سعي في الهلاك **فاعلم** ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين
احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه و سواها على الصبر عن الطعام اسبوعا من غير
ضيق قلب و تشوش خاطر الثاني ان يكون بحيث يقوى على القوت بالحشيش فبعد
هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه آدمي او
ينتهي الى قبيلة او قرية او حشيش و على هذا كان يعول الخواص و نظراؤه من المتوكلين
والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارق الابرة و المقراض و الركوة و الحبل و يقول
هذا لا يقدح في التوكل لانه علم ان الماء في البوادي لا يكون على وجه الارض و ما جرت
سنة الله تع بصعود الماء من البئر بغير حبل وهو يحتاج اليه للوضوء و كذلك يكون
له ثوب واحد فاذا انخرق لا يجوز الصلوة فيه فيحتاج الى خياطة و كل ما في معنى هذه
الاربعة يلتحق بالدرجة الثانية لانه مظنون ظنا يوثق به ليس مقطوعا به لانه يحتمل ان لا
يحتاج اليها اما اذا انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء و لا حشيش و لا يطرقه
طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم و ساع في هلاكه **فان قلت** فما قولك في القعود في
البلد بغير كسب اهو حرام ام مباح او مندوب فاعلم ان ذلك ليس بحرام لان صاحب
السياحة في البوادي اذا لم يكن مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما و لا يبعد ان ياتيه
الرزق من حيث لا يحتسب و لكن قد يتاخر عنه و الصبر ممكن الى ان يتفق و لكن اذا
اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله حرام و ان فتح باب البيت

وهو بطال غير مشغول بالعبادة فالكسب والخروج له اولى وان اشرف على الموت فيلزمه
الخروج والسؤال وان كان مشغول القلب بالله تعالى غير مستشرف الى الناس فهو افضل
من مقامات التوكل الدرجة الثالثة ملابسة الاسباب التي يتوهم افضاؤها الى
المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب
ووجوهه وذلك يخرج عن درجات التوكل بالكلية وهو الذي فيه الناس كلهم فاذن
قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج وان الذي لا يخرج
ينقسم الى مقطوع به والى مظنون فالمقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل و
علمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل والمظنونات
فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث
مقامات الاول مقام الخواص ونظرائه الثاني ان يقعد في بيت او مسجد ولكن في القرى
والامصار فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل اذا لم يتطلع نفسه الى الناس و
يكون اتكاله على الله تعالى الثالث ان يخرج ويكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه
في كتاب الكسب والمعاش وهذا السعي ايضا لا يخرجه عن التوكل اذا لم تكن طمانينة نفسه الى
كفايته وجاهه وبضاعته بل يرى كسبه وبضاعته بالاضافة الى قدرة الله تعالى كما يرى
القلم في يد الملك الموقع ثم ان كان هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو
ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع وحال هذا اشرف من حال القاعد في البيت ومن
دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ولا يصح التوكل
نعم يصح بدوام الزهد فان حال التوكل اعلى من الزهد واعلم ان الجلوس في رباط الصوفية
مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب
لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكنه يقوى بالحال والعلم فان قلت فالافضل ان يقعد
في بيته او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واستغراق
وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا يستشرف نفسه الى
من يحمل اليه شيئا فالقعود اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس

فالكسب

فالكسب اولى لانه سؤال الطالب بالقلب وتركه اهم من الكسب ومن توكل على الله تعالى استوى عنده وجود
البضاعة وعدمها ان سرقت وان تلفت لم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون
قبلها وبعدها واحدة فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون
الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن
تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين من الله تعالى قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر
ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والانسان بطبعه مشغوف بسماع
تخويف الشيطان واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتوكلين على الاسباب
الظاهرة غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية
ايضا تبطل التوكل بيان توكل المعيل اعلم ان من له عيال فحكمه يفارق حكم المنفرد
لان المنفرد يتعود الصبر على الجوع ولا يجوز تكليف العيال الجوع فاذن لا يمكنه في حقهم
الا توكل المكتسب وهو المقام الثالث فاما دخول البراري وترك العيال توكلا في حقهم
فهو حرام وقد يفضي ذلك الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله
فان ساعده العيال على الصبر مدة على الجوع وعلى الاعتداد بالموت على الجوع غنيمة فله ان
يتوكل ونفسه ايضا عيال عنده لا يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر على الجوع
مدة فان كانت لا تطيعه ويضطرب عليه قلبه لم يجز له التوكل ولا يصح التوكل لمن لا يصبر عن
الطعام اكثر من ثلاثة ايام وانما يفارق بدنه عياله في شيء واحد وهو ان له تكليف
النفس الجوع وليس له ذلك في عياله وقد علمت ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب
بل الاعتماد على الجوع والرضا بالموت ان تأخر الرزق وملازمة البلاد والامصار
والبراري التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقاء ولا يمكن الاستمرار
عليه الا بالصبر وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى الاسباب الاظهر منها ولم يعدوا
ذلك اسبابا وذلك لضعف ايمانهم وقلة صبرهم على الاذى واستيلاء الجبن على قلوبهم بسوء
الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا ان الله تعالى
دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز عبد رزقه وان اعرض عن الاضطراب فلا يجاوزه رزقه

اما ترى الجنين لما كان في بطن امه وهو عاجز كيف اوصل رزقه وعند خروجه سلط الحب
والشفقة على الام حتى تكفله وادر له اللبن فاذا كبر واستقل يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل
الاخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لان اسباب معيشته ما نقصت ببلوغه بل زادت
لانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد زادت قدرته نعم كان المشفق عليه شخصا
واحدا يطعمه ويسقيه في اليوم مرة ومرتين وكان اطعامه بتسليط الشفقة والحب على
الام وكذلك قد سلط الله تع الشفقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى
ان كل واحد منهم اذا احس بمحتاج تألم قلبه وانبعث له داعية الى ازالة حاجته فاردى
الى الآن في سني الخصب تسمع قدمات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل
خاص والله سبحانه وتع كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا
ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبى وقد كان المشفق واحدا
والآن خلق كثير نعم كان شفقة الام اقوى ولكنها واحدة وشفقة جميع الناس وان
ضعفت يخرج من مجموعها ما يفيد الغرض فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانه عاجز لصباه
واما هذا فبالغ قادر على الكسب فاقول القادر على الكسب ان كان بطالا لا يجب عليه الكسب ولا ينبغي
للتوكل في حقه فان التوكل من المقامات وان كان مشتغلا بالله في مسجد او بيت مواظبا
على العلم والعبادة فان محبته يتوفر في قلوب الناس حتى يحملون اليه فوق كفايته وما
رؤي الى الآن عالم او عابد يستغرق الاوقات بالله تع وهو في الامصار او في
القرى مات جوعا فان من اشتغل بالله تع القى الله تع حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب
كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله تع الملك والملكوت تدبيرا كافيا لاهل الملك و
الملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر فيتوكل عليه فانه يوصل اليه ما يسد به جوعته
فلا سبب لترك التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول
الاغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة فاذا فهمت هذا علمت ان التوكل
مقام محمود ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره
عن جهل واياك ان تجمع بين افلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن

الامان

عن الايمان علما وعليك بالقناعة بالنزر اليسير فانه يأتيك لا محالة ومن يكون اشتغاله
بالعلم والعمل فالاكل بالكسب اولى له من الاخذ من الناس ومن يكون له سير الباطن وكسبه يمنعه
من الفكر والسير الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تع بما يعطيه
اولى لانه متفرغ به وفيه اعانة للمعطي على تحصيل الثواب ومن نظر الى سنة الله تع علم ان
الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق
والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل
احمق لظن ان العقل رزق صاحبه فلما رأوا اخلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة
بالاسباب الظاهرة لهم بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال اعلم
ان مثال الخلق مع الله تع مثل طائفة من السؤال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك
وهم محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرا ومعهم ارغفة من الخبز وامرهم ان يعطوا
بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا ان لا يغفلوا عن واحد
منهم وامر مناديا حتى ينادي فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل
ينبغي ان يطمئن كل واحد منكم في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مأمورون بان
يوصلوا اليكم فمن تعلق بهم واذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج
اتبعته بغلام يكون موكلا به الى ان اتقدم بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني
اخفيته ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني
اخصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور ومن ثبت في مكانه واخذ رغيفين فلا عقوبة
عليه ولا خلعة له ومن اخطأه غلماني فلم يوصلوا اليه شيئا وبات الليلة جائعا
غير متسخط على الغلمان ولا قائل لم لم يوصل الي رغيفا فاني استوزره وافوض اليه
ملكي فانقسم السؤال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة
الموعودة وقالوا من اليوم الى غد فرج ونحن الآن جياع فبادروا الى الغلمان وآذوهم
واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم
الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا رغيفين لغلبة الجوع

فسلموا من العقوبة ولم يفوزوا بالخلعة وقسم قالوا نحن نجلس بمرأى الغلمان حتى لا
يخطونا ولكنا لا نأخذ الا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلوة وقسم رابع
اختفوا في زوايا الميدان واختفوا عن الغلمان وقالوا ان تتبعونا واعطونا
قنعنا برغيف واحد وان اخطونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا ننال رتبة الوزارة
ودرجة القرب عند الملك فانفعهم ذلك اذ تتبعهم الغلمان في كل زاوية واعطوا كل
واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلثة في زاوية
ولم تقع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن التفتيش فباتوا في جوع شديد فمات
اثنان منهم ليتنا تعرضنا للغلمان واخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر وسكت الثالث
الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحيوة الدنيا
وباب الميدان الموت والميعاد المجهول القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة
للمتوكل اذا مات جايعا راضيا والمتعلق بالغلمان هو المتعدي في الاسباب والغلمان
المسخرون هم الاسباب والجالس بظاهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الامصار
والرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السايحون في البراري
على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الا على سبيل الندور فان مات واحد
منهم جايعا راضيا فله الشهادة والفوز من الله تعالى وقد انقسم الخلق الى هذه الاقسام
الاربعة فلعل من كل مائة تعلق الاسباب تسعون واما سبعة من العشرة الباقية في الامصار
متعرضين للاسباب بمجرد حضورهم واشتهارهم والسياح في البراري ثلاثة يتسخط منهم
اثنان وواحد فاز بالقرب ولعل ذلك كان في الاعصار السالفة واما الآن فالتارك
للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف الفن الثاني في التعرض لاسباب الادخار
فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او بسبب من الاسباب فله في ادخاره ثلثة احوال
الاولى ان يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل ان كان جايعا ويلبس ان كان عاريا
ويشتري مسكنا مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يدخر الا القدر
المحتاج اليه فهذا هو الوفاء بموجب التوكل وهي الدرجة العليا الحالة الثانية المقابلة

اذا اعطونا

لهذه المخرجة له عن حد التوكل ان يدخر لسنة فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين الحالة الثالثة
ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود اختلفوا فيه
فذهب سهل رضه الى انه يخرج عن التوكل وذهب الخواص رضه الى انه لا يخرج باربعين يوما
ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكي رضه لا يخرج عن حدود التوكل
بالزيادة على الاربعين ايضا الا انه يظن ان اصل الادخار ينافي التوكل واما
التقدير بعد ذلك فلا معنى له ولكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك
الرتبة بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل والناس متفاوتون
في طول الامل وقصره فاقله يوم وليلة وما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور من
عمر الانسان ولا يمنع من الادخار الا قصر الامل والافضل ان لا يدخر اصلا واما ثوب
الشتاء فلا يحتاج اليه في الصيف وهذا ولا يتشرف نفسه الى ايدي الخلق ولا يلتفت
قلبه الا الى الوكيل الحق فلا يدخر وان كان يتشوش في نفسه اضطرابا يشغل قلبه
عن الله تعالى فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته
وكان لا يتفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب ورب شخص
يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله تعالى والا فالدنيا
في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها لان رسول الله صلعم ما منع احدا من
المحترفين ولا من التجار بترك حرفته ولا التجارة ولا امر التارك لهما بالاشتغال بهما
بل دعى الكل الى الله تعالى وارشدهم الى فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا
الى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله تعالى القلب والصواب للضعيف الادخار بقدر حاجته
كما ان للقوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد فاما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل
بادخار قوت سنة لعياله تسكينا لقلوبهم والادخار اكثر من ذلك مبطل للتوكل
ادخر رسول الله صلعم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر شيئا لغد
وانما امر بترك الادخار للاقوياء من امته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلبه فيه وفي
عياله ولكن ليبين ذلك لضعفاء امته وعلى الجملة فالادخار قد يضر ببعض الناس

ونفع بعض الناس وقد مات بعض اهل الصفة رض فوجد في داخلة ازاره ديناران فقال
رسول الله كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا ولا يقول ذلك
في حقه **الفن الثالث** في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف اعلم ان الضرر
قد يعرض للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا
اما في النفس فكالنوم في الارض المسبعة او مجرى السيل او الجدار المائل وكل ذلك
منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة نعم تنقسم هذه الاسباب
الى مقطوع به والى مظنون والى موهوم فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهو
ما يكون نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية اما الصبر على اذى الحيات والسباع
فليس من التوكل وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقض التوكل باغلاق باب
البيت عند الخروج ولا بان يعقل البعير وقد اختفى رسول الله صلعم في الغار عن
اعين الاعداء وامر الله تع موسى عم بالاسراء ببني اسرائيل من الليل والمظنون كالمقطوع
وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه وما حكي عن بعض ان الاسد وضع على كتفه
وما تحرك وما حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد فهو مقام عال لا يمكن كسبه ولا هو شرط في التوكل
بل هو من قبيل الكرامات فان جاهدت نفسك حتى تسخرت الكلب الذي في باطنك
وهو الغضب حتى يكون بحكمك ولا يتجاوز عن حد امرك يكون مسخرا لك وصل ذلك فربما
ترتفع درجتك حتى يسخر الله تع الاسد الذي هو ملك السباع لك وكلب دارك اولى بان
يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب باطنك اولى بان يسخر لك من كلب دارك فاذا
لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر **فان قلت** اذا اخذ المتوكل سلاحه
حذرا من العدو وغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره فباي اعتبار يكون متوكلا **فاقول**
يكون متوكلا بالحال والعلم اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع فلا يندفع بكفايته
في اغلاق الباب بل بدفع الله تع اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويسرق
وكم ممن اخذ سلاحه فيقتل فلا يتكل على هذه الاسباب كما ضربنا المثل في المتوكل في
الخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل واما

الحال

الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تع في نفسه وبيته وماله ويقول اللهم ان سلطت
على ما في البيت من ياخذه فهو في سبيل الله تع وانا راض بحكمك وما غلقت الباب
تحصنا من قضائك بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فاذا كان هذا حاله
علمه لم يخرج عن حدود التوكل باخذ السلاح واغلاق الباب فاذا عاد ووجد متاعه
في البيت يشكر الله تع ويعد ذلك نعمة جديدة من الله تع وان لم يجد متاعه فينظر الى
قلبه ان كان راضيا بذلك فقد صح مقامه في التوكل وان تالم قلبه فقد بان انه ما كان
صادقا في دعوى التوكل وان اظهر الشكوى بلسانه واستقصى في الطلب بيديه فقد بان
كذبه في دعواه فلا يصدق نفسه في دعواها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة
فان قلت كيف لا يحزن اذا اخذ متاعه وهو محتاج اليه **فاقول** لانه كان يحفظ ليستعين به على
دينه وكان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع فاذا ابتلاه الله تع بفقده يكون
واثقا بالله بحسن الظن به ويقول لولا ان الله تع علم ان الخيرة كانت في وجوده الى الان
لما اعطاني ذلك ولولا ان الخيرة الان في عدمه لما اخذه فمتى تحقق هذا يندفع عنه الحزن
ويكون كالمريض بين يدي الطبيب المشفق يرضى لما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح به
وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعني لما قربه الي وان اخر عنه الغذاء بعد ذلك فرح
ايضا وقال لولا ان الغذاء يضرني لما حال بيني وبينه وكل من لا يعتقد في لطف الله تع
ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق في علم الطب فلا يصح منه التوكل **بيان**
آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم للمتوكل آداب في متاع بيته **فالاول** ان يغلق الباب
ولا يستقصي في اسباب الحفظ كوصية الجيران وجمعه اغلاقا كثيرة كان مالك رض
لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول لولا الكلاب لما شددته **الثاني** ان لا يترك متاعا
في البيت يحرص عليه السراق لئلا يكون هو سبب معصيتهم ويكون امساكه سبب هيجان
رغبتهم **الثالث** ان ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا
بما يقضي الله تع فيه ويقول ما ياخذه السارق فهو منه في حل او هو في سبيل الله تعالى
الرابع انه اذا وجد المال قد سرق فينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان امكنه ويقول لعل الخيرة

فى ذلك ولا يبالغ فى طلبه باساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله فى سبيل الله تعالى فيترك
طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة فان اعيد اليه فالاولى ان لا يقبله بعد
ان جعله فى سبيل الله تعالى فان قبله فهو ملكه فى ظاهر العلم الخامس وهو اقل الدرجات ان لا
يدعو على السارق الذى ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على تاسفه على ما
فات وبطل زهده وان بالغ فى الدعاء بطل ايضا اجره فيما اصيب به السادس ان
يغتم للسارق فى تعرضه لسخط الله تعالى ويشكر الله تعالى اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما
وجعل ذلك نقصانا فى دنياه ولم يجعله نقصانا فى دينه الفن الرابع السعى فى ازالة
الضرر كمداواة المرض وامثاله اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر تنقسم الى مقطوع به كالماء
المزيل للعطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل
وساير ابواب الطب اعنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة والى موهوم
كالكى والرقية اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت واما
الموهوم فشرط التوكل تركه كالكى والطيرة والرقية واما المظنون فهو درجة متوسطة
وذلك كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف
الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف المقطوع به بل يكون فعله افضل فى بعض الاحوال
وفى حق بعض الاشخاص فهو على درجة بين الدرجتين وقد فعل رسول الله صلعم ذلك وامر
به وقال صلعم احتجموا لسبعة عشر واحد وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم وقد تداوى
رسول الله واصحابه وورد فى تداوى رسول الله عم وامره بذلك ما يخرج عن الحصر
وقد صنف فى ذلك كتاب وسمى طب رسول الله عم تبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته
بربط المسببات بالاسباب اظهار الحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تعالى كساير الاسباب
فكان الخبز دواء الجوع والسكنجبين دواء الصفراء ولا يفارقه الا فى امرين احدهما
ان معالجة الجوع والعطش بالخبز والماء جلى يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين
يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق فى حقه بالاول والثانى ان السكنجبين
يسكن الصفراء والدواء المسهل يسهل بشرط آخر فى الباطن واسباب فى المزاج ربما

سعد

يتعذر الوقوف على جميع شروطه وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن
الاسهال والمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب
وتسخيره وترتيبه وكمال قدرته فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب اعلم
ان الذى تداوى من السلف رض لا ينحصر ولكن قد ترك التداوى ايضا جماعة من الاكابر
من الصحابة والسلف رض ولا يصح الجمع بين فعل رسول الله عم وافعالهم الا بحصر الصوارف
عن التداوى فنقول لترك التداوى اسباب الاول ان يكون المريض من المكاشفين
وقد كوشف بانه انتهى اجله وان التداوى لا ينفعه ويشبه ان يكون ترك الصديق رض
التداوى من هذا السبب فانه كان من المكاشفين والا فلا نظن به انكار التداوى
وقد شاهد من رسول الله عم التداوى وامره به السبب الثانى ان يكون المريض مشغولا
بحاله وخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض ولا يتفرغ قلبه للتداوى
شغلا بحاله وكلام ابى ذر رض يدل على ذلك اذ قيل له ما تشتكى فقال ذنوبى الثالث
ان يكون العلة مزمنة والدواء الذى يؤمر بالاضافة الى علته موهوم النفع فيترك
المتوكل وقد يكون غير معتقد فى الدواء لقلة ممارسته للطب فلا يغلب على قلبه كونه
نافعا الرابع ان يقصد العبد بترك التداوى استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن
الصبر على بلاء الله تعالى وليجرب نفسه فى القدرة على الصبر وقد ورد فى ثواب المرض
اخبار كثيرة وكثير من السلف كانوا يخفون العلة عن الطبيب رضا بحكم الله تعالى الخامس
ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خايف منها عاجز عن تكفيرها ويرى ان المرض
اذا طال يكون تكفيرا لها فيترك التداوى خوفا من ان يزول المرض عاجلا ففى الخبر حمى يوم
كفارة سنة وان المرض قيل لانها تهد قوة سنة السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادى
البطر والطغيان وطول الامل والتسويف فى تاخير الخير واقلها ان يدعو الى التنعم
بالمباحات واهمال الربح العظيم فى مخالفة النفس وفى المرض حبس عن الطغيان وركوب
المعاصى واى خير يزيد عليه فلا ينبغى لمن يخاف على نفسه ذلك ان يشتغل بعلاجه فان العافية
فى ترك المعاصى وكان السلف رض يستوحشون اذا خرج عام ولم يصابوا فيه بنقص من

نفس او مال وقالوا لا يخلو المؤمن في كل اربعين يوما من ان يروع بروعة او يصاب ببلية
ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب فلما ان كثرت فوايد المرض راى جماعة
ترك الحيلة في زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث ان التداوي نقصان
وكيف يكون نقصانا وقد فعل رسول الله صلعم ليبين لغيره والا فهذا حال الضعفاء
فاما حال الاقوياء فيوجب ترك التداوي توكلا فيقال ينبغي ان يكون من شرط التوكل
ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم فان قيل ذلك ايضا من شرطه فليكن من شرطه ان
يلدغه الحية والعقرب لا ينحيهما عن نفسه فان قال ذلك ايضا شرط التوكل فيقال
فينبغي ان لا يزيل لذع العطش بالماء ولذع الجوع بالخبز والبرد بالجبة وهذا لا قايل
ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب وليس تركها شرطا
في التوكل ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رض وعن الصحابة رض في قصة
الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر ان به موتا ذريعا
ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقالت طايفة لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا
الى التهلكة وقالت اخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تع ففزعوا
ذلك الى عمر بن الخطاب رض وسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال
له بعضهم نفر من قدر الله الى قدر الله تع ثم سال عبد الرحمن بن عوف رض فقال ما تقول
في هذا فقال سمعت رسول الله عم يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا
عليه وان وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر رض وحمد الله تع اذا
وافق ذلك رايه ورجع بالناس من الجابية فاذن كيف اتفق الصحابة رض كلهم على
ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل
فان قلت ان كان في ترك التداوي فضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله عم التداوي
لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او يخاف
على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج الى ما يذكره الموت او احتاج
الى نيل ثواب الصابرين لقصورهم عن مقامات الصابرين والمتوكلين او قصر

بصيرته

بصيرته عن الاطلاع على ما اودع الله تع في الادوية من لطايف المنافع حتى صارت
في حقه موهوما كالرقية فالى هذه المعاني رجعت الصوارف عن ترك التداوي
وكل ذلك كمالات بالاضافة الى بعض الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة
رسول الله عم فان مقامه اعلى من هذه المقامات ولم يكن له نظر في الاحوال
الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه لم تضره الاسباب كما ذكرنا ان
الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهة له وان كان كمالا فهو ايضا نقص
بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه وحاصله يرجع الى ان ترك
التداوي يكون افضل في بعض الاحوال وان التداوي يكون افضل في بعض وان
ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص بيان ان التوكل في اظهار المرض و
كتمانه اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وانواع البلاء من كنوز البر وهو من
اعلى المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بين العبد وبين الله تع
وكتمانه اسلم من الافات ومع هذا فالاظهار لا باس به اذا صحت النية فيه والقصد
ومقاصد الاظهار ثلاثة الاول ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى ذكره للطبيب
فيذكره في معرض الحكاية لا في معرض الشكاية فيذكر ما ظهر عليه من قدرة الله وكان
جماعة من السلف يصفون ذلك الثاني ان يصف ذلك لغير الطبيب اذا كان ممن يقتدى
به وكان مكينا في المعرفة ويريد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن
الشكر بان يظهر انه يرى المرض نعمة فيشكر عليه ويتحدث به كما يتحدث بالنعم الثالث
ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تع وذلك يحسن لمن يليق به القوة والشجاعة
ويستبعد منه العجز فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض وان لم يكن له نية يكون ذكره
شكاية وشكوى من الله ه كما ذكرناه في تحريم السوال في الفقر الا لضرورة ويصير
الاظهار شكاية بقرينة السخط وان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها
فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف
على الموجود من العلة ومن ترك التداوي توكلا فلا رخصة في حقه للاظهار لان الاستر

الى الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقد كرهه بعض العباد العبادة خشية
الشكاية وخوف الزيادة فى الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه
احد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض ووهب بن الورد وبشر بن الحارث
رض تم كتاب التوحيد والتوكل والله اعلم

كتاب المحبة والشوق والانس والرضا

اعلم ان المحبة لله تع هى الغاية القصوى من المقامات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة
من ثمارها كالشوق والانس والرضاء واخواتها اما محبة الله تع فقد عز الايمان بها
حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تع ولا بد من
كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر فى هذا الكتاب بيان شواهد الشرع فى المحبة ثم
بيان حقيقتها واسبابها ثم بيان ان لا مستحق للمحبة الا الله تع ثم بيان ان اعظم اللذات
لذة النظر الى وجه الله تع ثم بيان سبب زيادة لذة النظر فى الآخرة على
المعرفة فى الدنيا ثم بيان الاسباب المقوية لحب الله تع ثم بيان السبب فى تفاوت
الناس فى الحب ثم بيان السبب فى قصور الافهام عن معرفة الله تع ثم بيان معنى الشوق
ثم بيان محبة الله تع للعبد ثم القول فى علامات محبة العبد لله تع ثم بيان معنى الانس ثم بيان
معنى الانبساط فى الانس ثم القول فى معنى الرضاء وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان
ان الدعاء وكراهة المعاصى لا يناقضه وكذا الفرار من المعاصى ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين
متفرقة

بيان شواهد الشرع فى حب العبد لله تع اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله تع ورسوله
عم فرض وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد
وان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله تع قوله يحبهم ويحبونه
وقوله والذين آمنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت فيه وقد
جعل رسول الله عم الحب لله تع من شرط الايمان فى اخبار كثيرة منها قوله عم لا يؤمن احدكم حتى
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقال ابو بكر الصديق رض من ذاق خالص محبة الله
شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقد ورد فى حب الله تع من الاخبار ما لا
يدخل فى حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض فى تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة
واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تع اعلم ان المطلوب من هذا الفصل لا ينكشف الا
بمعرفة حقيقة المحبة فى نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك فى تحقيق معناها
فى حق الله تع واول ما ينبغى ان يحقق انه لا يتصور محبة الا بعد معرفة وادراك اذ لا يحب الانسان
ما لا يعرفه ولذلك لم يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحى المدرك ثم المدركات
تنقسم الى ما يلائم طبع المدرك ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والذاذ فكل ما فى ادراكه
لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما فى ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو
عن استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ محبوب
عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان فى الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان فى الطبع
نفرة منه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشىء الملتذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سمى
عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمى مقتا فهذا اصل فى
حقيقة الحب لا بد من معرفته

الاصل الثانى ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا
محالة بحسب انقسام المدركات والحواس ولكل حاسة من الحواس ادراك لنوع من المدركات
وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين فى الابصار
وادراك المبصرات الجميلة ولذة الاذن فى النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم فى الروائح
الطيبة ولذة الذوق فى الطعوم ولذة اللمس فى اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات
بالحواس ملذة كانت محبوبة ولذات الحواس الخمس يشارك البهائم فيها الانسان فان
كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تع لا يدرك بالحواس ولا يتمثل فى الخيال
فلا يحب فاذا قد بطلت خاصية الانسان وما تميز به من الحس السادس الذى يعبر عنه اما بالعقل
او بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات وهيهات فان البصيرة الباطنة اقوى
من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعانى المدركة بالعقل اعظم من جمال
الصور الظاهرة للابصار فتكون لا محالة لذة القلوب بما يدركه من الامور الشريفة
الالهية التى تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليها اقوى
ولا معنى للحب الا الميل الى ما فى ادراكه لذة كما سيأتى تفصيله فلا ينكر اذا حب الله تع الا من قعد

به القصور فی درجة البهایم ولم یجاوز ادراک الحواس اصلا الاصل الثالث ان الانسان لا یخفی انه یحب نفسه ولا یخفی انه قد یحب غیره لاجل نفسه وهل یتصور ان یحب غیره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد یشکل علی الضعفاء حتی یظنون انه لا یتصور ان یحب الانسان غیره لذاته ما لم یرجع منه حظ الی المحب سوی ادراک ذاته والحق ان ذلک متصور وموجود فلنبین اقسام المحبة واسبابها وبیانها ان المحبوب الاول عند کل حی نفسه وذاته ومعنی حبه لنفسه ان فی طبعه میلا الی دوام وجوده ونفرة عن عدمه لان المحبوب بالطبع هو الملایم للمحب وای شی اتم ملایمة من نفسه ودوام وجوده ولذلک یحب الانسان دوام الوجود ویکره الموت والقتل لا لمجرد ما یخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سکرات الموت بل لو اختطف من غیر الم وامیت من غیر ثواب ولا عقاب لم یرض به فاذن المحبوب الاول للانسان نفسه ولذة غیره واصدقاؤه السبب الثانی الاحسان فان الانسان عبید الاحسان ولذلک قال رسول الله عم اللهم لا تجعل لفاجر عندی یدا فیحبه قلبی اشار الی ان حب القلب للمحسن اضطرار لا یستطاع دفعه فکل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقیقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد السبب الثالث ان یحب الشی لذاته لا لحظ ینال منه وراء ذاته بل یکون ذاته عین حظه وهذا هو الحب الحقیقی الذی یوثق بدوامه وذلک کحب الجمال والحسن فان کل جمال محبوب فلا تظنن ان حب الصور الجمیلة لا یتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخری فیجوز ان یکون محبوبا لذاته وکیف ینکر ذلک والماء والخضرة محبوبان لذاتهما فان ثبت ان الله تع جمیل کان لا محالة محبوبا عند من انکشف له جماله وجلاله کما قال رسول الله عم ان الله جمیل یحب الجمال الاصل الرابع فی بیان معنی الحسن والجمال اعلم ان المحبوس فی مضیق الخیالات والمحسوسات ربما یظن انه لا معنی للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشکل وغیر ذلک مما یوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن الاغلب علی الخلق حسن الابصار فاکثر التفاتهم الی صور الاشخاص والحسن لیس مقصورا علی مدرکات البصر ولا علی تناسب الخلقة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت حسن وای معنی لحسن الصوت والخط وسایر الاشیاء ان لم یکن الحسن الا فی الصور فنصرح بالحق ونقول کل شی فجماله وحسنه فی

ان

ان یحضر کماله اللایق به فاذا کان جمیع کمالاته الممکنة حاضرة فهو فی غایة الجمال وان کان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فان قلت فهذه الاشیاء وان لم یدرک جمیعها بالبصر مثل الاصوات وغیرها فانها لا ینفک عن ادراک الحواس لها ولیس ینکر الحسن والجمال للمحسوسات وانما ینکر ذلک فی غیر المدرک بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود فی غیر المحسوسات اذ یقال هذا علم حسن وخلق حسن وسیرة حسنة وانما یراد بالاخلاق الجمیلة العلم والعقل والعفة والسخاء وسایر خصال الخیر وشی من هذه الصفات لا یدرک بالحواس بل یدرک بنور البصیرة الباطنة وکل هذه الخصال محبوبة وآیة ان الامر کذلک ان الطباع مجبولة علی حب الانبیاء عم وعلی حب الصحابة رض مع انهم لم یشاهدوا بل علی حب ارباب المذاهب ولیت شعری من یحب الشافعی رض ولم یر صورته ولو شاهده ربما لا یستحسن صورته فالاستحسان الذی حمله علی افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا وکذلک من یحب الصحابة رض ویفضل بعضهم علی بعض فهو یحبهم لا لحمهم ودمهم وعظمهم اذ زال ذلک بل یحب ما کان فیهم من الفضایل و تلک الفضایل ترجع الی العلم والقدرة بل لو وصف بعض الملوک بالعدل احبته القلوب مع الیاس من انتشار احسانه الی المحبین لبعد الدیار فاذن لیس حب الانسان مقصورا علی من احسن الیه السبب الخامس المناسبة الخفیة بین المحب والمحبوب اذ رب شخصین تتأکد المحبة بینهما لا بسبب جمال او حظ ولکن بمجرد تناسب الارواح فاذا رجع اقسام الحب الی خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وکماله وبقاءه وحبه من احسن الیه وحبه من کان محسنا فی نفسه الی الناس وان لم یکن محسنا الیه وحبه لکل ما هو جمیل فی ذاته سواء کان من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بینه وبینه مناسبة خفیة فی الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب فی شخص واحد تضاعف الحب لا محالة فان کانت هذه الاسباب فی اقصی درجات الکمال کان الحب لا محالة فی اعلی الدرجات فلنبین الآن ان هذه الاسباب کلها لا یتصور کمالها واجتماعها الا فی حق الله تع فلا یستحق المحبة بالحقیقة الا الله تع بیان ان المستحق للمحبة هو الله تع وان من احب غیر الله تع لا من حیث نسبته الی الله تع فذلک لجهله وقصوره فی معرفة الله تع فلا محبوب بالحقیقة

عند ذوي البصاير الا الله تعالى ولا يستحق المحبة سواه وايضاحه ان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها
ونبين انها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره الا آحادها وانها حقيقة في حق الله
ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد
ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا يحب احد
غير الله تعالى فاما السبب الاول فهو حب الانسان نفسه وبقاءه وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى
فان من عرف نفسه عرف انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده
بالله تعالى وهو المخترع والموجد والمبدع له والمبقي له لانه ليس في الوجود شيء له بنفسه قيام الا
الحي القيوم الذي هو قايم بنفسه وكل ما سواه قيامه به فان احب العارف نفسه ووجود
مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه
وبربه والمحبة ثمرة المعرفة ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فبالضرورة يحب
الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تعالى كالظل بالاضافة
الى الاشجار والنور الى الشمس والغرض من هذه الامثلة التفهيم ومن خلا عن هذا الحب
فهو مشغول بنفسه وشهواته ومحسوساته وهو منهمك في عالم الشهادة التي تشاركه البهائم في التنعم
به **واما السبب الثاني** وهو حبه من احسن اليه وواساه بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتهض وسيلة
الى جميع حظوظه في نفسه واولاده فانه محبوب عنده لا محالة وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب
الا الله تعالى فانه ان عرف حق المعرفة علم ان المحسن اليه هو الله تعالى فقط واما احسانه الى عبيده
فليس يحيط به حصر كما ذكرناه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان ان الاحسان من الناس
غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تعالى ولنفرض كيف تشاء فانك تظن فيمن انعم عليك
بجميع خزاينه ومكنك منها لتتصرف كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط
فانما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك
فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك
اليه والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في ان تسلم اليك ماله وهو مضطر في التسليم
اليك فالمحسن هو الذي اضطره وسخره له وسلط عليه الدواعي الباعثة له الى الفعل حتى يصل

اليك

اليك بواسطة احسان الله تعالى فان اعتقدت انه محسن اليك بنفسه لا من حيث انه واسطة
كنت جاهلا بواسطة الامر ولا يتصور الاحسان من انسان الا لعوض اما آجلا
وهو الثواب واما عاجلا وهو طلب الدنيا والصيت فاذا هو غير مستحق للشكر فلا احسان
في الجود والجود بذل المال من غير عوض يرجع الى الباذل وهو محال من غير الله تعالى
فهو الذي انعم على العالمين احسانا اليهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فان الله تعالى منزه عن
الاغراض فلفظ الاحسان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف
الا الله تعالى اذ الاحسان من غيره محال **واما السبب الثالث** وهو حب المحسن في نفسه
وان لم يصل اليك احسانه فهو ايضا موجود في الطباع فاذا بلغك خبر ملك عابد
عالم رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك
وبلغك خبر ملك آخر ظالم متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد تفرقة في
قلبك بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني و
هو البغض مع انك آيس من خير الاول وشر الثاني وهذا حب المحسن من حيث انه
محسن وهذا ايضا يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا فان الله هو
المحسن الى كافة الخلق والى جميع اصناف الخلق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء
والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب التي هي
في مظان حاجاتهم ورابعا بتجميلهم بالمزايا والزوايد التي هي مظنة زينتهم وهذه
الاقسام موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة
العرش الى منتهى الثرى فاذا هو المحسن وكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة
من حسنات قدرته فانه خالق الاحسان والمحسن فالحب ايضا بهذه العلة لغيره جهل
محض **واما السبب الرابع** وهو حب الجميل لذات الجميل لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال
وقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان الجمال ينقسم الى جمال الصورة المدركة بالبصر
والى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب والاول يدركه الصبيان والبهائم
والثاني يختص بدركه ارباب القلوب فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان

كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء صلوات
الله عليهم والعلماء رض وذوي المكارم السنية فان ذلك متصور مع تشوه
صور الوجه وساير الاعضاء فمن يحب رسول الله عم والصحابة رض فلا يحبهم الا
لحسن ما ظهر منهم وهو حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال آثار صادرة
عنها فمن رأى حسن تصنيف المصنف انكشف له صفته الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها
عند البحث الى العلم والقدرة فكلما كان المعلوم اشرف كان العلم اشرف وكذا المقدور
كلما كان اعظم رتبة كانت القدرة عليه اجل رتبة واجل المعلومات هو الله تع فلا جرم
احسن العلوم واشرفها معرفة الله تع فاذا جمال الصديقين الذين يحبهم القلوب طبعا
يرجع الى ثلاثة امور احدها علمهم بالله تع وملائكته وكتبه ورسله وشرايع انبيائه
عم والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله تع بالارشاد والثالث
تنزههم عن الرذايل والخبايث الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق الشر فانسب
هذه الصفات الى صفات الله تع اما العلم فان علم الاولين والآخرين من علم
الله تع الذي يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية بل لو اجتمع اهل الارض والسماء
على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير
ذلك والقدر اليسير الذي علمه الخلايق كلهم فبتعليمه علموه فاذا كان جمال العلم امرا محبوبا
وكان هو في نفسه كمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تع فعلوم
العلماء جهل بالاضافة الى علمه وكل كمال وبهاء واستيلاء فانه محبوب وادراكه
لذيذ حتى ان الانسان يسمع شجاعة علي وخالد رض وغيرهما من الشجعان فيصادف
في قلبه اهتزازا وفرحا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك
حبا في القلب فانسب الآن قدرة الخلايق كلهم الى قدرة الله تع فاعظم الاشخاص
قوة واوسعهم ملكا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبايث النفس فمنتهى قدرته و
غايته ان يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو
مع ذلك لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة بل الله تع خالقه ورازقه وخالق قدرته و

خالق اسبابه وليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه فيستحيل ان يحب عبد من عباده
لقدرته واستيلائه وتمكنه ولا يحب الله تع لذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم وهو الجبار القهار والارض وما عليها في قبضته فان كان يتصور ان
يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب لكمال القدرة سواه اصلا واما صفة
التنزه عن العيوب فهو احد موجبات الحب والانبياء عم والصديقون رض
وان كانوا منزهين عن العيوب فلا يتصور كمال التقديس الا للواحد الحق سبحانه وتع
واما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص والكمال لله تع وحده وليس لغيره كمال الا بقدر
ما اعطاه وشرح التنزيه والتقديس في حقه تع عن النقايص يطول وهو من اسرار
علوم المكاشفة فلا نطول بذكره وهذا الوصف ايضا ان كان جمالا وكمالا
محبوبا فلا تتم حقيقته الا له فاذا عرفت ان الجميل محبوب فالجميل المطلق هو الواحد
الذي لا ند له ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض واذا
كان الكمال له والجمال له ولا كمال لغيره فليت شعري من ينكر امكان حب الله تع
تحقيقا ويجعله مجازا أينكر ان هذه الاوصاف من اوصاف الجمال ونعوت الكمال
او ينكر كون الله تع موصوفا بها او ينكر كون الجمال والكمال محبوبا بالطبع عند
من ادركه فسبحان من احتجب عن ابصار العميان غيرة على جماله وجلاله ان يطلع عليه الا
من سبقت له الحسنى والحب بهذا السبب اقوى من الحب بالاحسان لان الاحسان يزيد
وينقص واما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة لان شبه الشيء منجذب اليه
ولذلك ترى الصبي يالف الصبي والكبير يالف الكبير والطير يالف نوعه وينفر عن غير
نوعه وانس العالم بالعالم اكثر منه بالمحترف وهذا امر يشهد به التجربة وتشهد له الاخبار
والآثار كما استقصيناه في باب الاخوة في الله تع واذا كانت المناسبة سببا
للتحاب فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي للصبي في معنى الصبى وقد
تكون خفية حتى لا يطلع عليها كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير
ملاحظة جمال او طمع في مال كما اشار اليه رسول الله عم اذ قال الارواح جنود مجندة

فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو
التباين وهذا السبب ايضا يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع الى المشابهة في الصور
والاشكال بل الى معان باطنة يجوز ان يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز ان
يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق اذا استكملوا
شرط السلوك فالذي يذكر هو قرب العبد من الله تعالى في الصفات التي امر فيها بالاقتداء
والتخلق باخلاق الله تعالى وذكر في الكتاب محامد الصفات التي هي من الصفات الالهية
من العلم والبر والاحسان وافاضة الخير على الخلق وارشادهم الى الحق وكل ذلك
تقرب الى الله تعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة
على النوافل بعد احكام الفرايض كما قال الله تعالى ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق
به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه
الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول
واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه واستحالة الاتحاد واتضح لهم مع ذلك حقيقة
السر فهم الاقلون فاذا عرفت هذه المناسبات عرفت ان المقبول عند ذوي البصاير حب
الله تعالى فقط كما ان المقبول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط ثم كل من يحب
الخلق لسبب من هذه الاسباب يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة
نقصان في الحب ولا ينفرد احد بوصف محبوب الا ويوجد له شريك فيه فان لم يوجد
فلا يكون الا الله تعالى فانه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال
ولا شريك له في ذلك وجودا فلا جرم لا يكون في حبه شركة بيان ان اجل اللذات
واعلاها معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان يؤثر عليها لذة
اخرى الا من حرم هذه اللذة اعلم ان اللذات تابعة للادراكات والانسان
جامع لجملة من القوى والغرائز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها
ما يقتضي طبعها الذي خلقت له فان هذه الغرائز ما ركبت في الانسان عبثا

بل

بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت
للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها الغلبة والانتقام وغريزة شهوة الطعام خلقت
لتحصيل الغذاء فلا جرم لذتها نيل الغذاء وكذلك لذة السمع والبصر والشم فلا تخلو غريزة
من هذه الغرائز عن الم ولذة بالقياس الى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى
النور الالهي وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين
ولا معنى للاشتغال بالاسامي لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب
والقلب مفارق لساير اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة
كادراكه خلق العالم وافتقاره الى خالق قديم فلنسم تلك الغريزة عقلا بشرط ان
لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا
والا فالصفة التي فارق الانسان بها البهايم وبها يدرك معرفة الله تعالى وهذه الغريزة
خلقت ليعلم بها حقايق الامور كلها فمقتضى طبعها العلم والمعرفة وهي لذتها وليس يخفى
ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح
به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم والتمدح به في الاشياء الحقيرة
فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم وينطلق لسانه بذكر
ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم فان العلم من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال
ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته
فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك و
تدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وملائكته وعوالم ملكوت
السموات والارض والطبع مجبول على طلب معرفة احوال الخلق والعالم والملوك والسلاطين
ولذتها تكون بقدر شرف المعلوم بها فان كان في المعلومات ما هو الاجل والاشرف
فالعلم به الذ العلوم لا محالة وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعظم من خالق
الاشياء كلها ومكملها ومرتبها وهل تتصور حضرة في الملك والجمال والبهاء اعظم من
الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها وعجايب احوالها وصف الواصفين فان

كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي ان تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم بترتيب الامور
الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اجلّ واعلى انواع المعارف والذها واطيبها وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان
الذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله فينبغي ان تعلم ان لذة المعرفة اقوى من ساير
اللذات اعني بها لذة الشهوة والغضب ولذة ساير الحواس الخمسة فان اللذات مختلفة
بالنوع اولاً كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع بالقياس الى لذة الفاتر الشهوة وكمخالفة
لذة النظر الى الوجه الجميل الفايق الجمال للذة النظر الى ما دونه في الجمال وانما تعرف
اقوى اللذات بان يكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع
بمشاهدتها وبين استنشاق الروايح الطيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علمنا انها الذ
عنده من الروايح الطيبة وكذلك اذا احضر الطعام في وقت الاكل واستمر اللاعب
بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة
الاكل فهذا معيار صادق في ترجيح اللذات فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة
كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذات الغلبة والرياسة والعلم وغيره اذ ليست هذه
اللذات للعين ولا لساير الحواس الظاهرة والمعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال
من اللذات الظاهرة ولو خير الرجل بين لذة الهريسة والدجاج واللوزينج وبين لذة
الرياسة وقهر الاعداء فان كان المخير خسيس الهمة شديد البهيمية اختار اللحم والحلاوة وان
كان عالي الهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر والناقص الذي
لم يكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي والذي ماتت قواه كالمعتوه لا يبعد ان يؤثر
لذة المطعومات فكذلك معرفة الله تعالى ومطالعة جمال الحضرة الربوبية والنظر الى الاسرار
الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة على الخلق وهذا لا يعرفه الا من
ذاق اللذتين جميعا فانه لا محالة يوثر التفرد والتبتل والذكر وينغمس في بحار المعرفة و
يترك الرياسة ولا يزال العارف بمطالعته في جنة عرضها السموات والارض يرتع
في رياضها ويقتطف من ثمارها وهو آمن من انقطاعها وهي ابدية سرمدية لا يقطعها
الموت اذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى اذ محلها الروح ومحلها الذي هو امر رباني

سماوى

سماوى وانما الموت يغير احوالها ويقطع شواغلها فاما ان يعدمها فلا قال الله تعالى
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول
في المعركة فان للعارف بكل نفس درجة الف شهيد اذ جميع اقطار السموات والارض
ميدان للعارف يتبوا منها حيث يشاء من غير حاجة الى ان يتحرك فيها بجسمه فهو من
مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض وكل عارف فله مثلها من
غير ان يضيق بعضهم على بعض الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم ولا يمكن اثبات
رجحان لذة الوقاع على اثبات لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانها على
لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها يدرك هذه اللذة وعند هذا
لا يبقى الا ان يقال من ذاق عرف ومن طال فكره في معرفة الله تعالى وقد انكشف له
من اسرار ملك الله تعالى ولو بشي يسير فانه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح
ما يكاد يطير ويتعجب من نفسه وهذا لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى
فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله تعالى الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها فمقصد العارفين
كلهم وصله ولقاؤه فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فاذا
حصلت انمحقت الهموم والشهوات وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو القي في النار
لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وليت شعري من لا يفهم الا
حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تعالى وما له صورة وشكل واي معنى لوعد الله
تعالى عباده به وذكره انه اعظم النعم فمن عرف ان اللذات المتفرقة للشهوات المختلفة
كلها منطوية تحت هذه اللذة وميثال اطوار الخلق في لذاتهم من حال الصبي الى
وقت البلوغ يختلف من استلذاذ اللعب ولذة الزينة وركوب الدواب ولذة
الوقاع ولذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا فاذا بلغ وكمل عقله
يظهر عنده غريزة اخرى يدرك بها معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستحقر معها جميع ما
قبلها وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بطلب الرياسة وكذلك الرؤسا
يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان

الكشف عن م

اثبات م

اللذة الربوبية

تنحوا وامنا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون **بيان** السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام الملونة من اشخاص الحيوان والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن راى انسانا ثم غمض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كانه ينظر اليه ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا ترجع التفرقة الى اختلاف بين الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وهو كشخص يرى في وقت الاسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى عند تمام الضوء فانه لا تفارق احدى الحالتين الاخرى الا في مزيد الانكشاف فاذا الخيال اول الادراك والرؤية هي استكمال لادراك الخيال وهي غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لانها غاية الكشف لا لانها في العين بل لو خلق الله تعالى هذا الادراك الكامل المكشوف في الجبهة او الصدر مثلا استحق ان تسمى رؤية فاذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات التي لا تتشكل في الخيال ايضا لمعرفتها وادراكها درجتان احديهما اولى والثانية استكمال لها وبين الثانية والاولى من التفاوت في مزيد الكشف ما بين المتخيل والمرئي فتسمى الثانية بالاضافة الى الاولى مشاهدة ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تعالى جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجابا بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخييل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحيوة حجاب عنها كحجاب الاجفان عن رؤية الابصار وسبب كونها حجابا لا يليق بهذا العلم فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا وغير منفكة عنها بالكلية فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الصلاح وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم ابد الآباد نعوذ

وان كانت متفاوتة

باللّه

بالله تعالى من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين ولم يخرج عن قبول التزكية فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى التزكية ولم تنجل نفس عن هذا العالم الا ويصحبها غبرة وكدورة فاذا اكمل الله تعالى تطهيرها ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من العرض والحساب وقرب وكان لها استحقاق الجنة فعند ذلك يستعد بصفائها ونقائها عن الكدورات لان يتجلى لها الحق سبحانه وهذا التجلي يسمى رؤية فاذا الرؤية حق بشرط ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية منزهة عن تصوير وتشكيل وتخيل فتراه في الآخرة كذلك فلا يكون بين المشاهدة في الآخرة والمعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف كما ضربنا المثال في استكمال الخيال بالرؤية ولا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة نخلة ومن لا نواة له في ارضه كيف يحصل له نخل فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة و اختلافه في التفاوت كاختلاف الزرع بكثرته وتفاوت لذة النظر يكون على قدر تفاوت المعرفة وللعارفين في معرفتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا لم يستبدلوا بها لذة الجنة ثم هذه اللذة لا نسبة لها الى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته وفي الرؤية ايضا يتفاوت حال المعشوق فليس لذة النظر الى المعشوق من بعيد كمعاينته خصوصا مع اندفاع العوائق المشوشة في الخارج والداخل **فان قيل** هذه الرؤية محلها القلب او البصر **فاعلم** ان الناس اختلفوا في ذلك وارباب البصائر لا يلتفتون الى هذا الاختلاف فان من يشتهي رؤية معشوقه ويشغله عشقه عن ان يلتفت الى ان رؤيته تخلق في عينه او جبهته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان في العين او غيرها والحق فيه ان القدرة الازلية واسعة فلا يجوز ان نحكم عليها بالقصور عن احد الامرين والحق ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد الشرع ان ذلك يخلق في العين **بيان** الاسباب المقوية لحب الله

اعلم ان اسعد الخلق حالا في الآخرة اقواهم حبا لله تعالى فان الآخرة معناها القدوم على
الله تعالى ودرك السعادة بلقائه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه
وتمكن من دوام مشاهدته ابد الآباد من غير منغص ولا مزاحم الا ان هذا النعيم على
قدر قوة الحب واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار فذلك يسمى عشقا وذلك
ينفك عنه الاكثرون اما اصل الحب فلا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة
واما زيادة الحب فيحصل بسببين احدهما قطع علايق الدنيا واخراج حب غير الله تعالى
من القلب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل ما لم يخرج منه الماء وما دام يلتفت
الى غيره فزاوية من قلبه مشغول به والى هذا التفريد الاشارة بقوله تعالى قل الله ثم
ذرهم ومن يكون هذا حاله فلا يلتفت قلبه الى شيء بل يكون الدنيا سجنه لانها مانعة
له عن مشاهدة محبوبه فاحد اسباب ضعف حب الله تعالى في القلوب قوة حب الدنيا
وحب المال والاهل والولد والعقار والاقارب وغيرها فيكون ذلك سبب نقصان
حب الله تعالى فبقدر ما انس بالدنيا ينقص انسه بالله تعالى وقد انكشف ذلك لذوي القلوب
وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر بزمام الخوف
والرجاء فما ذكرناه من المقامات هي مقدمات يكتسب بها احد ركني المحبة وهو تخلية
القلب عن غير الله تعالى واوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار ثم يتشعب منه
الخوف والرجاء ثم يتشعب منهما التوبة والصبر والزهد في المال والجاه وكل حظوظ
الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب من غير الله تعالى حتى يتسع بعده لنزول معرفة
الله تعالى والسبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واستيلاؤها على القلب وذلك بعد تطهير
القلب عن شواغل الدنيا تجري مجرى البذر الذي القي في الارض بعد تنقيتها
من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة
الطيبة التي ضرب الله تعالى بها مثلا ولا يوصل الى هذه المعرفة الا الفكر الصافي والذكر
الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله عز وجل وفي صفاته وملكوت
سمواته وساير مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون

اول معرفتهم بالله سبحانه ثم يعرفون به غيره والى الضعفاء ويكون اول معرفتهم بالافعال ثم
يترقون الى الفاعل عز وجل والى الاول الاشارة بقوله تعالى اولم يكف بربك انه
على كل شيء شهيد ومنه نظر بعضهم حين قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي
والى الثاني الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وآيات كثيرة
وردت في هذا المعنى وهذا الطريق اسهل على الاكثرين واليه اكثر دعوة القرآن
عند الامر بالتدبر والتفكر والنظر في آيات خارجة عن الحصر فان قلت كلا الطريقين
مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة فاعلم ان الطريق الاعلى والاستشهاد
به على ساير الخلق غامض والكلام فيه خارج عن فهم اكثر الخلق فلا فايدة في ايراده
في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره ايضا خارج عن حد الافهام وانما قصرت
الافهام عنه لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا المانعة عن ذكر هذا
اتساعه وكثرة انشعاب ابوابه الخارجة عن الحصر اذ ما من ذرة من اعلى السموات
الى تخوم الارضين الا وفيها عجايب آيات تدل على كمال قدرته تعالى والخوض في ذلك
انغماس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن ان يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن
الرمز الى مثال واحد ليقع التنبيه بجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال فلنتكلم
فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واحقرها ولننظر في عجايبها
فاقل المخلوقات هو الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات
فان نظرت فيها من حيث الجسم والعظم فالشمس على ما ترى في صغر حجمها هي مثل الارض
مائة ونيفا وستين مرة وانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس
بالاضافة الى فلكها التي هي مركوزة فيه وهو صغير بالاضافة الى ما فوقه من السموات
ثم السموات في الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في العرش كذلك هذا نظر الى ظاهر الاشخاص
من حيث المقادير وما احقر الارض بالاضافة اليها بل ما اصغر الارض بالاضافة الى
البحار ثم انظر الى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى ساير الحيوانات
كالبعوض والنمل فتفكر في كيفية خلقها واصعد بهما الى ما فوقهما وانظر في عجايب نبات

اعضائها ثم انظر الى النحل وعجائبها وطلبها النور وخروج الشمع والعسل من لعابها
والى بنائها بيوتها ليكون ظرفا للعسل على شكل التسديس حتى لا تخلو زاوية من التدوير
وتبقى فارغة وفي هذه الحيوانات من العجائب ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاحاطة
بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على امور جلية منه واما خفايا معاني ذلك فلا يطلع
عليه الا الله عز وجل فسبحانه ما اعظم شانه فان عجائب ملكوت السموات والارض
لا يطلع عليها احد غاية الاطلاع ولا نسبة لما احاط به علم الانبياء عم والعلماء
رض وعلم الخلائق كلهم الى ما استأثر الله تع بعلمه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى
علما في جنب علم الله تع فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل
الطرق اليقين وبزيادة المعرفة يزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تع
فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم فعساك تحظى منها بقدر
يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له بيان السبب في تفاوت الناس
في الحب اعلم ان المؤمنين مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل المعرفة ولكنهم
متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت
اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تع الا الصفات والاسماء التي قرعت سمعهم فتلقفوها
وحفظوها ولا يتخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا
بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون
والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله تع حال الاصناف الثلاثة في قوله
تع فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآية واذا كنت لا تفهم الامور
الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشافعي مثلا يشتركون
في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ولكن العامي يعرف علمه لا محالة مجملا والفقيه
يعرفه مفصلا فيكون معرفة الفقيه اتم وحبه اشد ومن رأى تصنيف مصنف وعرف
فيه يزداد حبه له فالتصنيف يدل على كمال علم المصنف والعالم بجملة صنع الله تع و
تفصيله والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تع حتى

يرى في البعوضة مثلا من عجائب صنعه ما يتحير به عقله فيزداد حبا وكلما ازداد علمه بعجائب
صنع الله تع استدل بذلك على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حبا ومعرفة
صنع الله تع بحر لا ساحل له فلا جرم تفاوت اهل المعرفة لا حصر له وهكذا التفاوت
في سعادة الآخرة بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تع اعلم ان
اظهر الموجودات واجلاها هو الله تع وكان هذا يقتضي ان يكون معرفته اول
المعارف فترى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه
اظهر الموجودات بمعنى لا نفهمه الا بمثال وهو انا اذا رأينا انسانا يكتب او يخيط مثلا
كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحيوته وعلمه وارادته للخياطة و
قدرته جلية عندنا ظاهرة وان لم يدرك هذه الصفات بالحواس الظاهرة ولو نظرنا
الى كل ما في العالم من السموات والارضين وما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والحجر
والمدر والنبات والهواء والبر والبحر وانفسنا واوصافنا وكانت علمنا ان كل
ذلك ما وجد الا الموجد وما ظهر بنفسه بل الخالق خلقه وموجد اوجده وهو الله
عز وجل اذا الكل يشهد له شهادة لا يشك فيها عاقل فهو الموجد للجميع وخالقها و
مدبرها وهي دالة على علمه وقدرته وارادته وحكمته والموجودات المدركة
لا حصر لها فان كان حيوة الكاتب ظاهرة عندنا ولا يشهد له الا شاهد واحد وهو
ما احسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل
نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد له ودال على عظمته اذ كل ذرة فانها تنادي
بلسان حالها انه ليس وجودها من نفسها ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك
محسوس ومعقول الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول من
ادراكه وانما نقصر عقولنا عن فهم الشيء لسببين احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه
وذلك لا يخفى مثاله والثاني ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر في الليل
ولا يبصر في النهار لا لخفاء النهار ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف
يقهره نور الشمس وكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق

فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى على البصائر والابصار
بظهوره ولا تتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبين باضدادها
وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدلت بعضها دون بعض
ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر
ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في
الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا
نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض واما الضوء فلا
ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالتين
فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضاءت بضوء وفارقها عند الغروب فعرفنا
وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وهذا مع ان
النور اظهر المحسوسات اذ به تدرك المحسوسات فانظر كيف استبهم امره بسبب ظهوره
لولا طريان ضده فالله تع هو اظهر الاشياء وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كانت
له غيبة وعدم لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك
بذلك التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا
بغيره لادركنا التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء
على نسق واحد ووجوده دائم في سائر الاحوال فلا جرم اورث شدة الظهور
الخفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام فاما من قويت بصيرته ولم تضعف منته
فانه في حال اعتدال امره لا يعرف الا الله تع ولا يعرف غيره لان افعاله اثر
من آثار قدرته ولا وجود لها بالحقيقة دونه ومن هذا حاله فلا ينظر الى شيء
من الافعال الا ويرى فيه الفاعل فلم يكن ناظرا الا في الله تع ولا عارفا الا
بالله تع ولا محبا الا لله تع وكان هو الموحد الحق وهذه امور منطوية عند
ذوي البصائر اشكلت لضعف الافهام وقصور قدرة العلماء بها عن ايضاحها
بعبارة يوصل الغرض الى الافهام فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تع

والنضم

والضم الى ذلك مستغرق الهم بشهواته واصويته من صباه الى آخر العمر وسقط
وقع عجائب صنع الله تع عن قلبه بطول الانس ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت
غشاوة عينه فامتد بصره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان
دفعة واحدة على سبيل الفجاة خيف على عقله من شهادة هذه العجائب على خالقها
معرفة الله تع كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذ كان راكبا لحماره وهو يطلب حماره
والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة **بيان معنى الشوق الى الله تع**
اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله تع فلا بد ان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق
الا الى محبوب ونحن نبين وجود الشوق الى الله وكون العارف مضطرا اليه
بطريق الاعتبار والنظر بانوار البصائر وبطريق الآثار والاخبار اما
الاعتبار فيكفي في بيانه ما سبق في اثبات الحب وكل محبوب يكون مشتاقا اليه
في غيبته لا محالة اما الحاصل الحاضر فلا يشتاق اليه فان الشوق لا يتصور الا الى
شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه وما
ادرك بكماله فلا يشتاق اليه وكمال الادراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه
مداوما فلا يتصور ان يكون له شوق اليه ولكن انما يتعلق الشوق بما ادرك
من وجه ولم يدرك من وجه وهو من وجهين لا ينكشف ذلك الا بمثال
من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق
الى استكمال خياله بالرؤية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله لم يتصور ان يشتاق
اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق اليه في وقت الرؤية فمعنى شوقه انه
يتشوق نفسه الى استكمال رؤيته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء
عليه الثاني ان يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا سائر محاسنه فيشتاق
الى رؤيته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية
ولكنه يعلم ان له اعضاء جميلة لم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق الى
لم ينكشف له ولم يره قط والوجهان جميعا يتصوران في حق الله تع بل هما

لازمان بالضرورة للعارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في
غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح ويكون مشوبا
بالشوايب التخيلات فاما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي فلا يكون
ذلك الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا
احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور الالهية
لانهاية لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وبقي امور لانهاية لها غامضة و
العارف يعرف وجودها وكونها معلومة لله تع ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات
اكثر من ان يحصى ولايزال مشتاقا الى ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من
المعلومات التي لم يعرفها اصلا فالشوق الاول ينتهي في الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية
ولا يتصور ان يسكن في الدنيا واما الشوق الثاني فيشبه ان لا يكون له نهاية ولا في
الآخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تع وصفاته وافعاله بقدر
القدر من انوار البصائر كاشف لحقايق الشوق ومعاينة واما شواهد الاخبار والآثار
فاكثر من ان يحصى والمشهور من دعاء رسول الله عم انه كان يقول اللهم اني اسالك
الرضاء بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا
الى لقائك وروي ان ابا الدرداء قال لكعب اخبرني عن اخص آية في التورية فقال يقول الله
عز وجل طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فقال ابو الدرداء
رض اشهد اني سمعت رسول الله عم يقول كان هذا في اخبار داود عم ان الله تع
قال يا داود بلغ اهل الارض عني اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني ومونس
لمن انس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني
ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه عليه
احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل
الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي وانسوا بي وانسكم
واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي من طينة ابرهيم خليلي وموسى كليمي ومحمد

صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي وروي عن بعض السلف رض
ان الله تع اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا من عبادي يحبوني واحبهم
ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر
اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم
قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما
يحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت
الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وفرشوا وجوههم
وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي بين صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين
قايم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشكون من حبي
اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم
والثاني لو كانت السموات والارضون وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم
والثالث اقبل بوجهي عليهم افترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد ان اعطيه فلا
من معرفة معنى ذلك ولنقدم الشواهد عليه قال الله تع يحبهم ويحبونه وقال رسول الله عم اذا
احب الله تع عبدا لم يضره ذنب والتايب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين
معناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم يضره الذنوب الماضية وان كثرت
كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر وقد ذكرنا
ان محبة العبد لله تع حقيقة اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس الى الشيء
الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس
والجمال موافق ايضا وان الجمال والاحسان يدرك تارة بالبصر وتارة بالبصيرة
والحب يتبع كل واحد منهما واما حب الله تع للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا
فان الاسامي كلها اذا اطلقت على الله تع وعلى غير الله تع لم ينطلق عليهما بمعنى
واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاشياء اشتراكا لا يشمل الخالق والخلق
على وجه واحد بل كل ما سوى الله تع فوجوده مستفاد من وجود الله تع فالوجود

بيان محبة الله عز وجل للعبد ومعناها اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تع يحب عبده

التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وما ورد من الالفاظ في حبه تع لعباده
مأول فرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه والى تمكينه اياه من
القرب منه والى ارادته به ذلك في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة
الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب واذا اضيف الى
فعله الذي كشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث بحدوث السبب المقتضي له كما قال
الله تع ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل
سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجب عن قلبه وكل ذلك فعل الله تع ولطفه به فهو
معنى محبة الله تع لعبده لمعنى فيه يقتضي حبه فان الحب هو القرب من الله تع و
القرب من الله تع في البعد من صفات البهائم والشياطين والسباع والتخلق بمكارم
الاخلاق ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له لاجل انتفاء النهاية
عن ذلك الكمال فاذا احبه الله تع قربه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه
عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه واما
محبة العبد لله تع فهو ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فلا جرم يشتاق
الى ما فاته واذا ادرك شيا منه يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله
ويستدل على علامة محبة الله تع للعبد بعلامات الاول قول رسول الله عم اذا احب الله عبدا
ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك له اهلا ولا مالا
فعلامة محبة الله تع للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره والثاني قول
رسول الله عم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه
الثالث قول رسول الله عم اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه واخص علاماته
حبه لله تع فان ذلك يدل على حب الله تع له واما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو
ان يتولى الله تع امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون المشير له والمدبر لامره والجاعل
لهمومه هما واحدا والمبغض للدنيا في قلبه والكاشف له الحجب بينه وبين معرفته فهذا
وامثاله من حب الله تع للعبد ولنذكر الان علامة محبة العبد لله تع فانها ايضا

علامات

علامات المحبة كل احد يدعيها وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان يغتر الانسان
بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تع ما لم يمتحنها بالعلامات ولم
يطالبها بالبراهين والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر
على القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الاثار الفائضة منها على المحبة دلالة الدخان
على النار وهي كثيرة فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام
فلا يتصور ان يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا علم انه لا وصول
اليه الا بالارتحال عن الدنيا فينبغي ان يكون محبا للموت فان المحب لا يثقل عليه السفر
عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته قال بعض السلف رض ما من خصلة احب
الى الله تع ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود ومن علاماته حب القتل
في سبيل الله تع قال الله تع ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا الاية
فان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله تع فاقول كراهة الموت
الموت قد تكون لحب الدنيا والتاسف على فراق المال والاهل والولد وهذا ينافي
كمال حب الله تع لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون
له مع حب الاهل والولد شايبة ضعيفة من حب الله تع فان الناس متفاوتون في
الحب فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله تع عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق
الدنيا على قدر حبه لها والسبب الثاني في الكراهة للموت هو ان يكون العبد في ابتداء
مقام المحبة فليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله تع فذلك
لا يدل على ضعف الحب فالكراهة بهذا السبب لا ينافي كمال الحب اصلا وعلامته الدؤوب
في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها ان يكون موثرا ما احبه الله تع على
ما يحبه في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال
مواظبا على طاعة الله تع وقد وصف الله تع المحبين بالايثار قال الله تع يحبون من
هاجر اليهم الاية ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل الحب اذا
غلب قمع الهوى واذا احب الله تع عبده نصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وهو

كانهم بنيان مرصوص

فاذا اقتناه اجتباه

وشهواته فلا يخذله ولا يكله الى هواه وشهواته العصيان يضاد كمال المحبة ولا يضاد
اصلها كما ان الانسان المريض يحب نفسه ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بانه يضره
وذلك لا يدل على بغضه لنفسه بل لغلبة الشهوة **ومنها** ان يكون مستهترا بذكر الله تعالى
لا يفتر لسانه عنه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة من ذكره فعلامة حب الله
حب ذكره وحب القرآن الذى هو كلامه وحب رسول الله عم فان من يحب انسانا
يحب كل محبيه وذلك ليس شركة فى الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله
وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله
تع على قلبه احب جميع خلق الله تع لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد
الله الصالحين **ومنها** ان يكون انسه بالخلوة ومناجات الله تع فيواظب على التهجد
ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق فاقل درجات الحب التلذذ
بالخلوة بالحبيب ومن كان اشتغاله بالنوم والحديث الذ عنده واطيب من مناجات
الله تع كيف يصح محبته ومهما انس بغير الله تع كان بقدر انسه بغير الله تع مستوحشا من الله
تع قال الله تع لموسى عم بعد ان خرج للاستسقاء ان نوحا نم العبد سوء الا ان فيه
عيبا قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبنى لا يسكن الى
شئ وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجات كالذى
يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان فى صلاته اوقع
الحريق فى داره فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت الخلوة والمناجات
قرة عين يدفع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور الدنيا ما لم تكرر
تخرج على سمعه مرارا **ومنها** ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله تع فيكثر رجوعه
عند الغفلات الى التوبة وحق المحب اذا رجع من غفلته عن محبته ان يشتغل بالعتاب
ويقول يا رب باى ذنب قطعت برك عنى وابعدتنى عن حضرتك فيستخرج ذلك منه صفاء
ذكر ورقة قلب يكفر ما سبق من الغفلة **ومنها** ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها
ويسقط عنه تعبها **ومنها** ان يكون مشفقا على جميع عباد الله تع رحيما عليهم شديدا على

جميع اعداء الله تع وبه وصف الله تع اذ قال الذين يكلفون بحبى كما كلف الصبى بالشئ
ويأوون الى ذكرى كما يأوى النسر الى وكره ويغضبون لمحارمى كما يغضب النمر اذا
حرد فانه لا يبالى قل الناس او كثر فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه العلامات فقد تمت محبته
وصفا فى الآخرة شرابه ومن امتزج حب الله تع بغيره فيتنعم فى الآخرة بقدر حبه اذ يمزج
شرابه بقدر من شراب المقربين فانما طاب شراب الابرار بشوب شئ من الشراب الصرف
الذى هو للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبارة عن جميع
الاعمال **ومنها** ان يكون فى حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والعظمة وقد يظن ان الحب
مضاد للخوف وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يورث الحب
ولخصوص المحبين مخاوف فى مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها
خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة
هود عم هو الذى شيب سيد المحبين صلى الله عليه وسلم اذ سمع قوله تع الا بعدا لعاد الا بعدا
لثمود الا بعدا لمدين وانما تعظم هيبة البعد وخوفه فى قلب من الف القرب وذاقه
فحديث البعد فى حق المبعدين يشيب سماعه اهل القرب فى القرب ولا يحن الى القرب من
الف البعد ثم خوف الوقوف وسلب المزيد وحق العبد ان يجتهد فى كل نفس حتى يزداد
فيه قربا فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم واما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد
الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادى اللطف وذلك هو المكر الخفى الذى لا يقدر
على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته ثم خوف
السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب للمحبيب فلا يفتر عن طلب المزيد فان تسلى
كان ذلك سبب وقوفه فيدخل السلو قلبه من حيث لا يشعر كما يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر
فان هذه التقلبات فى القلب لها اسباب خفية سماوية ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها
فاذا اراد المكر به والاستدراج اخفى عنه ورود السلو عليه فيقف مع الرجاء ويغتر
بحسن الظن وتغلبه الغفلة والهوى وذلك من مقدمات المكر والشقاء نعوذ بالله من ذلك
فينتقل القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت ويورث ذلك ضيق الصدر بالبر و

انقباضه عن دوام الذكر وملازمة الوظايف والاوراد فظهور هذه الاسباب
دليل على انتقال مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله تعالى منه وبملازمة الخوف لهذه الامور
بصفات المراقبة يستدل على صدق الحب فقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة
من غير خوف هلك بالبسط ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد
والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى ولا يجوز ان يشترك الناس في
هذه اذ لو اشتركوا فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا ومنها
كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي عن اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب ولانه قد
يدخل في الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك سبب تعظيم العقوبة في العقبى
وتعجيل البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه ويضطرب احواله
فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك من غير اكتساب وتمحل فهو معذور لانه مقهور فلا يؤاخذ
بما ظهر منه وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو
اتباع الهوى نعم من الناس من يحب هواه وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل
فيظن انه يحب الله تعالى بخلاف ذلك كالعلماء السوء والفقراء السوء اولئك بغضاء الله تعالى
في ارضه بيان معنى الانس بالله تعالى قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة
الا ان هذه آثار تختلف على المحب فاذا غلب عليه التطلع وراء حجب الغيب انبعث القلب
وانزعج له فيسمى هذه الحالة شوقا وهو بالاضافة الى ما هو غايب فاذا غلبه الفرح بالقرب
ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر
سمي فرحه بذلك انسا وان كان نظره الى صفات العز والاستغناء وخطر له امكان الزوال
والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفا فهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات
فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن ملاحظة
ما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن غلب عليه حال الانس لم يكن شهوته
الا في الانفراد والخلوة كما روي عن موسى عم انه لما كلمه الله تعالى مكث دهرا لا يسمع كلام احد
من الناس الا اخذه الغثيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج عن

القلب

القلب عذوبة ما سواه فان قلت وما علامة الانس فاعلم ان علامته الخاصة ضيق الصدر
من معاشرة الخلق واستهتاره بذكر الله تعالى فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة
وغريب في حضر وشاهد في غيبة وغايب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب فهذا
معنى الانس بالله تعالى وهذه علاماته وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس والشوق
والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله بان جمال المدركات بالبصائر اكمل من جمال
المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب حتى انكر بعضهم مقام الرضا
وقال ليس الا الصبر وظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات كلها قشر مجرد ووراءه
القلب المطلوب ومن لم يصل من الجوز الا الى قشره يظن ان الجوز خشب كله ويستحيل عنده
خروج الدهن منه وهو معذور ولكن عذره غير مقبول بيان معنى الانبساط والادلال
الذي يثمره غلبة الانس اعلم ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق
ولم ينغصه خوف البعد والحجاب فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال
والمناجات مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيها من الجراءة وقلة الهيبة ولكنها تحتمل
ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك واشرف
على الكفر ومثاله مناجاة نوح الاسود الذي امر الله تعالى موسى عم ان يسأله ليستسقي لبني
اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين فلما رآه موسى عم قال له اخرج فاستسق لنا فخرج
فقال في كلامه ما هذا من افعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك أعصت عليك غيومك
ام عاندت الرياح عن طاعتك أم نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت
غفارا قبل خلق الخطايا خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت
فتعجل العقوبة قال فما برح حتى اخصبت بالمطر وانبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى
بلغ الركب قال فرجع نوح واستقبله موسى عم فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني
فهم موسى عم به فاوحى الله تعالى اليه واستقبله موسى عم ان نوخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات
وقال الجنيد رضه اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم اشياء هي كفر عند العامة
وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم ولا يستبعد رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره

مهما اختلف معناهما كقصة آدم عم وابليس فانهما اشتركا في اسم المعصية ثم تباينا في الافتقار
الى غير ذلك فهذا ما ذكرناه من معنى الانس والانبساط وبيان تفاوت عباد الله تع
فيه القول في معنى الرضاء بقضاء الله تع وحقيقته وما ورد في فضيلته اعلم ان
الرضاء ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على
الاكثرين وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله تع التاويل
فقد انكر منكرون تصور الرضاء بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضاء بكل شي
لانه فعل الله تع فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع بذلك قوم وراوا الرضاء بالفجور
والفسق وترك الاعتراض من باب التسليم لقضاء الله تع ولو انكشفت هذه الاسرار
لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعى رسول الله عم لابن عباس رض حيث قال
اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدا ببيان فضيلة الرضاء ثم بحكايات
احوال الراضين ثم نذكر حقيقة الرضاء وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما
يظن انه من الرضاء وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي بيان فضيلة الرضا
قال الله تع رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال رسول الله عم ان الله تع يتجلى للمومنين ويقول
سلوني فيقولون رضاك فسوالهم الرضاء بعد النظر نهاية التفضيل واما رضاء العبد
فسنذكر حقيقته واما معنى رضوان الله تع عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في
حب الله تع للعبد ولا يجوز ان ينكشف عن حقيقته اذ يقصر افهام الخلق عن دركه ومن
يقوى عليه يستقل بادراكه عن نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر الى الله تع وانما
سالوا الرضاء لانه سبب دوام النظر وقال ابن عباس رض اول ما يدعى الى الجنة
يوم القيمة الذين يحمدون الله تع على كل حال وعن بعض السلف رض ان الله تع اذا
قضى من السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال عمر رضه
ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخاء بيان حقيقة الرضاء
وتصوره فيما يخالف الهوى اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى وانواع البلاء
الا الصبر واما الرضاء فلا يتصور فانما اتى من ناحية انكار المحبة فاما اذا اثبت تصور

الحب

الحب لله تع واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضاء بافعال الحبيب ويكون
ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المولم ولا يحس به
وتصيبه جراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال
خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى يرى الدم وذلك ان القلب اذا كان مستوفا
بامر من الامور لم يدرك ما عداه وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه
قد يصيبه ما كان يتالم به لولا عشقه ثم لا يدرك المه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا
اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم
الشواغل فاذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم
بالحب العظيم الوجه الثاني هو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا بل راغبا
فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد
والحجامة فانه راض بذلك مع انه يدرك الالم ويتقلد من الفصاد منة بفعله فهذا حال
الرضاء بما يجري عليه من الالم هذا ان كان له يقين بان ثوابا الذي ادخر له فوق
ما اصابه فانه يرضى به ويشكر الله تع عليه ان كان يلاحظ الثواب ويجوز ان يغلب
الحب بحيث ان يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه وقد حكي
عن اهل مصر انهم مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه يوسف عم
كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم الجمال عن الاحساس بالم الجوع فاذا ابانت
هذا عرفت قطعا ان الرضاء بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام عظيم من مقامات
اهل الدين ومهما كان ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق الله تع وحظوظ
الآخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضاء بالالم لما يتوقع من الثواب الموعود
كالرضاء بالفصد وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضاء به لا لحظ وراءه
بل لكونه مراد المحبوب فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الذ
الاشياء عنده رضاء المحبوب ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه وهذا ممكن مع
الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة

والمشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من فقده لأنه إنما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب أكثر مما وصفناه

بيان أن الدعاء غير مناقض للرضاء ولا يخرج صاحبه من مقام الرضاء وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين والمغترين وزعموا أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله تعالى وقدره فيجب الرضاء بها وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات يدل عليه ولقد كان رسول الله عليه السلام في أعلى مقامات الرضاء وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده وذمهم على الرضاء بها فقال تعالى رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وفي الخبر المشهور من شهد منكرا فرضي به فكأنه قد فعله وأما بغض الكفار والفجار والإنكار عليهم ومقتهم فقد ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار ما لا يحصى مثل قوله تعالى لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ الآية وقال رسول الله عليه السلام أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله قد يلتبس على القاصرين من الضعفاء الوقوف على أسرار العلوم ويظنون أن كراهة المعاصي كراهة لقضاء الله تعالى حتى ظن قوم أن السكوت على المنكرات مقام من مقامات الرضاء وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضاء والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة من وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه فالمعصية لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنها من فعله واختياره وإرادته فيرضى بها من هذا الوجه تسليما للملك إلى مالك الملك ورضى بما يفعله فيه ووجه إلى العبد من حيث إنها كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله تعالى وبغيضا عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون ممقوتا عند جميع المحبين موافقة للمحبوب وبهذا يتصور جميع ما وردت به الأخبار من الحب في الله تعالى

والبغض في الله والتشديد على الكفار والمبالغة في مقتهم مع الرضاء بقضاء الله تعالى من حيث إنها قضاء الله تعالى وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في إفشائه وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي فمن قال الشر ليس من الله تعالى فهو جاهل وكذا من قال إنهما جميعا منه من غير افتراق في الرضاء والكراهة فهو مقصر وكشف الغطاء عن هذا غير مأذون فيه وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشفه وبهذا يعرف أيضا أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الأسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضاء بقضاء الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضاء بقضاء الله تعالى في العطش وشرب الماء لإزالة العطش ومباشرة لسبب رتبه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريا على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضاء لأن الرضاء مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلوى في معرض الشكوى والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقضه وقد قال بعض السلف رحمه الله من حسن الرضاء بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار في معرض الشكاية وذلك في الصيف وأما في الشتاء فهو شكر والشكوى مناقض للرضاء بقضاء الله تعالى لأن مذمة الصنع مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب ذلك قادح في الرضاء بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قال عمر رضي الله عنه لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فإني لا أدري أيهما خير لي

بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضاء اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهي رسول الله عليه السلام عن الخروج عن بلد ظهر فيه الطاعون يدل على النهي عن الخروج عن بلد ظهر فيه المعاصي لأن كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون أنه لو فتح هذا الباب لارتحل منه الأصحاء وبقي المرضى

مهملين لا متعهد لهم فيهلكون ولذلك شبه رسول الله صلعم بالفرار من الزحف ولو كان
ذلك الفرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة بالانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك
في كتاب التوكل فإذا عرفت المعنى ظهر بأن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي
ليس فرارا من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك مذمة
الموضع الذي يدعو إلى المعاصي والأسباب التي تدعو إليها لأجل التنفير عن المعصية
وليس ذلك مذموما فما زال السلف رض يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد
قال ابن عباس رض قال ابن المبارك رض طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا
شرا من بغداد قيل وكيف قال هو بلد تزدرى فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله فمن
بلي ببلد يكثر فيه المعاصي ويقل فيه الخير فلا عذر له في المقام بها قال الله تع ألم تكن أرض
الله واسعة فتهاجروا فيها فإن منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضيا
بحاله مطمئن النفس إليه بل ينبغي أن يكون منزعج القلب منها فإذا ليس في شيء من أسباب
نقصان الدين البتة رضى مطلق الأمر حيث أضافها إلى فعل الله تع فأما هي في
أنفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء رض في الأفضل من أهل مقامات
ثلاثة رجل يحب الموت شوقا إلى الله تع ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال
لا أختار شيئا بل أرضى بما اختاره الله تعالى ورفعت هذه المسألة إلى بعض العارفين
فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلهم فضولا وحكايات المكاشفين وأحوال
المحبين وأقوالهم كثيرة ولكني أذكر منها شيئا قليلا ليعلم أن رحمه الله تع عامة شاملين
اختار عبادته وتجرد لخدمته قيل لأبي يزيد عن مشاهدتك وقال ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك
قيل فحدثنا بأشد مجاهدتك لنفسك في الله تع فجمحت علي فعزمت عليها أن لا أشرب
الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك وحكي عن يحيى بن معاذ أنه رأى
أبا يزيد رض في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر مستوفزا على صدور
قدميه رافعا أخمصيه مع عقبيه من الأرض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا
يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم إن قوما طلبوك فأعطيتهم المشي

على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك قال حتى عد نيفا وعشرين
مقاما من كرامات الأولياء ثم التفت فرآني فقال يحيى فقلت نعم يا سيدي قال منذ
متى أنت هاهنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال أحدثك
بما يصلح لك أدخلني في الفلك الأسفل وأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى ثم أدخلني
في الفلك العلوي وطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين
يديه وقال سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك فقلت يا سيدي ما رأيت شيئا استحسنه
فأسألك إياه فقال أنت عبدي حقا تعبدني لأجلي صدقا لأفعلن بك ولأفعلن فذكر
أشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدي لم لا سألته
المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك
غرت عليه حتى لا أحب أن يعرفه سواه وحكي أن أبا تراب النخشبي رض كان معجبا
ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده
فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال إني عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو
تراب قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بأبي يزيد وقد رأيت
الله تع وأغناني عن أبي يزيد فقال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت ويلك
تغتر بالله تع لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله تع سبعين
مرة قال فبهت الفتى من قولي وأنكره فقال وكيف ذاك قال ويلك إنما ترى الله تع
عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله تع ويظهر لك على مقداره فعرف
ما قلت فقال احملني إليه فذكر قصته وقال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج علينا
من الغيضة وكان يأوي إلى غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره
فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر إليه فنظر إليه الفتى فصعق فحركناه فإذا هو ميت
فتعاونا على دفنه فقلت لأبي يزيد يا سيدي نظرة إليك قتلته قال لا ولكن كان صاحبكم
صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه فلما رآني انكشف له سر قلبه فضاق عن
حمله لأنه في مقام ضعفاء المريدين فقتله ذلك ولما دخل الزنج البصرة وقتلوا الناس

ونهبوا الاموال احتجّ الى سهل اخوانه رض فقالوا لو سالت الله تع دفعهم فسكت ثم
قال لله عباد فى هذه البلدة لو دعوا الله على الظالمين لم يبق على وجه الارض ظالم الا
مات فى ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون الا ما احب الله تع
وذكر من اجابة الله تع اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال ولو سالوه ان لا يقيم الساعة
لا يقيمها وهذه امور ممكنة فى نفسها ولم تحظ بشئ منها فلا ينبغى ان يخلو عن
التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجايب الملك
والملكوت كثيرة وفضل الله تع على عباده الذين اصطفاهم لا غاية له ولذلك كان
ابو يزيد رض يقول ان اعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابرهيم عم
فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة وان سكنت حجبك
وامثال هذه المكاشفات لا ينبغى للمؤمن ان ينكرها ولا ينبغى ان يعتقد ان كل ما
لا يجده من نفسه لا يتصور فى حق غيره فهذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ومقامات
كثيرة ادناها الاخلاص واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق من جميع الاعمال ظاهرا
وباطنا ثم اخفاء ذلك عن الخلق حتى يكون من الخلق خامل الذكر فهذه اوايل سلوكهم
واقل مقاماتهم وهى اعز موجود فى الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورات
الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادى الحق وانكار ذلك
دون التجربة وسلوك الطريق يجرى مجرى انكار من انكر امكان انكشاف الصورة
فى الحديد اذا نظر الى زبرة حديد مظلم قد استولى عليها الصدا والخبث فانكر امكان
انكشاف المرأى فيها اذا شكلت ونقيت وصورت بصورة المرآة وصقلت وطهر
جوهرها وانكاره ذلك غاية الجهل والضلال فهذا حكم كل من انكر كرامات الاولياء
اذ لا مستند له الا قصوره عن ذلك واستبعاده ذلك انكار قدرة الله تع بل انما
يشم روايح المكاشفة من سلك شيئا ولو من مبادى الطريق واولياء الله تع يكونون
مستورين عن اعين الخلق شغفا غير الاوليائى بهم وغيرة الله يابى الا اخفاءهم كما قال
تع اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى والمزورون انما يطلبونهم تحت المرقعات

والطيا

والطيالسة وفى المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وبالجملة فابعد القلوب
عن مشاهدة هذه المعانى القلوب المتكبرة المعجبة بانفسها المستبشرة بعلمها وعملها
واقرب القلوب اليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل انفسها فان الملتفت الى
النفس محجوب عن الله تع وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله تع حجاب وانما
بعد القلوب شغلها بغيره او بنفسها واعظم الحجب شغل النفس **بيان** كلمات صدرت
من المحبين رض قال الشبلى رض العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقالت
رابعة العدوية رض يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن
الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رض اوحى الله تع الى عيسى عم انى اذا اطلعت
على سر عبدى فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى وتوليته بحفظى
وسئل عيسى عم عن افضل الاعمال فقال الرضاء عن الله تع والحب له وقال البرّ
رض من احب الله تع عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح فى
لا شئ وقال ابرهيم بن ادهم رض الهى انك تعلم ان الجنة عندى لا تزن جناح بعوضة
فى جنب ما اكرمتنى بمحبتك وانستنى بذكرك وفرغتنى للفكر فى عظمتك فهذا ما
اقتصرنا عليه من كتاب المحبة والشوق والانس والرضاء والحمد لله رب العالمين
وصلوته على خير خلقه محمد واله اجمعين **كتاب النية والاخلاص والصدق** اما بعد فقد
انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القرآن ان لا وصول الى السعادة
الا بالعلم والعبادة والناس كلهم هلكى الا العاملون والعمل بغير نية عناء والنية
بغير اخلاص رياء والاخلاص من غير صدق هباء قال الله تع فى كل عمل كان بارادة
غير الله تع مشوبا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا فيجب على العامل
ان يعرف حقيقة النية والاخلاص فى العمل والصدق فيه ووجب على كل عبد يريد
طاعة الله تع ان يتعلم النية اولا لتحصيل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق
والاخلاص اللذين هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن نذكر معانى النية
والصدق والاخلاص فى ثلاثة ابواب **الباب الاول** فى حقيقة النية ومعناها الثانى

في الاخلاص وحقيقته الثالث في الصدق وحقيقته الباب الاول وفيه بيان فضيلة
النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة
بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار بيان فضيلة النية قال الله تعالى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال رسول
الله صلعم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته
الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر
اليه وجاء في الخبر ان رجلا قتل في سبيل الله تعالى وكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا
لياخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وروي في الاسرائيليات ان
رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين
الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك
واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقال عمر بن الخطاب رض افضل الاعمال
اداء ما افترض الله عليك والورع عما حرم الله وصدق النية وقال بعض السلف رض
رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية بيان حقيقة النية اعلم ان النية
والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها
امران علم وعمل فالعلم يتقدمه لانه اصله والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه لان كل عمل
اختياري من حركة او سكون لا يتم الا بثلثة امور علم وارادة وقدرة فان الانسان
لا يريد ما لا يعلمه فلابد وان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلابد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث
القلب الى ما يراه موافقا للغرض اما في الحال او في المآل فاذا خلق ميل القلب الى شيء
ينبعث الارادة الى تحصيله فتحمل القدرة الاعضاء المتحركة على تناول ما يريده القلب
وعمل له فالنية عبارة عن هذه الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما
هو موافق للغرض اما في الحال او في المآل وانتهاض القدرة في العمل قد يكون بباعث
واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد فاذا كان بباعثين فقد يكون كل
واحد بحيث لو انفرد لكان كافيا في انهاض القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا

بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضدا له ومعاونا
فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا واسما اما الاول فهو ان
ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكما رآه قام من موضعه
فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه الى
الهرب فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال قام للفرار من السبع لا
نية له في القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا واما الثاني
فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان
يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت
ومثاله في غرضنا ان يساله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته وعلم انه لولا
فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة ولولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وقد اجتمعا
فاقدم على الفعل فلنسم هذا موافقة البواعث الثالث ان لا يستقل كل واحد لو
انفرد ولكن قوي مجموعهما على الانهاض كتعاون الضعيفين على حمل ما لا ينفرد احدهما
ومثاله في غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب منه درهما فلا يعطيه ويقصده الاجنبي
الفقير فيطلب منه درهما فلا يعطيه ثم يقصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث
داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر الرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا
لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة
والتسهيل ومثاله ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل
ولو انفرد الضعيف لم يستقل لكن اجتماعهما يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه ومثاله
في غرضنا ان يكون للانسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات واتفق ان
حضر في وقت ذلك جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم انه
لو كان منفردا لم يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فليسم
هذا الجنس المعاونة ونذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام النيات
فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل انما الاعمال بالنيات لانها

تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع **بيان** سر قوله عم نية المؤمن خير من عمله اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا يطلع عليه الا الله تع والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى ان يذكر الله تع او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان يكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلوة قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان يكون نيته خيرا من عمله بل معناه من اعمال القلب واعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح فيحسن ان يكون النية افضل لانها عبارة عن ميل القلب ارادة الخير ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيرا بالاضافة الى الغرض لانه متمكن في نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تألمت فقد تداوى بان يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل الى المعدة فالشرب خير من طلاء الصدر فهكذا ينبغي ان يفهم تأثير الطاعات كلها اذ المقصود والمطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فالطاعات غذاء القلوب كما ان الخبز غذاء البدن والمقصود شفاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تع ولا يتنعم بلقاء الله تع الا من مات محبا عارفا بالله تع ولن يحبه الا من عرفه ولن يأنس به الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر والمعرفة بدوام الفكر ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ من شواغل الدنيا فاذا حصل اصل الميل بالمعرفة فيقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب وارادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة لان بين الجوارح والقلب علاقة حتى انه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تألم القلب وترى القلب اذا تألم بعلمه بموت عزيز من اعزته تأثرت به الاعضاء وارتعدت الفرايص وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير الراعي والجوارح كالخدم والرعايا فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات

موصلة

موصلة الى المقصود فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضا من حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فلو مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيدا اصلا لان من مسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم باغراض الدنيا لم ينتشر من جبهته اثر الى قلبه فكان وجوده كعدمه هذا اذا فعله عن غفلة وان قصد به رياء وتعظيم شخص لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه اكد بذلك الصفة المطلوب قمعها فهذا وجه كون النية خيرا من العمل **بيان** تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون ونحو ذلك مما لا يتصور احصاؤه فهي ثلثة اقسام طاعات ومعاصي ومباحات الاول المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعاتها بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عم الاعمال بالنيات فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال غيره او يبني مسجدا او رباطا بمال حرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في اخراجه عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع فكذلك تقرب من تقرب من السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام وتقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء القاصدين بتعلمهم على مماراة العلماء وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين واليتامى فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع الطريق وانتهض كل واحد في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتجرى الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تع ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه ايضا آلة ووسيلة في الشر والوبال الجميع يرجع الى المعلم الذي علمه العلم فموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم فطوبى لمن مات ومات معه ذنوبه ثم العجب من جهله ان يقول نيتي في التعليم انه يستعين به على الخير فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني فليت شعري ماجوابه عمن وهب سيفا من قاطع الطريق ويقول انما اردت السخاء والبذل وقصدت ان يغزو بهذا

السيف فان صرفه في قطع الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع
ان السخاء من واجب الاخلاق الى الله تعالى وليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه
ان ينظر الى قرينة الحال من هذا الظالم والعلم سلاح يقاتل به الشيطان واعداء الله
وقد يعاون به اعداء الله تعالى وهو الهوى وغيره فمن لا يزال موثر الدنيا على دينه فكيف يجوز
امداده بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته فاذن قوله عم الاعمال بالنيات تخصص
من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد و
تكون طاعة بالقصد والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة
اصلا نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها
القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل
فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما تضاعف
الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة
فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة بعشر امثالها كما ورد
به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من
فضايل اعمال المتقين اولها ان يعتقد انه بيت الله تعالى وان داخله زائر الله تعالى فيقصد
زيارة مولاه وثانيها ان ينتظر الصلوة بعد الصلوة فيكون في جملة انتظاره في الصلوة
وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات ورابعها عكوف الهم على الله
تعالى ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال في المسجد و
خامسها التجرد لذكر الله او لاستماع ذكره وسادسها ان يقصد افادة علم بامر بالمعروف
او نهي عن المنكر وسابعها ان يستفيد اخا في الله تعالى وثامنها ان يترك الذنوب حياء من
الله تعالى فهذا طريق تكثير النية وقس به ساير الطاعات والمباحات اذ ما من طاعة الا وتحتمل
نيات كثيرة **القسم الثالث** المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات فيصير
بها من محاسن القربات فما اعظم خسران من يغفل عن هذا ويتعاطاها تعاطي البهائم
المهملة عن سهو وغفلة فلا ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات واللحظات فكل ذلك يسئل

عنه

عنه يوم القيمة لم فعله وما الذي قصد به هذا في مباح محض ومن اوتي شيئا من مباح
الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص له من نعيم الآخرة بقدره واما النيات
الحسنة فان ينوي اتباع سنة رسول الله صلعم باستعمال الطيب يوم الجمعة وينوي بذلك
ايضا تعظيم المسجد وان يقصد ترويح جيرانه المجاورين له بروايحه وان يقصد به معالجة
دماغه ليزيد فطنته وذكاؤه فهذا وامثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا طلب تجارة
الآخرة ويكون الخير غالبا على قلبه ومن غلب على قلبه نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات
وان ذكرت له فلا ينبعث لها قلبه ولا يكون معه منها الا حديث النفس وليس ذلك
من النيات في شيء والمباحات كثيرة فلا يمكن احصاء النيات فيها فقس بهذا
الواحد ما عداه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع فان قصد بالاكل التقوي
على عبادة الله تعالى وبالوقاع تحصين دينه والتوصل الى ولد يعبد الله تعالى كان
عبادة فان كنت من اولي الحزم والنهى فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على
نفسك قبل ان يدقق عليك وتثبت في كل ما تريد ان تعمله فان كان لله وللآخرة فيه
نصيب فافعله والا فاتركه **بيان** ان النية غير داخلة تحت الاختيار اعلم ان الجاهل
يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها فيقول في نفسه عند تدريسه او
عند تجارته او عند اكله نويت ان ادرس لله تعالى او اتجر لله تعالى او اكل لله تعالى ويظن
ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث النفس او حديث اللسان او فكر وانتقال
من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها
الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا او آجلا والميل لم يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد
الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام او كقول الفارغ نويت
ان اعشق فلانا او احبه وذلك محال بل الطريق الى اكتساب صرف النفس الى الفعل
اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملايم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه
منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده مثاله اذا غلبت عليه شهوة النكاح
ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد اذ النية

هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة فكيف ينوي الولد نعم طريق اكتساب هذه
النية مثلا ان يقوي ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من سعى في طلب الولد
تكثير الامة محمد صلعم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد فاذا فعل ذلك انبعث
من قلبه رغبة في تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد
فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا
فاذا لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع
جماعة من السلف من جملة من الطاعات اذا لم تحضرهم النية فيها وكانوا يرون الا يعملوا
اعمالا الا بالنية لعلمهم ان النية روح العمل وبغير نية صادقة رياء وهو سبب مقت
لا سبب قرب ويعلمون ان النية ليست هي قول القائل بقلبه نويت بل هو انبعاث
القلب قد يتيسر في بعض الاوقات وقد يتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه
امر الدين يتيسر له في اكثر الاوقات واعلم ان نيات الناس في الطاعات تنقسم اقساما
كثيرة اذ منهم من يعمل اجابة لباعث الخوف من النار ومنهم من يعمل اجابة لباعث
الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا نازل بالاضافة الى من يقصد طاعة الله تعالى وتعظيمه
لذاته ولجلاله لا لامر سواه وهذه اعز النيات واعلاها واغلب البواعث باعث
الفرج والبطن وموضع قضائهما وطريهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه لجماله
وجلاله وهؤلاء ارفع درجة من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة بل هم الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والذين يتنعمون بالنظر الى الوجه
الكريم يسخرون ممن يلتفت الى الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن تنعم
بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد ومعرفة هذه الحقائق تورث اعمالا
وافعالا قد يستنكرها الظاهريون من الفقهاء واذا علمت ان النيات متفاوتة
الدرجات فمن غلب على قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر سواها ومن حضرت له نية في مباح
ولم تحضره في فضيلة فالمباح اولى له وصارت الفضيلة في حقه نقيصة مثاله ان
يكون له نية في الاكل والشرب والنوم لتستريح نفسه وتتقوى على العبادة ولم تنبعث نيته

في الحال للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل له وهذه دقايق لا يدركها
الا سماسرة العلماء **الباب الثاني** في الاخلاص وحقيقته ودرجاته **بيان** فضيلة الاخلاص
قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال رسول الله عم عن
الله تعالى الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي وقال
يحيى بن معاذ رض الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم
وقال بعض الصوفية كنت قاعدا مع ابي عبيد البسري وهو يحرث ارضه بعد
العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب
يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سألني ان
احج معه فقلت لا فقلت فهلا فعلت قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتمم الارض
هذه العشية فان حججت معه لاجله اتعرض لمقت الله تعالى لاني ادخل في عملي شيئا غيره
فيكون ما انا فيه اعظم من سبعين حجة وقال سري السقطي رض لان تصلي ركعتين
في خلوة تخلصهما خير لك من سبعين حديثا تكتب او سبع مائة بتعليق **بيان** حقيقة الاخلاص
اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه
يسمى خالصا والاخلاص يضاد الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان للشرك درجات
فالاخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الالهية والشرك منه جلي ومنه خفي وكذلك الاخلاص
لان الاخلاص ضده وهما يتواردان على القلب وانما يكون ذلك في المقصود والنيات
وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا
على التجرد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه
محض الرياء فهو مخلص في الرياء ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص و
لكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع شوائبه
وانما نتكلم الآن فيمن انبعث بقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر
اما من الرياء او من غيره من حظوظ النفس مثاله ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم
مع قصد التقرب الى الله تعالى او يحج ليتخلص من شر يعرض له في بلده او يصلي بالليل ولغرض

فی دفع النعاس عن نفسه بل اقتب حله الی غیر ذلک من اعمال البر فمهما کان باعثه التقرب
الی الله تع ولکن انضاف الی خطرة من هذه الخطرات فقد خرج عمله عن حد الاخلاص
وخرج عن ان یکون خالصاً لله تع والانسان مرتبط فی حظوظه منغمس فی شهواته قل ما یعمل
فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس واما
الاخلاص فهو تخلیص العمل عن جمیع الشوایب کلها حتی تجرد فیه قصد التقرب وهذا لا یتصور
الا من محب لله تع مستهتر به بحیث لم یبق فی قلبه لحب الدنیا قرار حتی لا یحب الاکل والشرب
بل یکون رغبته فیها کرغبته فی قضاء الحاجة فمثل هذا الشخص لو اکل وشرب ونام وتحرک
وسکن کان خالص العمل صحیح النیه فاکتسب حرکاته الاعتیادیه صفته وصار فالذی یغلب علی نفسه
الدنیا والریاسة یکتسب جمیع حرکاته تلک الصفه ولا تسلم له عباداته فاذن علاج الاخلاص
کسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنیا والتجرد للآخره فکم من اعمال یتعب الانسان فیها و
یظن انها خالصة لوجه الله تع ویکون فیها مغرورا لانه لا یدری وجه الآفة فیها
فالغافلون عنه یرون حسناتهم کلها فی الآخرة سیئات کما قال الله تع وبدا لهم من الله ما
لم یکونوا یحتسبون ومن یکون همه للآخره یفتش عن احواله ویخلص اعماله لله عز وجل
واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان باعث الاکثرین علی نشر العلم الفرح بالاستتباع
والاستبشار بالمدح والثناء والشیطان یلبس علیهم ذلک ویقول غرضکم نشر العلم واظهار
الشرع فتری الواعظ یمن علی الله تع بنصیحة الخلق ویفرح بقبول الناس قوله واقبالهم
علیه وهو یدعی انه یفرح بما یسر له من نصرة الدین ولو ظهر من اقرانه من هو احسن وعظا منه
وانصرف الناس الیه ساءه ذلک وغمه ولو کان باعثه الدین لشکر الله تع اذ کفاه الله تع
هذا المهم بغیره **بیان** اقاویل الشیوخ فی الاخلاص قال سهل رض الاخلاص ان یکون
سکون العبد وحرکاته لله تع خاصة وقال رویم الاخلاص فی العمل هو ان لا یرید صاحبه
علیه عوضا فی الدارین وقال ابو عثمان رض الاخلاص نسیان رؤیة الخلق بدوام النظر
الی الخالق وقال الحواریون لعیسی عم ما الخالص من الاعمال فقال الذی یعمل
لله تع لا یحب ان یحمده علیه احد **بیان** درجات الشوایب والآفات المکدرة للاخلاص

اعلم

اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص بعضها جلی وبعضها خفی ضعیف مع الجلاء وبعضها قوی
مع الخفاء ولا یفهم اختلاف درجاتها فی الخفاء والجلاء الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص
الریاء فلنذکر منه مثالا فنقول الشیطان یدخل الآفة علی المصلی مهما کان مخلصا فی
صلوته ثم نظر الیه جماعة او دخل علیه داخل فیقول له حسن صلوتک حتی ینظر الیک هذا
الحاضر بعین الصلاح ولا یزدریک ولا یغتابک فتخشع جوارحه ویسکن اطرافه وتحسن صلاته
وهذا هو الریاء الظاهر **الدرجة الثانیة** ان یکون المرید فهم هذه الآفة واخذ منها حذره
فلا یلتفت الی الشیطان ویستمر فی صلوته کما کان فیاتیه فی معرض الخیر فیقول انت متبوع
ومنظور الیک وما تفعله یقتدی بک غیرک فیکون لک ثواب اعمال المقتدین ان
احسنت وعلیک الوزر ان اسأت فاحسن عملک بین یدیه وهذا اغمض من الاول
وقد ینخدع به من لا ینخدع بالاول وهو ایضا عین الریاء **الدرجة الثالثة** وهی ادق عما
قبلها وهو ان یجرب العبد نفسه ویعلم ان مخالفته بین الخلوة والمشاهدة للغیر محض
الریاء ویعلم ان الاخلاص فی ان یکون صلوته فی الخلوة مثل صلوته فی الملاء ویستحیی
من نفسه ومن ربه ان یتخشع بمشاهدة خلقه تخشعا زائدا فیقبل علی نفسه فی الخلوة
ویحسن صلوته کما یرتضیها فی الملاء وهذا ایضا من الریاء الغامض لانه یحسن صلوته فی
الخلوة لیحسن فی الملاء بل الاخلاص ان یکون مشاهدة البهایم لصلوته ومشاهدة
الخلق علی وتیرة واحدة **الدرجة الرابعة** وهی ادق واخفی ان ینظر الیه الناس
وهو فی صلوته فیعجز الشیطان عن ان یقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف انه تفطن لذلک
فیقول له تفکر فی عظمة الله تع واستحی ان ینظر الله تع الی قلبک وانت غافل عنه فیحضر لذلک
قلبه وتخشع جوارحه ویظن ان ذلک عین الاخلاص وهو عین المکر فان خشوعه لو کان لنظره
الی جلال الله تع لکانت هذه الخطرة تلازمه فی الخلوة ولکان لا یختص حضور غیره ومن
فرق بین مشاهدة انسان وبهیمة فهو بعد خارج عن صفوة الاخلاص مدنس الباطن
بالشرک الخفی من الریاء والشیطان ملازم للمتشمرین لعبادة الله تع ولا یغفل عنهم
لحظة حتی یحملهم علی الریاء فی کل حرکة من الحرکات حتی فی کحل العین وقص الشارب

وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن وللنفس فيها حظ **بيان** حكم العمل المشوب
في استحقاق الثواب به اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب
من الريآء وحظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا
يقتضي شيا اصلا فلا يكون له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الريآء فهو عليه قطعا
وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لله تعالى فسبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر
الاخبار تدل على انه لا ثواب وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح
لنا والعلم عند الله تعالى ان ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان باعث الدين مساويا
لباعث النفس صار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الريآء اغلب فهو يقتضي
العقاب نعم العقاب فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد فيه الريآء ولم يمتزج به شائبة
التقرب وان كان قصد التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما
فضل من الباعث الديني قال الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فلا ينبغي ان يضيع
قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الريآء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت الزيادة
له وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتأكد صفاتها فداعية الريآء
من المهلكات وانما غذاؤها وقوتها العمل على وفقها وداعية الخير من المنجيات وانما
قوتها العمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفات في القلب فهما متضادان فاذا عمل على وفق
مقتضى الريآء فقد قوى تلك الصفة واذا كان العمل على وفق التقرب فقد قوى ايضا
تلك الصفة فاذا كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تساويا في الاثر وان كان
احدهما غالبا لم يخلو الغالب عن اثر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب او تسويده
ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والريآء فان ذلك منتهى بغية الشيطان
منه بل المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا
قال الفضيل رض ترك العمل بسبب الخلق ريآء وفعله لاجل الناس شرك نعوذ بالله **الباب**
الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته **بيان** فضيلة الصدق قال الله تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه وقال رسول الله صلعم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى

الجنة

الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور
يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق
ان الله تعالى وصف به الانبياء عم في موضع المدح فقال تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم
انه كان صديقا نبيا وقال تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا الى غير ذلك
وقال ابن عباس رض اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر **بيان**
حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه واعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان
صدق في القول وصدق في النية وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم
وصدق في العمل وصدق في مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع
ذلك فهو صديق ثم هم ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة
فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه **الصدق الاول** صدق اللسان وذلك لا
يكون الا في الاخبار والخبر اما ان يتعلق بالماضي او المستقبل ويدخل فيه الوفاء بالوعد
ولهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض والكمال الثاني ان يراعي معنى
الصدق في الذي يناجي به ربه كقوله تعالى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
فان كان قلبه منصرفا عن الله تعالى مشغولا بامانى الدنيا وشهواته فهو كاذب وكذا لو
انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية لم يكن كلامه صدقا **الصدق الثاني** في
النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ان لا يكون له باعث في الحركات
والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية ويجوز ان
يسمى صاحبه كاذبا **الصدق الثالث** صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول
في نفسه ان رزقني الله تعالى مالا تصدقت بجميعه او بشطره وهذه العزيمة قد يصادفها
من نفسه جازمة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة
وكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة جميعا والصادق هو الذي يصادف
عزيمته في الخيرات كلها قوية تامة **الصدق الرابع** في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو
في العزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد فاذا حصل التمكن هاجت الشهوات وانحلت

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا

الوعد ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا ايضا الصدق قال الله تع رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الآية وقال مجاهد رض رجلان قالا على ملاء من الناس ان رزقنا
الله تع شيا في سفرتنا التي نخرج اليها لنصدقن به فبخلا فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
من فضله لنصدقن الآية الصدق الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا يدل اعماله
الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق
الظاهر وهذا يخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب
واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة
فمن ينظر اليه يراه قائما بين يدي الله تع وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة
من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب
بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس هو بباطنه
موصوفا بذلك فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا لهم وليس
ينجو من هذا الا باستواء السريرة والعلانية ولذلك قال رسول الله صلعم اللهم اجعل
سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة ومن تفقد نفسه ويطالبها بالاخلاص
ربما يتعذر عليه العمل فقد حكي ان بعض الفقراء يخدم ابا سعيد الخراز رض وتخفف في اعماله
فتكلم ابو سعيد يوما في الاخلاص في الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة و
يطالبه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك فساله عن ذلك فاخبره
بمطالبة نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال ابو سعيد لا تفعل
ان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص الصدق السادس
وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجا
والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وسائر هذه الامور فان هذه الامور
لها مبادي ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحق من
نال حقيقتها واذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه فيه صادقا ولنضرب الخوف
مثلا فما من عبد يؤمن بالله تع واليوم الآخر الا وهو خائف من الله تع خوفا ينطلق عليه

الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او
قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتشتت
عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وقد ينزعج عن الوطن ويستبدل الراحة بالتعب كل ذلك
خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان المعصية
عليه فلا يكون خايفا حقيقة قال رسول الله صلعم لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار
مثل الجنة نام طالبها فالصادق اذن في جميع المقامات عزيز ثم درجات الصدق
لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في
الجميع فهو الصديق حقا وقيل اوحى الله تع الى موسى عم اني اذا احببت عبدا ابتليته
ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صادقا اتخذته وليا و
حبيبا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولم ابال فاذن من علامات
الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها والله سبحانه اعلم
تم كتاب النية والاخلاص كتاب المحاسبة والمراقبة قال الله تع ونضع الموازين القسط
ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين
وقال تع ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه وقال تع واعلموا ان الله تع
يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله تع لهم بالمرصاد
وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات
وتحققوا انه لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة والمراقبة ومطالبة النفس في
الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب قبل ان يحاسب
خف في القيمة حسابه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة
وقفاته ولا ينجي الخلايق من هذا الا طاعة الله تع وقد امرهم سبحانه بالصبر والمرابطة
فقال تع يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة
ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة وكانت لهم في المرابطة
ستة مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال

فيها واصل ذلك المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران
المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات **المقام الاول من المرابطة المشارطة**
اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة
الربح فكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو
التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها فالعقل يحتاج الى مشارطة
النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويشترط عليها الشروط ويرشدها الى طريق
الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك الطريق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها
لم ير منها الا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخاين اذا خلا له الجو وانفرد بالمال
ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة
ربحها الفردوس الاعلى فحتم على كل ذي حزم آمن بالله تع واليوم الآخر ان لا يغفل عن
محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها فان كل نفس من انفاسه جوهرة
نفيسة لا عوض لها ويمكن ان يشتري بها كنز من الكنوز الذي لا يتناهى نعيمه ابد الآباد
وصرف هذه الانفاس الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة
الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر
ومهما فني رأس المال وقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد قد امهلني
الله تع فيه ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا لاعمل صالحا فاحسبي انك توفيت ثم
رددت فاياك ان تضيعي هذا اليوم واعلمي يا نفس ان اليوم والليلة اربع وعشرون
ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة
فيراها مملوة نورا من حسناته فيناله من الفرح والسرور ما لا يوصف ويفتح له منها خزانة اخرى
فيراها سوداء مظلمة يفوح نتنها وهي الساعة التي عصى الله تع فيها فيناله من الهول
ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه
وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله
من غبن ذلك ما يناله القادر على الربح الكثير اذا اهمله فالعاقل يقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري

خزانتك

خزانتك فلا تدعيها فارغة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك ثم يستأنف
لها وصية في اعضائها السبعة ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لنفسه في هذه
التجارة فان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم لمن عصى الله تع بهذه الاعضاء
ولم يصرفها الا الى ما خلقت لاجله من الطاعات ثم يستأنف وصيتها في وظائف
الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويرتب
لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر
اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه
في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها **المرابطة الثانية المراقبة** اذا اوصى
الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال
فانها ان تركت طغت وبغت ولنذكر فضيلة المراقبة ودرجاتها اما الفضيلة
فقد قال رسول الله ع م اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال الله تع
ان الله كان عليكم رقيبا وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تع فسأله عن تفسير ذلك
فقال كن كانك ترى الله تع وسئل المحاسبي رض عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب
الرب تع وقال المرتعش رض المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة
وقال حميد الطويل لسليمان بن علي رض عظني فقال لئن كنت اذا عصيت الله تعالى
ظننت انه يراك لقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت تظن انه لا يراك فقد كفرت
بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها اعلم ان حقيقة المراقبة ملاحظة الرقيب وانصراف الهم
فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه و
اعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح
وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب والتفاته اليه واما المعرفة التي تثمرها
هذه الحالة فهو العلم بان الله تع مطلع على الضماير رقيب على اعمال العباد وان سر القلب
في حقه مكشوف فهذه المعرفة اذا صارت يقينا ثم استولت بعد ذلك على القلب
قهرته ورب علم لا شك فيه وهو لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فانه يعلم يقينا فاذا استولت

هذه المعرفة على القلب استجرت القلب الى مراعاة الرقيب والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون
وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين ومراقبة المقربين من الصديقين وهي
مراقبة التعظيم والاجلال وهي ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال فلا يبقى فيه متسع
للالتفات الى الغير اصلا وهذه مقصورة على القلب اما الجوارح فانها يتعطل عن التلفات
الى المباحات فضلا عن المحظورات فاذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعمل بها فلا يحتاج
الى تدبير ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو
فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة
لملوك الارض فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق
فيهم متسع لغير ذلك **الدرجة** الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب
يقين اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال
بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة القلب للتلفت الى الاحوال والاعمال الا
انها مع ممارسة الاعمال لا يخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون
ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيمة بل انهم يرون
الله تعالى مطلعا عليهم في الدنيا ولا يحتاجون الى انتظار القيامة ومن كان في هذه
الدرجة فيحتاج ان يراقب جميع احواله من حركاته وسكناته وخطراته وبالجملة جميع اختياراته
وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر عند الشروع في العمل اما قبل العمل فلينظر ان ما
ظهر له وتحرك بفعله خاطره هل هو لله تعالى امضاه وان كان لغير الله تعالى استحيى من الله
تعالى وانكف عنه ولام نفسه في ميلها وسوء فعلها وهذا التوقف في بداية الامور واجب
محتوم لا محيص لاحد عنه فان العبد يسال الله تعالى عن حركاته لم فعلت وكيف فعلت ابعلم
محقق ام بجهل ولمن عملت الوجه الله تعالى خالصا وفاء بقولك لا اله الا الله فيكون اجرك
على الله تعالى او للمراياة خلق مثلك فخذ اجرك منه ام عملت لسهو وغفلة فقد سقط اجرك
وحبط عملك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي فاذا عرف العبد انه بصدد هذه
المطالبات طالب نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا فيجب على كل عبد ان يراقب نفسه

عند

عند همه بالفعل فيتوقف عن السعي حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو
لهوى النفس فيتقيه فان الخطرة الاولى اذا لم تدفع اورثت الرغبة الى ان تنجر الى الفعل
فينبغي ان يحسم مادة الشر عن منبعه الاول وهو الخاطر ومهما اشكل على العبد ذلك فيتفكر
فيه بنور العلم ويستعيذ بالله تعالى من مكر الشيطان فان عجز عن التفكر والاجتهاد بنفسه
فيستضيء بنور علماء الدين ويفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره
من الشيطان بل اشد **النظر الثاني** المراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل
ليقضي حق الله تعالى فيه ويحسن النية في اتمامه ويراقب الله تعالى في جميع احواله من حركته وسكونه
فاذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى بالنية فيها وحسن الفعل ومراعاة
الادب فان كان قاعدا مثلا فينبغي ان يقعد مستقبل القبلة ولا يجلس متربعا وان نام
فينام على جانبه الايمن مستقبل القبلة مع ساير الاداب التي ذكرناها في مواضعها
وكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لادابها وفاء بالمراقبة
فاذن لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص
ومراعاة الادب في ادابها وان كانت معصية فمراقبته بالتوبة وان كان في
مباح فمراقبته بمراعاة الادب ان كان في نعمة فبشكر المنعم بها وان كان في بلية
فبالصبر عليها وينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في الاقسام الثلاثة فاذا
كان فارغا من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال لئلا
يكون مغبونا في الاخرة وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة لان الساعات ثلاثة فالماضي
قد انقضى لا تعب للعبد فيها وساعة مستقبلة لم يات بعد ولا يدري ما يقضي الله
تعالى فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان اتته الساعة
الثانية يستوفي حقه منها ولا يطول امله وينبغي ان يكون حاله بصفة لو ادركه الموت
لا يكرهه كما قيل ينبغي للعاقل ان يكون له اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة
يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب ويكون
افضل اعماله الذكر والفكر **المرابطة الثالثة** محاسبة النفس بعد العمل قال الله تعالى يا ايها

الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما
مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رض حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل
ان توزنوا وفي الخبر انه عم جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني قال اذا هممت بامر
فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وعن ميمون بن
مهران رض انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه
وان الشريكين يتحاسبان بعد العمل وقد ذكر المشايخ رض في هذا المعنى آثارا كثيرة تركت
نقلها لان الطالب الصادق تكفيه كلمة واحدة بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل اعلم ان
العبد كما يكون له اول النهار وقت يشارط فيه نفسه على سبيل الوصية بالحق
فينبغي ان يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها
وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء خوفا من ان يفوتهم مقدار حقير من
الدنيا فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر السعادة والشقاوة ابد الآباد
ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر في رأس المال والربح والخسران فما كان له من ربح
استوفاه وشكره وما كان من خسران كلفه تداركه في المستقبل وكذلك رأس مال
العبد في دينه الفرايض وربحه النوافل والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة
جميع النهار ومعامله نفسه الامارة بالسوء فليحاسبها على الفرايض اولا فان اداها
على وجهها شكر الله تع وان اداها ناقصة كلفها الجبر بالنوافل وان ارتكب معصية
اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط فيه وينبغي ان
يتقي غبينة النفس ومكرها فانها خداعة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به
طول نهاره وهكذا عن نظره وعن خواطره وافكاره وقيامه وقعوده وحتى عن
سكوته انه لم سكت وعن سكونه انه لم سكن فان خرجت عن عهدة اليوم عرف حسابها
وان قصرت في شيء من ذلك فعليها الغرامة والعهدة فليطالبها بالضمان بتدارك
ما فرطت فيه والعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من هذا الا بعد تحقيق الحساب
وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء

ثم

ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء الظاهرة
والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة رض وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما
عمره فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة
يوم فصرخ فقال واويلاه القى المليك باحد وعشرين الف ذنب كيف وفي كل يوم
عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك
ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب العبد نفسه على الانفاس وعلى
معاصيه بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره امتلأ
داره في مدة يسيرة ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه **المرابطة**
الرابعة في معاتبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه ولم يسلم عن مقارفة ذنب
وارتكاب تقصير في حق الله تع فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليه مقارفة
المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان
يعاقبها فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر
الى غير محرم ينبغي ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من اطرافه بمنعه
عن شهوته فهكذا كانت عادة سالكي سبل الآخرة روي انه كان في بني اسرائيل
رجل متعبد في صومعة فمكث كذلك زمانا طويلا فاستشرف ذات يوم فاذا هو
بامرأة فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله تع بسابقة فرجعت
اليه نفسه فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت
تريد ان تعصي الله تع تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك ابدا فتركها معلقة من الصومعة
يصيبها الامطار والرياح والسموم حتى تقطعت فسقطت فشكر الله تع له ذلك و
انزل في بعض الكتب ذكره وقال الجنيد سمعت ابن الكريبي رض اصابتني ليلة جنابة
فاحتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتقصيرا فحدثتني
نفسي بالتأخير حتى اصبح واسخن الماء او ادخل الحمام ولا اشق على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل
الله تع في طول عمري فيجب له علي حق فلا اجد في المسارعة آليت لا اغتسل الا في

بزه وآليت ان لا انزعها ولا اغسلها ولا اجففها فى الشمس وقد روى مثل هذه الحكاية
عن كثير من المشايخ فاختصرت على هذا القدر **المرابطة الخامسة** المجاهدة ومعناه
اذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغى ان يعاقبها بالعقوبات التى
مضت وان راى منها توانيا بحكم الكسل فى شئ من الفضائل او ورد من الاوراد
فينبغى ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظايف جبرا لما فات
فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب رض نفسه حين فاتته صلوة
العصر فى جماعة بان تصدق بارض كانت قيمتها مائتى الف درهم وفات ابن ربيعة
رض ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا كل
ذلك مرابطة للنفس ومواخذة لها بما فيه نجاتها فان كانت نفسك لا تطاوعك على
المجاهدة فسبيل معالجتها ان تسمعها ما ورد فى الاخبار من فضل المجتهدين و
من انفع اسباب العلاج ان تطلب صحبة عبد من عباد الله تعالى مجتهد فى العبادة فتلاحظ
احواله وتقتدى به وكان بعضهم يقول كنت اذا اعترتنى فترة فى العبادة نظرت
الى محمد بن واسع رض والى اجتهاده فعملت على ذلك اسبوعا الا ان هذا علاج
قد تعذر اذ فقد فى هذا الزمان من يجتهد اجتهاد الاولين فينبغى ان يعدل من
المشاهدة الى السماع ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى
تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد فما اعظم حسرة من لا يقتدى بهم فيمتع نفسه
فى ايام قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين ما يشتهيه ابد الآباد
قال ابو نعيم كان داود الطائى رض يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له فى
ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ودخل عليه يوما رجل
وقال ان فى سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخى انى كنت فى البيت منذ
عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول
الكلام وكان بعض المجتهدين يصلى كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه فكان يصلى
جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا

وعجبت منهم كيف استنارت قلوبهم بذكر سواك وجاور ابو محمد الجريرى بمكة سنة
فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه ابو بكر
الكتانى رض فسلم عليه وقال له يا ابا محمد كيف قدرت على اعتكافك هذا فقال
علم صدق باطنى فاعاننى على ظاهرى فاطرق الكتانى ومشى متفكرا وكان اويس
القرنى رض يقول هذه ليلة الركوع فيحيى الليل كله فى ركوع فاذا كانت الليلة الثانية
قال هذه ليلة السجود فيحيى الليل كله فى سجدة فاذا كانت الليلة ونحو ذلك من حكايات
المجتهدين وما اخذوا به انفسهم من الجد والاجتهاد فان رأيت نفسك تمردت عليك
وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود
مثلهم وان قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو انجع فى القلب اذ ليس الخبر
كالمعاينة فخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون فى زمرتهم وبين الاقتداء بالجهلة
الغافلين من اهل عصرك **المرابطة السادسة** فى توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى
عدوك نفسك وقد خلقت امارة بالسوء على وجه الارض يسجد لك والى عك اما تعرفين ان
بعد خمسين سنة لا تبقى انت ولا احد على وجه الارض ممن يسجد لك ويعبدك وسيأتى
زمان لا يبقى فيه ذكرك فان كنت لا تتركين الدنيا رغبة فى الآخرة فلم لا تتركيها
ترفعا عن خسة شركائها وتنزها عن كثرة عنائها يا نفس اتشتغلين بعمارة الدنيا
اما تنظرين الى اهل القبور كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا فاصبح
جمعهم بورا وبنيانهم قبورا واملهم غرورا اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة يا نفس
تفرحين بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك فرب مسرور مغبون ورب
مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر وهو يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل
ويشرب وقد حق فى الكتاب انه من وقود النار فيا نفس اتعظى بهذه الموعظة فان من
اعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة
فاستعينى عليها بدوام التهجد وان لم تتذللى فبصلة الارحام والتعطف على الايتام
فان لم تتذللى فبقلة اللحظ والكلام فان لم تتذللى فاعلمى ان الله تعالى قد طبع على قلبك

واقفل عليه فوطنى نفسك على النار فاذا علمت ذلك فانظرى هل يأخذك على هذه
المصيبة وهل تسمح عينك بدمعة رحمة لك واستغيثى بارحم الراحمين لعله ان يرحم ضعفك
ولا مهرب ولا ملجا ولا منجا الا الى مولاك فافزعى اليه بالتضرع اقتداء بابيك ادم ع
حين اهبط من الجنة وبغيره من الانبياء ع وغيرهم من المجتهدين حين اصيبوا بالذنوب
قال منصور بن عمار رض سمعت في بعض الليالى بالكوفة عابدا يناجى ربه تع وهو يقول
وعزتك ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا
لعقوبتك متعرض ولا لنظرك ولكن سولت لى نفسى واعاننى على ذلك شقوتى وغرنى
سترك المرخى على فعصيتك بجهلى فمن عذابك الآن من يستنقذنى او بحبل من اعتصم ان
قطعت حبلك عنى واسوأتاه من الوقوف غدا بين يديك اذا قيل للمخفين جوزوا
وللمثقلين انحطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين انحط ويلى كلما كبرت سنى كثرت
ذنوبى ويلى كلما طال عمرى كثرت معاصى فالى متى اتوب والى متى اعود اما آن لى
ان استحيى من ربى فهذا طريق القوم فى مناجاة مولاهم وفى معاتبة نفوسهم فانما
مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن اهمل
المناجاة والمعاتبة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك ان لا يكون الله تع عنه راضيا تم
كتاب المحاسبة والمراقبة والحمد لله رب العالمين كتاب التفكر اما بعد فقد وردت
السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث فى كتاب الله تع على التدبر
والاعتبار والنظر والافتكار ولا يخفى ان الفكر هو مفتاح الانوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم
ومصيدة للمعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته ولكن جهلوا حقيقته
وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا انه كيف
يتفكر وفيما ذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذى يطلب به اهو مراد لعينه او لثمرة تستفاد
منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهى من العلوم او من الاحوال او منهما جميعا وكشف
ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته ثم مجارى الفكر و
مسارحه ان شاء الله تع فضيلة التفكر وقد امر الله سبحانه بالتفكر والتدبر فى كتابه

العزيز

العزيز فى مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال تع الذين يتفكرون فى خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا الاية وقال تع ان فى خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب وقال رسول الله ع م ويل
لمن قرأها ولم يتفكر فيها وقال بشر رض لو تفكر الناس فى عظمة الله تع ما عصوا الله تع
وقال الحسن رض ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر
حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال الشافعى رض صحة النظر فى الامور
نجاة من الغرور والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء
ثبات فى النفس وقوة فى البصيرة ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور
قبل ان تقدم وقال ايضا الفضايل اربعة احدها الحكمة وقوامها الفكرة الثانية
العفة وقوامها فى الشهوة الثالثة القوة وقوامها فى الغضب الرابعة العدل و
قوامه فى اعتدال قوة النفس بيان حقيقة الفكر وثمرته اعلم ان معنى الفكر احضار
معرفتين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجل وآثر الحيوة
الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه فهذا يسمى تقليدا
ولا يسمى معرفة والطريق الثانى ان يعرف ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان
الآخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو ان الآخرة اولى
بالايثار واحضار المعرفتين السابقتين فى القلب ليتوصل بهما الى المعرفة الثالثة
يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا فالاعتبار ينطلق على احضار المعرفتين من حيث
انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين
فينطلق عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث
ان فيه طلب معرفة ثالثة وفايدة التذكر تكرار المعانى على القلب لتثبت ولا تنمحى عن
القلب وفايدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة والمعارف
اذا اجتمعت فى القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى حصل
من ذلك نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم بتمادى الفكر الى غير

سبحانك فقنا عذاب النار

نهاية هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر وانما منع اكثر الناس من
الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهي المعارف التي بها تستثمر العلوم وربما يكون
مع بعضهم من المعارف هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وهو فقد طريق
الاستعمال تارة يكون بنور الهي في القلب كما كان للانبياء عم وقد يكون بالتعلم والممارسة
وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضر هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها
ولا يقدر على التعبير عنها فكم من انسان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار علما حقيقيا
ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه واما ثمرة الفكر فهي العلوم
والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير ثم اذا حصل العلم بالقلب تغير
حال القلب فتتغير بتغيره اعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع
للفكر فالفكر خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من
عمل الجوارح بل شرف العلم لما فيه من الفكر فاذن التفكر افضل من جملة الاعمال
فاذا اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان الفكر
فيه يعرفنا ان الآخرة اولى بالايثار فاذا رسخ هذا في القلب تغيرت القلوب و
مالت الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا فهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال
القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها وبهذه المعرفة تغير حال القلب
وتبدلت صفاته وارادته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح باطراح الدنيا والاقبال
على الآخرة فينبعث نور المعرفة في القلب فيرى ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء
للعمل بمقتضى حال القلب فاذا ثمرة التفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية لها
والاحوال التي يتصور ان تتقلب على القلب لا حصر لها ولهذا لو اراد مريد ان يحصر
فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته
غير متناهية ونحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية و
بالاضافة الى الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا **بيان**
مجاري الفكر اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير

الدين

الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين
الرب تع فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته وافعاله واما ان يتعلق
بالمعبود وصفاته وافعاله وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما هو محبوب عند
الرب او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما يتعلق
بالرب اما ان يكون نظرا في ذاته واسمائه وصفاته الحسنى واما ان يكون نظرا
في افعاله وملكه وملكوته وما بينهما ولن ينكشف لك انحصار الفكر في هذه الاقسام
الا بمثال وهو ان حال السايرين الى الله تع تضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق
المستهتر مثالا لنا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يخلو فكره من ان يتعلق
بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن
صورته ليتنعم بالفكر فيه واما ان يتفكر في افعاله الحسنة الدالة على اخلاقه وصفاته
ليكون ذلك مضاعفا للذته وان تفكر في نفسه فيكون فكره اما في صفاته التي
تسقط عن عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه حتى يتصف
بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو
نقصان فيه فمحب الله تع ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره عن محبوبه
فان كان تفكره خارجا عن هذه الاقسام الاربعة خرج عن مقتضى المحبة اصلا اما
القسم الاول فيتعلق بعلم المكاشفة وليس هو مقصود الكتاب واما ما يتعلق
بعلم المعاملة فهو تفكره في صفات نفسه وافعاله ليميز المحبوب منها من المكروه
ثم كل محبوب عند الله تع او مكروه ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى
باطن كالصفات المنجيات والمهلكات ثم تنقسم المعاصي الى ما يتعلق بالاعضاء
السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام
ويجب في كل واحد من المكاره المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه او هو متعرض له
في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال فيحتاج الى تداركه وكذلك
كل واحد من المحبوبات والعبد مامور بالتفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح آحاد

التفكر في ثلاثة امور الاول
التفكر في انه هل هو مكروه
عند الله ام لا والثاني في
التفكر في انه ان كان مكروها
فما طريق الاحتراز عنه
الثالث انه هذا صح

هذه الاقسام يطول ولكن نحصر هذا القسم في اربعة انواع الطاعات والمعاصي
والصفات المنجيات والمهلكات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها
النوع الاول المعاصي فينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه السبعة تفصيلا
ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها او لابسها بالامس فيتداركها
بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز منها ويعلم انه لا يتم
له ذلك الا بالعزلة او صحبة صالح ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله تعالى او باشر فعلا لا
يرضاه الله تعالى الثاني وهو الطاعات فينظر اولا في الفرايض المكتوبة عليه انه كيف
يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع
الى عضو عضو منه فيتفكر في الافعال التي يتعلق به مما يحبه الله تعالى وهكذا يفتش عن
جميع بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده واسبابه ليقدر ان يطيع الله
بها ويتفكر في اخلاص النية فيها وعلى هذا سائر الطاعات الثالث فهي الصفات المهلكة
التي محلها القلب فيعرفها بما ذكرناه في ربع المهلكات ويتفقد من قلبه هذه الصفات
فان ظن ان قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات
عليه فان النفس ابدا تعد بالخير من نفسها وتخلف فاذا ادعت التواضع والبراءة
من الكبر فينبغي ان يجرب نفسه بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الاولون يجربون انفسهم
وكذلك في سائر الصفات يتفكر فيها ويجتهد في ازالتها ويتفكر في طريق العلاج وكل
ذلك ذكرناه في هذه الكتب الرابع وهي المنجيات التي ذكرناها في هذا الربع و
ذكرنا اسبابها وعلاماتها فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه
الصفات التي هي المقربة الى الله تعالى فاذا افتقر الى شيء منها فليعلم انها احوال
لا يثمرها الا علوم وان العلوم لا يثمرها الا الافكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه
حال التوبة فليفتش ذنوبه اولا وليجمعها على نفسه ثم ينظر في الوعيد الذي ورد
به الشرع وليتحقق في نفسه انه متعرض لمقت الله تعالى حتى ينبعث له حال الندم وكذلك
ينظر في قلبه الى صفات باطنه من الشكر والخوف والتوكل وغير ذلك واذا اراد

حال الخوف فلينظر في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته
ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وهول النداء عند نفخ الصور
ثم في هول الحشر ويحضر في قلبه بعد مناقشة الحساب والجواز على الصراط صورة جهنم
وسلاسلها واغلالها وزقومها وحميمها وصديدها وكل ما اخبر به الشرع واذا
اراد ان يستجلب حال الرجاء فلينظر الى الجنة ونعيمها وانهارها وحورها وقصورها
وملكها الدايم فهكذا طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي يثمر اجتلاب
الاحوال المحبوبة والتنزه عن صفات مذمومة فلا يوجد فيه انفع من قراءة القرآن
والتفكر فيه فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وتحت كل كلمة منه اسرار
لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق
المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله عم فانه قد اوتي جوامع الكلم وكل
كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأملها العالم حق التأمل لم ينقطع منها نظره
طول عمره وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله عم ان روح القدس
نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت
واعمل ما شئت فانك مجزي به فان هذه الكلمات جامعة لحكم الاولين والآخرين
وهي كافية للمتأملين فيها فهذا طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد
من حيث هي محبوبة عند الله تعالى او مكروهة فالمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق
القلب في هذه الافكار حتى يعمر قلبه بالاخلاق المحمودة وينزه ظاهره وباطنه
عن المكاره واما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال
فاذا ضيع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب الذي هو غاية مقصد الطالبين
فان التنزه عن الصفات المهلكة يجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح
والاتصاف بالصفات المنجية يجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها وجهها
ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت عمرها في تبرئة الرحم وتزيين
الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين

ان كنت من اهل المجالسة واذا عرفت مجارى الفكر في علوم المعاملة التي بها
العبد وبين ربه فينبغى ان تتخذ ذلك عادتك صباحا ومساء فان كل مريد ينبغي
ان يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات
وجملة المعاصى والطاعات ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة فان سلم منها سلم
من غيرها ان شاء الله تعالى وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب و
شره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه ومن المنجيات عشرة الندم
على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال
الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع الخلق
وحب الله تعالى والخشوع له فهذه عشرون خصلة فمهما كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها
في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته اياه منها ويعلم ان ذلك لم يتم له
الا بتوفيق الله تعالى وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف
بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل
بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المشمر واما اكثر الناس من المعدودين من الصالحين
فينبغى ان يثبتوا في جرايدهم المعاصى الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة
والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء
والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه
من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصى في جوارحه وما لم يطهر الجوارح
عن الاثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس من
يغلب عليه نوع من المعصية فينبغى ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاص هم
بمعزل عنها وان كنت كالعبد السوء لا تتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجرة
فدونك واتعاب البدن بالاعمال الظاهرة فان بينك وبين القلب حجابا كثيفا فاذا
قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن للمجالسة قوم اخرون اما القسم
الثاني وهو الفكر في جلال الله تعالى وعظمته ففيه مقامان المقام الاول الفكر في ذاته

وصفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه وذلك لان العقول تتحير فيه فلا يطيق
مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام ذلك بل ساير الخلق احوال
ابصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه
لا يطيقه البتة فكذلك النظر الى ذات الله تعالى فانه يورث الحيرة والاضطراب
العقل فالصواب اذن ان لا يتفكر في صفات الله تعالى وذاته فان اكثر العقول
لا يحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى منزه ومقدس
عن المكان ذاته ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا منفصل عنه
قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذا لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طايفة
عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه تعالى عن ان يكون له راس ورجل ويد
وعين وان يكون جسما متشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك
قدح في عظمة الله تعالى وجلاله فظن الجاهل المسكين ان الجلالة والعظمة في هذه
الاعضاء لانه لا يعرف الا نفسه فلا جرم كانت غاية ان قدر ذلك في حق الله
حتى فهم العظمة له بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد
ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني افيكون مقصوص
الجناح لا يقدر على الطيران ويكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي
وعقول اكثر الخلق قريب من هذا العقل ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته
مخطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا يتعرض لمجاري
الفكر فيه ولكنا نعدل الى المقام الثاني وهو النظر في افعاله وعجايب صنعه في خلقه
فانها تدل على جلاله وكبريائه ويدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيته و
قدرته فننظر الى صفاته من اثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته والنظر
في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر
وجميع موجودات الدنيا اثر من اثار قدرته ووجود الاشياء كلها نور من
انوار ذاته تعالى اذ قوام وجود الاشياء بذاته وهو القيوم بنفسه فالا فعال وسايط

يشاهد فيها صنع الفاعل فهذا سر قوله عم تفكروا في خلق الله تعالى ولا تتفكروا في
ذات الله تعالى **بيان** كيفية التفكر في خلق الله تعالى اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى
الله تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقه وكل ذرة من الذرات فيها عجايب وغرايب يظهر بها
حكمة الله تعالى وقدرته وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن ولكنا نشير الى جمل منه ليكون
ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقة ينقسم الى ما لا نعرف اصلها
فلا يمكننا التفكر فيها والى ما نعرف اصلها وجملها ولا نعرف تفصيلها فيمكننا
ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر
اما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة عم والعرش والكرسي والشياطين والجن
وغير ذلك ومجال التفكر في هذه الاشياء مما يضيق ويغمض فلنعدل الى
الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وذلك هو السموات والارضون
وما بينهما وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها والارض
مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها ونباتها وحيوانها
وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومه وامطاره وثلوجه ورعده
وبرقه وعواصف رياحه فهذه الاجناس المشاهدة من السموات والارض
وما بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام وتتشعب كل
قسم الى اصناف ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامها في اختلاف صفاتها وهيئاتها و
معانيها الظاهرة والباطنة وجميع ذلك الفكر ولا يتحرك ذرة في السموات والارض
من جماد وحيوان الا وتحركها هو الله تعالى وكل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية
ودال على علمه وعلى قدرته وقد ورد القرآن الكريم بالحث على التفكر في هذه الآيات
كما قال الله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب وكما قال
تعالى ومن آياته في كثير من كتابه العزيز ومن آياته الانسان المخلوق من النطفة
واقرب شيء اليك نفسك وفيه من العجايب الدالة على عظمة الله تعالى ما ينقضي الاعمار
دون الوقوف على عشر عشيرها وانت غافل عنها وقد ذكر الله تعالى في نفسك

فقال

فقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب الآية
الم نخلقكم من ماء مهين وآيات كثيرة يطول ايرادها فذكر سبحانه ذلك ليتفكر
الانسان فيها فانظر في النطفة التي هي قطرة من الماء لو تركت ساعة ليفسد بها الهوا
وفسدت كيف اخرجها من بين الصلب والترائب كيف القى في قلب الذكر
والانثى الالفة حتى اجتمعا وركب الشهوة فيهما وكيف جعل النطفة علقة وكيف
قسم اجزاءها الى العظام والاعصاب والعروق واللحم وكيف ركب هذه الاعضاء
فدور الرأس وشق فيه السمع والبصر والفم وساير المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم
رؤسها بالاصابع ثم ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال
والرية والرحم والمثانة والامعاء وغيرها كل واحد على شكل مخصوص ومقدار
مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء باقسام اخر فركب العين من سبع
طبقات لكل طبقة وصف مخصوص لو فقدت طبقة منها تعطلت العين عن
الابصار ولو ذهبنا نصف ما في آحاد هذه الاعضاء من العجايب والآيات
لانقضى في ذكر بعضه الاعمار وانظر الى العظام كيف جعلها قواما للبدن ثم
قدرها بمقادير مختلفة وجعلها عظاما كثيرة وبينها مفاصل حتى يتيسر بها
الحركة ثم اوصل مفاصلها وربط بعضها ببعض باوتار ثم خلق احد طرفي العظم
زوايد خارجة منه وفي الآخر حفرا غايصة موافقة لشكل الزوايد لتدخل فيها
اذا اراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر
الى عظام الرأس كيف جمعها وركبها فهي مركبة من خمسة وخمسين عظما مختلفة
الاشكال والصور والف بعضها الى بعض ثم جعل الرقبة مركبا للرأس وركبها
من سبع خرزات مجوفات مستديرات فيها تحريفات لينطبق بعضها على
بعض ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز
من اربع وعشرين وعلى هذا عظام العجز وعظام الظهر ثم اوصل بها عظام الصدر
وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة والفخذين والساقين والرجلين

واصابعهما ولا نطول بذكر عدد ذلك فان هذا علم يعرفه الاطبا والمشرحون
وانما الغرض ان ينظر كيف دبرها خالقها ولو شرحت كيفية العضلات وتركيبها
وذكر العروق والاعصاب لتحير في سماع ذلك العقول فاذا امعنت النظر في
ظاهر الانسان وباطنه وبدنه وصفاته ترى فيه من الصنعة البديعة ما يقضي منه
العجب وكل ذلك صنع الله تعالى فمن هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات
والارض وكواكبها وما حكمته في اوضاعها ومقاديرها واشكالها واعدادها
واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من
ملكوت السموات تنفك عن حكمة وقد قال الله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من
خلق الناس الآية وتامل ان الجن والانس لو اجتمعوا على ان يخلقوا للنطفة حيوة
وسمعا وبصرا او يخلقوا فيه شيئا او عقلا فهل يقدرون على ذلك بل لو ارادوا
ان يعرفوا كنه حقيقة كيفية خلقته بعد ان خلقه الله تعالى لعجزوا عنه ولو شرعنا في بيان
اسرار جميع الاعضاء من تفتيح العينين وشق الاذنين وكيف جعل فيهما تجريفات
وتجويفات وحوطها ليجتمع الصوت فيها ويرجع الى صماخيها ثم رفع الانف
من وسط الوجه وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم لاستنشاق الروائح
وفتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا عما في القلب وزينه بالاسنان
ورتب صفوفها كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين لينطبق على الفم ثم خلق
الحنجرة وهيئتها لطال الكتاب ولم يبلغ غاية ما في هذه الاعضاء من العجايب مما
يحتاج اليه ولكل واحد خاصية لو فقدت لبطل خاصية ذلك العضو وتامل كيف
خلق الاعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء
والكبد لاحالة الغذاء الى الدم والطحال لخدمه ويجذب السوداء عنه والمرارة
تخدمه ويجذب الصفراء عنه والكلية تخدمه وتجذب المائية والمثانة تخدم
الكلية بقبول الماء عنها ثم يخرجه في طريق الاحليل وجعل العروق تخدم الكبد في
ايصال الدم الى ساير الاطراف وانما قصرت على هذا القدر من عجايب الباطن

ولو

ولو شرحت ما في خلق اليدين من الاصابع والكف مما لو اجتمع الاولون والآخرون
على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع وترتيبها في صف
واحد لم يقدروا عليه لطال الكتاب بذكر ذلك ولم اصف الا يسيره ثم تامل
كيفية خلق النطفة في الرحم في ظلمات ثلث وتصويره ثم انظر مع كمال قدرته
الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر هداه السبيل حتى تنكس وخرج
من ذلك المضيق ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية الكثيفة كيف دبره في
خلق اللبن اللطيف له واستخرجه من بين الفرث والدم وكيف خلق الثديين وجمع
فيهما اللبن ثم انظر كيف هداه الى المص عند شدة الجوع وخلق الاسنان عند احتياجه
الى الطعام الغليظ ثم حسن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت
الذي كان عاجزا عن نفسه فهذه نبذة من عجايب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها
وهو اقرب الاشياء اليك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عن ذلك
مشغول بشهوتك تاكل وتشرب وتنام وتشتهي وتجامع وتغضب والبهايم والسباع
تشاركك في ذلك وانما خاصية الانسان التي حجبت البهايم عنها معرفة الله تعالى بالنظر
في ملكوت السموات والارض وعجايب الآفاق اذ بها يدخل العبد في زمرة الملايكة
فاذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر ايضا في الارض التي هي مقرك وانظر في
انهارها ثم ارتفع منها الى ملكوت السماء ثم انظر الى كونها ميتة فاذا انزل عليها
الماء اهتزت وربت وانبتت عجايب النبات وخرج منها اصناف من الحيوانات
ثم انظر الى الجبال الصم كيف اودع المياه تحتها وفجر العيون واسال الانهار
تجري على وجهها وانظر كيف اخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا
عذبا وجعل منه كل شيء حيا واخرج به فنون الاشجار والثمار والنبات من حب
وعنب ونخل ورمان وغير ذلك وهي مختلفة الاشكال والطعوم وهي تسقى بماء واحد
وتخرج من ارض واحدة ثم انظر الى اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعه المتنوعة
فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يفرح وهذا

يتقوم وهذا الضعف فلم ينبت من الارض ورقة ولا نبتة الا وفيها منافع لا تقوى
البشر على الوقوف على كنهها ويكفيك من كل جنس نبذة يسيرة ومن آياته الجواهر
المودعة تحت الجبال والمعادن كالذهب والفضة والنحاس والفيروزج وغيره
وكيف هدى الله تعالى الناس الى استخراجها واتخاذ الاواني والحلي منها ثم انظر الى معادن
الارض من النفط والكبريت والقير وغيرها واقلها الملح ولا يحتاج اليه الا
لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك الى اهلها فما من جماد ولا
نبات ولا حيوان الا وفيه حكمة من هذا الجنس فما خلق الله تعالى شيئا عبثا ومن آياته
اصناف الحيوانات وانقسامها في المنافع والصور والطباع فانظر الى طيور الجو
والى وحوش البر والى البهائم الاهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معها في عظمة
مصورها وكيف يمكن ان نستقصي ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجايب البقة والنملة
والنحلة وهدايتها الى حاجاتها لم نقدر عليه افترى انها تعلم هذه الصنائع من
نفسها او لا هادي لها ولا معلم افيشك ذو بصيرة في انها مسكينة ضعيفة عاجزة
بل الفيل العظيم شخصه الظاهر قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف
فالبصير يرى في هذا الحيوان وهدايته الى مصالحه من عظمة الخالق المدبر عز وجل
ما يتحير فيه عقله وهذا الباب ايضا لا حصر له ومن آياته البحار العميقة المكتنفة لاقطار
الارض التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من
البوادي والجبال والعمران وغيره عن الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة
في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء فتأمل الآن عجايب البحر فان عجايب ما فيه من
الحيوان والجواهر اضعاف عجايب ما يشاهد على وجه الارض فمن الحيوانات العظام
ما يرى ظهورها في البحر فيظن انها من اصناف حيوان البر الا وفي البحر امثاله واضعافه
وفيه اجناس لا يعهد لها نظير في البر وكل ذلك شواهد وآيات ناطقة بلسان حالها
مفصحة عن جلال باريها منادية لارباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذي لب
اما تراني واما ترى صورتي وتركيبي ومنافعي وكثرة فوائدي ايظن ان تكونت

وحكم

جزيرة وما من صنف

بنفسي

بنفسي او خلقني احد من جنسي او ما تستحي تنظر الى كلمة مرقومة من ثلاثة احرف
فتقطع بانه صنعة آدمي عالم قادر مريد حي ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهية المرقومة
على صفحات وجهي بالعلم الالهي التي لا تدركه الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله
بمحل الخط ثم تتفكر عند هبوب الرياح ولا يرى بالعين شخصه ثم انظر الى لطف
الهواء وشدته وقوته مهما ضبط في الماء بالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي
ليغمس في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب يوضع على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف
ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه الحكمة امسك الله تعالى السفن على
وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه الهواء لا يغوص في الماء لان الهواء ينقبض عن
الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى الصغيرة مع قوتها
وصلابتها معلقة بالهواء اللطيف ثم انظر الى عجايب الجو وما يظهر فيه من
الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج فهي من عجايب ما بين السماء
والارض وتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف وهو مع
رخاوته حامل للماء الثقيل فترى السحاب يرش الماء رشا على الارض ويرسله
قطرات منفصلة لا يدرك منها قطرة قطرة حتى تصيب الارض قطرة قطرة والجاهل
الى حد يذكر سببه برجم الظن ويقول انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه ويظن ان هذا
معرفة ويفرح بها ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه ومن الذي خلق الماء الذي
طبعه الثقل وما الذي رقى الماء المصبوب في اسافل الاشجار حتى يرتفع الى اعالي الاغصان
ثم يرتفع الى فوق في داخل تجاويف الاشجار شيئا فشيئا بحيث لا يرى ولا يشاهد
حتى ينتشر في جميع اوراق الاشجار فان كان الماء يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف
تحرك الى فوق فان كان بحدوث حادث فالذي سخر ذلك الحادث فان
كان ينتهي بالآخرة الى خالق السماء والارض عز وجل فلم لا يحال عليه في اول الامر
فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب
والافلاك وغيرها والارض والهواء وكل ما في الارض بالاضافة الى السموات

كقطرة من بحر بل اصغر وقد عظم الله تعالى امر السموات السبع والنجوم في كتابه العزيز
فكم من سورة تشتمل على تفخيمها وذكرها في مواضع منها وكم من قسم في القرآن
الكريم بها كقوله تعالى والنجم اذا هوى والشمس وضحيها فلا اقسم بالخنس الى غير ذلك مما
يطول ذكره فانظر الى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظنن ان معنى
النظر الى الملكوت بان تمد البصر اليه فترى زرقة السماء وكواكبها فان البهائم تشاركك في
هذا النظر فقد مدح الله تعالى ابرهيم عم بقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض ولو كان بهذا النظر لشاركه الخلائق فيه بل كلما يدرك بحاسة البصر فالقرآن
يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار يعبر عنه بالغيب والملكوت
فاطل ايها العاقل فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك في
اقطارها الى ان يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن سبحانه وتعالى وعند ذلك ربما يرجى
لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رض حيث قال رأى قلبي ربي وهذا لان البلوغ
الى الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شيء اليك نفسك ثم الارض
والهواء والنبات والحيوان وما على وجه الارض من العجائب والمعادن ثم ما
بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها وافلاكها ثم الملائكة وخزان
السموات ثم الكرسي ثم العرش وبعد تجاوز النظر منه الى رب العرش بعد ان تعرف
سر سير الشمس في فلكها على ترتيب مخصوص وارتفاعها الى وسط السماء وانحطاطها
الى الحضيض وطلوعها وغروبها المتعرف بذلك الليل والنهار وكذا ايلاج الليل في
النهار والنهار في الليل ودخول الزيادة فيهما والنقصان ومعرفة الصيف و
الشتاء والربيع والخريف وعجائب السموات لا مطمع في عشر عشير جزء من اجزائها
وانما هذا تنبيه على طريق الفكر فاعتقد على الجملة انه ما من كوكب من الكواكب الا
ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه وفي مقداره وقربه من وسط السماء او بعده و
قس ذلك بما ذكرناه من اعضاء بدنك فما من جزء الا وفيه حكمة وامر السماء اعظم
وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما في كبر الارض فانك ربما تعرف

كبر

كبر الارض بما وصف لك ولا تقدر ان تدور جوانبها فقد روي عن رسول
الله عم ان بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة
اربعين يوما فيها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله تعالى طرفة عين قالوا يا
رسول الله فاين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا
من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم ام لا فاذا عرفت هذا فانظر الى كبر
السماء اذ قد اتفق الناظرون من المهندسين على ان الشمس مثل الارض
مائة ونيفا وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكواكب التي اصغرها
مثل الارض ثمان مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة
مثل الارض وبهذا يعرف ارتفاعها وبعدها اذ بالبعد صارت ترى
صغارا فانظر الى كثرة كواكبها ثم انظر الى سرعة حركتها وانت لا تحس حركتها
فضلا عن ان تدرك سرعتها ولكن لا تشك انها تسير في لحظة مقدار عرض كوكب
لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه وذلك الكوكب هو مثل الارض
مائة مرة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور على
الدوام وانت غافل عنه فانظر كيف عبر جبرئيل عم عن سرعة حركته اذ قال
له رسول الله عم ازالت الشمس قال لا نعم قال فكيف تقول لا نعم قال من حين
قلت لا الى قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها والى خفة
حركتها ثم انظر الى قدرة القادر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها
في حدقة العين مع صغرها فالعجب انك تدخل بيت غني فتراه مزوقا بالصبغ
مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وانت تنظر الى هذا البيت
العظيم والى ارضه وسقفه والى عجائب صنعته واختلاف حيواناته و
بدائع نقشه ثم لا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه
وتذكره لهذا السبب الا انه بيت ربك سبحانه وتعالى الذي انفرد ببنائه و
ترتيبه فقد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك وشهوا

وغاية شهوتك ان تملأ بطنك ولا تقدر ان تأكل ما تأكله بهيمة وغاية حشمتك ان
تقبل عليك بعض الناس وربما ينافقونك بالسنتهم ويضمرون خبايث الاعتقاد
فيك وان صدقوك في مودتهم فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا
ولا حيوة ولا نشورا وقد يكون في اليهود والنصارى من تزيد جاهه على جاهك
عليك وقد اشتغلت بهذا الغرور عن النظر في ملكوت السموات والارض وعن
التنعم بالنظر الى جلال مالك الملكوت والملك وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة
تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان
مزين بالجواري والغلمان وانواع الذخاير والنفايس فانها اذا اخرجت من
جحرها ولقيت صاحبها لم تحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها
وعشائها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل
عنه وعن التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها
وبيتها الى غيرها وكما غفلت النملة عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه و
ساير بنيانه وغفلت ايضا عن سكانه فانت ايضا غافل عن بيت الله تعالى وعن
ملائكته عم الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة
منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك وتعرف عجايب قصرك
وبدايع الصنايع الذي فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول في الملكوت
وتعرف من عجايبه ما الخلق عنه غافلون فلنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه
مجال لا آخر له ولو استقصينا اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى به
علينا وكل ما عرفناه قليل بالاضافة الى ما عرفه العلماء والاولياء وما عرفوه
قليل بالاضافة الى الانبياء وجملة ما عرفوه قليل قليل بالاضافة الى ما عرفه
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما عرفه نبينا قليل بالاضافة الى ما عرفه الملائكة
المقربون كاسرافيل وجبرئيل عم ثم جميع علوم الملائكة والانس والجن اذا اضيف
الى علم الله تعالى لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا

نحوا اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال تعالى وما اوتيتم
من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي تجول فيها فكر المتفكرين في
خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة
معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت معرفة عجيب صنع الله تعالى
كانت معرفتك بجلاله اتم وهذا كما انك تعظم عالما لمعرفتك بعلمه ولا تزال تطلع
على غرايب الفاظه ومعانيه من تصنيفه تزداد به معرفة وتزداد له حبا وتوقيرا
وتعظيما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل شعر من اشعاره تزيده محلا في قلبك
ويستدعي التعظيم له في نفسك فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتأليفه وكل ما في الوجود
من خلق الله تعالى تصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منه بقدر
ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون
نظره سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته وما من
ذرة في السماء والارض الا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من
يشاء ومن نظر فيها من حيث انها فعل الله تعالى استفاد المعرفة بجلاله واهتدى
ومن نظر اليها قاصرا نظره عليها من حيث تأثير بعضها في بعض فقد شقي
وارتدى فنعوذ بالله من الضلال واسبابه تم كتاب التفكر والحمد لله رب
العالمين **كتاب ذكر الموت** اما بعد حمد الله تعالى والصلوة على رسوله صلعم
محمد وآله وصحبه فجدير لمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والقبر مقره ومنكر ونكير
جليسه والقيمة موعده والجنة والنار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت
ولا استعداد الا لاجله ولا اهتمام الا به ولا انتظار ولا تربص الا له وحقيق له
ان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب
والبعيد ما ليس بآت قال رسول الله عم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره على القلب
ولا تجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر في المنبهات

عليه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الآخرة والقيمة
والجنة والنار ما لابد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار
والاستبصار ليكون مستحثا على الاستعداد بعد قرب الرحيل فما بقي من العمر الا
القليل والخلق غافلون قال الله تع اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون
ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر الاول في مقدماته وتوابعه
الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب
فيه الثاني في ذكر طول الامل وقصره الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من
الاحوال عند الموت الرابع في وفاة رسول الله عم والخلفاء الراشدين بعده
الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين رض السادس في حقيقة
الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور الباب الثامن فيما عرف من احوال
الموتى بالمكاشفة في المنام الباب الاول في ذكر الموت والترغيب في الاكثار
من ذكره اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا
محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر له كرهه ونفر منه واولئك هم الذين
قال الله تع فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ثم ان الناس اما منهمك واما تايب مبتدئ
او عارف منتهي اما المنهمك فلا يذكر الموت واذا ذكره فيذكره للتاسف على دنياه
وهذا يزيده ذكر الموت من الله تع بعدا فاما التايب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث
من قلبه الخوف والخشية فيدوم على التوبة وربما يكره الموت خيفة ان يختطفه قبل
تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد ولا يدخل هذا تحت قوله عم من كره لقاء الله
كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت في لقاء الله تع وانما يخاف فوت لقاء
الله تع لقصوره وتقصيره وعلامته ان يكون دايم الاستعداد لا شغل له
سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دايما لانه
موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهو في غالب الامر يستبطئ

يحب الموت ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي
عن حذيفة رض انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم
ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت
احب الي من الحيوة فسهل علي الموت حتى القاك فاذا التايب معذور في
كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت واعلى منهما رتبة من فوض
امره الى الله تع لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشياء اليه احبها
الى مولاه وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب فان المنهمك في الدنيا يستفيد
بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ يتنغص عليه نعيمه وكل ما يكدر على الانسان
الشهوات فهو من اسباب النجاة بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان قال
رسول الله عم اكثروا ذكر هادم اللذات معناه نغصوا بها اللذات
حتى ينقطع ركونكم اليها فيقبلوا على الله تع وقالت عايشة رض يا رسول الله
هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة
وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور
ويقتضي الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في
شهوات الدنيا فقال صلعم تحفة المومن الموت وهذا لان الدنيا سجنه اذ
لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه وشهواته ومدافعة شيطانه وقال الربيع بن خثيم
رض ما غايب ينتظره المومن خيرا له من الموت وكان عمر بن عبد العزيز رض
يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيمة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم
جنازة وقد قال رسول الله صلعم الموت كفارة لكل مسلم وهذا انما يكون
للمسلم على التحقيق وهو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده ولم يتدنس من
المعاصي الا باللمم والصغاير فالموت يطهره منها بيان الطريق في تحقيق ذكر
الموت اعلم ان الموت هايل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه و
ذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق

فيان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت فاذا باشر ذكر الموت قلبه
فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا واوقع الطريق
فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله ويتذكر موتهم ومصارعهم
تحت التراب وكيف ارملوا نسآءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت
منهم مساجدهم فمهما تذكر رجل رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وكيف
كان نشاطه وتردده في اماله وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك
واللهو والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل
الدود لسانه وانه كيف كان يدبر لنفسه ما يحتاج اليه الى عشر سنين مثلا في وقت
لم يكن بينه وبين الموت الا يسير وهو غافل عما يراد به بعد الموت ثم ينظر بعد
ذلك في نفسه وانه مثلهم وغفلته كغفلتهم ويكون عاقبته كعاقبتهم فملازمة
هذه الافكار مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت
في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان
قليل الجدوى ومهما طابت شي من الدنيا فينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من
مفارقته نظر ابن مطيع يوما الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى وقال والله لولا
الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا
اعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته وقال ابو الدردآء رض اذا ذكرت
الموتى فعد نفسك كاحدهم وقد قيل السعيد من وعظ بغيره **الباب الثاني** في طول
الامل وفضيلة قصر الامل وكيفية معالجته قال رسول الله صلعم لعبد الله بن عمر رض
اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسآء واذا امسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح وخذ من حيوتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما
اسمك غدا وقال صلعم ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول
الامل اما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا
ثم قال الا ان الله تع يعطي لمن يحب ويبغض فاذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان

للدين

للدين ابنا وللدنيا ابنا فكونوا من ابنآء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا
الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم
يوشكون في يوم حساب ليس فيه عمل وعن ابن عباس رض ان رسول الله صلعم كان
يخرج لهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله ان الماء منك قريب
فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وحكي ان شقيقا البلخي رض جاء الى استاد له يقال
له ابو هاشم الرماني رض وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له استاده ايش
هذا معك قال لوزات دفعها الي اخ لي وقال احب ان تفطر عليها فقال يا شقيق
وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدا واغلق في وجهه الباب
وقال الثوري رض الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا لبس العبآء
وروي ان معروف الكرخي اقام الصلوة فقال لمحمد بن ابي توبة قال لي
تقدم فقلت ان صليت بكم هذه الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف
وانت تحدث نفسك ان تصلي صلوة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه
يمنع خير العمل **بيان** السبب في طول الامل وعلاجه اعلم ان طول الامل له سببان
احدهما الجهل والآخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها
وعلايقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن التفكر في الموت الذي هو
سبب مفارقتها فكل من كره شيا دفعه عن نفسه والانسان مشغول بالاماني
الباطلة فهو يمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وهو البقآء في الدنيا فلا يزال
يتوهمه ويقدره في نفسه فيشتغل بتحصيل اسباب البقآء وما يحتاج اليه من مال
ودار ودواب واصدقآء واولاد ومعيشة وساير اسباب الدنيا ويصير قلبه
عاكفا على هذا الفكر فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في
بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال
الايام بين يديك الى ان تكبر ثم تتوب فاذا كبر يقول الى ان تصير شيخا فاذا صار
شيخا قال الى ان تفرغ من عمارة هذه الدار وتفرغ من تربية هذا الولد

او تنوع من قهر هذا العدو فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق
باتمام ذلك الشغل عدة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم الى ان
تخطفه المنية فتطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون
واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم
هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض
في الدنيا فراغ قط وهيهات فما فرغ منها الا من اطرحها فما قضى احد الا لبانته
كما قيل
وما انتهى ارب الا الى ارب واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة
عن معنى قوله عم احبب من احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان
يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين في ان مشايخ
بلده لو عدوا لربما كانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب
اكثر فالى ان يموت شيخ يموت من الشبان والصبيان جملة كثيرة وقد يستبعد الموت
لصحته ويستبعد الموت فجاءة ولا يدري ان ذلك غير بعيد فان كان بعيدا فالمرض
فجاءة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاءة ولو تفكر علم ان الموت ليس له وقت مخصوص
من شباب وكهولة ومن صيف وشتاء وربيع وخريف ومن ليل ونهار ولكن
الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن الموت
القريب فهو ابدا يظن الموت بين يديه ولا يقدر نزوله به وهو يشيع الجنازة
ولا يقدر ان يشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو يشاهد موت غيره
فاما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور ان يألفه لانه لم يقع فاذا وقع لم يقع دفعة
اخرى بعده في الدنيا وسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد ان يحمل جنازته
ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وهو لا يدري فتسويفه جهل محض واذا
عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي
من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلب شديد وهو الداء العضال الذي
اعيى الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر وبما فيه

من

من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه
حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير خصوصا اذا رأى
حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة فانه يستنكف ان يلتفت الى الدنيا ولو اعطي
ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير
منغص فكيف يفرح بها او يترسخ في القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله
ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت
في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وكيف جاءهم الموت
في وقت لم يحتسبوا اما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا
بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اعضائه واطرافه
وليتدبر في انها كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامه وليتفكر
في ان الدود يبتدئ بحدقته وعلى الجملة فما من بدنه شيء الا وهو طعمة الدود و
ماله من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر في عذاب القبر
وسؤال منكر ونكير والحشر والنشر واحوال القيامة وقرع النداء يوم العرض
الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى
الاستعداد له **بيان** مراتب الناس في طول الامل وقصره اعلم ان الخلق في ذلك
متفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهيه ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف
سنة ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم قال رسول الله عم الشيخ شاب في حب اثنتين
الحديث وفي آخر الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر
الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يأمل الى سنة ولا يشتغل بتدبير ما وراءها
ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي
الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة
الصيف او الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف
ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما الغد فلا ومنهم

من لا يجاوز امله ساعة كما قال نبينا عم يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمسا
واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة كان
رسول الله عم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم
من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به وهذا هو الذي يصلي صلوة مودع وفيه
ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رض لما ساله رسول الله عم عن حقيقة ايمانه فقال
ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة
الى العمل لان كل انسان يدعي قصر الامل وهو كاذب وانما يظهر باعماله فان كان
يعتني باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنة فيدل ذلك على طول الامل واما علامة الموفق
ان يكون الموت نصب العين فلا يغفل ساعة عن الاستعداد فان عاش الى ساعة
اخرى شكر الله تع واشتغل ايضا ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ قلبه عن الغد وما يكون
فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجات فالموت له سعادة
والحياة له مزيد بيان المبادرة الى العمل حذرا من آفة التاخير اعلم ان من له اخوان غائبان
ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر او سنة فلا يستعد الآن للذي يقدم
الى شهر او سنة وانما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار
فمن انتظر مجي الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم
وهو منتظر للسنة بكمالها ولا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل
ابدا فانه يرى لنفسه متسعا في ذلك السنة فيؤخر العمل كما قال رسول الله عم ما ينتظر
احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا
او الدجال والدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وقال صلعم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله هي الجنة
وقال صلعم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في
آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال السري رض في قوله تع ليبلوكم ايكم احسن عملا
اي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا واشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة

رض ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق
ذلك قوله تع انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت
وقال المنذر سمعت مالك بن دينار رض يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الموت
ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني واجتهد
ابو موسى الاشعري رض قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو رفقت بنفسك بعض
الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت رأس مجراها اخرجت جميع ما عندها
والذي بقي من اجلي اقل من ذلك فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامرأته
شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا
قوما صيح بهم فانتبهوا وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا بها واستعدوا
للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة
لجدير بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار يجري بسرعة الاوبة
وان قادما يحل بالفوز والشقوة لمستحق لافضل العدة فرحم الله عبدا
اتقى الله وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه واملة خادع
له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم
منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان
ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه
الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا يبطره نعمة ولا تحول عن طاعة الله تع معصية
ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما فعال لما يريد وقال
بعض المفسرين في قوله تع فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم
قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور
وقال الحسن رض تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف
يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال
ابن مسعود رض ما منكم احد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل

والعارية مؤداة قال ابو عبيدة الناجي دخلنا على الحسن رض في مرضه الذي مات فيه
فقال مرحبا بكم واهلا حياكم الله واحلنا واياكم دار المقامة هذه علامة حسنة
ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكون حظكم من هذا الخبر رحمكم الله ان تسمعوه بهذه
الاذان وتخرجوه من هذه الاذان فانه من راى محمدا صلعم فقد راه غاديا ورايحا
لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا
النجا النجا على ما تعرجون انتم ورب الكعبة كانكم والامر معا فرحم الله امرا جعل
العيش عيشا واحدا فاكل كسيرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة
وبكى على الخطية وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك
وقال فضيل الرقاشي رض يا هذا لا يشغلك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص
اليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شي، فان الامر
محفوظ لذنب قديم وكان الحسن رض يقول المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت
عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله تع فرحم الله امرا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه
ثم قرا هذه الآية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر
العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك في قبرك وقال ابن عمر رض خرج رسول الله عم
والشمس على اطراف السقف فقال ما بقي من الدنيا من يومنا هذا في مثل ما مضى منه

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت اعلم
انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين هول ولا عذاب ولا كرب سوى سكرات الموت
لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره وتفارقه شهوته وغفلته
وحقيقا بان يطول فيه فكره ويعظم له استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده
قال لقمان يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفاجيك والعجب ان الانسان
لو كان في اعظم اللذات وانتظر ان يدخل عليه جندي فيضرب بخشبة لتكدرت عليه
لذته وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو
غافل عنه وما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت

لا يعرفها

لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الآلام
التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس
الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه روح فالمدرك
للالم هي الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري
الى الروح تتالم والمولم يتفرق الى اللحم والدم وساير الاجزا فلا يصيب الروح
الا بعض الاثر فان كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم
ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مولم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع
اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به
الالم فانه المنزوع المجذوب من كل عرق وعصب ومفصل وعظم ومن اصل كل
شعرة وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسال عن كربه والمه حتى قالوا الموت
اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وانما يستغيث المضروب
ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وانما ينقطع صوت الميت وصياحه مع
شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد الى قلبه فلم يبق له قوة الاستغاثة
اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد اضعفها
ولقد يود انه لقدر على الانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر فان بقيت
فيه قوة سمعت له عند نزع الروح خوارا وغرغرة من حلقه وصدره ثم يموت كل
عضو من اعضائه تدريجا ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ
الروح الحلقوم وعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب
التوبة ويحيط به الحسرة والندامة قال رسول الله صلعم تقبل توبة العبد ما لم يغرغر
وقال مجاهد رض في قول الله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
اذا جاء احدهم الموت قال اني تبت الآن قال اذا عاين الرسول فعند ذلك تبدو له
صفحة وجه ملك الموت عم فلا تسال عن مرارة طعم الموت وكربه عند ترادف
سكراته ولذلك كان رسول الله عم يقول اللهم هون على سكرات الموت والناس

انما لا يستعدون له ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور
النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء عم والاولياء من الموت قالت عايشة
رض لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رايت من شدة موت رسول الله
عم وقال علي رض والذي نفسي بيده الف ضربة بالسيف اهون من موت على الفراش
وقال الاوزاعي رض بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث وروي عن
رسول الله عم انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض
لماتوا باذن الله تع لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا مات ويروى
لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وقال رسول الله
عم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها
على بعض يقول السلام عليك تفارقني وافارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت
على اولياء الله تع واحبائه فما حالنا ونحن منهمكون في المعاصي ويتوالى علينا مع سكرات
الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاثة الاول شدة النزع كما ذكرناه
الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فان
صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب لا يطاق رؤيتها فقد روي ان ابرهيم
عم قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر
قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو رجل اسود
قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي
على ابرهيم عم ثم افاق وقد عاد ملك الموت عم الى صورته الاولى فقال يا ملك
الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان حسبه فهذه حالة يلقيها العصاة
دون المطيعين اما المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها فقد روي عن ابن عباس
رض ان ابرهيم عم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات
ذات يوم فاذا برجل في البيت فقال من ادخلك في داري فقال ادخلنيها ربها
فقال انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك فقال ومن انت من الملائكة

قال انا ملك الموت قال اتستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن
قال نعم فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا شاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه
وطيب ريحه فوق الوصف فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت الا صورتك
كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب رض بلغنا انه ما من ميت يموت
حتى يتراءى له الملكان الكاتبان عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب
مجلس صدق اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا لا جزاك الله عنا
خيرا فرب مجلس سوء اجلستنا وعمل غير صالح قد احضرتنا وكلام قبيح قد اسمعتنا
فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص الميت اليهما ولا يرجع الى الدنيا ابدا الداهية
الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم من المشاهدة فانهم
في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ما لم تسمع
نغمة ملك الموت باحدى البشارتين ابشر يا ولي الله بالجنة او ابشر يا عدو الله بالنار
ومن هذا كان خوف ارباب الالباب قال رسول الله عم لن يخرج احدكم من الدنيا
حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال صلعم من احب لقاء
الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت
قال ليس ذلك بذلك ان المؤمن اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله
لقاءه وقال محمد بن واسع رض عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام الى النار
او يعفو الله تع وخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة
عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة في كتاب الخوف والرجاء وهو لايق بهذا
الموضع ولكنا لا نطول باعادته بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت فيقول
ان المحبوب عند الموت الهدو والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة
ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تع اما الصورة فقد روي عن النبي عم انه قال
ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من
من رحمة الله تع قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه وازبدت

شفاه فهو من عذاب الله تعالى قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة
الخير قال رسول الله عم لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانها تهدم ما قبلها من الخطايا
وينبغي ان لا يلح الملقن في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان المريض
فيشق ذلك عليه ويودي الى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى ان يكون
ذلك سبب سوء الخاتمة والعياذ بالله من ذلك وانما معنى هذه الكلمة ان يموت الرجل
وليس في قلبه غير الله تعالى فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق عز وجل كان قدومه
بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها
متاسفا على لذاتها وكانت الكلمة على طرف اللسان ولم ينطو القلب على تحقيقها
وقع الامر في خطر المشية فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله
تعالى بالقبول واما حسن الظن بالله تعالى فهو مستحب في هذا الوقت قال رسول الله صلعم
يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل صلعم على شاب وهو يموت
فقال كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال صلعم ما اجتمعا في قلب عبد في
مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى الذي يرجو وآمنه مما يخاف وقال المعتمر قال
ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله تعالى وانا احسن الظن به
وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته ليحسن ظنه بربه تعالى بيان الحسرة
عند لقاء ملك الموت عم بحكايات تعرب بلسان الحال عنها روي ان رجلا
جمع مالا فاوعى ولم يدع صنفا من المال الا اتخذه وابتنى قصرا وجعل له بابين وثيقين
وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع اهله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع
احدى رجليه على الاخرى وهم ياكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي سنين فقد
جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى اقبل اليه ملك الموت عم في صورة
رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين فقرع الباب بشدة
عظيمة قرعا افزعه وهو على فراشه فوثب اليه الغلمان وقالوا ما شانك فقال
ادعوا الي مولاكم فقالوا والى مثلك يخرج مولانا قال نعم فاخبروه بذلك فقال

هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة اشد من الاولى فوثب اليه الحرس فقال
اخبروه اني ملك الموت فلما سمعوه القى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل
والتخشع فقال قولوا له قولا لينا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما انت صانع
فاني لست بخارج منها حتى اخرج نفسك فامر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين
رآه لعنك الله من مال انت شغلتني عن عبادة ربي فانطق الله المال فقال
لم تسبني وقد كنت تدخل على السلطان بي وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس
في مجالس الملوك بي وترد المتقين عن بابك وتنفقني في سبيل الشر ولو انفقتني
في سبيل الخير نفعتك خلقت ابن آدم من تراب فمنطلق باثم ثم قبض ملك الموت
عم روحه وقال وهب بن منبه رض قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة
ثم عرج الى السماء فقالت الملائكة لمن كنت اشد رحمة ممن قبضت روحه قال امرت
بقبض روح نفس امراة في فلاة من الارض فاتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها
لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد لها فقالت الملائكة عم
الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت
سبحان اللطيف لما يشاء وقال وهب رض ايضا كان ملك من الملوك اراد ان يركب
الى ارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذلك
طلب دابة فلم تعجبه حتى اتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ في منخره نفخة فملاه
كبرا ثم سار وهو لا يلتفت ولا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه
فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما
قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الا الآن فقهره على لجام دابته فقال
اذكرها قال هو سر فادنى اليه راسه فساره فقال انا ملك الموت فتغير لون الملك
واضطرب لسانه فقال دعني حتى ارجع الى اهلي واودعهم قال لا والله لا ترى
اهلك ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فلقي عبدا مؤمنا في تلك الحال فسلم
فرد السلام فقال ان لي حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره وقال

انا ملك الموت مرحبا واهلا لمن طالت غيبته على فوالله ما كان فی الارض غايب
احب الی ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التی خرجت لها فقال ما
حاجة اكبر عندی ولا احب من لقاء الله تعالى قال فاختر على ای حال شئت ان
اقبض روحك فيه قال اتقدر على ذلك قال نعم انی امرت بذلك قال تدعنی حتی اتوضا
واصلی فاقبض روحی وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال الحسن رضه ما من يوم
الا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه
وانقضى اجله قبض روحه فاذا قبض روحه اقبل اهله برنة وبكاء فياخذ ملك الموت
بعضادتی الباب فيقول والله ما اكلت له رزقا ولا افنيت له عمرا ولا نقصت
له اجلا وان لی فيكم لعودة ثم عودة حتى لا ابقى احدا منكم قال الحسن رضه فوالله
لو يسمعون كلامه ويرون مقامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على انفسهم وقد ذكر
من هذا الجنس حكايات كثيرة تركتها للاختصار **الباب الرابع** فی وفاة رسول
الله عم والخلفاء الراشدين رض اعلم ان فی رسول الله عم اسوة حسنة حيا
وميتا وفعلا وقولا وجميع احواله عبرة للناظرين وبصيرة للمستبصرين اذ لم يكن
احد اكرم على الله تعالى منه اذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وصفيه ورسوله ونبيه
فانظر هل امهله ساعة عند انقضاء مدته وهل اخره ساعة بعد حضور منيته لا بل
ارسل اليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض ارواح الانام فجذبوا بروحه الزكية
الكريمة لينقلوها عن جسده الطاهرة الى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل الى
مقعد صدق فی جوار الرحمن تعالى فاشتد مع ذلك من النزع كربه وظهر انينه وترادف
قلقه وارتفع حنينه وعرق جبينه واضطرب فی الانقباض والانبساط شماله و
يمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رايت منصب
النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك فيه اهلا وعشيرا وهل سامحه اذ
كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان به مامورا واتبع
ما وجده فی اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض

المورود وهو اول من تنشق عنه الارض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب انا
لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما يلقاه بل نحن اسراء الشهوات وقرناء المعاصی
والسيئات فما لنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وامام المتقين وحبيب
العالمين فلعلنا نظن انا مخلدون ونتوهم من سوء حالنا وافعالنا
انا عند الله تعالى مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن انا جميعا على النار واردون
ثم لا ينجو منها الا المتقون فانحن والله من المتقين وقد قال الله تعالى وان
منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجی الذين اتقوا ونذر
الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد الى نفسه انه الى الظالمين اقرب ام الى
المتقين وانظر الى نفسك بعد ان تنظر الى سيرة السلف رض ولقد كانوا
مع توفيقهم خايفين ثم انظر الى سيد المرسلين عم فانه كان من امره على
يقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب
الى جنة الماوی قال ابن مسعود رضه دخلنا على رسول الله عم فی بيت امنا
عايشة رضه حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه عم مرحبا بكم حياكم
الله اواكم الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصی بكم انی لكم نذير مبين الا
تعلوا على الله فی عباده وبلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى
والى جنة الماوی والكاس الاوفى فاقرؤا على انفسكم وعلى من دخل فی دينكم بعدی السلام
ورحمة الله روی انه عم قال لجبريل عند موته من لامتی بعدی فاوحى الله تعالى الى جبريل
عم ان بشر حبيبی انی لا اخذله فی امته وبشره انه اسرع الناس خروجا من الارض اذا
بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة على الامم حتى يدخلها امته فقال الان قرت
عينی وقالت عايشة رض امرنا رسول الله عم ان نغسله بسبع قرب من سبع ابار
ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى
بالانصار فقال اما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون واصبحت الانصار لا
تزيد على هيئتها التی عليها اليوم وان الانصار عيبتی التی اويت اليها فاكرموا

كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار
ما عند الله فبكى ابو بكر رض فقال النبي عم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب
الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرءا افضل عندي في الصحبة
من ابي بكر رض قالت عايشة رض فقبض صلعم في بيتي ومن يومي وبين سحري
ونحري وجمع الله تع بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي اخي عبد الرحمن وبيده
سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت آخذه لك فاوما براسه اي نعم فلينته
وكان بين يديه ركوة ما فجعل يدخل يده فيها ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات
ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى فقلت اذن والله لا يختارنا وروى ان
الانصار رض لما ازداد مرض رسول الله عم اطافوا بالمسجد فدخل العباس رض
على النبي عم واعلم بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضيل رض فاعلمه ذلك ثم
دخل عليه علي رض بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما يقولون نخشى
ان يموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم فثار رسول الله عم فخرج متوكيا
على علي والفضيل والعباس امامه ورسول الله عم معصوب الراس يخط برجليه
حتى جلس في اسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله تع واثنى عليه وقال
يا ايها الناس انه بلغني انكم تخافون على الموت كانه استنكار منكم للموت وما
تنكرون من موت نبيكم الم انع اليكم وانعي اليكم انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث
فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين
خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله سبحانه قال والعصر ان الانسان لفي خسر
الا الذين آمنوا الى آخرها وان الامور تجري باذن الله تع فلا يحملنكم استبطاء
امر على استعجاله فان الله سبحانه لا يعجل لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع
الله خادعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم
بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ان يحسنوا اليكم الم
يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يؤثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة

وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا
عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض حوضي عرضه عرض
ما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء اشد بياضا من اللبن
والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا حصباؤه من اللولو
وبطحاؤه من مسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله الا فمن احب ان يرده علي
غدا فليكفف لسانه ويده الا مما ينبغي فقال العباس رض يا نبي الله اوص بقريش
فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم
يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم واذا
فجر الناس عقوهم قال الله تع وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون
وروى ابن مسعود رض ان النبي عم قال لابي بكر رض سل يا ابا بكر فقال يا رسول
الله دنى الاجل فقال قد دنى الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت
شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة الماوى والعرش
الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنى فقال يا نبي الله من
يلي غسلك قال رجل من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك فقال في ثيابي هذه
وفي حلة يمانية وفي بياض مصر فقال كيف الصلوة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال
مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري
في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي الله تع هو
الذي يصلي عليكم وملائكته ثم ياذن للملائكة في الصلوة علي فاول من يدخل من
خلق الله ويصلي علي جبرئيل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم
الملائكة باجمعهم صلى الله تعالى عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا فصلوا
افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ثم زمرة النساء ثم زمرة الصبيان قال
فمن يدخل القبر قال رجل من اهل بيتي الادنى فالادنى ولا يوذيني بتزكية ولا صيحة
ولا رنة وليبدأ منكم الامام واهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم

وهم يرونكم قوموا فادوا عنى الى من بعدى وقالت عايشه رض لما كان اليوم
الذى مات فيه رسول الله عم راوا منه خفة فى اول النهار فتفرق عنه الرجال
الى منازلهم مستبشرين واخلوا رسول الله عم بالنساء فبينا نحن على ذلك قال
رسول الله عم اخرجن عنى هذا الملك يستاذن على فخرج من فى البيت غيرى ورأسه
فى حجرى وتنحيت فى ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعانى فاعاد رأسه فى
حجرى وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبرئيل عم فقال عم يا عايشه هذا
ملك الموت جاءنى فقال ان الله تعالى ارسلنى وامرنى ان لا ادخل عليك الا باذن
فان لم تاذن لى ارجع فان اذنت لى دخلت وامرنى ان لا اقبضك حتى تامرنى
فماذا امرك فقلت اكفف حتى ياتى جبرئيل عم فهذه ساعة جبرئيل عم قالت عايشه
رض فاستقبلنا بامر لم يكن عندنا له جواب ولا رأى فوجمنا وكانما ضربنا بصاخة
ما نحير اليه شيا وما يتكلم احد من اهل البيت اعظاما لذلك وهيبة ملأت اجوافنا
قالت فجاء جبرئيل عم ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذى تجد منك ولكن اراد
ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان يكون سنة
امتك فقال اجدنى وجعا فقال ابشر فان الله تعالى اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال يا
جبرئيل عم ان ملك الموت استاذن على واخبره الخبر فقال جبرئيل عم يا محمد ان
ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذى يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت
على احد قط ولا يستاذن عليه ابدا الا ان ربك يتم شرفك وهو اليك مشتاق
قال فلا تبرح اذا حتى يجىء واذن للنساء فقال ادنى يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها
فرفعت رأسها وعيناها تدمعان وما تطيق الكلام وكان الذى رأينا منها عجبا
فسألنا ما بعد ذلك فقالت اخبرنى وقال انى ميت اليوم فبكيت ثم قال انى
دعوت الله تعالى ان يلحقك بى فى اول اهلى وان يجعلك معى فضحكت وادنت ابنيها
منه فشمهما قالت فجاء ملك الموت عم فسلم فاستاذن فاذن له فقال ملك الموت
ما تامر يا محمد فقال الحقنى بربى الآن فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق

ولم يترده عن احد تردده عنك ولم ينهنى عن الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن
ساعتك امامك فالت وخرج جبرئيل عم فقال عليك السلام يا رسول الله
هذا آخر ما انزل الا الى الارض ابدا طوى الوحى وطويت الدنيا وما كانت لى
فى الارض حاجة غيرك وما لى فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفى فلا والذى
بعث محمدا بالحق ما فى البيت احد يستطيع ان يحير اليه فى ذلك كلمة ولا يبعث الى
احد من رجاله لعظم ما سمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت الى النبى
صلعم حتى وضعت رأسه بين ثديى فامسكت بصدره وجعل يغمى عليه وجبهته ترشح رشحا
ما رأيته من انسان قط فجعلت اسلت العرق وما وجدت رائحة شىء قط اطيب
منه فكنت اقول له اذا افاق بابى وامى ونفسى واهلى ما تلقى جبهتك من الرشح
فقال يا عايشه ان نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس
الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان اول رجل جاءنا ولم يشهده
اخى بعثه الى ابى فمات رسول الله عم قبل ان يجىء احد وانما صدهم الله عنه لانه
ولاه جبرئيل وميكائيل وكان اذا اغمى عليه يقول بل الرفيق الاعلى وكان الخيرة
تعاد عليه فاذا اطاق الكلام قال الصلاة الصلاة انكم لا تزالون متماسكين
ما صليتم جميعا الصلوة الصلوة وكان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلوة
الصلوة قالت عايشه رض مات رسول الله عم بين ارتفاع الضحى وانتصاف
النهار يوم الاثنين وسجى عم بثوب واختلفوا فى موت رسول الله عم فكذب
بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام
بغير بيان واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب رض فيمن كذب بموته وعلى رض
فيمن اقعد وعثمان رض فيمن اخرس فخرج عمر رض على الناس فقال ان رسول الله عم
لم يمت وليرجعنه الله تعالى وليقطعن ايديا وارجلا من رجال من المنافقين يتمنون
لرسول الله عم الموت انما واعده ربه عز وجل كما واعد موسى عم وهو آتيكم واما
العباس رض فقال والله الذى لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله عم الموت

ولما بلغ ابا بكر رض الخبر دخل بيت رسول الله عم وهو يصلي على النبي عم وعيناه
تهملان فاكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي
وهو يقول بابي انت وامي ونفسي واهلي طبت حيا وميتا حتى صرت انقطع بموتك
ما لم ينقطع بموت احد من الانبياء عم فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت
حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا
منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون
اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة
لم يقم احد لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا ثم خرج الى
الناس فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد
رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تع وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية وكان الناس لم يسمعوا هذه الآية
الا يومئذ وفي رواية ابن عمر رض انه لما دخل ابو بكر رض البيت وصلى واثنى
عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى فما سكن عجيجهم الا تسليم رجل على الباب صيت جلد
قال السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الآية ان في الله خلفا من
كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فقطعوا البكاء
فلما انقطع البكاء فقد صوته ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته
يا اهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال فكونوا من المخلصين ان في الله
عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال
ابو بكر رض هذا الخضر واليسع عم حضرا النبي عم وقال علي رض اردنا خلع قميص رسول
الله عم فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله عم ثيابه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا
مستلقيا ما نشاء ان يقلب لنا عضو لم نبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ منه وان
معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء وصوت ينادي ارفقوا برسول الله عم فانكم
ستكفون فهكذا كانت وفاة رسول الله عم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا دفن معه

قال

قال ابو جعفر رض فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان
يلبس يقظانا على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في اكفانه ولم يترك بعد وفاته
مالا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وفي وفاته صلعم عبرة
تامة وللمسلمين به اسوة حسنة صلعم **وفاة ابي بكر الصديق رض** لما احتضر
ابو بكر رض جاءت عايشة رض وتمثلت بهذا البيت • لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر • فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن
قولي وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين
فاغسلوهما وكفنوني فيهما فان الحي الى الجديد احوج من الميت وقالت عايشة رض
عند موته • وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ربيع اليتامى عصمة للارامل • فقال ابو بكر
رض ذلك رسول الله عم ودخلوا عليه فقالوا له الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك
فقال قد نظر الي طبيبي وقال اني فعال لما اريد ودخل عليه سلمان رض يعوده
فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله تع فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها الا بلاغكم
واعلم ان من صلى الصبح فهو في ذمة الله تع فلا تخفرن الله تع في ذمته فيكبك في
النار على وجهك ولما ثقل ابو بكر رض اراد ان يستخلف عمر رض فقال الناس
استخلفت علينا فظا غليظا فما ذا تقول لربك قال اقول استخلفت على خلقك
خير خلقك ثم ارسل الى عمر رض فجاء فقال اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في
النهار لا يقبله في الليل وان له حقا في الليل لا يقبله في النهار وانه لا يقبل النافلة حتى
تؤدى الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم
الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت
موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق
لميزان لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف وان الله تع ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم و
تجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل انا دون هولاء ولا ابلغ منزلة هولاء وان
الله تع ذكر اهل النار باسوأ اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل

انا افضل من هؤلآء وان الله تعالى ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن
راغبا راهبا ولا يلقى بيديه الى التهلكة ولا يتمنى على الله تعالى غير الحق فان حفظت
وصيتى هذه فلا يكونن غايب احب اليك من الموت ولست بمعجزه واوصى رض
الله عنه بعض احبايه بهذا الدعاء وذكر فيه فضلا كثيرا وهو اللهم انك ابتدأت
الخلق من غير حاجة بك اليهم ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلنى
للنعيم ولا تجعلنى للسعير اللهم انك خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم
فجعلت منهم شقيا وسعيدا فلا تشقنى بمعاصيك اللهم انك علمت ما تكتب كل
نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لهم مما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك اللهم
ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيتك ان اشاء ما يقربنى اليك اللهم انك
قدرت حركات العباد فلا يتحرك شىء الا باذنك فاجعل حركاتى فى تقواك اللهم
انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به فاجعلنى من خير
القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما اهلا فاجعلنى
من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم
فاشرح صدرى للايمان وزينه فى قلبى اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها
اليك فاحينى بعد الموت حيوة طيبة وقربنى اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى
ثقته ورجاؤه غيرك فانك ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابوبكر
رض هذا كله فى كتاب الله تعالى وقال من قال هؤلآء الكلمات جعل الله روحه فى
الافق المبين من بين يدى العرش **وفاة عمر رضى الله عنه** قال عمرو بن ميمون كنت
قائما غداة اصيب عمر رض ما بينى وبينه الا عبد الله بن عباس رض وكان اذا مر
بين الصفين قام بينهما فاذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم وكبر
فان ربما قرا سورة يوسف عم او النحل او نحو ذلك فى الركعة الاولى حتى يجتمع
الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلنى واكلنى الكلب حين طعنه ابو لؤلؤة
فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر

رجلا فمات منهم تسعة وقيل سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا
فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف رض فقدمه فامن
كان يلى عمر رض فقد راى ما رايت واما نواحى المسجد فلا يدرون ما الامر
الا انهم فقدوا صوت عمر رض وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم
عبد الرحمن رض صلوة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلنى قال
فغاب عنه ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة فقال قاتله الله لقد كنت امرت
به معروفا ثم قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى على يد رجل مسلم قد كنت انت
وابوك تحبان ان يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس رض اكثرهم رقيقا فقال
ابن عباس رض ان شئت فعلت اى ان شئت قتلناهم قال بعدما تكلموا بلسانكم
وصلوا الى قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس
لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقائل يقول اخاف عليه وقائل يقول لا
باس فاتى بنبيذ فشرب منه فخرج من جرحه ثم اتى بلبن فشرب منه فخرج من جرحه
فعرفوا انه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء شاب
فقال ابشر يا امير المؤمنين ببشرى من الله تعالى قد كان لك من صحبة رسول الله عم
وقدم فى الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة فقال وددت
ان ذلك كان كفافا لا علىّ ولا لى فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال
ردوا علىّ الغلام فقال يا ابن اخى ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم
قال يا عبد الله انظر ما علىّ من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوه
فقال ان وفى به مال آل عمر فاده من اموالهم والا فاسال فى بنى عدى بن كعب
فان لم تف اموالهم فاسال فى قريش ولا تعدهم الى غيرهم واد عنى هذا المال
وانطلق الى ام المؤمنين عايشة رض فقل عمر يقرا عليك السلام ولا تقل امير
المؤمنين فانى لست اليوم للمؤمنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن
مع صاحبيه فذهب عبد الله فسلم فاستاذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة

فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن ان يدفن مع صاحبيه فقالت
كنت اريده لنفسي ولأوثرنه اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد
جاء فقال ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك فقال الذي تحب يا امير المؤمنين قد
اذنت فقال الحمد لله ما كان شيء اهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم
سلم وقل يستأذن عمر فان اذنت لي فادخلوني وان ردتني ردوني الى
مقابر المسلمين وجاءت ام المؤمنين حفصة رض والنساء يسترنها فلما رأيناها
قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلا فسمعنا
بكاءها من الداخل فقالوا اوص يا امير المؤمنين استخلف قال ما ارى احق بهذا
الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله عم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان
والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وقال يشهدكم عبد الله بن عمر رض
وليس له من الامر شيء كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذاك والا
فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله من عجز ولا خيانة وقال اوصي الخليفة من بعدي
بالمهاجرين الاولين ان يعرف فضلهم ويحفظ حرمتهم واوصيه بالانصار
خيرا الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم
واوصيه باهل الامصار خيرا فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ العدو و
لا يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب
ومادة الاسلام ان يؤخذ من حواشي اموالهم ويرد على فقرائهم واوصيه
بذمة الله تع وذمة رسوله عم ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم
ولا يكلفوا الا طاقتهم فلما قبض رض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله
بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب رض فقالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك
مع صاحبيه الحديث وعن النبي عم قال لي جبريل ليبك الاسلام على موت
عمر رض وعن ابن عباس رض قال وضع عمر رض على سريره فيكتنفه الناس يدعون
ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي فالتفت

فاذا هو علي بن ابي طالب رض يترحم على عمر رض وقال ما خلفت احدا احب الي
ان القى الله تع بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ان يجعلك الله مع صاحبيك
ثم قال اني كنت كثيرا اسمع النبي عم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت
انا وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو ولاظن ان
يجعلك الله تع معهما **وفات عثمان رضي الله عنه** الحديث في قتله مشهور
وقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان رض لاسلم عليه وهو محصور فدخلت
عليه فقال مرحبا يا اخي رأيت رسول الله عم في هذه الخوخة في البيت فقال
يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فادلى لي دلوا فيه ماء فشربت
حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت
عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده عم فقتل في ذلك
اليوم رض وقال عبد الله بن سلام رض لمن حضر تشحط عثمان رض في الموت
حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة
محمد صلعم ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله تع ان لا يجتمعوا ابدا ما اجتمعوا
الى يوم القيامة **وفات علي رضي الله عنه** قال الاصبغ الحنظلي رض لما كانت
الليلة التي اصيب فيها علي رض اتاه ابن النباح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلوة
وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي رض
يمشي وهو يقول ٭ اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا ٭ ولا تجزع
من الموت اذا حل بواديكا ٭ فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه
فخرجت ام كلثوم ابنة علي رض فجعلت تقول ما لي ولصلوة الغداة قتل زوجي
امير المؤمنين صلوة الغداة وقتل ابي صلوة الغداة وعن شيخ من قريش
ان عليا رض لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة وعن محمد بن علي رض
انه لما ضرب اوصى بنيه رض ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض ولما
ثقل الحسن بن علي دخل عليه الحسين رض فقال يا اخي لاي شيء تجزع تقدم

على رسول الله عم وعلى علي بن ابي طالب رض وهما ابواك وعلى خديجة بنت
خويلد وفاطمة بنت محمد صلعم وهما اماك وعلى حمزة وجعفر وهما عماك قال يا
اخي اقدم على اجر لم اقدم على مثله

الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصلحاء

لما حضرت معاوية بن ابي سفيان رض الوفاة قال اقعدوني
فاقعد فجعل يسبح الله تع ويذكره ثم بكى فقال تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم و
الانحطام الا كان هذا وغصن الشباب نضير ريان وبكى حتى علا بكاؤه فقال يا رب
ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من
لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعاوية رض الموت
قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى واني لم ال من هذا الامر شيئا ولما
حضر عبد الملك بن مروان الوفاة الى غسال بجانب دمشق يلوي ثوبا ثم يضرب به
المغسلة فقال عبد الملك والله ليتني كنت غسالا اكل كل يوم من كسب يدي ولم ال من
امر الناس شيئا فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت
يتمنون ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقالت فاطمة امراة عمر بن
عبد العزيز رض كنت اسمع في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم موتي
ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت
اخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم هدا فجعلت لا اسمع
له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر انائم هو فلما دخل صاح فوثبت فاذا هو
ميت رض وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل ما يبكيك يا امير المؤمنين ابشر فقد احيى
الله بك سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال اليس اوقف فاسال عن امر هذا الخلق فوالله
لو عدلت فيهم لخفت على نفسي ان لا تقوم بحجتها بين يدي الله تع الا ان يلقنها حجتها
فكيف بكثير مما ضيعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات رض وقيل له
اعهد يا امير المؤمنين فقال احذركم مثل مصرعي هذا فانه لا بد لكم منه وحكي عن

هارون الرشيد انه انتقى اكفانه بيده قبل الموت وكان ينظر اليها ويقول ما
اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه وكان
يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان المعتصم يقول عند موته لو
علمت ان عمري هكذا قصيرا ما فعلت وكان المنتصر يضطرب عند موته فقيل له
لا بأس عليك يا امير المؤمنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والاخرة وقال
عمرو بن العاص رض وقد نظر الى صناديق بيته من ياخذها بما فيها ليته كان
بعرا وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون انك لا تغفر لي

بيان

اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
من اهل التصوف رض لما حضر معاذا رض الوفاة قال اللهم اني قد كنت اخافك
فانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم باني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري
الانهار ولغرس الاشجار ولكن لظماء الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء
بالركب عند حلق الذكر ولما اشتد به النزع نزع نزعا لم ينزعه احد وكان كلما افاق
من غمرته فتح طرفه ثم قال اخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك ولما حضر سلمان
رض الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد الينا
رسول الله عم ان يكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان
رض نظر في جميع ما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما ولما حضر بلالا رض الوفاة
قالت امراته واحزناه فقال بل واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه عم وقيل
فتح عبد الله بن المبارك رض عينيه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل
العاملون ولما حضر ابرهيم النخعي رض الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال انتظر
من الله تع رسولا يبشرني بالجنة او النار وقال عطاء بن يسار رض تبدى ابليس لرجل
عند الموت فقال له نجوت مني فقال ما امنتك بعد وبكى بعضهم عند الموت فقيل
له ما يبكيك قال اية في كتاب الله تع قوله انما يتقبل الله من المتقين ولما حضر ابن
المنكدر رض الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا

وهو عند الله عظيم وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز رضه كان كثير التواجد عند الموت
فقال ليس بعجب ان يطير روحه اشتياقا وقيل لذى النون المصرى رضه عند
موته ما تشتهى قال ان اعرفه قبل موتى بلحظة وقيل لبعضهم وهو فى النزع قل
الله قال الى متى تقولون وانا محترق بالله وقيل لبشر بن الحارث رضه لما حضر
وكاد يشق عليه كانك تحب الحياة قال القدوم على الله شديد يحكى ان ابا العباس
بن عطاء رضه دخل على الجنيد رضه فى وقت نزعه فسلم فلم يجبه ثم اجابه بعد ساعة
وقال اعذرنى فانى كنت فى وردى ثم ولى وجهه الى القبلة فمات رضه وقيل
للكتانى رضه لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب اجلى لما اخبرتكم
به وقفت على باب قلبى اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله تعالى حجبته عنه ودخل بعض
المشايخ على ممشاد الدينورى رضه فى وقت وفاته فقال فعل الله بك وصنع
من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما اغمضتها
طرفى ولما حضر احمد بن خضرويه رضه الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه
فقال يا بنى باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح الساعة لا ادرى
ايفتح بالسعادة او بالشقاوة فانى لى اوان الجواب ودخل المزنى على الشافعى
رضه فى مرضه الذى توفى فيه فقال له كيف اصبحت قال اصبحت من الدنيا
راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا وبكاس المنية شاربا وعلى الله
تعالى واردا ولا ادرى اروحى تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها
ثم انشا يقول نظم ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى • جعلت رجائى نحو عفوك
سلما • تعاظمنى ذنبى فلما قرنته • بعفوك ربى كان عفوك اعظما • فما زلت
ذا عفو عن الذنب لم تزل • تجود وتعفو منة وتكرما • ولولاك لم
يغو بابليس عابد • وكيف وقد اغوى صفيك آدما • وقيل لرويم رضه عند
موته قل لا اله الا الله قال لا احسن غيره وقيل للشبلى رضه قل لا اله الا الله
فانشا يقول نظم ان بيتا انت ساكنه • غير محتاج الى السرج • وجهك

المامول

المامول حجتنا • يوم ياتى الناس بالحجج • لا اتاح الله لى فرجا • يوم ادعو منك بالفرج
فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فبعضهم غلب عليه الخوف
وبعضهم غلب عليه الحب والشوق فتكلم كل واحد على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة
الى احوالهم رضى الله عنهم

الباب السادس فى احوال العارفين على الجنائز والمقابر

وحكم زيارة القبور اعلم ان الجنازة عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكر الا لاهل الغفلة
فانهم لا يزدادون بمشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الى جنازة
غيرهم ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنازة يحملون او يحسبون ذلك ولكنهم
على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون
فبطل حسابهم وانقرض على القرب زمانهم فينبغى للعبد ان لا ينظر الى جنازة الا ويقدر
نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكان قد ولعله فى غد او بعد غد
يروى عن ابى هريرة رضه انه كان اذا رأى جنازة قال امضوا فانا على الاثر وكان
مكحول رضه اذا رأى جنازة قال اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب
الاول والآخر لا عقل له وقال اسيد بن حضير رضه ما شهدت جنازة فحدثت نفسى
بشئ سوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه ولما مات اخو مالك بن دينار رضه خرج
مالك يبكى ويقول والله لا تقر عينى حتى اعلم الى ما ذا صرت ولا اعلم ما دمت
حيا وقال ثابت البنانى رضه كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا وقال
الاعمش رضه كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نعزى لحزن الجميع فهكذا كان خوفهم
من الموت والآن لا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا واكثرهم يضحكون ويلهون
ولا يتكلمون الا فى ميراثه وما خلفه لورثته ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلب
بكثرة المعاصى والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والاهوال التى بين ايدينا
فصرنا نشتغل بما لا يعنينا فنسال الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال
الحاضرين على الجنازة بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت
نظر ابرهيم الزيات رضه الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان

خيرالكم انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت عم قد رأى ومرارة الموت قد
ذاق وخوف الخاتمة قد امن فمن آداب حضور الجنازة التفكر والتنبه والاقتداء
والمشي امامها على هيئة التواضع ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا
واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لايدرى
حقيقتها ولذلك روى عن عمر بن ذر رض انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا
على نفسه فلما دُلّي في قبره وقف على قبره وقال رحمك الله يا ابا فلان فلقد صحبت
عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا
غير مذنب وغير ذي خطايا وعن صلة بن اشيم رض وقد دفن اخ له فقال على
قبره شعر فان تنج منها تنج من ذي عظيمة والا فاني لا اخالك ناجيا بيان حال القبر و
اقاويلهم على القبور قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من
لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من
ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقيل لعلي رض ما شأنك جاورت القبور قال اني اصدهم
جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله عم ما رأيت منظرا
الا والقبر افظع منه وكان عثمان بن عفان رض اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته
فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر قال سمعت ان
رسول الله عم يقول ان القبر اول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما
بعده ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد رض اول ما يكلم ابن آدم حفرته
فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة وبيت الغربة وبيت الظلمة
هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وقال ابو ذر رض الا اخبركم بيوم فقري يوم
اوضع في قبري وكان ابو الدرداء رض يقعد الى القبور فقيل له ذلك فقال اجلس الى
قوم يذكرونني معادي فان قمت لم يغتابوني وقال حاتم الاصم رض من مر بالمقابر
فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد رض يقول
لامه يا اماه ليتك كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك

منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ رض يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من
اين تجيبه ان اجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها
وقال سفيان رض من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن
ذكره وجده حفرة من حفر النيران وقال ثابت البناني رض دخلت المقابر فلما قصدت
الخروج منها فاذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها فكم من نفس
مغمومة فيها ووجد على قبر مكتوب يا ايها الناس كان لي امل قصر بي عن بلوغ الاجل
فليتق الله ربه رجل امكنه في حياته العمل ما انا وحدي نقلت حيث ترى كل الى مثله
سينتقل قال بعض الصالحين رأيت اخا لي في الله تع فيما يرى النائم فقلت يا فلان
عشت الحمد لله قال لان اقدر ان اقولها يعني الحمد لله احب الي من الدنيا وما فيها ثم قال الم
تر حيث كانوا يدفنوني ان فلانا قام فصلى ركعتين لان اكون اقدر على ان اصليهما
احب الي من الدنيا وما فيها بيان اقاويلهم عند موت الولد حق على من مات
ولده او قريب من اقربائه ان ينزله في تقدمه عليه منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه
ولده الى البلد الذي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه بانه لاحق به
على القرب وليس بينهما الا تقدم وتأخر وهكذا الموت فان السبق الى الوطن الى ان
يلحق المتأخر واذا اعتقد هذا قل جزعه لا سيما وقد ورد في موت الولد من
الثواب ما يتعزى به كل مصاب قال رسول الله صلعم لان اقدم سقطا احب الي من
ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى
على الاعلى والا فالثواب على قدر محل الولد من القلب وقال رسول الله صلعم لا يموت
لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة
عند رسول الله عم او اثنان قال او اثنان قال وليخلص الوالد الدعاء لولده عند
الموت فانه ارجى دعاء واقربه الى الاجابة ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده
فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له واخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي و
وقف ابو سنان على قبر ابنه فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له

ما وجب لك عليه فانك اجود واكرم ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن ذر
بعد ما وضع في لحده فقال يا رب متعتني به ما متعتني ووفيته اجله ورزقه ولم
تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي اللهم ما وعدتني عليه من الاجر
في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب له عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند
انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا الى انسان حاجة ولقد مضينا
وتركناك ولو اقمنا ما نفعناك ووقف اعرابي على قبر ولده فقال اني وهبت له ما قصر
فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما
يتعلق به زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين
مستحبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله عم نهى عن زيارة القبور ثم اذن
في ذلك بعده وروي عن رسول الله عم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير ان لا تقولوا هجرا وزارت ام المؤمنين عايشة
رض قبر اخيها عبد الرحمن رض وقال لها اليس كان رسول الله صلعم نهى عنها قالت نعم
ثم امر بها ولا ينبغي ان يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج الى المقابر فانهن يكثرن
الهجر على رؤس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تبرج وتكشف
وهذه عظايم والزيارة سنة وكيف يحتمل ذلك لاجلها فان خرجت المراة في ثياب
بذلة تتزاعين الرجال عنها واقتصرت على الدعاء وتركت الحديث على راس القبر فلا باس
بذلك قال ابن ابي مليكة رض قال رسول الله صلعم زوروا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا
عليهم فان لكم فيه عبرة وعن نافع رض عن ابن عمر رض انه كان لا يمر بقبر الا وقف
وسلم عليه وقال رسول الله عم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له وكتب برا
وقال رسول الله عم من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال صلعم وقال صلعم ان
الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين
وقال رسول الله عم من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال رسول الله صلعم من
زارني بالمدينة محتسبا كنت شفيعا او شهيدا يوم القيامة وعن ابي امامة قال رأيت

رسول

رسول الله صلعم فوقف ورفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي عم
ثم انصرف قال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصما رض في منامي بعد موته بسنتين
فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض
الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها قلت اجسامكم ام ارواحكم
فقال هيهات ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت فكيف في ذلك
دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة قال بشر بن منصور رض لما كان زمن الطاعون
كان رجل يختلف الى الجبانة فيشهد الصلوة على الجنايز واذا امسى وقف على
باب المقبرة فقال آنس الله تع وحشتكم ورحم الله تع غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل
الله تع حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة وانصرفت
الى اهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينما انا نايم اذا انا بخلق كثير
قد جاؤني فقلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما حاجتكم قالوا انك كنت
عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات
التي كنت تدعو بها قلت فاني اعود الى ذلك فما تركتها بعد ذلك وقال رسول الله صلعم
ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه او صديق
له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للموتى الدعاء
والاستغفار وقال بعضهم مات اخ لي فرأيته في المنام ما كان حالك حين وضعت
في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرأيت انه سيضربني
يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الاودي
شهدت ابا امامة الباهلي رض وهو في النزع فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي
كما امرنا رسول الله عم فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على
راس قبره ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة
الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا يرحمك الله
ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله

الى حضرت سيدنا ومولانا ومولانا الاكرم الاعلم ... والسعادة الدائم

وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم
نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما نقعد
عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله
فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء ولا بأس بقراءة القرآن على القبور وروي
عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل رضه في جنازة ومحمد بن قدامة
الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له احمد يا هذا
ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا عبد الله
ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال اخبرني
مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن العلاء بن الحلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان
يقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر رضه يوصي
بذلك فقال له احمد فارجع الى الرجل فقل له ليقرأ وقال احمد يقول اذا دخلتم المقابر
فاقرأوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه
يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت
وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب
القبر يشتكي مني يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر
على العمل ثم قال ان الركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى
الله عنا اهل الدنيا خيرا اقرأهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور مثل
الجبال والمقصود من زيارة القبور الاعتبار للزائر بان يصور في قلبه الميت
كيف تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به وينبغي
ان يحضر في قلبه من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز رضه فقيه فتعجب من تغيره
من كثرة اجتهاده في العبادة فقال له لو رايتني بعد ثلاث وقد ادخلت قبري وقد
خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الاسنان وخرج
الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود

والصد

والصديد من المناخر لرأيت اعجب مما تراه الآن ويستحب ايضا الثناء على الميت وان
لا يذكر الا بالجميل قال رسول الله صلعم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا
من اهل الجنة تأثمون وان يكونوا من اهل النار فحسبهم وقال رسول الله صلعم لا تسبوا
الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال ابو هريرة رضه قال رسول الله صلعم
ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته
اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي وتجاوزت عن علمي في عبدي **الباب**
السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور بيان
حقيقة الموت اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطأوا فيها فظن
بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر وان
موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأي الملاحدة وكل
من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب
ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال آخرون ان
الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون
الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة
ومائلة عن الحق بل الذي يشهد له طرق الاعتبار وينطق به الآيات والاخبار
ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة
واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها
فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن
وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح
والروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد يتألم بنفسه بانواع الحزن
والغم ويتنعم بانواع السرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء وكل ما هو وصف
الروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الجسد فيتعطل
بمفارقة الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان يعاد الى الجسد في القبر ولا يبعد

ان يرد الى يوم البعث والله تعالى اعلم واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان
العلوم ولذات الافراح والام الغموم ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم
تبطل منها العلوم والافراح والغموم والالام واللذات فذلك لا ينعدم بالموت
ومعنى الموت انقطاع التصرف عن البدن كما ان معنى الزمانة خروج الرجل عن
ان تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها ثم تتغير حاله من جهتين
احديهما انه سلبت منه جميع اعضائه واهله وولده واقاربه ومعارفه ودوابه
وعقاره وساير املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين
ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المولم هو الفراق فان كان له في الدنيا
شئ يأنس به فيعظم تحسره عليه بعد الموت وان لم يأنس الا بذكر الله تعالى يعظم نعيمه
وتتم سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت و
حال الحيوة والثانية انه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا في الحيوة كما ينكشف للمستيقظ
ما لم ينكشف له في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما
يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي
في سر قلبه كان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل
انكشف له جميع احواله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر ان يخوض غمرة النار
للخلاص منها وعند ذلك يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف له ذلك
عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان
يطمئن اليه من الدنيا دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد
للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح بمفارقة بقية الزاد وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا
الا بقدر الضرورة وكان يود ان ينقطع ضرورته ليستغني عنه وهذه الانواع
من الآلام والعذاب تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن يرد روحه الى الجسد
فيلقى انواعا اخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن
اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وحرمه وملكه اعتمادا على

ان

ان الملك يتساهل في امره او ليس يدري بما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك
بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه فانظر الى حال هذا المأخوذ
كيف يكون حاله قبل نزول العذاب من الخوف والخجلة والحياء والتحسر فهذا
حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا قبل نزول عذاب القبر به عند موته نعوذ
بالله تعالى منه فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولو البصائر
بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة
قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
ولما قتل صناديد العرب يوم بدر ناداهم رسول الله صلعم باسمائهم وقال
قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قيل يا رسول الله
اتناديهم وهم اموات فقال صلعم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام
منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها
ومعرفتها والآية نص في ارواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة او شقاوة
وقال صلعم القبر اما حفرة من حفر النيران او روضة من رياض الجنة وهذا نص
صريح في ان الموت تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته
يتعجل عند الموت من غير تأخير وانما يتأخر بعض انواع العذاب والثواب
دون اصله قال رسول الله صلعم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة
وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار ويقال
هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيمة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب
ونعيم في الحال وقال علي رضه حرام على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من
اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال مسروق رضه ما غبطت احدا ما غبطت
مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن من عذاب الله تعالى وقيل لابي
الدرداء رضه ما تحب لمن تحب قال الموت قيل فان لم يمت قال قل ماله وولده
وانما احب الموت لانه اطلاق المؤمن من السجن وانما احب قلة المال والولد

لانه فتنة وسبب الانس بالدنيا والانس بمن لابد من فراقه غاية الشقاوة وكل
ماسوى الله تع وذكره والانس به فلابد من فراقه عند الموت لامحالة فمن
باع الدنيا بالآخرة فلا يلتفت قلبه الى المبيع بل يتشوق لما اشتراه ويعظم
فرحه به اذا رآه و يقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد قلبه لحب الله
تع وقد يتفق هذا في بعض الاحوال فان مات عليه صاحبه عظم نعيمه ونال ما يريده
قال الله تع ولهم فيها ما يشتهون وكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم
العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما قال الله تع وحيل بينهم وبين ما يشتهون
لعقوبات اهل جهنم واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال
الله تع ما يكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن المضيق ويكون مثاله كالمحبوس
في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا غاية لاقصاه فيه
انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم
وقد ضرب رسول الله صلعم له مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا من الدنيا
وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم
ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة الى الدنيا كنسبة سعة
الدنيا الى ظلمة الرحم وقال صلعم ايضا ان مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين
في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء لم يحب ان يرجع الى البطن
امه وكذلك المؤمن يجزع فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب ان
يرجع الجنين الى بطن امه وعن عمرو بن دينار رض قال ما من ميت يموت
الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر
اليهم وقال النبي عم لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم
من اهل القبور وقال صلعم الا انه لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب تمور في
جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم ولذلك
قال ابو الدرداء رض اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله

بن

وكان هذا اجمع عبارة

من الموت

بن رواحه رض وكان قد مات وهو خاله وقال رسول الله صلعم ان الميت يعرف
من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال رسول الله عم ان نفس المؤمن اذا
قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون انظروا
اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد ويسألونه ما ذا فعل فلان وما ذا فعلت
فلانه وهل تزوج فلان فاذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا
انا لله ذهب به الى امه الهاوية وقال صالح المري رض بلغني ان الارواح تتلاقى عند
الموت فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان مأواك في اي الجسدين كنت
في طيب او خبيث بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى اما بلسان المقال او بلسان الحال
الذي هو افصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء قال رسول الله صلعم
يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت
الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود وما غرك بي اذ كنت تمر بي فان كان مصلحا
اجاب عنه مجيب للقبر فيقول ارأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول
القبر اني اذاً اتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه الى الله وقال محمد بن
صبيح رض بلغنا ان الرجل اذا وضع في قبره فعذب واصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه
من الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك
في تقدمنا اياك فكرة اما رأيت انقطاع اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت
ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن
غيب من اهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور
وانت تراه محمولا تتهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد منه وقال عبيد بن عمير الليثي
رض ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة
والانفراد فان كنت في حياتك لله مطيعا كنت اليوم عليك رحمة وان كنت عاصيا
فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج
مثبورا وقال ابو هريرة رض قال النبي عم المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له

في قبره سبعون ذراعا ويضيء وجهه كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما انزلت
فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه
تسعة وتسعين تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة
رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان يتعجب من هذا
العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بقدر اعداد الاخلاق
المذمومة من الكبر والرياء والحسد وساير الصفات المهلكات فان اصولها معدودة
ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها باقسام وتلك الصفات باعيانها
للمهلكات وهي باعيانها تنقلب حيات وعقارب فارباب البصاير يشاهدون بنور
البصيرة وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة
فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة فمن لم ينكشف له حقايقها فلا ينبغي ان ينكر
ظواهرها فان قلت نحن نشاهد شيا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهد
فاعلم ان لك ثلث مقامات في التصديق احدها هو الاظهر والاسلم والاصح
ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت وانك لا تشاهد ذلك فان هذه العين
لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية اما ترى الصحابة رض كيف كانوا يؤمنون بنزول
جبرئيل عم وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بان رسول الله عم يشاهده فان
كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة عم والوحي اهم عليك وان امنت به
وجوزت ان يشاهد النبي عم ما لا يشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما
ان الملك لا يشبه الادميين فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات
عالمنا المقام الثاني ان تتذكر امر النائم وانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم
بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه كل ذلك يدركه من نفسه ويتاذى به كما
يتاذى اليقظان وهو يشاهد وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواله حية
والحية موجودة في حقه غير مشاهد فكذلك العذاب في الم اللدغ فلا فرق بين حية
تتخيل او تشاهد المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا تولم بل الذي يلقاك منها وهو

السم

السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر
من غير سم لكان العذاب موجودا او يجوز ان تنقلب هذه الصفات المهلكات موذيات
ومولمات في النفس عند الموت فتكون الامها كالام لدغ الحيات من غير وجود
الحيات وانقلاب الصفة موذية يضاهي انقلاب العشق موذيا عند موت المعشوق
فانه كان لذيذا فطرت حالة صار اللذيذ بنفسه مولما حتى نزل بالقلب من انواع
العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق فهذا بعينه هو احد انواع العذاب وهذه
الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة فرب عبد معاقب بنوع واحد من هذه الانواع
ورب عبد يجتمع عليه الانواع الثلاثة نعوذ بالله تع من عذاب الله قليله وكثيره
والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يوخذ منه فرسه وبين ان
يلدغه عقرب اثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الم فراق الفرس عنده اعظم
من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ منه فليستعد لهذه اللدغات
فان الموت ياخذ منه فرسه وداره وعقاره واهله وولده واحباءه و
معارفه وجاهه وسمعه وبصره وساير اعضائه فاذا لم يحب سوى ذلك وقد
اخذ جميعه منه فهو اعظم عنده من العقارب والحيات وكما لو اخذ ذلك منه وهو
حي يعظم عليه عذابه بل عذابه بعد الموت لانه في الحيوة يتسلى باشياء تشغل بها جواه
من مجالسته ومحادثه ويتسلى بعود ذلك او عوضه ولا سلوة بعد الموت اذ قد
انسد عليه طريق التسلي ثم يضاف الى هذا العذاب تاسفه على ما فاته من نعيم
الاخرة والحجاب عن الله تع فان حب غير الله تع يحجبه عن لقاء الله تع فيتوالى عليه
الم الفراق من جميع محبوباته وحسرة ما فاته من النعيم ابد الاباد وذل الرد والحجاب
عن الله تع ثم بعده نار جهنم قال الله تع كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم
لصالوا الجحيم فاذن قولهم نجا المخفون صحيح وقال رسول الله عم صاحب الدرهم ايسر
حسابا من صاحب الدرهمين وما من شيء يتخلف عنك بعد الموت الا وهو حسرة
عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت

فلست مستكثرا الامر الحيرة وان استقللت ولست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر
الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وفرحوا
بها واطمأنوا اليها رأى ابو سعيد الخدري رضه ابنا له قد مات في المنام فقال له
يا بني عظني قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يا بني زدني قال يا ابت لا تطيق
قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا فما لبس قميصا ثلثين سنة وانما لا يأنس
بالدنيا ولم يحب الا الله تعالى وكان مشتاقا الى الله تعالى فقد تخلص بالموت من سجن الدنيا
ومقاسات الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه الصوارف والعوائق
وتوفر عليه النعيم مع الامن من الزوال ابد الآباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون
فان قلت فما الصحيح من مقامات العذاب الثلاثة فاعلم ان من الناس من لا يثبت الا
الاول وانكر ما بعده ومنهم من انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا
الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان ذلك في حيز الامكان
وان من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب
تدبيره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يأنس به ولم يألفه وذلك جهل وقصور فصدق به
تقليدا فيبعد على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر
نظرك في تفصيل ذلك بل تشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيفما كان فان اهملت العمل
واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه الملك وحبسه ليقطع يده فاخذ طول الليل
يتفكر في انه هل يقطعها بسكين او بسيف او بموسى واهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب
عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب عظيم
او نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له واما البحث عن تفصيل العقاب ففضول
وتضييع زمان قال رسول الله صلعم ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه ولا يكلمه
شيء الا المقبرة فيقول ويحك ابن آدم الست قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني
وهولي ودودي فماذا اعددت لي وقال البراء بن عازب خرجنا مع رسول
الله صلعم على جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله عم منكسا رأسه قال اللهم اني

والعبادة

اعوذ

اعوذ بك من عذاب القبر ثلثا ثم قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة بعث الله
ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه
صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت له ابواب فليس منها
باب الا يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول
ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم
الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك وما
نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد عم فينتهرانه انتهارا شديدا وهي
آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح
حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وانت
فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت ان كنت سريعا
في طاعة الله بطيئا عن معصية الله تعالى فجزاك الله خيرا ثم ينادي مناد ان افرشوا له
فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة فيفتح له باب من الجنة
فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي واما الكافر فانه اذا كان
في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه الملائكة غلاظ شداد معهم
ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين
السماء والارض وكل ملك في الدنيا وغلقت ابواب السماء فليس منها الا ويكره
ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم تقبله
سماء ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين
حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا ادري فيقال لا دريت
ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من الله وبعذاب
اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا

في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا فيقول وانت فجزاك الله شرا ثم
يقيض له اصم ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على ان يقلوها لم
يستطيعوا او ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود الروح
فيضرب بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض غير الثقلين قال ثم ينادي مناد
ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار
ويفتح له باب الى النار وقال رسول الله عم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان
ازرقان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فان
كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور
له في قبره ثم فيقول دعوني ارجع الى اهلي حتى يبعثه الله تع من مضجعه ذلك وان كان
منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيا وكنت اقوله فيقولان
ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف اضلاعه
فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله تع من مضجعه ذلك **الباب الثامن** فيما عرف من احوال
الموتى بالمكاشفة في المنام اعلم ان انوار البصاير المستفادة من كتاب الله تع
وسنة رسول الله عم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم
الى سعداء واشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه لا تنكشف بها اصلا فانا ان
عولنا على ايمان زيد فلا ندري على ماذا مات وان عولنا على صلاح الظاهر
فالتقوى محل القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر
الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تع انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة
حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه فاذا مات فقد تحول من
عالم الملك والشهادة الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما
يرى بعين اخرى خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكنه جعل عليها غشاوة
كثيفة من شهواته واشغاله الدنيا وبه فصار لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر بها

شيا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت الغشاوة
منقشعة عن اعين الانبياء فلا جرم نظروا الى الملكوت وشاهدوا عجائبه والموتى
في ذلك العالم فشاهدوهم واخبروا ولذلك راى رسول الله عم ضغطة القبر في حق
سعد بن معاذ رض وكذلك حال جابر رض لما استشهد اذ اخبر ان الله تع اقعده
بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبياء عم
والاولياء رض الذين تقرب درجتهم منهم وانما الممكن من امثالنا مشاهدة
اخرى ضعيفة الا انها مشاهدة نبوية واعني بها المشاهدة في المنام وهي من انوار
النبوة قال رسول الله عم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من
النبوة وهو ايضا انكشاف لا يحصل الا بانقشاع تلك الغشاوة عن القلب
فلذلك لا يوثق الا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق
في رؤياه ومن كثر فساده ومعاصيه اظلم قلبه وكان ما يراه اضغاث احلام
ولذلك امر رسول الله عم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى
طهارة الباطن لانه الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة ومهما صفا
الباطن انكشف في حدقة القلب ما يكون في المستقبل وقلما يخلو الانسان عن
منامات دلت على امور فوجدها صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجايب
صنع الله تع وبدايع فطرة الآدمي وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت
والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن ساير عجايب القلب وعجايب العالم والقول
في حقيقة الرؤيا من دقايق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة
ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو ان تعلم ان القلب مثاله
مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقايق الامور وما قدره الله تع من ابتداء خلق
العالم الى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تع يعبر عنه تارة باللوح وتارة
بالكتاب المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القرآن الكريم فجميع ما جرى في
العالم وما سيجري مكتوب فيه ولا يشاهد بهذه العين الظاهرة ولا تظنن ان

ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب من كاغد او ورق بل ينبغي ان
يفهم قطعا ان لوح الله تعالى لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان
ذاته تعالى وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا تقربه
الى فهمك فاعلم ان ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه
في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كانه حين يقرؤه ينظر اليه ولو
فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم
كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى واللوح في المثال كمرآة تظهر فيها الصور
فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة اخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى
في هذه الا ان يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم كلها موجودة
فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي
هو من عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء
من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب
وما دام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة وهو
حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس فلا تورد على القلب ذلك فاذا
تخلى منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح
المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة اذا
ارتفع الحجاب بينهما الا ان النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله
وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر الا الخيال
فيحتاج المعبر ان هذا الخيال حكاية اي معنى من المعاني وامثلة ذلك ظاهرة عند من
نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان رجلا قال لابن سيرين رأيت
كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انت مؤذن تؤذن
قبل الصبح في رمضان قال صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد
الختم وانما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس

من

من الاكل والشرب ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم فمثله بالصورة الخيالية
التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة
من بحر علم الرؤيا التي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت هو
عجب من العجائب وهذا لما يشبهه من وجه ضعيف اثر في كشف الغطاء عن عالم الغيب
حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق
الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير
نفسه اما محفوفا بالانكال والخزي والفضائح نعوذ بالله تعالى من ذلك واما مكنونا
بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال للاشقياء وقد انكشف الغطاء
لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال
افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما
تجزون ما كنتم تعملون واليهم الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
فاعلم العلماء واعرف الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم
يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم الا الفكرة في خطر تلك
الحال وان الحجاب عما ذا يرفع وما الذي ينكشف له عقيب الموت عن الغطاء من شقاوة
لازمة او سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر فالعجب من غفلتنا
وهذه العظائم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا وباسبابنا واولادنا
بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من نفث روح
القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد المرسلين صلعم احبب من احببت فانك مفارقه
وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا
له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة
ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا نعم قال صلعم لو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن عز وجل تخللت
باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب وقد قال

الله تعالى لامته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من
اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه ما دعا الا الى الله تعالى واليوم الآخر وما
صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على
الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر
ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله والتحقت بالذين
قال الله تعالى فيهم واما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من
مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى
حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا العاجل الدنيا ثم
تطمع في ان تكون غدا من امته واتباعه فما ابعد ظنك وما ابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين
ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا بصدده ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة
لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به ان شاء الله تعالى اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
وهي المنامات **بيان** منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة
فمن ذلك رؤيا رسول الله صلعم فقد قال عم من رآني فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل
بي وقال عمر بن الخطاب رض رأيت رسول الله صلعم في المنام فقلت يا رسول الله ما شأني
فالتفت الي ثم قال الست المقبل وانت صايم قال عمر والذي نفسي بيده لا اقبل
وانا صايم ابدا وقال العباس كنت ودا لعمر رض فاشتهيت ان اراه في المنام
فما رأيته الا عند قرب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان
فراغي ان كان عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤفا رحيما وعنه ايضا قال كنت مواخيا
لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله عز وجل بما اخبر عنه عليه واهمني امره
فسألت الله تعالى ان يريني اياه في المنام قال فرأيته تلتهب نارا فسألته عن
حاله فقال صرت الى النار والعذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين
وبشرتني بولادة آمنة اياه ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني
الله تعالى عنه بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة الاثنين وقال عبد الواحد بن زيد

رض

رض خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى
على محمد صلعم فسألته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي
ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نائم اذا اتاني آت فقال لي
قم فقد امات الله اباك وسود وجهه قال فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه
فاذا هو ميت اسود الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني
عيني فنمت فاذا على رأس ابي اربعة سودان ومعهم اعمدة حديد اذ اقبل رجل
حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال قم قد
بيض الله وجه ابيك فقلت له من انت بابي انت وامي فقال انا محمد صلعم قال فقمت
فكشفت الثوب عن وجه ابي فاذا هو ابيض فما تركت الصلوة بعد ذلك على رسول
الله صلعم وعن عمر بن عبد العزيز رض قال رأيت رسول الله صلعم وابو بكر وعمر رض
جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعاوية رض فادخلا
بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع ان خرج علي رض وهو يقول
وما كان باسرع ان خرج معاوية رض على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة وهو يقول
قضي لي ورب الكعبة واستيقظ ابن عباس رض من نومه مرة فاسترجع وقال قتل
الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فانكره اصحابه فقال رأيت رسول الله صلعم ومعه
زجاجة من دمه فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي ابني الحسين وهذا دمه ودماء
اصحابه ارفعها الى الله فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما بقتله في اليوم الذي رآه
رض ورؤي الصديق رض فقيل له انك كنت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني
الموارد فما فعل الله بك قال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة وقال بعض الشيوخ
رض رأيت رسول الله صلعم فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا
رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك
لم تسأل شيئا قط فقلت لا فاقبل علي وقال غفر الله لك وقال الحسن بن علي رض
قال لي علي رض ان رسول الله صلعم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما

لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي من
هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض المشايخ رأيت منصورا الدورقي رضه في المنام
فقلت يا سيدي ما فعل الله بك فقال قربني في الجنان فقيل لي يا منصور هل استحسنت فيها
شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك اليه ولم اوصلك الي
ورؤي يوسف بن الحسين رضه في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي قيل بماذا
قال خلطت جدا بهزل وعن منصور بن اسمعيل رضه قال رأيت عبد الله بن البزاز رضه
في النوم فقلت ما فعل الله بك قال اوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به
الا ذنبا واحدا فاني استحييت ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت
ما كان ذلك قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله تعالى ان اذكره
وقال ابو جعفر الصيدلاني رضه رأيت رسول الله صلعم في النوم وحوله جماعة من
الفقراء فبينا نحن كذلك اذا انشقت السماء ونزل ملكان احدهما بيده طشت و
بيد الآخر ابريق فوضع الطشت بين يدي رسول الله صلعم فغسل يده ثم امر حتى
غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي فقال احدهما للآخر لا تصب على يده فانه ليس منهم
فقلت يا رسول الله اني احبك واحب هؤلاء الفقراء اليس قد روي عنك انك قلت المرء
مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله فاني احبك واحب هؤلاء الفقراء فقال عم
اصبب على يده فانه منهم ورؤي مجمع رضه في النوم فقيل له كيف رأيت الامر قال رأيت
الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة وقال رجل من اهل الشام للعلاء بن
زياد رضه رأيتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم قال لعل الشيطان
اراد امرا فعصمت منه فاشخص رجلا يعنيه وقال محمد بن واسع رضه الرؤيا تسر المؤمن
ولا تغره وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السلمي رضه في المنام فقلت له رحمك الله لقد
كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما
فقلت له في اي الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الآية ورؤي زرارة
بن اوفى رضه في المنام فقيل اي الاعمال افضل عندكم فقال الرضاء وقصر الامل

وقال ابن عيينة رضه رأيت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب
استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال احمد بن ابي الحواري رأيت
فيما يرى النائم جارية ما رأيت احسن منها وكان يتلألأ وجهها نورا فقلت لها
بماذا اضوء وجهك فقالت تذكر الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعك
فمسحت بها وجهي فمن ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني رأيت الجنيد رضه
في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال طاحت الاشارات وذهبت العبارات
وما حصلنا الا على ركعتين كنا نصليهما في الليل ورئيت زبيدة رضه في المنام فقيل
ما فعل الله بك فقال غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري
لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى
بها ربي عز وجل ورؤي ابو سليمان في النوم فقيل ما فعل الله بك قال رحمني وما
كان شيء اضر علي من اشارات القوم الي وقال ابو بكر الكتاني رضه رأيت في
النوم شابا لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى قلت فاين تسكنين قال في
كل قلب حزين ثم التفتت فاذا امرأة سوداء كاوحش ما يكون فقلت من انت
قالت انا السقم قلت فاين تسكن قالت في كل قلب فرح قال فانتبهت واعتقدت
ان لا اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رضه كنت في دمشق فرأيت النبي صلعم
جاءني متكئا على ابي بكر وعمر رضه فجاء فوقف علي وانا اقول شيئا من الاصوات
وادق في صدري فقال الشر هذا اكثر من خيره ورأى الجنيد رضه ابليس في المنام
عريانا فقال الا تستحيي من الناس فقال هؤلاء بناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية قد
اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرأيت
جماعة قد وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يغرنك حديث
الخبيث ورأى رجل من اصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن رضه كان مناديا ينادي
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن بن
ابي الحسن على اهل زمانه ورؤي مالك بن انس رضه فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي

بكلمة يقولها عثمان بن عفان رض عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت وقال
ابو يعقوب البصري رض رأيت في منامي رجلا آدم طويلا والناس يتبعونه فقلت من
هذا قال اويس القرني رض فاتبعته فقلت اوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشدا
فارشدني ارشدك الله فاقبل علي وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته
ولا تقطع رجاك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني وقال ابو بكر بن مريم رأيت ورقا
بن بشر الحضرمي رض فقلت ما فعلت يا ورقا قال نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها
افضل قال البكاء من خشية الله تع وقال بعض اصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة رض في
المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك فلما
اصبحت جئت الى بيتي فاذا خط عتبة في حائط البيت يا هادي المضلين ويا راحم
المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم
اجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري
رض في الجنة يطير من نخلة الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا ابا عبد الله بم نلت هذا
المقام قال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى الا كما يرى الكوكب
واوصى رض ايضا في المنام قال اقلل من معرفة الناس وقال الجنيد رض رأيت في النوم
كاني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تع ماذا
فقلت عمل خفي بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله ورأى رجل من
التابعين رض النبي صلعم في المنام فقال يا رسول الله عظني فقال نعم من لم يتفقد النقصان
فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي رض همني في هذه
الايام امر امضني والمني ولم يطلع عليه احد غير الله عز وجل فلما كان البارحة اتاني آت
في منامي فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم اني لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا
حياة ولا نشورا ولا استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني
لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترجل النهار

اعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات
لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات يدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة
الى الله تع زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور الى آخر الخطر
اما في الجنة او النار **الشطر الثاني** من كتاب ذكر الموت في احوال الميت من وقت نفخة
الصور الى آخر الاستقرار في الجنة او النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار
وفيه بيان نفخة الصور وصفة ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة
طول يوم القيمة وصفة يوم القيمة ودواهيها وصفة المسائلة عن الذنوب وصفة
الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة والحوض وصفة
جهنم واهوالها وانكالها وصفة الجنة واصناف نعيمها والنظر الى وجه الله تع وباب
في سعة رحمة الله وبه يختم الكتاب ان شاء الله تع **صفة نفخة الصور** قد ذكرنا احوال
الميت وخوف العاقبة ومقاساة ظلمة القبر والمسائلة فيه وعذابه واعظم من
ذلك كله الاخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار
والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان ومجاوزة الصراط مع حدته ودقته
ثم انتظار النداء عند فصل القضاء اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه احوال و
اهوال لا بد لك من معرفتها ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل
الفكر فيها لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل الايمان
باليوم الآخر صميم قلوبهم ويدل على ذلك تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد
الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفه من الاهوال ثم اذا سئلوا عن يوم
الآخرة نطقت به السنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه مسموم فقال
للمخبر صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا بعمله وتكذيب
العمل ابلغ من تكذيب اللسان وانما فتور البواطن عن قلة اليقين والتصديق
بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال تلك الامور ولو لم يشاهد
الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا

الآدمي المصور العاقل لاشتد نفوره باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى اولم ير
الانسان انا خلقناه من نطفة وقال تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من
مني يمنى ففي خلق الآدمي من كثرة عجائبه واختلاف تركيب اعضائه اعاجيب تزيد
على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف تنكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته فان كان
ايمانك ضعيفا فقو الايمان بالنظر في النشاة الاولى فان النشاة الاخرى مثلها
واسهل منها وان كنت قوي الايمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر
التفكر فيها والاعتبار ليسلب عن قلبك الراحة والقرار ويشتغل بالتشمر للعرض على
الجبار وتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فانها صيحة واحدة
تنفرج بها القبور عن رؤس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد ثبت
متغيرا وجهك مغبرا بدنك من فرقك الى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة
شاخص العينين نحو النداء وقد ثار الخلق كلهم ثورة واحدة من القبور التي طال
فيها بلاؤهم وازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما كان عليهم من الهموم والغموم كما قال
الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ
فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم
عسير الآية وقال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا الى غير ذلك من الآيات فلو
لم يكن بين يدي الموتى الا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بان يتقى فانها نفخة وصيحة عظيمة
ولذلك قال رسول الله صلعم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة
واصغى بالاذن متى يؤمر فينفخ ثم يلبث الخلائق بعد النفخة الاولى في البرزخ اربعين سنة
ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فيامره ان ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون فتفكر في ذل الخلائق وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا
من هذه الصعقة وانتظارا لما تقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم
متنكر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من المترفين والمتنعمين فملوك الارض

في ذلك اليوم هم اذل اهل الجمع واحقرهم يوطئون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك
تقبل الوحوش من البراري منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة
من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وذلك
قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها واذعنت
خاشعة من هيبة العرض على الله تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وفي حال قلبك هنالك صفة ارض المحشر واهله
ثم انظر كيف يساقون بعد النشور وهم حفاة عراة الى ارض المحشر وهي ارض بيضاء
قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا يساقون اليها زمرا فسبحان من جمع الخلائق
على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة فالراجفة
هي النفخة الاولى والرادفة الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة
ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلعم يحشر الناس يوم القيمة على ارض
بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد اي لا تفاوت فيها برد البحر ولا تظن
ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في اسم قال الله تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض وهي ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة
فانظر يا مسكين في هول القيامة وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت
من فوقهم نجوم السماء وطمس القمر والشمس واظلمت الارض لخمود سراجها فبينما هم
كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها والملائكة
قيام على حافاتها وارجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة
ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة
تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت
الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة قال رسول
الله صلعم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان
قالت سودة زوجة النبي عم قلت يا رسول الله واسوءتاه ينظر بعضنا الى بعض

فقال يشغل الناس عن ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاعظم بيوم يكشف فيه
العورات ويؤمن فيه النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم
فلا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال رسول الله صلعم يحشر الناس يوم القيمة ثلثه اصناف
ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم فقال الذي امشاهم
على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع الآدمي انكار ما لم يانس به ولم يشاهد
الحية وهي تمشي على بطنها لانكر تصور المشي من غير رجل فاياك ان تنكر شيا من عجايب يوم
القيمة لمخالفته قياس ما في الدنيا واحضر في قلبك صورتك وانت واقف عاريا ذليلا
متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجري عليك من القضاء بالسعادة او بالشقاوة صفه العرق
ثم تفكر في ازدحام الخلايق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف اهل السموات السبع والارضين
السبع من ملك وانس وجن وشيطان ووحش وطير واشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف
حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين
ولم يبق على الارض ظل الا ظل العرش ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين
مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس وقد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها واشتد
الزحام وانضاف اليه شدة الخجل والحياء من الافتضاح والاخزاء عند العرض على جبار السماء
سبحانه وتعالى واجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحراق القلوب من الخوف ففاض العرق
من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم عند
الله تعالى فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد
يغيب فيه قال رسول الله صلعم تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس
من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ خاصرته
ومنهم من يبلغ فاه فاشار بيده فالجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على
راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي يا رب
ارحنا من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا
وانت واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغ منك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في

سبيل الله تعالى من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة
في امر بمعروف او نهي عن منكر فيستخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ولو سلم ابن
آدم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل الطاعات والقربات اهون
امرا واقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في يوم عظيم شدته طويل مدته صفه
طول يوم القيمة يوم يوقف فيه الخلايق شاخصة ابصارهم لا يكلمون ولا ينظر
في امورهم قال رسول الله صلعم كيف بكم اذا جمعكم الله تعالى كما يجمع النبل في الكنانة خمسين
الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن رضه ما ظنك بيوم قاموا فيه على اقدامهم مقدار خمسين
الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا
واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فلما بلغ الجهد منهم ما لا طاقة لهم به كلم
بعضهم بعضا في طلب من يشفع لهم الى ربهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني
نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقالوا قد غضب
ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلعم لمن
يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا ولا يشفعون الا
لمن ارتضى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فتامل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار
فيه حتى يخف عليك عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت
لشدة مقاسات الصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم قال رسول الله
صلعم لما سئل عن طول ذلك اليوم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون
اهون عليه من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين
فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيديك فاعمل في ايام قصار لايام
طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الاف سنة
فانك لو صبرت سبعة الاف سنة مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون الف سنة لكان ربحك
كثيرا وتعبك يسيرا صفه يوم القيمة ودواهيها فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه
القاهر سلطانه القريب اوانه يوم ترى فيه السماء انفطرت والكواكب من هوله

انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار
قد عطلت والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان قد زوجت
والجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم
ترى الارض قد زلزلت فيه زلزالها واخرجت اثقالها يومئذ يصدر الناس
اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة
وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها يوم رجت الارض رجا وبست الجبال
بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن
المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم يؤخذ بالنواصي والاقدام ومنع الفصحاء
من الكلام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت يوم تخرس
فيه الالسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين صلعم اذ قال له الصديق
رضه اراك قد شبت يا رسول الله فقال شيبتني سورة هود والواقعات والمرسلات
وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القارئ العاجز انما حظك من قراءتك ان تمجمج
القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا فيما تقراه لكنت جديرا بان تشق مرارتك
فيما شاب منه شعر سيد المرسلين واذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن
وقد وصف الله تع بعض دواهيها واكثر من اساميها لتقف بكثرة اساميها على كثرة
معانيها فليس المقصود تكرير الاسامي والالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب وتحت
كل اسم من اسماء القيامة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى فاحرص على معرفة معانيها
وقد ذكر اسامي القيمة في القرآن الكريم ما تقرب من المائة او يزيد عليه والله سبحانه
اعلم فمن ذلك يوم القيمة ويوم الحسرة ويوم الزلزلة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة
ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الحاقة ويوم
الطامة ويوم الصاخة ويوم التلاق ويوم التناد ويوم الحساب ويوم العذاب ويوم

عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود
ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر ويوم لا تجزي نفس عن نفس ويوم
تشخص فيه الابصار ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا
ويوم يدعون الى جهنم دعا ويوم يفر المرء من اخيه ويوم يسحبون في النار على
وجوههم ويوم لا تجزي والد عن ولده يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ويوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع
مال ولا بنون يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يوم تظهر الضمائر وتكشف الاسرار يوم
تخشع فيه الابصار والاصوات وتبرز الخفيات وتشيب الصغير وتسكر الكبير يوم
توضع الموازين وتنشر الدواوين وتسعر النيران وتتغير الالوان فيا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم حيث اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلائق
وقارفت الفجور فما تفعل وقد شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معاشر
الغافلين يرسل الله الينا سيد المرسلين صلعم وينزل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه
الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون
لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقتربت الساعة انهم يرونه بعيدا ونريه
قريبا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة القرآن
عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف هذا اليوم واساميه ولا نستعد
للتخلص من دواهيه فنعوذ بالله تع من هذه الغفلة ان لم يتداركنا سبحانه بواسع
المغفرة صفة المسائلة ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاهوال فيما يتوجه عليك من السؤال
شفاها من غير ترجمان فتسال عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينا انت في كرب
القيمة اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص غلاظ شداد امروا
ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلعم ان لله ملكا
ما بين شفرتي عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة

ارسلوا اليها فذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين
مما بدا من غضب الجبار سبحانه على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح
الا ويخرون لاذقانهم خوفا من ان يكونوا هم الماخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك
بالعصاة المجرمين وعند ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة عم افيكم
ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم فينادوا باصواتهم
منزهين لمليكهم عما توهمه اهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا وعند ذلك تقوم
الملائكة صفا محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع والمهابة
لشدة اليوم وعند ذلك تصدق الله قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين
فيبدأ بالانبياء عم يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فيا شدة يوم
تذهل فيه عقول الانبياء وتمحى علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد
ارسلتم الى الخلائق وكانوا قد علموا فدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون
من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون
اذ دارت العقول وانمحت العلوم الى ان يقويهم الله تع ويحضر كل نبي ويسأل عن تبليغ الرسالة
ويؤتى بعيسى عم فيقول الله تع أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله فيبقى متشحطا تحت هيبة هذا السؤال ثم تقبل الملائكة عم فينادون
واحدا واحدا يا فلان بن فلانة هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب
الجوارح وتبهت العقول ويتمنى قوم ان يذهب بهم الى النار ولا تعرض قبائح افعالهم
على الجبار عز وجل ولا يكشف سترهم على ملأ الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر
نور العرش واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وايقن قلب كل عبد باقبال
الجبار سبحانه لمسائلة العباد وظن كل واحد انه ما يراه احد سواه وانه المقصود بالاخذ
والسؤال فيقول الجبار سبحانه عند ذلك يا جبرئيل ائتني بالنار فيجاء بها جبرئيل عم على
غيظها وغضبها فلم تلبث بعد ندائه ان ثارت وفارت وزفرت الى الخلائق
وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانتهضت خزانها متوثبة الى الخلائق

غضبا على من عصى الله تع وخالف امره فاخطر ببالك واحضر بقلبك حالة قلوب
العباد وقد امتلات رعبا وفزعا فتساقطوا جثيا على الركب وولوا مدبرين
يوم ترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجوه وينادي الظالمون والعصاة
بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي فبيناهم كذلك اذ زفرت النار
زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم ثم زفرت الثالثة فتساقطت
الخلائق لوجوههم وشخصوا بابصارهم ينظرون من طرف خاشع خفي وانقضت قلوب
الظالمين فبلغت لدى الحناجر كاظمين وذهلت العقول من السعداء والاشقياء
اجمعين وبعد ذلك يقبل الله تع على الرسل ويقول ماذا اجبتم فاذا رأوا ما اقيم من
السياسة على الانبياء عم اشتد الفزع على العصاة ويفر الوالد من ولده والاخ
من اخيه والزوج من زوجته ويبقى كل واحد منتظر الامر ثم يؤخذ واحد فيسأله
الله تع شفاها عن قليل عمله وكثيره وسره وعلانيته قال ابو هريرة رض قالوا
يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس
دونها سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم
فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك
ترأس وتربع فيقول العبد نعم فيقول اوظننت انك تلاقي فيقول لا فيقول اني انساك كما نسيتني
فتوهم في نفسك يا مسكين وقد اخذت الملائكة بعضديك وانت واقف بين يدي الله
تع يسألك شفاها فيقول الم انعم عليك بالشباب ففيما ذا ابليته الم امهل لك في
العمر ففيما ذا افنيته الم ارزقك المال فمن اين اكتسبته وفيما ذا انفقته الم اكرمك
بالعلم فماذا عملت فيما علمت فكيف ترى حالك وخجلك وهو سبحانه يعد عليك انعامه
ومعاصيك فان انكرت شهدت عليك جوارحك قال رسول الله صلعم في حديث طويل
يقول الله تع للعبد كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم
على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول للاعضاء
بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الافتضاح الا ان الله تع وعد

المومن بان يستر عليه ولا يطلع عليه غيره وقال رسول الله صلعم في النجوى يدنو احدكم من ربه
حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول
انى سترتها في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقال رسول الله صلعم من ستر على مومن
عورته ستر الله عورته يوم القيمة وهذا انما يرجى لعبد مومن ستر على الناس عيوبهم
واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يتحرك لسانه بذكر مساوي الناس ولم يعتبهم فهو جدير
بان يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستر عن غيرك اليس قد قرع سمعك النداء
الى العرض فيكفيك تلك الروعة اذ توخذ بناصيتك فتقاد وفوادك مضطرب ولبك
طاير وفرايصك مرتعدة فقدر نفسك وانت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق
الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفعت الخلايق ابصارهم اليك
وناداك الله سبحانه وتع بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت بقلب خافق محزون
وجل واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فكم من فاحشة
كنت نسيتها فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها وانكشف لك مساويها فكم
لك من خجل وجبن فليت شعري باي قدم تقف بين يديه وباي لسان تجيبه وباي قلب
تعقل ما يقول فتفكر في عظيم عتابك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي
اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل اكنت
اهون عليك من ساير عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث به واستعظمت
نظر غيري قال رسول الله صلعم ليقفن احدكم بين يدي الله تع ليس بينه وبينه حجاب
فيقول الله تع الم اوتك مالا فيقول بلى ويقول الم ارسل اليك رسولا فيقول بلى ثم
ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق النار
احدكم ولو بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة وفي حديث آخر يقول الله تع يا ابن
آدم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم اكن رقيبا على اذنيك
وهكذا حتى عد ساير الاعضاء فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فانك
بين ان يقال لك سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فعند ذلك يعظم فرحك

وسرورك

وسرورك ويغبطك الاولون والآخرون وبين ان يقال للملائكة خذوا
هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند ذلك لو بكت عليك السموات والارض
لكان ذلك جديرا لعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله تع وعلى
ما بعت به آخرتك بدنياك الفانية التي لم تبق معك **صفة الميزان** ثم لا تغفل عن الفكر
في الميزان وتطاير الكتب الى الايمان والشمايل فان الناس بعد السوال ثلث فرق
فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم
ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم بشقاوة لا سعادة بعدها وقسم
آخر لا سيئة لهم فينادي مناد ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون
الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم لمن لا يشغله تجارة ولا بيع عن ذكر الله تع
وينادى عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث هم الاكثرون خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله ان الغالب حسناتهم او سيئاتهم
ولكن يابى الله الا ان يعرفهم ذلك ليتبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب
فيتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص
الابصار الى الكتب اتقع في اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان اتميل الى جانب
الحسنات او السيئات وهذه حالة هايلة تطيش فيها عقول الخلايق روي ان
رسول الله صلعم كان راسه في حجر عايشة رض فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى
سال دموعها على خد رسول الله صلعم فانتبه فقال ما يبكيك يا عايشة قالت ذكرت
الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة قال والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن
لا يذكر فيها احد الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن
آدم ايخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتى ينظر ابيمينه ياخذ كتابه او بشماله وعند
الصراط وعن انس رض قال يوتى بابن آدم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي الميزان
ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى بصوت يسمع الخلايق سعد فلان سعادة
لا شقاوة بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلايق شقي فلان

شقاوة لا سعادة بعدها ابدا وعند خفة الميزان تقبل الزبانية وبايديهم مقامع
من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار الى النار نعوذ بالله من
عذابه صفة الخصماء ورد المظالم فاذا عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين
شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت
موازينه فامه هاوية وما ادريك ما هي نار حامية فاعلم انه لا ينجو من خطر الميزان
الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع اعماله واقواله وخطراته
ولحظاته واما حسابه ان يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك
ما فرط في فرايض الله تعالى من تقصير ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل من كل من تعرض
له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت وليس عليه مظلمة ولا فريضة
فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم احاطت به خصماؤه فهذا
يأخذ بيده وهذا يأخذ بناصيته هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول
استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوؤني وهذا يقول جاورتني فاسأت جواري
وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب متاعك وهذا
يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم
فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشبت الخصماء فيك مخالبهم و
انت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته على درهم او جالسته
في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او جناية او نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم
اذ قرع سمعك نداء الجبار سبحانه اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك
ينخلع قلبك من الهيبة وتتذكر ما انذرك الله تعالى به على لسان رسول الله صلعم حيث قال
تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الاية
فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض الناس وتناولك اموالهم وما اشد حسراتك في ذلك
اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السيئات وانت مفلس عاجز مهين
فعند ذلك يؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك قال رسول الله صلعم

هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس
من امتي من يأتي يوم القيامة بصلوة وزكوة وصيام ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا
واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته فان فنيت حسناته
قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك
في هذا اليوم اذ ليس لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة
واحدة في مدة طويلة ابتدرها خصماؤك فاخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت
مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عليك يوم الا ويجري على
لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من اكل
الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات فكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم
تقتص الجماء من القرناء فكيف انت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك مشحونة بسيئات
طال في الصبر عنها نصبك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال لك هذه
سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة و
المجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة وساير اصناف المعاملة وتفكر في
نفسك انك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطفت حتى عفي عنك احوك و
اوتيت سعادة الابد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد
خلع عليك خلعة الرضاء وعند ذلك طار قلبك سرورا وتوهم تبختر بين الخلايق رافعا
راسك خاليا عن الاوزار ظهرك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون
على رؤوس الاشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله تعالى عنه وارضاه افترى ان هذا
المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك
وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه
الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله تعالى فلن تدرك ذلك
الا به وان يكن الاخرى والعياذ بالله بان تخرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها
هينة وهو عند الله عظيم فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل

منك عبادك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى
فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين فعند ذلك تتناول اليك الزبانية وقد
غضبت لغضب خالقها عز وجل فما قدمت عليك بفظاظتها وصورها المنكرة فاخذوا
بناصيتك يسحبونك على وجهك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لا تدعوا
اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي الملائكة هذا فلان بن فلان كشف
الله تعالى عن فضايحه ومخازيه ولعنه بقبح مساويه وربما يكون ذلك بذنب اذنبته
خفية من عباد الله او طلبا للمكانة في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم فما اعظم
جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة من عباد الله تعالى في الدنيا المنقرضة ثم لا
تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملاء العظيم مع التعرض لسخط الله تعالى وعقابه الاليم

صفة الصراط ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط
الجحيم فالناس بعد هذه الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار
احد من السيف وادق من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف
على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره بالاوزار
تعثر في اول قدم منه وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رايت
الصراط ودقته ووقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار و
تغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وثقل
ظهرك بالاوزار وكيف بك اذا وضعت احدى رجليك عليه فاحسست بحدته واضطررت
الى ان ترفع القدم الثاني والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون وتتناولهم زبانية
النار بالخطاطيف والكلاليب فانظر الى حالك وانت ترجف عليه وتلتفت الى الخلق
يمينا وشمالا وهم يتهافتون في النار والرسول عليه السلام يقول يا رب سلم سلم والزعقات
بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم وكيف بك لو زلت بك قدمك ولم
ينفعك ندمك فقلت يا ليتني قدمت لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا

يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليت امي لم تلدني
وكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك
فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنا وعنه غافلا
فما اعظم خسرانك وطغيانك وما ذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا
الله تعالى وطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع
قلبك من خطرك في الجواز عليه وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا قال رسول
الله صلعم الصراط كحد السيف وان الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وان
جبرئيل عليه السلام لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ
كثيرة فهذه اهوال الصراط فطول فيه فكرك فان اسلم الناس عن اهوال القيامة
من طال فكره في الدنيا فيها فان الله تعالى لا يجمع على عبد خوفين ولست اعني
بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على
القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب
منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك عن المعاصي ويحثك على طاعة الله
تعالى وابعد من رقة النساء خوف الحمقى الذين اذا سمعوا الاهوال سبقت الى
السنتهم الاستعاذة وقال احدهم استغيث بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم وهم مع ذلك مصرون
على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على
من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن فاذا راى انياب السبع وصولته من
بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعيذه بشدة بنيانه واحكام
اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى يغني ذلك عنه من السبع و
كذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه
ان لا يكون لك مقصود سوى الله تعالى ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد
عن الصدق في توحيده وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا
لرسول الله صلعم حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعات قلوب الصالحين

من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته فتحظى بالشفاعة ان كنت قليل
البضاعة **صفة الشفاعة** اعلم انه اذا حق دخول النار على طوايف من المؤمنين
فان الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة النبيين والصديقين بل شفاعة العلماء والصالحين
وكل من له عند الله جاه بحسن معاملته فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه
ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر
آدميا اصلا فان الله تعالى خبا ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي
الله تعالى ولا تستصغر معصية اصلا فان الله تعالى خبا رضاه في طاعاته فلعل رضاء
الله فيها ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة او ما يجري مجراها وشواهد الشفاعة
في القرآن الكريم والاخبار كثيرة قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال
ابو هريرة رض اتي رسول الله صلعم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها
نهسة ثم قال انا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الناس الاولين
والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الكرب والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون
ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم
عم فياتون آدم عم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من
روحه وامر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد
بلغنا فيقول لهم آدم عم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا
يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى
غيري اذهبوا الى نوح فياتون الى نوح عم فيقولون يا نوح انت اول الرسل
الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة
دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم خليل الله
فياتون ابرهيم عم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك

الاترى

الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله واني كنت كذبت ثلث كذبات ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى موسى عم فياتون موسى عم فيقولون يا موسى انت رسول
الله فضلك برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى الى ما نحن
فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده
مثله واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا
الى عيسى عم فياتون عيسى فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
فيقول عيسى ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولن يغضب بعده
مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد صلعم فياتون
محمدا فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله لك ما تقدم من
ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فاقع
ساجدا لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي
ثم يقال يا محمد ارفع راسك وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي
امتي فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب
الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده
ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير او كما بين مكة وبصرى
قال رسول الله صلعم يدخل بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وقال رسول
الله صلعم ان رجلا من اهل الجنة يشرف يوم القيمة على اهل النار فيناديه رجل
من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله لا اعرفك من انت
فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك قال
قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسال الله تعالى ذكره ويقول اني اشرفت
على اهل النار فناداني رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من انت فقال

انا الذی استسقیتنی فی الدنیا فسقیتک فاشفع لی عند ربک فیشفعنی فیه فیشفعه الله فیومر
به فیخرج من النار **صفة الحوض** اعلم ان الحوض مکرمة عظیمة خص الله تعالی بها نبینا عم وقد
اشتملت الاخبار علی وصفه ونحن نرجو من الله تعالی ان یرزقنا فی الدنیا علمه وفی
الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم یظما ابدا قال انس رضه اغفی
رسول الله صلعم اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا له یا رسول الله لم ضحکت فقال
آیة نزلت علی آنفا وقرا بسم الله الرحمن الرحیم انا اعطیناک الکوثر ثم قال هل
تدرون الکوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنیه ربی عز وجل فی الجنة علیه
خیر کثیر علیه حوض ترد علیه امتی یوم القیمة آنیته عدد النجوم وقال صلعم ما بین لابتی حوضی مثل
ما بین المدینة وصنعاء او مثل ما بین المدینة وعمان وسال ابن عمر رض رسول الله عن
الکوثر فقال عم نهر فی الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بیاضا من اللبن واحلی
من العسل واطیب من ریح المسک یجری علی جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال عم ان
حوضی ما بین عدن الی عمان البلقاء ماؤه اشد بیاضا من اللبن واحلی من العسل واکوابه
عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم یظما بعدها ابدا اول الناس ورودا علیه فقراء
المهاجرین فقال عمر بن الخطاب رض ومن هم یا رسول الله قال هم الشعث رؤسا
الدنس ثیابا الذین لا ینکحون المتنعمات ولا یفتح لهم ابواب السدد فقال عمر بن عبد العزیز
رضه والله لقد نکحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملک وفتحت لی ابواب السدد الا ان
یرحمنی الله تعالی لاجرم لا ادهن راسی حتی تشعث ولا اغسل ثوبی الذی یلی جسدی حتی
یتسخ **صفة جهنم** واهوالها وانکالها اجارنا الله تعالی منها ایها الغافل عن نفسه
المغرور بما هو فیه من شواغل الدنیا المشرفة علی الزوال دع التفکر فیما انت مرتحل
عنه واصرف الفکر الی موردک فانک اخبرت ان النار مورد للجمیع قال الله تعالی وان
منکم الا واردها کان علی ربک حتما مقضیا ثم ننجی الذین اتقوا ونذر الظالمین
فیها جثیا فانت من الورود علی یقین ومن النجاة فی شک فاستشعر فی قلبک هول ذلک
المورد فعساک تستعد للنجاة وتامل فی حال الخلائق وقد قاسوا

من دواهی القیامة ما قاسوا فبینا هم فی کربها واهوالها وقوفا ینتظرون حقیقة
انبائها وتشفیع شفعائها اذ احاطت بالمجرمین ظلمات ذات شعب واظلت علیهم
نار ذات لهب وسمعوا لها زفیرا یفصح عن شدة الغیظ والغضب فعند ذلک ایقن
المجرمون بالعطب وجثت الامم علی الرکب حتی اشفق البراء من سوء المنقلب وخرج
المنادی من الزبانیة فلان بن فلان المسوف نفسه بطول الامل المضیع عمره
فی سوء العمل فیبادرونه بمقامع من حدید ویسوقونه الی العذاب الشدید وینکسونه
فی قعر جهنم ویقولون له ذق انک انت العزیز الکریم فاسکنوا دارا ضیقة الارجاء مظلمة المسالک
مبهمة المهالک فشرابهم الحمیم ومستقرهم الجحیم وطعامهم الزقوم الزبانیة تقمعهم
والهاویة تجمعهم قد شدت اقدامهم الی النواصی واسودت وجوههم من ظلمة المعاصی
ینادون من اکنافها یا مالک قد اثقلنا الحدید یا مالک قد نضجت منا الجلود
یا مالک اخرجنا منها فانا لا نعود فلا یجیبهم الف عام ثم یقول اخسؤا فیها ولا تکلمون
فعند ذلک یخسون ولا ینطقون فلا ینجیهم الندم ولا ینفعهم الاسف هم فی النار
غرقی طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار یغلی بهم النار
کغلی القدر یصب من فوق رؤسهم الحمیم یصهر به ما فی بطونهم ولهم مقامع من حدید
تهشم بها جباههم فینفجر الصدید من افواههم وتنقطع من العطش اکبادهم وتسیل علی
الخدود احداقهم ویسقط من الوجنات لحومها ویتمعط من الاطراف شعورها بل
جلودها کلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غیرها ویعری من اللحم عظامهم فیبقی
الارواح منوطة بالعروق والاعصاب وهی تنش من لفح تلک النیران یتمنون
الموت فلا یموتون فکیف بک لو نظرت الیهم وقد قصمت ظهورهم وجدعت
آذانهم وغلت ایدیهم الی اعناقهم وجمعت بین نواصیهم واقدامهم وهم یمشون
علی النار بوجوههم ویطؤن حسک الحدید باحداقهم وحیات الهاویة وعقاربها
متشبثة بظواهر اعضائهم ولهیب النار سار فی بواطن اجزائهم وانظر الآن
تفصیل اهوالهم وتفکر فی اودیة جهنم وشعابها قال رسول الله صلعم ان فی جهنم

سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثعبان
وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال صلعم تعوذوا
بالله من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله ما وادي الحزن او جب الحزن
قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة اعده الله تعالى للقراء المرائين
وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي
بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم
الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لشهوات
الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى ارب اعظم منه فلا ينتهي هاوية جهنم الا الى
هاوية اعمق منها قال ابو هريرة رض كنا مع رسول الله صلعم فسمعنا وجبة فقال رسول
الله صلعم اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين
عاما الآن حين انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستكثر كالغريق فيها
ومن خائض الى حد محدود وكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة
فلا تترادف انواع العذاب على كل من في النار بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه
وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو
فيه قال رسول الله صلعم ان ادنى اهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار
يغلي دماغه من حرارة نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما
شككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من نار واحذره وقس عليه ثم اعلم انك
اخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم وهيهات بل لو وجد اهل الجحيم مثل
هذه النار لخاضوها طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث
قيل ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الارض بل
صرح رسول الله صلعم بصفة جهنم فقال امر الله تعالى ان توقد على النار الف عام حتى احمرت
ثم اوقد عليها الف عام حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي

سوداء

سوداء مظلمة وقال رسول الله صلعم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل
بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ما
تجدونه في الصيف من حرها واشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال
انس رض يؤتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة
ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا فيقال اغمسوه
في الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا وقال ابو هريرة رض لو كان
في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل من اهل النار لماتوا ثم انظر بعد هذا
في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقوا فيه وهو الغساق قال
رسول الله صلعم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا
شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى احدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد
يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ وان
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا
ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم قال الله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون
لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون وقال تعالى انها شجرة تخرج في اصل
الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون وقال
تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما قال رسول الله صلعم لو ان
قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على اهل الارض معايشهم فكيف
بمن يكون طعامه ذلك قال رسول الله صلعم ارغبوا فيما رغبكم وخافوا ما خوفكم الله
من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها
طيبتها عليكم وقال رسول الله صلعم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد
يسيغه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه
فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم
وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم

عند جوعهم وعطشهم وانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها
وعظم اشخاصها وقد سلطت على اهلها واغريت عليهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ
ساعة واحدة قال رسول الله صلعم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثل له يوم القيمة
شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهازمه يعني اشداقه فيقول انا
مالك انا كنزك ثم تلا قوله تع ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا
لهم الآية وقال صلعم ان في النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد
حموتها اربعين خريفا وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلط عليه في
الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات
فلم يمثل له ثم تفكر بعد هذا في تعظيم اجسام اهل النار فان الله تع يزيد في اشخاصهم
طولا وعرضا حتى يتزايد عقابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات
من جميع اجزائهم على التوالي قال رسول الله صلعم ضرس الكافر في النار مثل احد وغلظ
جلده مسيرة ثلث سنة وقال رسول الله صلعم شفته السفلى ساقط على صدره و
العليا قالصة قد غطت وجهه وقال الحسن البصري رض في قوله تع كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم
عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن في بكاء اهل النار وشهيقهم ودعائهم
بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في اول القائهم النار قال رسول الله صلعم
يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى
في وجوههم كهيئة الاخدود ولو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن
لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم
يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب رض لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله
في اربع فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا فيقولون امتنا اثنتين واحييتنا
اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تع مجيبا لهم ذلكم بانه
اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا

ابصرنا

ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا الآية فيجيبهم الله تع اولم تكونوا اقسمتم من قبل
ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيقول الله تع اولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون
ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون فيجيبهم الله تع اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية
شدة العذاب وعن الحسن رض قال يخرج من النار رجل بعد الف عام وليتني كنت
ذلك الرجل ورئي الحسن رض جالسا في زاوية وهو يبكي وقيل له لم تبكي فقال اخشى
ان يطرحني في النار ولا يبالي فهذه اصناف عذاب جهنم على الجملة فاما
تفصيل غمومها واحزانها ومحنها وحسراتها فلا نهاية لها واعظم الامور عليهم مع ما
يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت
رضاه مع علمهم بانهم باعوا ذلك بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوها الا بالشهوات
حقيرة في ايام قصيرة وكانت غير صافية بل مكدرة منغصة قال رسول الله صلعم
يؤمر يوم القيمة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها
ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله فيها لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب
لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار
قبل ان ترينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا
فيقول ذاك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم
مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم
الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب الاليم مع ما
حرمتكم من الثواب المقيم وقال عيسى عم كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا
بين اطباق النيران يصيح وقال داود عم الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري
على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين
في هذه الاهوال واعلم ان الله تع خلق النار وخلق لها اهلا لا ينقصون وهذا

انا موقنون

لا يزيدون

امر قد قضي وفرغ منه قال الله تع وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة
ولعمري الاشارة به الى يوم القيمة ولكن ما قضي الامر بل في ازل الازال ولكن اظهر يوم القيامة
ماسبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري
ان القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت ليت شعري ماذا موردي والى ماذا مرجعي
وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستانس بها وتصدق رجاؤك بسببها
وهو ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد تيسر لك سبيل الخير
فابشر فانك مبعد عن النار ان شاء الله تع وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك
العوايق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضي عليك فان دلالة
هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات والدخان على النار قال الله تع ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الايتين وقد عرفت مستقرك من
الدارين والحكم لله وحده القول في صفة الجنة واصناف نعيمها اعلم ان تلك الدار
التي عرفت غمومها وشرورها يقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها فان من
بعد من احديهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال
الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط
الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من
العذاب الاليم فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم
ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون جالسين على منابر من الياقوت الاحمر
في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكئين على ارائك
منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل واللبن محفوفة بالغلمان والولدان
مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احديهن في مشيها اعطاها
سبعون الفا من الولدان عليها من طرايف الحرير ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان
المرصعة بالجواهر شكلات غنجات عطرات امنات من الهرم والبؤس مقصورات

في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف
عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين بيضاء لذة
للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان كانهم لؤلؤ مكنون جزاء بما كانوا
يعملون في مقام امين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق
عند مليك مقتدر ينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت وجوههم نضرة
النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون بانواع التحف من ربهم تعالى دائما
فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم عن ريب
المنون آمنون فهم فيها يتنعمون ويأكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها
لبنا وخمرا وعسلا في انهار ارضها من فضة وحصباؤها مرجان وترابها مسك
اذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها ماء التسنيم على كثبان الكافور
ويؤتون باكواب واي اكواب اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت
والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج بالسلسبيل العذب كوب تشرق
نوره من صفاء جوهره تبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصنعه آدمي
فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صياغته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في
اشراقها ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه
فيا عجبا لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجايع
لمن نزل بفنائها كيف ياانس بدار قد اذن الله تع في خرابها ويتهنا بعيش دونها
والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان مع الامن من الموت والجوع والعطش
وساير اصناف الحدثان لكان جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يوثر عليها ما
التصرم والتنغص من ضرورته كيف واهلها ملوك آمنون في انواع السرور
متنعمون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه
الكريم ينظرون وينالون بالنظر من اللذة ما لا يلتفتون معه الى ساير نعيم الجنان
وهم على الدوام بين اصناف هذه النعيم يترددون قال رسول الله صلعم ينادي

منادٍ ان لكم ان تصحّوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان
تشبّوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا
ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة فاقرأ
القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان
اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد ان اطّلعت
على جملتها وتأمل عدد الجنان قال رسول الله صلعم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه
جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما
وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن
ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي
قال رسول الله صلعم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب
فمن كان من اهل الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من اهل
الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر رض
ما على احد من ضرورة من ايّها دعي فهل يدعى احد منها كلها فقال نعم وارجو ان تكون منهم وعن
عاصم بن ضمرة رض عن علي رض انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة
يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهب
ما في بطونهم من اذى وبأس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم
فلم تغبر اشعارهم بعدها ابدا ولا تشعث رؤسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا
الى الجنة فقالوا السلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم
كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون لهم ابشر اعد الله تعالى لك
من الكرامة كذا فينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه فيقول قد جاء
فلان باسمه كان يدعى به في الدنيا فتقول انت رأيته فيقول انا رأيته وهو باثري

فيستخفها

فيستخفها الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنيانه فاذا
جندل اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون ثم رفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا
مثل البرق ولولا ان الله عز وجل قدّره لالمّ ان يذهب ببصره ثم طأطأ رأسه فاذا ازواجه
واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكأوا فقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي منادٍ تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون
فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها
وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون
به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلا الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد
امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال الله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماء
والارض وقال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الآية وقال عز وجل وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق
بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك
بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها قال رسول الله صلعم ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف
فوقهم كما يتراءون الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم فقالوا
يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا
بالله وصدقوا المرسلين وقال عم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع
في افق من آفاق السماء وان ابا بكر وعمر رض منهم وانعما وسئل رسول الله عم عن قوله
تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوتة
حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا
من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون
لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة
ما يأتي على ذلك اجمع صفة حائط الجنة وانهارها وارضها واشجارها تأمل في صورة
الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها بقناعته بالدنيا عوضا عنها قال

وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين

رسول الله عم ان حايط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها زعفران وطينها مسك وقال
عم من سره ان يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره ان يكسوه
الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة واشجارها انهارها تنفجر من تحت تلال او من تحت
جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة عدلت بحليته حلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله عز وجل
به في الآخرة افضل من حلية اهل الدنيا جميعا وقال عم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
مائة عام لا يقطعها اقرأوا ان شئتم قوله تع وظل ممدود وقال ابو امامة رض كان اصحاب
رسول الله عم يقولون ان الله تع ينفعنا بالاعراب ومسايلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله
قد ذكر الله تع في القرآن شجرة موذية وما كنت ارى في الجنة شجرة توذي صاحبها فقال عم
ما هي قال السدر فان لها شوكا فقال قال الله تع وسدر مخضود يخضد الله تع شوكه فيجعل مكان
كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر
وقال سلمان لجرير رض يا جرير تواضع لله فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله تع يوم
القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيمة قال لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا
لا يكاد يرى من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قال يا ابا عبد الله اين
النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها الثمر **صفة لباس اهل الجنة** وفرشهم
وارائكهم وخيامهم قال الله تع يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها
حرير والآيات في ذلك كثيرة وفي الاخبار فقال عم من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لا
يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقال عم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ولكل واحد منهم زوجتان
يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون
الله تع بكرة وعشيا وقال عم في قوله تع يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم
التيجان ادنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال عم الخيمة درة مجوفة طولها
في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراه الآخر وقال عم في قوله تع وفرش
مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والارض **صفة طعام اهل الجنة** بيان طعام اهل

الجنة مذكور في القرآن الكريم من الفواكه والطير والسمان والسلوى والعسل واللبن واصناف
كثيرة لا تحصى قال الله تع كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل
واتوا به متشابها وذكر الله تع شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقال عم انك لتنظر الى الطير
في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا فقال ابو بكر رض انها لناعمة يا رسول الله قال انعم
منها من يأكلها وانت ممن يأكلها يا ابا بكر وجاء رجل من اليهود الى رسول الله عم فقال
يا ابا القاسم الست تزعم ان اهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان اقر لي بهذا
خصمته فقال عم بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب و
الجماع فقال اليهودي فان الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال عم حاجتهم عرق يفيض
من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر وقال عبد الله بن مسعود رض ومزاجه من تسنيم
قال يمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء رض في قوله تع
ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا
ادخل يده فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد طيبها **صفة الحور العين والولدان**
قد تكرر في القرآن وصفهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه قال رسول الله عم
غدوة في سبيل الله تع او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قدمه
من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت
ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار وقال عم
في قوله تع كانهن الياقوت والمرجان قال ينظر الى وجهها في خدرها اصفى من المرآة
وان ادنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا
ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك كله وقال عم ان في الجنة سوقا
ما فيها بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها
وان فيها لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات
فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا
وكنا له وقال عبد الله بن عمر رض ان ادنى اهل الجنة منزلة من يسعى معه الف خادم كل خادم

على عمل ليس عليه صاحبه وقال رسول الله عم ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه وعند
رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت يسمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان
ولكن بتحميد الله تع وتقديسه **بيان جملة متفرقة** من اوصاف الجنة قال عم لاصحابه الا هل
مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد
وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابد ونضرة في دار عالية
بهية سليمة قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تع ثم ذكر الجهاد
وحض عليه وقال عم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي ويكون حمله وفصاله وشبابه
في ساعة واحدة وقال عم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير ذا
الى ذا فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا
فدعونا الله تع فغفر لنا وقال عم ان اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابناء ثلث وثلثين
على خلق آدم طولهم ستون ذراعا في عرض سبعة اذرع وقال مجاهد رض ان ادنى اهل الجنة منزلة
من يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه وارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي
وقال سعيد بن المسيب رض ليس من اهل الجنة الا وفي يده ثلثة اسورة سوار من ذهب وسوار من
لؤلؤ وسوار من فضة وقال ابو هريرة رض ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى
عن يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وقال يحيى بن معاذ رض ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة
وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في
طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى **صفة النظر والرؤية** الى وجه الله تع قال الله تع للذين
احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تع وهي اللذة الكبرى التي
ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على
خلاف ما يعتقده اهل البدعة قال جابر بن عبد الله البجلي رض كنا جلوسا عند رسول الله عم فراى
القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان
استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهو مخرج في الصحيحين وفي صحيح مسلم رض قال قرا رسول
الله عم للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد
الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار قال فيرفع الحجاب
وينظرون الى وجه الله تع فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وقد روى حديث الرؤية
جماعة من الصحابة رض وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما ذكرناه من النعم عند هذه
النعمة ينسى وليس لسرور اهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات
الجنة الى لذة اللقاء وقد اوجزنا الكلام هنا لما فصلناه في كتاب المحبة والرضا
ولا ينبغي ان يكون همة العبد من الجنة سوى لقاء الله تع فاما ساير نعيم الجنة فانه يشارك
فيه البهيمة المسرحة في المرعى **وتختم الكتاب بباب** في سعة رحمة الله تع على سبيل التفاؤل
بذلك وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفاؤل وليس لنا من الاعمال
ما نرجو به المغفرة فنقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في التفاؤل ونرجو ان
يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تع قال
الله تع ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تع قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال تع ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد
الله غفورا رحيما ونحن نستغفر الله تع من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم ونستغفره
من اقوالنا التي لا يوافقها اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من البصيرة و
العلم بدين الله تع مع التقصير فيه ونستغفره من كل وعد وعدناه به من انفسنا ثم
قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا واستعملناها في معصيته ونستغفره
من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره
من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس ونستغفره من جميع ذنوبنا ما
ظهر منها وما بطن فهو سبحانه اعلم بذلك منا ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله

لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرم بالمغفرة والرحمة والنجاة وزعن
جميع السيئات ظاهرا او باطنا فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف
الخلايق فايض ونحن خلق من خلق الله تع لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تع مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين
الجن والانس والطير والبهايم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر
تسعا وتسعين يرحم بها عباده يوم القيمة ويروى انه اذا كان يوم القيمة اخرج
الله تع كتابا من تحت العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج
من النار مثلا اهل الجنة فقال رسول الله صلعم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيمة ضاحكا
فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت مكانه في النار
يهوديا او نصرانيا وقال صلعم يشفع الله تع آدم يوم القيمة من جميع ذريته في مائة الف
الف وعشرة الاف الف وقال صلعم ان الله تع يقول يوم القيمة للمؤمنين هل
احببتم لقائي فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي
وقال عم يقول الله تع يوم القيمة اخرجوا من النار من ذكرني يوما وخافني في مقام
وقال صلعم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله تع معهم من اهل القبلة قال
الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى ما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا في
النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيامر
باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فاذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا
كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرأ رسول الله صلعم ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وقال صلعم الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال
جابر بن عبد الله رض من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة فذاك الذي يدخل الجنة
بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته يوم القيمة فذلك الذي يحاسب حسابا يسيرا ثم
يدخل الجنة وانما شفاعة رسول الله صلعم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى ان الله
عز وجل قال لموسى عم استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث

بي لاغثته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال رض يؤمر يوم القيمة باخراج رجلين من
النار فيقول الله تع بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويأمر بصرفهما الى
النار فيعدو احدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما
عن فعلهما فيقول الذي عدا الى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم اكن
لاتعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني ان لا تردني
اليها بعد ما اخرجتني منها فيأمر بهما الى الجنة وقال صلعم ينادي مناد من تحت العرش
يوم القيمة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوا
وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس رض يقرأ وكنتم على شفا
حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذهم منها وهو يريد ان
يوقعهم فيها فقال ابن عباس رض خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت
على عبادة بن الصامت رض وهو في الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله
ما من حديث سمعته من رسول الله صلعم لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا و
سأحدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلعم يقول من شهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله عليه النار وقال رسول الله صلعم ان الله
سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلايق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا
كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول
لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه
لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء
وقال رسول الله صلعم في حديث آخر طويل يصف فيه القيمة والصراط ان الله تع يقول
للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار فيخرجون خلقا
كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم

مثقال ...

قلبه نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها
احدا ممن امرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا وكان ابو سعيد رض يقول
ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم لا يظلم مثقال ذرة وان يك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله تع شفعت الملائكة وشفع
النبيون وشفع المؤمنون فلم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما
لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة
فيخرجون منه كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء
الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتم فيها
فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله تع لكم عندي
افضل من هذا فيقولون يا ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط
عليكم بعده ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وعن عمرو بن حزم الانصاري رض
قال تغيب عنا رسول الله صلعم ثلثا لا يخرج الا الى الصلوة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع
خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي
عز وجل وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في
هذه الثلاثة الايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد من
السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب افتبلغ امتي هذا قال اكمل لك العدد من الاعراب
وفي حديث آخر بيان السبعين الفا الذين لا حساب عليهم قال صلعم هم الذين لا يكتوون
ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وذلك في صحيح البخاري وقال ابو ذر
رض قال رسول الله صلعم عرض لي جبرئيل عم في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات
لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبرئيل وان زنى وان سرق قال نعم وان سرق
وان زنى قلت وان سرق وان زنى قال وان سرق وان زنى وان شرب الخمر
وقال ابو الدرداء رض قرا رسول الله صلعم ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت

يا رسول الله وان زنى وان سرق قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت يا رسول
الله وان زنى وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى
وان سرق يا رسول الله قال وان رغم انف ابي الدرداء وقال صلعم اذا كان يوم
القيمة دفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فيقيل له هذا فداؤك من النار وروى
مسلم رض عن رسول الله عم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله تع مكانه النار يهوديا
او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز رض بالله الذي لا اله الا هو ثلث مرات
ان اباه حدثه عن رسول الله عم فحلف له وروي انه وقف صبي في بعض المغازي
يصاح عليه فيمن يزيد في يوم صايف شديد الحر فبصرت به امراة في خباء القوم
فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي فالصقته الى بطنها ثم القت
ظهرها على حر البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر فقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم
فيه فاقبل رسول الله عم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم
فقال اعجبتم من رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال فان الله تع ارحم بكم جميعا من هذه
بابنها فتفرق المسلمون على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث
وما اوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تع فنرجو الله تع ان لا
يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو اهله وسعة جوده انه جواد
كريم رؤف رحيم رب مقيم ٭ تم الكتاب بحمد الله ومنه اللهم
اغفر لكاتبه العبد المذنب الراجي من ربه الغفران
يعقوب بن محمد بن يوسف بن سليمان
القسطموني في وقت العصر يوم الثلثاء
تاسع جمادى الاخرى من شهور
سنه ... في مدينة
ادرنه

عدد اوراق بزرگ وخرد
٣٦١